مصطفى بسطامي

شهود و شهداء

بسم الله الرحمـن الرحيم

الـمُقدّمـة

إنّ ما ستجدونـه في هذا الكتاب هو اجتهاد صُحفيٍ شاب قاده الفُضول للبحث في تاريخ وطنه، وتاريخ الثورة الجزائرية. فكان أن اقتربت من صُنّاعِ تلك الثورة وذلك التاريخ، وجمعتني بهم حِوارات صُحفيّة كنت خِلالها أُحاول أن أعثر على إجابات لأسئِلتي الكثيرة. وكلما كنت أكتشف أشياء كلما كان فُضول يكبر وتتولّد لديّ أسئلة أخرى وأخرى. وأصدقكم أنني إلى الآن لا أزال أحتفظ بكثير من الأسئلة.

ولقد بدت لي الحاجّة ماسّة إلى نشر هذه الحوارات في كتاب لأمرين اثنين، أوّلهما أنّ بعض المُجاهدين الذين حاورتهم لم يسبق لهم أن أدلوا بشهاداتهم، فأوردوا تفاصيل جِدّ مُهمّة ورُبما تُفيدنا في العُثور على الحلقات الضائعة من تاريخ الثورة. كما أنّ ذاكرة هؤلاء الأشخاص استحضرت أسماء شُهداء ومُجاهدين لم يسبق وأن ذُكروا في كتب التاريخ. وثاني الأمرين هو أنّ الوطن فقد إلى غاية كتابة هذه الأسطر ثلاث من الشخصيّات الموجودة في الكتاب، وهي عبد الكريم حساني، وأحمد مهساس، ونسيمة حبلال، هذه الأخيرة لم تترك مُذكّرات رغم كونها من أُولى المُناضلات وعايشت كلّ مراحل الثورة.

ولقد حرصت كلّ الحرص على مُحاورة مُجاهدين على اختلاف توجّهاتهم وآرائهم. لا يُحرّكني إلاّ فُضولي لمعرفة

الحقيقة دون تزييف أو تلفيق، أو مُحاولة لتوجيه فكر القارئ. ولعلّ هذا سيصدم البعض من الذين اعتادوا أن ينظروا في التاريخ من زاوية واحدة. ولعلّ هذا أيضا ما جعل بعض الشخصيات ترفض التّقديم للكتاب بحُجة احتوائه على آراء لا تتوافق وآراؤهم.

وأكبر مُشكل اعترضني خلال عملي الصُحفي هو طريقة التعامل مع تلك الحقائق! هل كلّ الحقيقة تُقال؟ هو السُؤال الذي كنت أطرحه على نفسي وأنا أنتهي من كلّ حوار وأضع مُسجّلتي في مِحفظتي! ماذا أكتب وماذا أترك؟!

منذ أكثر من 50 سنة ونحن نتفادى الاصطدام مع تاريخنا. كتبناه بلا أسماء أحيانا، وسجّلناه مُزيفا أحيانا أخرى. فكنا نُنشئ أجيالا تجهل تاريخها، أو اطّلعت على نسخته المُشوّهة. وكلّ هذا بحجّة أنّ التاريخ مادّة حسّاسة. فعلا هي كذلك، وفعلا وجب التعامل معها بكثير من الدقّة. ولكن يجب أن نعلم أيضا أنّ هذا التاريخ ليس ملكا لصانعيه فقط. وليس ملكا لنا، حتى نتصرّف فيها كما نشاء، فنكشف بعض الحقيقة، ونُخفي بعض جوانبها، ونُنصّب أنفسنا حُماة للذاكرة..فنُساهم، عن جهل، في قتلها. هذا التاريخ ملك للوطن ولأبناء هذا الوطن، حقّ لهم أن يعرفوه كاملا غير منقوص، ولهذا فقد وجب علينا أن ننقله كما هو لا نُنقص ولا نزيد، و لا نضع اعتبارا لبعض الأشخاص الذين هُم في الُحكم الآن... تاريخهم مُشوّه أو ليس لهم تاريخ أصلا.

مصطفى بسطامي

الإهـداء

إلى كلّ شهيد

مات دفاعا عن قضيّة ...أهدي هذا المُؤلّف

عبد الكريم حساني

"فرنسا اغتالت بن مهيدي وستعترف بجرائمها عاجلا أوآجلا" [1]

PHOTO

---

1 نشر بتاريخ 8 جويلية 2010.

احتفلت الجزائر الأسبوع الماضي بالذكرى المزدوجة لعيدي الاستقلال والشباب. وقد ارتأيت أن أحاور أحد الوجوه التي صنعت تلك الحرّية وذلك الاستقلال. فاستقرّ بي الأمر عند المُجاهد عبد الكريم حساني، والذي أُعيد طبع كتابه "حرب العصابات بدون وجه" الصادر في طبعته الأولى سنة 1984. استقبلنا وتقاسم معنا ذكرياته حول الثورة والجهاد، وكان وهو يحكي تجربته، يعرض جانبا هاما من جوانب الثورة، وشهادة مُثيرة. هو الذي قال أنّه مُستعد لأن يكشف كلّ شيء ممّا عاشه. خاصّة أنه من أوائل الحركة الوطنية، وعُضو وزارة التسليح بالحكومة المُؤقتة، صارحنا بنظرته إلى مُختلف الملفات العالقة. والقضايا التي عاشتها وتعيشها الجزائر حتى اليوم[1].

ما هي أبرز العمليات، والمهام التي تقلّدها المجاهد عبد الكريم حساني خلال ثورة التحرير؟

بداية أقول أنّ عمري النضالي دام أحد عشرة سنة. وكنا حينها في بسكرة، ومن القلّة القليلة التي تدرس في المدرسة الفرنسية. وكان يُطلب منا توزيع الوثاق المُحرّرة باللغة الفرنسية. فنوزّعها على المواطنين في المقاهي والمنظمات المدنية، والحركة الكشفية، والأماكن العمومية كذلك. حتى يفهم الجميع أهداف ومبادئ الحركة. وحتى التعليمات والتوصيات الضرورية. أمّا أنا، فكنت، وإلى جانب توزيع تلك المناشير، أعمل على ترجمتها إلى اللغة العربية، حتى يفهمها الجميع، ويطّلعوا على ما ورد فيها. وكان سني لا يتجاوز حينها الرابعة عشر من العمر.

هل درستم في جمعية العلماء المسلمين؟

أجل. كما أنني اعتبر أنّ الحركة هي مدرستي الأولى، والتي عرفت فيها أشياء كثيرة...عرفت بطولة الشعب الجزائري، وقُدرته

1 فارقنا المجاهد عبد الكريم حساني بعد حوالي ستة أشهر من انجاز هذا الحوار بتاريخ 5 نوفمبر 2010.

على رفع رأسه رغم كلّ ما كان يُعانيه من فقر واضطهاد... وعرفت الرجال بمساوئهم وفضائلهم، وأشياء كثيرة جعلتني أنضج وأتعلّم وأناضل.

ما الذي عزّز قراركم بالقتال؟

أوّل حدث صدمني هو استشهاد أخي المُجاهد حساني شريف. حكمت السُلطات الفرنسية عليه بالإعدام. كما أنني عرفت شخصية بارزة أثّرت على كامل المناخ السياسي آنذاك، وهو العربي بن مهيدي. وكان في مُظاهرات الثامن من ماي، وأُلقي عليه القبض. وعندما وُضع في السجن، صار يُلقي دروسا في السياسة للمساجين. أي أنّه كان خطرا على المُستعمر حتى وهو في السجن. كما وقع حدث كبير جعل الناس تتأكّد من أنه لا مفرّ من القتال، إذ تأسّست أوّل حركة مدنية في تاريخ الجزائر المعاصر. وهي حركة أصحاب البيان والحريّة[1]. وكان الحزب الأوّل الذي لمّ شمل كلّ الجزائريين. بمن فيهم الإصلاحيين والوطنيين، وغيرها من التيارات المختلفة والمُتناقضة. أمّا العُنصر الخارجي، والذي منح بعض الثقة للجزائريين، فهو موقف قوّات التحالف ضدّ النازية، كأمريكا، وبريطانيا، صحيح لم تكن في صفّنا، إلاّ أنها لم تكن مُوافقة على كلّ ما كانت تفعله فرنسا. ما جعلنا نُحسّ أننا لسنا وحيدين، ولم تكن فرنسا، وكما كنا نراها، العدو الذي لا يُقهر، وحدها في العالم. وكلّ هذه التساؤلات والاحتمالات جعلتنا نسترجع الثقة بأنفسنا. ونُفكّر في أنّ الحرية والاستقلال لا ريب فيهما.

لقبتم بـ" السي الغوثي"، فما سرّ هذه التسمية؟

لسبب بسيط جدا، وهو أنني وفي آخر سنة 1956 كنت مديرا للتكوين والمُواصلات، وقد كلّف بوالصوف نائبه الهواري بومدين بتغيير الأسماء، لأسباب أمنية طبعا. فقال لي أنه سيختار لي تسمية من تسميته، فهو بومدين وسيُطلق عليّ لقب الغوثي، لأن سيدي بومدين في الغرب هو"الغوثي" كذلك، فهو يُغيث الناس، حسب البعض.

1 تأسست في شهر مارس من سنة 1944.

لكنكم لستم وحدكم من أُطلق عليه هذا اللقب، فهناك أيضا المدير السابق للأمن الوطني علي تونسي، وآخرون؟

فعلا. لأنه لقب صار يُطلق بكثرة في الغرب. والظروف الأمنية أجبرتنا على تغيير أسمائنا. وحتى عبد العزيز ليس الاسم الحقيقي لرئيسنا الحالي.

وهل لعب المسرح والفنون الأخرى دورا في توعية الشعب؟

أجل. لقد كنا مُنتمين إلى الكشافة وإلى المسرح. وقد مثّلت في تلك الفترة مسرحية مهمّة، هي مسرحية "في سبيل التاج" للكاتب الكبير مصطفى لطفي المنفلوطي. ولعب العربي بن مهيدي دور البطل فيها. وكانت تحمل رسالة هامّة. فالقصّة تروي حكاية شاب قتل والده من أجل وطنه. وقد حضر العرض جمهور غفير، ومن كلّ التيارات الاجتماعية، ليُشاهدوا، ويكتشفوا تلك المسرحية.

تحدّثتم كثيرا عن الشهيد العربي بن مهيدي، فما الذي أعجبكم أكثر شيء في شخصيته؟

لولا أنني أخشى الكفر، لقلت لك بأنّ العربي بن مهيدي ملاك. بعثه الله سبحانه وتعالى إلينا في تلك الفترة. فكان يتميّز بالشجاعة، والصبر، والإيمان، والمعرفة والتبصّر. وأتحدى أيّ شخص يقول أنّ العربي بن مهيدي ارتكب خطأ ما. ورغم أننا بشر، وغير معصُومين من الخطأ. إلاّ أنّ الرجل كان ثابتا ومتيقنا، بشكل مُدهش، من نيلنا حريتنا. وكان دائما يقول:" الاستعمار حدث عابر ليس إلاّ، وسيزول لا محالة"، وقد وُضع مرّة في الثكنة، وحاول البعض إغراءه ببعض الامتيازات، فقام بالاستيلاء على مُسدس، وذلك لاستعماله في الحرب ضدّ فرنسا. وأحمل عنه الكثير من الذكريات منها أنّ الدكتور سعدان، والذي كان ينتمي إلى حزب فرحات عباس، جاءه يوما وطلب منه أن يُوقف المُظاهرات، فسأله بن مهيدي عن السبب، فأجابه أنّ دماء الجزائريين ستسيل فيها، فأجابه العربي بقناعة أنّ الاستقلال لا يُمكن أن يأتي بلا دماء. هذا ولا أذكر يوما قال فيه العربي أنّه أحسّ بالتعب أو الجوع، ولا ضيّع يوما فريضة صلاة. فرغم صغر سنّه كان أسطورة عظيمة.

حسنا، فما الذي يُمكن أن تقولوه لنا عمّا ذكره البعض من أنّ العربي بن مهيدي انتحر في سجنه؟

هذا خطأ. الجنرال اوساريس أكدّ على أنّه هو من شنق العربي

بن مهيدي. وكذلك شهادة الجنرال بيجار الذي قال بأنه لم ينتحر. وما جاء في كتاب لصحفية فرنسية، ذكرت أنّ حبل المشنقة انقطع مرّتين، وكان يجب أن يُطلق سراحه، لأنّ قانون الحرب يعفي المحكوم عليه من العقوبة في هذه الحالة، ويُطلق أسره.

كتبتم سيرة حياة الطاهر بن مهيدي، أخ العربي، فما الذي كان يجمع بينكما؟

كنّا ندرس معا. هو كان مسؤولا في الكشافة والمسرح والرياضة. ثمّ واصلت دراستي في الرياضيات، وعدت والتقيت صديقي الطاهر بن مهيدي بعد الثانوية في الجامعة المركزية. كان هو في شعبة التاريخ، وأنا في الرياضيات وبقينا في خلايا الجبهة. وشاء القدر أن نلتقي في خلية واحدة، كان يُشرف عليها لمين خان. وقرّرنا سويا أن نُنجز إضرابا للطلبة في 19 ماي 1956. وعندما أُلقي علينا القبض ووُضعنا في السُجون، عرفنا أنه لا مفرّ من القتال، ولا بدّ من رفع البندقية في وجه العدو الظالم. وقد كتبت سيرة حياته. حيث أنه كان من عائلة طيبة. وكنت أعرف أسراره، وحياته، وأسميت الكتاب:" كيف يموت المرء واقفا"، وذلك لأنه قال لي يوما، وكنت سألته أن يبقى ببيته إلى جانب أسرته، خاصّة وأنّ أخاه العربي كان قد وهب حياته للحركة، أجابني قائلا:" وعلاش هو راجل يعرف يموت وأنا لالا؟".

أنجزتم أيضا كتاب "حرب العصابات بدون وجه" فلماذا اخترتم هذا الجانب بالذات من الثورة؟

السبب هو أنني أردت أن أتحدّث عن مجال وموضوع كنت عايشته، وكنت مُتحققا منه. فضّلت عن أتحدّث عن حياتي الخاصّة وعن الأبطال الذين عرفتهم.

أورد السعيد سعدي رئيس حزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية بعض الأقوال فيما يخصّ استشهاد عميروش، وأنّ للرئيس الراحل هواري بومدين علاقة بها، فماذا تقولون عن الأمر؟

في الحرب لا بدّ من وقوع هفوات. والإنسان ليس معصوما من الخطأ، وقد بدأنا الحرب بصفة غير مُتكافئة. إذ لم نكن نملك إستراتيجية حرب وسلاح. وإذا وقعت أخطاء فلا يجب أن نزيد الطين بلة. وفرنسا في تلك الفترة كانت تزرع الفتن بين المجاهدين، وتُدخل العداوة بيننا. وقد استطاعت، فعلا، من أن

تُسجّل علينا نقاطا. وما أخرجنا منها هو هدفنا المشترك، والذي كان الاستقلال.

أي أنّ فتنة زرعتها فرنسا بين المُجاهدين جعلت بومدين يغتال عميروش؟

عرفت بومدين، ولم أعرف عميروش. ولا أظنّ أنّ بومدين يُكنّ عداوة لعميروش. قد يكونان قد اختلفا في وُجهات النظر فيما يخصّ تنظيم الحركة. لكن لا تُوجد بينهما كراهية.

حسنا، وماذا عن جثمان عميروش، لماذا تمّ إخفاؤه، ومن فعل ذلك؟

هواري بومدين هو من أعطى الأمر بذلك.

لماذا؟

خوفا من أن يفقد تأثيره إذ كان له تأثير أو"كاريزما" خاصّة. وقضيّة بحجم الشهيد عميروش لن تكون في صالحه. وهو الأمر الذي دفعه لأن يفعل ما فعل !

ولكن كيف حدث ذلك؟

مصالح الدرك هي من أتت بجثمان الشهيد عميروش من بوسعادة إلى الجزائر. ولقد أمر بومدين العقيد بن شريف قائد الدرك الوطني بأن يفعل.

وماذا بشأن قضية اغتيال رمضان عبان؟

في الحقيقة ما كان بين عبد الحفيظ بوالصوف، ورمضان عبان خلافات إستراتيجية. بوالصوف رجل عسكري ميداني، وأساء فهم رمضان عبان، وهذا الأخير كان رجلا له إستراتيجيته، وهو الذي تبنى أولوية السياسي على العسكري، والداخل على الخارج، وهو الأمر الذي لم يُعجب بوالصوف، أو لم يتلاءم مع كونه رجل حرب بامتياز. عبان كان يُريد أن يُخضع العمل العسكري للعمل السياسي.

ألم يكن الغرض من وضع رمضان عبان لهذه الإستراتيجية الاستحواذ على صلاحيات أكبر؟

لا، لم يكن يريد إقصاء العمل العسكري، هذا غير معقول. وهذا هو مصدر الخلاف بين الرجلين. أي أنّ الجيش، بحسب نظرية عبان، يُنفذ قرارات السياسي، ولكن لا يحكم. أمّا فيما يخصّ أولوية الداخل على الخارج، فهي لا تعني أيضا الفصل، أو إقصاء قيادات

الخارج، ولكن يجب إعطاء الكلمة للشعب. غير أنّ بوالصوف رأى غير ذلك، وحسب أنّ النيّة من وراء هذا القرار هو أنّ شراء السلاح ليس له أهمية، وأنّ الذي يُضحي بحياته في الخارج من أجل مدّ الثورة بالسلاح لا يفعل شيئا. هذه هي خلفية الصراع بينهما، وهو ما أدى إلى تصفيته.

ونحن نحتفل بالذكرى الثامنة والأربعين لعيد الاستقلال، قال وزير الخارجية الفرنسي كوشنير أنّ العلاقات الفرنسية الجزائرية لن تتحسن إلاّ بذهاب جيل الثورة، فما رأيكم؟

إنها مخطئة، وليست المرّة الأولى التي تُخطيء فيها فرنسا، أخطأت عندما ارتكبت مجازر الثامن من ماي 1945، وقالت أنها قضت على الشعب الجزائري، ولم تزده في الحقيقة إلاّ إصرارا وعنادا، وأخطأ ميتيران عندما كان وزيرا للداخلية في نوفمبر 1954، عندما قال أنّ فرنسا ليس لها مُفاوضات مع "الفلاقة". ولهذا أقول أنها ستعترف بجرائمها آجلا أم عاجلا، لأنها وقائع يعرفها الجميع، ولا يُمكن بأيّ حال من الأحوال إنكارها، فلا بدّ من إقرارها وتعويضنا كذلك.

تحدّثتم عن التعويض، في وقت تحُاول فرنسا فيه التهرّب بفرض قوانين مثل منح الجنسية الفرنسية لمواليد ما قبل سنة 62، وكذلك مشروع مُؤسسة الذاكرة الجماعية، ما رأيكم؟

... أجل كلها قوانين تسير في فلك وتيّار تهرّب فرنسا من دفع ما عليها من تعويضات، فالجزائري عندما يُصبح فرنسيا لا يستطيع المُطالبة بحقوقه، لكن هذا لا يُمكن وقوعه، وأغلب المُجرمين الذين شاركوا في التقتيل اعترفوا بجرائمهم البشعة، ومنهم بيجار وغيرهم. ثمّ إنّ فرنسا ليست أحسن من إيطاليا التي اعترفت بما فعلته مع الشعب الليبي، ولا اليابان التي اعترفت بما اقترفته في حق الصينيين.

صرّح وزير العدل الأسبق عمار بن تومي بأنّ بن بلة بعد الاستقلال مكّن مائة حركي من الهروب إلى خارج الوطن، كما سمح لفرنسا بتنفيذ تجاربها النووية في صحرائنا؟

لا أظنّ أن بن بلة، وكرئيس دولة، قد أخطأ في حقّ بلده، وإن فعل ذلك فلأسباب مُعيّنة. وقد عرفت أنه ميّال للوطنية، وبما أنّه لا

زال على قيد الحياة فليسألوه، ليعرفوا الحقيقة[1].

من الملفّات التي بقت عالقة ملف "الحركى"، ففيما يبقى البعض مُتعصبا تجاههم، ينادي آخرون بمنحهم حقوقهم المدنية، أو على الأقل أبناءهم الذين ليس لهم ذنب فيما حصل؟

أجل، ليس لأبنائهم أيّ ذنب. عندما دخل الرسول عليه الصلاة والسلام إلى مكة لم ينتقم من الأشخاص الذين قاموا بخيانته، قد نستطيع مُحاكمة أوليائهم أو نحرمهم تلك الحقوق، بحجة أنهم اختاروا الوقوف مع فرنسا، لكنّ الأبناء أبرياء مما فعله آباؤهم.

هل شاهدتم مؤخرا فيلم "خارج عن القانون"، وهل تظنون أنّ السينما يمكن أن تُحقق ما لم تستطعه السياسة؟

ما ورد في الفيلم غيض من فيض، وما حدث قبل وبعد الثامن ماي أكثر من ذلك بكثير. والضجّة التي أحدثها مُؤيدو"الجزائر فرنسية" هم من زادوا من أهمية الفيلم، خاصّة هؤلاء الذين يدّعون أنّ الجزائريين هم من اعتدوا على الفرنسيين وليس العكس، لكن لا بدّ لهذا النوع من الأفلام أن يصنعه أشخاص عايشوا تلك الحقبة، من مُجاهدين، وحتى بعض الفرنسيين، وجزائريين كذلك اعتنقوا المسيحية فيما بعد، يُمكن لكلّ منهم أن يدلي بشهادته، وأنا شخصيا مُستعد، وبمُساعدة بعض الإخوة أن نساعد في إنجاز فيلم، استنادا على وقائع من التاريخ ومن مصادرها كذلك.

إضافة؟ أشكركم في مواصلة البحث لمعرفة الحقائق، وأعرف أنّ عملكم ليس سهلا، وأنا فخور بلقائي مع جريدتكم المحترمة.

1 توفي أحمد بن بلة أوّل رئيس للجزائر المستقلة يوم 11 افريل 2012.

2

العلامة محمد الصالح الصديق

"لم يحن الوقت لنكشف التاريخ كاملا"! [1]

---

[1] نشر بتاريخ 21 أكتوبر 2010.

ضيفنا هذا العدد الشيخ، المفكر، الكاتب، العلامة محمد الصالح الصديق. وهو من بين الرجال الذين تفخر بهم الجزائر. كونه صورة مُضيئة من تاريخها المعاصر. فهو الذي نادى بمُحاربة المستعمر بالسلاح والقلم والفكر. وأمضى سنوات عمره في الدفاع عن الدين، والهوية، والوطن، واللغة. فكانت حياته صراعا وحربا دائمتين ضدّ المستعمر وضدّ الجهل. وقد استقبلنا ضيفنا صاحب المائة والسبعة كتب بحفاوة في بيته. وتحدّثنا معه عن المذكرة التي ألفها، وعن مختلف المحطّات التي مرّ بها، والتي لا تُعبّر عن تاريخ رجل فحسب، بل تاريخ كفاح بلد بأكمله. فكان لنا معه هذا الحوار.

من أين نبدأ، وكيف نُعرّف رجلا أمضى حياته بين الدراسة، والتدريس، والجهاد، والكتابة؟

باسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة على أشرف المرسلين. بداية أرحب بكم. وإذا عرّفت نفسي أقول أنني أنتمي إلى قرية تُدعى "ابسكرين"[1]. وهذه القرية بالذات أنجبت علماء أجلاء، وكذلك أبطالا بواسل. وأذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر مفتي الجزائر سنة 1907 وهو محمد السعيد بن زكرين. ومفتي تيزي وزو الشيخ صادق بن زكرين. وأمّا أبطال الجزائر الذين ساهموا في تحريرها نجد البطل مُراد ديدوش وسي عبد الله وغيرهم. وقد حفظت القرآن على يد والدي، ولم أكن أتجاوز حينها الثامنة والستة أشهر من عمري. إضافة إلى حفظي عشرات القصائد لفحول الشعراء، وأكثر من ثلاثين متنا في البلاغة، والمنطق، والأصول، والنحو، وغيرها. ودرست بزاوية الشيخ عبد الرحمن اليلولي على يد عالم جليل يُعتبر موسوعة في العلوم النقلية والعقلية. وهو الشيخ ارزقي الشرفاوي. وليس أدّل على موسوعيته من أنه أخذ الشهادة العالمية في الأزهر. وكان قانون هذه الجامعة في تلك السنة يمنع كلّ من ليس له جنسية مصرية من أن يُدرس

[1] تقع بمنطقة القبائل قُرب مدينة عزازقة.

في الأزهر. لكن استُثني شيخنا هذا لما كان له من علم. ودرّس بها أكثر من سبعة عشر سنة. أمّا أنا فقد نلت شهادة التحصيل، وأذكر أنني في السنة النهائية بالجامعة ألّفت كتابا من أربعة أجزاء. وكان حدثا تاريخيا لا زال يُذكر، لأنني كنت أوّل جزائري يُؤلف كتابا وهو لا يزال طالبا. ثمّ عُدت إلى الجزائر وشاء القدر أن أتولى التدريس بنفس الزاوية التي أخذت فيها دروسي الأولى على يد الشيخ الشرفاوي. وعندما اندلعت الثورة التحريرية في نوفمبر من سنة 1954 التحقت بها. وقال لي بلقاسم كريم، رحمه الله، وهو أحد قادة الثورة المهمّين، بأن أبقى في الزاوية لأتظاهر بأنني لا أزال أستاذا عاديا قصد التمويه. لكنّ فرنسا اكتشفت أنني أعمل كمسؤول عن المال والأسلحة. فألقت القبض عليّ ثلاث مرّات. ففي الأولى أطلقوا سراحي، وفي الثانية كذلك. أمّا في المرّة الثالثة كان بيني وبين الضابط الفرنسي مترجم يتحدّث بالقبائلية، أقحم في خضم حديثه عبارة لم يتفطّن لها الضابط. حيث قال لي أنهم عازمون على قتلي، وأنه لذلك عليّ الرحيل والهروب إذا ما أطلقوا سراحي هذه المرّة. وفعلا، فقد اتّصلت ببلقاسم كريم وقادة الثورة، فدبّروا لي طريقة أمرّ بها إلى المشرق العربي عن طريق فرنسا. والغريب في الأمر أنّ جبهة التحرير أو همت إحدى الفرنسيات بفرنسا أنني أعمل مع العدو، أي ضدّ الثورة. وأنه حكم عليّ بالإعدام من طرف المجاهدين، ولا بدّ عليها أن تتستّر علي. فصدّقت ذلك واستقبلتني هي وزوجها، هذا الأخير كان ثوريا هو الآخر دون علمها. وهكذا قضيت عندهما تسعة عشر يوما. هي تحسب أنني اعمل لحساب فرنسا، وزوجها يعلم حقيقتي. وبعدما وصلت إلى تونس، التقيت بالمجاهد المعروف علي محساس، والذي اختار أن التحق بالصحيفة الرسمية التي تتحدّث باسم الجبهة وجيش التحرير ففعلت. واشتغلت بها سنة. ثمّ عُيّنت مُكلفا بأخبار الثورة التحريرية بليبيا. فقضيت في هذا البلد خمسة أعوام أقدم صوت الجزائر ثلاث مرّات في الأسبوع. وكانت الحصّة تشتمل على الأخبار الحربية والتعاليق السياسية وكانت تُبثّ ثلاث مرّات في الأسبوع، ومُدّتها نصف ساعة. كما كان لي نشاط آخر، وهي كتاباتي الصحفية بشكل يومي، إلاّ يوم الجمعة. حيث لا تصدر فيه الجرائد. أمّا سائر الأيام فكنت اكتب حول الجزائر والثورة

التحريرية.

ماذا عن فترة ما بعد الاستقلال؟

عندما عُدت إلى الجزائر التحقت بوزارة الخارجية مدّة ثلاثة عشر شهرا. لكنني فكّرت في أنّ مكاني المناسب سيكون في التدريس. وهي المهنة التي أحبها. فدرّست في بعض الثانويات بالعاصمة. وعندما تولى رئاسة وزارة الشؤون الدينية الأخ عبد الرحمن شيبان اقترح أن أكون معه، وأن أتولى رئاسة هيئة مُكونة من أساتذة، هدفها الأوّل يكون إحياء التراث العلمي. فمكثت بالوزارة سبعة عشر سنة. وأحيينا كلّ ما كتبه أو ألقاه الشيخ عبد الحميد بن باديس وأصدرناه في ستة مجلدات. وفي سنة 1997 فكّرت في أن أعكف على التأليف، فلازمت البيت وتفرّغت للكتابة. أمّا مجالات نشاطي فانحصرت في عشرات الدروس التي كنت القيها في المسجد. وبرامج في الإذاعة دامت لأكثر من 30 سنة. مثل برنامج بعنوان: "الرافضون عبر التاريخ" و"في رحاب الكتاب والسنّة" و"من وحي الثورة" و"رجال صدقوا" و" من الخالدين" وكلّ برنامج منها استمرّ سنوات. أمّا على شاشة التلفزيون فأنجزت من سنة 1968 إلى 1997 ما لا يقلّ عن ثلاث مائة وثلاثة عشر حديثا تلفزيونيا.

بلغت مؤلفاتكم المكتوبة مائة وسبعة كتب. فما هي أكثر المواضيع التي استولت على اهتمامكم فيها؟

كتبت في الأدب، والتاريخ، والأخلاق، والدين، والتراجم. إذ كتبت عن المغرب العربي في ثلاثة أجزاء، و"الرافضون عبر التاريخ" الذي صدر بجزأين وكتبت "شخصيات فكرية وأدبية" وغيرها. ولكنّ المجالات التي كنت أهتم بها كثيرا هي التاريخ، والأدب، والسياسة، والأخلاق، والتراجم. ومن ذلك كتاب نال صدى في تفسير القرآن وهو "مقاصد القرآن" بحيث كتب عنه محمد الخامس، وعبد الناصر، وقد بعثوا لي برسائل شكر وقد خدمت به الثورة التحريرية أيضا، فكلّ مداخيله عادت إلى شراء الأسلحة.

نبقى في مرحلة الدراسة، وفي الزاوية التي أنجبت، ورغم الاضطهاد والحرمان، علماء وأبطالا كبارا ربما تعجز الجامعات الحديثة عن إنجابهم، فما هو السبب في ذلك؟

ما يُمكن أن اذكره هو أنّ للاستعمار الفرنسي فضلا كبيرا علينا، وعلى هذه الأمّة جميعا. فعندما دخلت فرنسا إلى الجزائر عاملت الجزائريين مُعاملة قاسية رهيبة قاهرة. ولو فعلت عكس ذلك لما خرجت من الجزائر. ولهذا أقول أنها قدّمت لنا خدمات جليلة. حيث جعلت الجزائريين يُفكّرون في أنّ فرنسا لم تحرمهم من اللغة العربية إلاّ لأنها عظيمة. وكذلك بالنسبة للدين والهوية والعلم وحتى القراءة. كلّ هذا الحرمان والاضطهاد جعلنا نتّحد ونتهيأ لنكون أعداء لهم. وهذه العداوة هي التي دفعتنا إلى قراءة القرآن والتشبث بالهوية، واللغة، والأخلاق. وأقول لك أنّ الذين درسوا العربية خلال فترة الاستعمار خير ممّن يدرسون العربية اليوم لسرّ واحد، وهو أنّ الجزائريين في تلك الفترة أحسّوا بذلك الحرمان من اللغة. فأقبلوا عليها بنهم. كما أحسّوا بأهميتها من حيث أنها لغة القرآن، ووعاء لهذا الوحي العظيم. ولهذا صاروا يُقدّرون تلك اللغة. وأذكر لك أنّه في تلك الفترة كان الواحد منا إذا ما ارتكب خطأ في القواعد نُحسّ كأنه ارتكب جرما لا يُغتفر. وأذكر أنّ أستاذا كبيرا بجامع الزيتونة أخطأ ذات يوم فرفع المنصوب، رغم أنه عالم جليل، وأنّ ذلك لم يكن إلاّ زلة لسان، إلاّ أننا بقينا نتحدّث عن ذلك الخطأ ثلاثة أشهر كاملة. أمّا اليوم فلا نُعطي للقواعد وزنا يُذكر. فنكسر كلّ شيء دون اكتراث.

تحدّثتم عن الدين، واللغة، والوطن، ونعلم أنكم من بين الأشخاص الذين يتمسّكون، بل ويفتخرون بتلك الانتماءات كلها، في وقت نرى فيه البعض يُثير ضجّة حول مسألة الهوية، فما رأيكم؟

أولا، الواجب عقلا وطبعا وشرعا ووضعا ألاّ يفرق الإنسان بين جهة من أخرى في الجزائر. ثم إنّ الانتماء للدين مثلا، لا يتعارض مع أيّ انتماء آخر، للوطن أو اللغة أو الأرض، ولا يستطيع احد أن ينكر إحداها. فالانتماء إلى الوطن هو من المحافظة على وجود الجزائري، وبالتالي الحفاظ على لغته ودينه. ولولا ذلك الانتماء لما كانت ثورة نوفمبر 1954، ولما كان هناك الجهاد والشهادة.

لقد ألّفتم أكثر من مائة كتاب، وتحدّثتم عن الثورة، لكن قليلون من فعلوا ذلك، هل تعتقدون أنّ المادّة المكتوبة التي نملكها اليوم كافية لحفظ تاريخنا؟

لا، ولعلّ هذه الملاحظة هي التي دفعتني إلى انجاز مذكراتي.

فلا نكاد نعثر على كتابات ومؤلفات كافية وافية عن تلك المرحلة، وأكثرها من تأليف أجانب. لهذا أردت التعرّض لهذه المرحلة الهامّة من تاريخنا. وقد ألفت خمسة وثلاثين كتابا حول الثورة، لكني أحسّ أنني لم افعل شيئا. وأنّ الثورة الجزائرية تحتاج لأن نتوسّع فيها أكثر، فثورتنا عظيمة، ولا يكفي ما كُتب حولها حتى الآن.

بالعودة إلى مُذكراتكم والتي تُعتبر مادّة تاريخية مهمّة. لكن لدى تناولكم للشخصيات التي عملتم معها وعرفتموها لم تتعرضوا إلاّ إلى وجهها المشرق دون الخوض في مساوئها، لماذا؟

أجل، وفي الحقيقة لقد تردّدت كثيرا قبل أن اكتب مذكراتي، وكنت أقدم رجلا وأؤخر أخرى. وطلب مني الكثير من أصدقائي وزملائي، ومنذ زمن، أن افعل. لكنني احترت وتوقفت عند سؤال هام، وهو كيف اكتب هذه المذكرات؟ وخاصّة في الجانب المُتعلّق بالشخصيات التي التقيتها وتعلمت وحاربت إلى جانبها. وفيما إذا كان بإمكاني التعرّض إلى أخطائها أم أتغاضى عن ذلك كله؟ فتوصّلت إلى أنني لا يُمكن بحال من الأحوال أن أشوّه تلك الصور التي يحملها الناس عنها، ببعض الأمور والأخطاء. فذكرت بالتالي مناقبها وبطولاتها وتغافلت عن بعض الجوانب التي من المُمكن أن تسيء إلى ذكراها.

ألاّ تعتقدون أنكم بذلك تتركون ثغرات ربما يملأها البعض بأكاذيب ومُغالطات تاريخية، فيُصبح حينها ذكر الأخطاء الصحيحة، أو التي وقعت فعلا أحسن من تغييبها، خاصّة وأننا نحتاج إلى كلّ شهادة لكتابة تاريخنا؟

أقول لك أنني فضّلت أن تكون شهادتي ناقصة، خير من أن أُصرّح بأشياء قد يضرنا الخوض فيها أكثر مما ينفعنا، وهو ما شاهدناه، بعد أن تحدّث البعض عن أمور أُسيء فهمها، فنتج عن ذلك تبادل للاتهامات وضجّة لا طائل منها، ما شوّه صورة الثورة كلها عند بعض شبابنا. فتخفت الحرارة الوطنية في نفوسهم وقلوبهم. وتذهب تلك الروح التي كانت في شبابنا الذين فعلوا الكثير من اجل الجزائر. لهذا لا أحبذ فكرة الكشف عن بعض الوقائع في الفترة الحالية. وأفضل أن نُؤجل التحدث عن ذلك إلى وقت لاحق. وقد لا نفعل بالكشف عن بعض الأمور إلاّ أن نزيد الطين بلة.

هذه الحرارة الوطنية التي تحدّثتم عنها، هل تعتقدون أنها انطفأت في نفوس شبابنا؟

لا أقول انطفأت، فشباب اليوم مثل الأمس لا يزالون مُتمسكين بوطنيتهم، ولعلّ هذا الشيء الذي يُميزنا عن كثير من الشعوب. لكن أقول أنها لم تعد بنفس الحماسة والقوّة.

لماذا؟

أمور كثيرة. منها أننا لا نعمل على زرع حبّ الوطن في نفوس أبنائنا، وهي مهمّة الأسرة والمدرسة وحتى وسائل الإعلام المُختلفة، وعلى رأسها التلفزيون، لأنها أكثر مُشاهدة من غيرها. فلا بدّ أن نهتم بهذا الجانب، ونُنمّي روح الوطنية لدى الأطفال والشباب ونرعاها. فعلى الأسر والمؤسسات التربوية مُراعاة هذا الجانب المهم.

خلال البحث والتنقيب في التاريخ الجزائري، من هي الشخصية التي أثّرت فيكم أكثر شيء؟

في التاريخ القديم أُعجبت بالأمير عبد القادر الذي جعله إيمانه وحبه للجزائر يصنع العجائب. إذ وقف ضدّ فرنسا وحاربها أكثر من أربعة عشر سنة. ولهذا فهو شخصية سيطرت على مشاعري وأذكرها دائما بالتقدير. أمّا فيما يخصّ التاريخ المعاصر فأحترم الشيخ عبد الحميد ابن باديس، الذي أُكن له من التقدير والإعجاب الكثير، لثلاثة أسباب: أوّلها أنه عرف قيمة الوقت الذي أصبح الناس يُحاربونه ويقتلونه في الملاهي والمقاهي والأرصفة. وليس من السهل أن يعرف الإنسان قيمة الوقت. والأمم المتحضرة عندما بنت حضاراتها لم تفعل ذلك إلاّ بعد احترامها للوقت. والغريب أنك إذا عرضت أعمال ابن باديس تجدها تفيض عن عمره. فهو لم يعش إلاّ خمسين سنة وأربعة أشهر. لكن إذا استعرضت أعماله من محاضرات ومواقف تحسب أنه عاش أكثر من مائة سنة. ولا بدّ لذلك كله أن يتّخذه الشباب قدوة في استغلال الوقت والانتفاع به. أمّا الأمر الثاني فهو أنّ ابن باديس درس في الزيتونة وعندما تخرّج بشهادة التحصيل تخرّج معه أكثر من 200 طالب آخر. ولكن وحده ابن باديس من استطاع أن يصنع تاريخا مُتميّزا، فهو وطني، وعالم، ومؤمن بالله. أمّا الأمر الثالث فهو أنّ ابن باديس قال:"لو وجدت عشر رجال يحملون السلاح لخرجت لمُحاربة

فرنسا" كما أنه صنع كذلك رجالا، ويكفي أنه شُوهد ذات يوم وسُؤل لماذا لا يُؤلف الكتب وهو الذي يملك قلما خصبا؟ فأجاب أنه لا يُؤلف الكتب بل يُؤلف الرجال الذين يقرأون الكتب. فكيف بعد هذا كله لا أتّخذه قدوة، ولا أُعجب به. فهو من أعدّ لأوّل نوفمبر مجموعة كبيرة من الرجال الذين يحملون الفكر والوطنية.

قلتم في مذكراتكم أنّ خلافات كانت تحدث بين المجاهدين، لكنّ التفكير في الهدف المشترك، وهو الاستقلال، سُرعان ما يعود ليمحو كلّ شيء، ويُوّحد بين قلوبكم، فما الهدف المشترك الذي يُمكن أن تلتفّ عليه الجزائر اليوم فيوّحد بين أبنائها؟

في السابق، كان مُجرد التفكير في الاستقلال يجعلنا نترفّع عن الصغائر. واليوم أدعو الشباب إلى أن يُوطّدوا علاقتهم بالله أولا، وكذلك بالأسرة والوطن. وأقول من كان له إيمان قويّ بالله يكتسب شجاعة كبيرة.

3

أحمد **مهساس**

"جماعة مؤتمر الصومام انقلبوا على الفاتح من نوفمبر ليستولوا على السُلطة بعد الاستقلال" [1]

---

1 نشر بتاريخ 04 نوفمبر 2010.

من المُؤكد أنّ الثورة الجزائرية ضدّ الاستعمار الفرنسي من المحطّات الهامّة في تاريخ الجزائر المعاصر، إن لم تكن أهمّها. لكن، ولحدّ الآن، لم يتمّ الكشف عن الكثير من جوانبها، لهذا فإنّ الحديث عنها، وعن الأبطال الذين صنعوها وشاركوا فيها، لم ولن يتوّقف. فاخترت أن يكون ضيفيّ لهذا العدد أحد المُؤسسين والمهندسين لتلك الثورة، وبالتالي أحد صنّاع الاستقلال. هو أحمد مهساس، والذي حدّثنا عن قصّته الطويلة مع النضال، وصارحنا بآرائه عن مُختلف القضايا التي مازالت، إلى الآن، غامضة، وعن أبرز الشخصيات التي رافقته في مسيرته تلك. وعن الوعي بضرورة قتال المُستعمر الغاشم، ثمّ التحرّك لتحقيق حُلم الاستقلال، والانضمام إلى حزب الشعب، والمنظمة السرّية. والتأسيس الأوّل للثورة. كما قصّ علينا ضيفنا كيف عاش الظلم، والمنفى، والخيانة، ومُحاولة القتل، ثمّ ما تعرّض له، كما يذكر، من تهميش سياسي وفكري. كلها محطّات تستحقّ الوقوف عندها وتأملها طويلا، استضافنا الرجل في بيته أربع ساعات كاملة، وكان لنا معه هذا الحوار المُثير.

كيف كانت بدايتكم مع النضال سيدي؟

في البداية كنا في بودواو. وأسّسنا حركة الخمسة التي كانت مُكوّنة مني وأربعة أعضاء آخرين. أذكر منهم بوشبوبة، وحميدة الباز. لكن وقعت حادثة جعلتني أفرّ من بودواو. حيث أنني اعتديت على دركي فرنسي حاول إهانتي، فكنت مُضطّرا حينها إلى الفرار. وكانت الوجهة حي بلكور، حيث اشتغلت هناك، والتقيت ببعض الشبّان الذين كانوا يُقاسمونني نفس الحماس النضالي، وقرّرنا أن نتّصل بحزب الشعب. لم يكن الأمر سهلا. خاصّة وأنّ الحزب كان يعمل في سرّية مُطلقة. لكن في النهاية التحقنا كلنا به. غير أنّ حماسنا كان كبيرا. ممّا جعلنا نقترح أن نُكّون نظاما شُبانيا ينشط داخل الحزب. وتمّت المُوافقة على مطلبنا بعد مدّة. وكان هذا التنظيم الشُبّاني مرحلة أُخرى في النضال. وتمكّنا من إقناع كثير

من الشباب بفكرة الالتحاق بالحركة، ومنهم...محمد بلوزداد.

كيف تمّ إنشاء المُنظمة الخاصّة، وماذا كانت أهدافها؟

إنّ نداء مصالي الحاج بالاستقلال[1] جعل الفكرة تنتشر بيننا تدريجيا. بين المناضلين والمُواطنين. حتى صار كثيرون يُؤمنون بها. وبأنها يُمكن أن تكون واقعا. فتمّ بعث تنظيم تحت اسم حزب نجم شمال إفريقيا. لكنّ السُلطات الفرنسية قامت بحلّه، قبل أن يُعاد بعثه من جديد تحت اسم حزب الشعب، وكان ذلك سنة 1937، وهو من راح يُعمّق فكرة الاستقلال لدى الجميع. غير أنّه ومع الحرب العالمية الثانية حلّت فرنسا جميع الأحزاب والتنظيمات.

قلتم إنّ فكرة الاستقلال عمّت الجميع، ولكن حتى تلك الفترة لم يكن يُنادي بها إلاّ قليلون؟

لا، كانت فكرة الاستقلال في طريقها إلى الانتشار، ولو أنها كانت مُنتشرة لكنا استقلينا في تلك الفترة. كنا نتدرّب بشكل عادي كعساكر. وكنا نُركز عملنا على حرب العصابات، وحتى الحرب النفسية.

هل كانت المنظمة السرّية قوية لهذه الدرجة؟

أجل، كانت فعّالة. وكانت ستكون خطرا كبيرا على المُستعمر إذ التفّ حولنا الجميع. ولكن، كما قلت لك، لم تكن فكرة الاستقلال قد تخمّرت في أذهان الجميع. أمّا الحركات الوطنية، وقادتها مثل الحزب الشيوعي، والاتحاد الديمقراطي للبيان، وحتى جمعية العلماء المسلمين، كلّ هؤلاء كانوا لا يزالون يطالبون بالاندماج، ويسعون للحصول على بعض الحقوق. فكرة الاستقلال لم تكن قد ترّسخت في أذهانهم. وكانوا يعودون من فرنسا وجُعبتهم فارغة. وهو الأمر الذي جعلنا نفكر في أنّ المطالبة بالحقوق سياسيا فقط لن تأتيّ بشيء. أمّا الاستقلال فلن يتمّ لنا إلاّ بقوّة السلاح. ونتيجة لهذا تقرّر أن تكون هناك مُنظمة سرّية.

لم لا يكون حزبا؟

لا، الإعلان عن حزب في تلك الفترة كان في مُنتهى الخطورة. لهذا رُحنا نجتهد ونفكر في تأسيس تنظيم يعمل في السرّية.

متى كان التحاقكم الرسمي بالمُنظمة الخاصّة؟

1 حدث هذا في سنة 1926.

كان ذلك بعد أن قُمنا أنا وأحمد بن بلة ومحمد ماروك، وحسين ايت احمد، وجيلالي بلحاج (المدعو كوبيس) بجولة في إطار عسكري حيث ذهبنا إلى جبال شنوة، فدخلنا حينها رسميا في المنظمة السرّية ثمّ وقعت المشاكل.

مشاكل بينكم وبين المسؤولين في الحزب؟

أجل، فبعد انسحاب محمد بلوزداد خلفه ايت احمد.

من اختار آيت احمد؟

مصالي الحاج هو من عيّنه على رأس المنظمة، بعد أن مرض محمد بلوزداد.

كيف كان يتمّ تجنيد العناصر في المُنظمة السرّية؟

أي عنصر كان يخضع، بطبيعة الحال، لامتحانات. ويكون دائما تحت المُراقبة في تحرّكاته. إذ كان لا بدّ من السرّية لكي ننجح. أو على الأقل لكي لا يُفتضح أمرنا.

ولماذا وقع خلاف بينكم وبين آيت احمد؟

صحيح أنّ حسين ايت أحمد رجل مُناضل ووفي. ولكن هناك أمر لم أتّفق معه فيه، وهو نداؤه بالبربرية. هي من الأمور التي كان من شأنها أن تُفشل الحزب. فلا يُمكن أن نعدّ لحرب باختلافات مُماثلة. فهذه من شروط نجاح أيّ انتفاضة عسكرية. فإن لم تكن تلك الوحدة، فلن تنجح أيّ ثورة، وكنا نعمل سويا.

إن لم يكن حسين آيت أحمد كفؤا فكيف تمّ تجنيده أصلا؟

لم أكن الوحيد الذي عارض تجنيد آيت أحمد في المنظمة الخاصّة، ولكنّ مناضلين آخرين فعلوا. فهو لا خبرة له في الترأس. ثمّ إنه لم يكن الأقدم، مثلا. كما أنّه كان قادرا على بثّ نزعته الجهوية بين المُناضلين، وهذا ما كان يُثير مخاوفنا من ناحيته.

لكن هل هناك ما يُثبت أنه فعلا كان مُشاركا في تلك المؤامرة، ألم تكن خطّة منفذة من فرنسا غرضها زعزعة الحزب؟

كانت كذلك، ولكنّ آيت أحمد أيضا كان مُتورطا. هي مؤامرة أرادت بها فرنسا أن تكسرنا عبر الجهوية، ولكن، ولحسن الحظ، فإنّ ديننا الإسلام هو الذي وحّدنا.

كيف تعاملتم مع الوضع؟

رأيت أنّ الإدارة تتّخذ قرارات من شأنها أن تُهلك المنظمة الخاصّة. وكانت البداية، كما قلت لك، مع المدّة الطويلة التي اتخذتها المُنظمة قبل التحرّك. ثمّ تلتها قرارات لم تكن لا في مصلحة المُنظمة، ولا صالح البلاد. مثل عملية بريد وهران، وهي أمور كان يجب أن لا تحدث في المُنظمة أصلا، وأن يكون كلّ تحرك مُفاجئا، حتى لا نُعطي الفرنسيين الفرصة لكي يطّلعوا على ما يحدث.

لماذا عارضتم عملية بريد وهران؟

لأنه لا يُمكن أن نكشف تنظيمنا السريّ من أجل أربعة ملايين فرنك فرنسي، وكنا قادرين على توفيرها بطرق أخرى.

وكيف كان يُنظر إلى صوتكم؟

على أنه تمرّد على الحزب. رغم أنني لم أدع إلاّ إلى التوحّد، وعدم الانشقاق، وإلى الإسراع باتخاذ القرارات التي تجعلنا نتحرّك بسرعة، ولا نُدمّر ما كنا قد أنجزناه. وهو ما حدث سنة 1950، حيث حلّ الحزب.

كيف تمّ القبض عليكم؟

قُبض عليّ بسبب تمرّدي على الخدمة العسكرية الفرنسية. فحُكم عليّ بستة أشهر، قبل أن يتمّ إرسالي إلى الأصنام لقضاء مدّة الخدمة العسكرية، فقضيتها رغم أني كنت مُتمرّدا على فرنسا كلها.

لماذا لم يتمّ تهريبكم من طرف الحزب؟

رفضوا. عندما كنت في السجن، أرسلت أخي، وكنّا حينها نقطن ببوزريعة. اتصلنا مع أشخاص مُناضلين أوفياء من البليدة، هؤلاء قبلوا مُساعدتنا، وتمّ تهريبنا من السجن. وبعد كارثة 1950، طلبنا من الحزب أن يُندّد ويتّخذ قرارات صارمة ومواقف. فكانت الإجابة سلبية وهي القرار بحل الحزب كله.

لكن لم هذا القرار بحل الحزب كله؟

البعض فكر أننا يجب إعادة تأسيسه من جديد. وفي الحقيقة فقد كانوا يخشون أن تحسب فرنسا أنهم لا يزالون يُفكرون في ثورة مُسلحة.

هل كان حلّ الحزب أمرا مُدبرا؟

اجتمعوا في سيدي موسى وقرّروا حلّ الحزب بشكل رسمي، وكنت أنا لا زلت في السجن. وعندما سمعنا بالأمر شعرنا جميعنا بالحزن والحسرة. خاصّة وأنّ المسؤولين عندما كانوا يزوروننا في السجن، كانوا يُعطوننا أملا بأنّ الحزب يُمكن أن يستمرّ. لكن ما سمعناه بعدها من حلّ للحزب تسبب في إبعادنا.

كم مكثتم في السجن؟

بقيت في السجن سنتين من 1950 إلى 1952.

وبعد خروجكم من السجن، هل عدتم إلى المُنظمة؟

زادت خلافاتي مع المنظمة، فقد طلبت من رئيس الدائرة وكان مسؤولا في المنظّمة أن يمنحني وثائق مُزوّرة، ويُوفّر لي مخبأ. كنت مُطاردا حينها من طرف الشرطة. فأجابني أنّ خليّة القائمين على الوثائق لا تعمل. ولكن كنت أعرف أنها كانت تشتغل، وأدركت أنهم بذلك يرفضون منحنا الوثائق. فعُدت إلى العاصمة وطلبت الاتصال بقيادة الحزب. وبقيت أكثر من 40 يوما وأنا أنتظر. فجاءني احمد بودة وحسين لحول رحمهما الله، تحدّثنا عن المُتسبب في تحطيم المُنظمة الخاصّة، وفيما إذا كان الخطأ استراتيجيا أو فنيا. وكانوا يقولون لي أنها مسؤولية فنية.

من وجهة نظركم الخاصّة هل كانت كذلك؟

لم أر ذلك. أنا قلت أنّ الحزب لا يُمكن أن يُكوّن نظاما، ويتركه دون عمل. هذا خطأ جسيم. ثمّ سألتهم إن كانوا ينوون إعادة تأسيس نظام شبه عسكري، وفي هذه الحال لن نسترجع الحديث عن الأخطاء السياسية المُرتكبة، والمسؤولين عنها. واقترحت عليهم نوع النظام الذي يُمكن أن يُؤسس مقارنة بالسابق الذي كان مركزيا. واقترحت أنه يُمكن أن يكون مركزيا من حيث السياسة والمبادئ. لكن ليس في التنظيم، والذي لا بدّ ألاّ يكون مركزيا. فإن فعلنا فإننا سنُجازف. ويُمكن أن يُلقى القبض على كلّ المسيّرين مرّة واحدة. ثمّ اقترح عليّ الذهاب إلى الشرق لتمثيل الحزب هناك مثلما حدث مع خيدر وايت احمد لمهام أخرى، فرفضت، وأدركت أنهم ينوون إبعادي، فأنا خرجت من السجن لأحاول إصلاح الشرخ

الذي حدث في الحزب. وقد كنت حينها أُقيم لدى عائلة تاقليت[1] بحسين داي. ثمّ قمت بالمُجازفة إذ عدت إلى البيت ببوزريعة، وفكرت في أنّ الفرنسيين لن يبحثوا عني في البيت. اتّصلت من هناك بإدارة الحزب مرّة أخرى. لكن كانت الإجابة سلبية أيضا. إلى أن حدث مرّة أن حملت سلاحي ومشيت من البيت إلى مركز الحزب. وصلت على الساعة الثامنة صباحا. قلت لهم أنني لن أتحرك من مكاني. وبقيت أكثر من 54 ساعة هناك. خيّرتهم بين أن يمنحوني وثائق وأبقى مُناضلا، كما كنت دائما، أو أن يتحمّل كلّ واحد مسؤوليته. ثمّ وعدوني بأنهم سيُعطونني وثائقي خلال ستّة أيام. واكتشفت بعدها أنّ المنظمة التابعة للقبائل قامت بطلبي للالتحاق بصفوفها. لكنّ مسؤولي الحزب لم يُخبروني بشيء. ولو فعلوا لكان من السهل حينها أن ألجأ إلى الأوراس، أو أيّ مكان أختفي فيه. فقرّرت أن أذهب إلى فرنسا إن لم تتحسّن الأوضاع وذهب بن بلة إلى القاهرة.

وماذا كانت مهامكم في فرنسا؟

فررت إلى فرنسا سنة 1952 وبقيت فيها نحو عام كامل وكنت أنشط في سرّية تامّة.

وهل تمسّكتم بموقفكم إلى النهاية؟

فكّرت بعدها أن أؤسس لتيّار جديد أسميته "نداء العقل" بين سنتي 1953 و1954 وتحت نظام الحزب، لكنّ عمله هو وحدة الحزب حتى لا يُقال أني أردت أن أفكك الحزب. موقفي بقي دائما واحدا. وهو تماسك الحزب والهدف الثوري.

وماذا أضاف هذا التيّار، أو ماذا كان دوره؟

كان له تأثير كبير على اندلاع الثورة، فهذه الأخيرة لم تأت من لاشيء فقد سبقها عمل كبير في كلّ الميادين، إلى أن توّفرت كلّ الشروط حتى تستقيم تلك الثورة من أساسها. وأسّست لنظرية قيامها من جديد، فالثورة لم تأت من عدم وليست وليدة فراغ. وإلاّ فكيف عادت وتأسست نظرية أخرى مهدّت لقيام الثورة؟ فقبلا كان

1 عائلة مناضلة وعلى رأسها سي إبراهيم. كانوا يأوون الهاربين، ويُمكنونهم بعدها من الاتصال بالحزب.

الحزب يُفكر في أنّ قيام الثورة لا يكون إلاّ بشروط داخلية وخارجية، لكن فكرت في أنّ توفر تلك الشروط مرّة واحدة لن يتحقّق أبدا، وانتظار توافقها جميعا لن يُصبح حينها إلاّ وهما. ففكّرت أنه لا بدّ من التعجيل بالثورة، وإلاّ فلن نفعل شيئا. لكن، وعوض أن ننتظر توّفر شروط لن تأتي أبدا مرّة واحدة، وهو ما يجعل حلم الثورة يتبخّر إلى الأبد. ولن يفوز حينها لا مصالي، ولا المركزيون. والجزائر تُضيّع فرصة ثمينة. عوض ذلك قلنا أنه يُمكن أن نحافظ على قرارات 1947، ثمّ نُكوّن فوجا كبيرا عوض الجيش، ويكون قادرا ومُستعدا، وهو من يُفجر الثورة. وحينها ستتحرّك حتما تلك القوّة البشرية والمادّية التي حضّرها الحزب ولم يستعملها. وحتى الأشخاص الذين كان قد انتابهم الشكّ والحيرة يعودون إلى خيار النضال. كما أننا بتلك الطريقة سنُفاجئ الاستعمار، والذي كان يعتقد أنّ الحزب كان قد تحطّم إلى الأبد. وهو ما حدث فعلا، وقد قدّمت المقال الأوّل الذي دعا إلى هذه الفكرة، وكان عنوانه:" دعوة إلى العقلانية" وأقول فيه أنّ تحطيم الحزب كان من مسؤولية الإدارة بمن فيها مصالي الحاج. وكان نداء كذلك إلى المُواطنين إلى توحيد الصفوف.

نعلم أنكم، وأنتم مسؤول في المنظمة السريّة، أخذتم بيد الكثير من الشباب ليلتحقوا بها، أبرزهم محمد بوضياف ورمضان عبان، فعلى أيّ أساس كنتم تختارونهم؟

أجل. فمثلا محمد بوضياف لم يكن في النظام، وربما كان وقتها مُحيطا بما يجري. لكنه لم يكن قد التحق بصُفوفنا. أمّا أنا فقد اخترته لأنه كان قد أمضى الخدمة الوطنية. وهو الأمر الذي فكّرت في أنه يُمكن أن يُساعدنا. وكنا لنا رايتان في ذلك الوقت:نظام سرّي سياسي تعترف به فرنسا، ويترشّح للانتخابات ويظهر للساحة. وكذلك المنظمة الخاصّة. أمّا النظام السرّي فهو النظام الأم، وكان سي مسعود[1] مسؤولا عليه. جاء من الجزائر في سنة 1945، ولكنه مرض بالسل، ولم يستطع أن يُواصل مُهمته. طلب مني خلافته. وكنت حينها أنوي العودة إلى العاصمة بعد أن انتهت مهمتي في ولاية سطيف.

1 هو الاسم الثوري لمحمد بلوزداد.

كانت مسؤولية جلب مناضلين جدد لمنظمة سرّية أمرا حساسا، فهل حدث وأن وقعت لكم مشاكل مع هؤلاء الشباب؟

مُشكلتي أنني بدأت النضال صغيرا. وكان بوضياف أكبر مني في السن. وعندما تقلّدت مسؤوليات عُليا في المنظمة، لم يكن هو قد التحق بها أصلا. ونفس الشيء بالنسبة لرمضان عبان، فقد كان يكبرني بثلاث سنوات أو أربع. فتكوّن لديهم، لذلك، مُركّب نقص. لكني في الحقيقة لم أفكّر ولم أتعامل أبدا مع أيّ أحد باستعلاء. ولم تكن لي مُشكلة مع أيّ منهم. واخترتهم وغيرهم لأني فكّرت في أنهم يُمكن أن يُفيدوا الحزب، ويزيدونه قوّة. فعندما التحقت بالمنظمة سنة 1946 واشترط عليّ المسؤولون أن أنسى أصلا أنّ لي عائلة وبيتا، قبلت. وكان هدفي الوحيد هو الاستقلال، ووهبت وقتي وحياتي للعمل في الحزب. ورغم أنني شغلت منصب مسؤول، إلاّ أنني طالبت بعدها بأن لا تكون هناك مركزية، وأن يتواضع المسؤولون. وكان لا بدّ من احترام مبادئ الحزب وقراراته. فعندما اخترت عبّان أو غيره فلخدمة الحزب أو الوطن. لم أفكر أبدا في أنّ المسؤولية يُمكن أن تكون عائقا، أو شيئا يُفرقنا. وحتى وإن تقلّد بعد ذلك مهاما أو مسؤوليات عليا، فلا بأس، إن كانت في صالح الوطن والحزب. واعلم أيضا أنني كنت مُستعدا لأن أفعل أيّ شيء لأجل أن يتحقّق حلم الثورة. حتى وإن كان عملي فيها صغيرا أو تافها، المهم عندي أن تنطلق. لأنّ ذلك وحده كان من شأنه أن يُعيد الأمور إلى مجاريها.

إلى أيّ حد وصل مركب النقص، الذي ذكرتموه، عند هؤلاء؟

لقد كنت ضدّ اللجنة الثورية للوحدة والعمل عندما كوّنها محمد بوضياف ومنحناه المسؤولية. والمركزيين ساعدوهم لمُحاربة مصالي. ولكن فكرنا في أنّ إنجاح تيارنا لا يكون إلاّ باتخاذ الحياد عن مصالي والمركزيين، حتى إذا ما اصطدمنا مع مصالي مُستقبلا تكون لنا مصداقية. فأنجزت رسالة أُندّد بموقف تلك اللجنة الثورية للوحدة والعمل. لقد حقد علي البعض بسبب مواقفي المتشددة عندما يتعلق الأمر بالمصلحة الوطنية.

وبالنسبة لرمضان عبان؟

ليست لي مُشكلة مع رمضان عبان. خاصّة وأنني أنا الذي جعلته ينخرط في الحزب. وكنت أحسب أنه يُؤيدنا. لكنه كان في سجنه

على اتّصال مع الأشخاص الذين تحوّلوا إلى مركزيين فيما بعد. أي أنّه صار ضدّنا. فأنا لم أفكر أبدا في أنني أعلى مرتبة منه. وليس ذنبي إن التحق بعدي بالمُنظمة. ثمّ يُخطط بعدها للثأر مني. وفي تحطيم الشخص الذي مكّنه من الالتحاق بالنظام. ثمّ يسمون رمضان عبان مهندس الثورة. مع كلّ احتراماتي لروحه، كان مجاهدا مثل غيره من المجاهدين، وحتى عميروش كان مناضلا بسيطا. ولا يجوز علميا أن نقول إنّه مهندس الثورة. بدليل الوقائع المادية التي أعرفها جيدا. وأقول أنّ القبائل يُبالغون في تمجيد أي مُجاهد ينحدر من منطقتهم وهذا خطأ كبير.

قلتم أنّ عبان حاول الثأر منكم، كيف فعل؟

حاول اغتيالي عن طريق جماعته. رغم أنني كنت قادرا على استعمال القوّة. لكني كنت أخشى أن يُؤثّر ذلك على الثورة وتماسك أفرادها.

قلتم أنكم كنتم مُعارضين لمُؤتمر الصومام، لماذا؟

لأنه يُعتبر غير شرعيّ. فبالإضافة إلى أنه عزل قادة الثورة الحقيقيين، وكان مُجرّد تسابق نحو الزعامة. فإنه تخلى عن القرارات ومبادئ بيان أوّل نوفمبر.

هلا شرحتم لنا هذا؟

مُباشرة بعد اندلاع الثورة، ألقت فرنسا القبض على جميع المسؤولين في الحزب. حقّقت معهم، واستنطقتهم. ولكنها انتهت إلى نتيجة أن لا علاقة لهم بتفجير الثورة. وأنّ المُفجرين هم بعض المناضلين فقط. وكانت فرنسا تعلم بأنّ بعض المركزيين كانوا ضدّ تفجير الثورة، بل حاولوا تعطيلها، كما قلت لك. هؤلاء كانوا في السجن، أطلقت فرنسا سراحهم عمدا لكي تُشوّش على من كانت تسميهم بالراديكاليين. ففعلت سنة 1955 وكان من بين الذين أُطلق سراحهم رمضان عبان. هو الذي التحق بعدها بالمُفجرين. وعندها أعاد النظر في توّجه باقي الأحزاب والتكتلات، فالحزب الشيوعي كان ضدّ الثورة. وجمعية العلماء لم تُؤيد الثوّار إلاّ في 20 مارس من سنة 1956. وحتى مصالي الحاج ومن تبعه كان موقفه مُعادي للثورة. وفيما يخصّ فرحات عبّاس التحق بالثورة أواخر سنة 1955. كلّ هؤلاء جاؤوا ليحلّوا محل من استشهد من الثوّار. إذ

أنّه وبعد النجاح الذي حقّقته الثورة، بعد سنة تقريبا، جاء التفكير في إقامة مؤتمر. خاصّة وأنّ كثيرين استشهدوا. ومنهم مُفجرو الثورة الأوائل، مثل مصطفى بن بولعيد، مراد ديدوش، ورابح بيطاط الذي تمّ اعتقاله. لهذا، فإنّ هؤلاء الذين تمّ إطلاق سراحهم، أو بعضهم، كانوا يطمحون إلى الزعامة، فقاموا بدفع رمضان عبان إليها. وحاولوا أن يحشدوا من حولهم المسؤولين عن المناطق لكي يُحضّروا المؤتمر.

لهذا رفضتم فكرة المؤتمر؟

لا. في البداية لم أرفض. بل بالعكس، كانت هناك ضرورة لإقامة مؤتمر. ولكن تمّ التخطيط لعزلي ومحمد بوضياف عن المؤتمر، وذلك عن قصد.

من خطّط لهذا؟

منظمو المؤتمر. كان أغلبهم من المركزيين والشيوعيين.

ولكنّ المؤتمر حضره مُمثلون عن كلّ الولايات؟

لا، هذا ليس صحيحا، بالعكس من ذلك، لم يحضر كثيرون، أنظر معي: قادة الولاية الأولى لم يحضروا، رغم أنّهم كانوا يتزّعمون الثورة. والولاية الرابعة لم يحضر منها محمد بوقرة، وحلّ محله اوعمران، وهو ما يضع علامة استفهام. أمّا الولاية الخامسة، فزعموا أنّ العربي بن مهيدي هو من كان يُمثلها. ولكن بن مهيدي لم يكن ممثلا للولاية الخامسة، فهو كان سيخلف رابح بيطاط على رأس منطقة الجزائر، كنا اتفقنا معه على ذلك، وعلى أن يُسلم مسؤولية وهران إلى بوالصوف. وغابت المناطق الشرقية والنظام القائم خارج الجزائر، وخاصّة فرنسا، غابوا عن المؤتمر كذلك. وفي النهاية لم يحضر المؤتمر إلاّ خمسة، وهم اوعمران، بن طوبال، كريم بقاسم، بن مهيدي، ورمضان عبان. فإن كان مؤتمرا، فهل فعلا نستطيع أن نسميه مؤتمرا وطنيا، وهل يُعبّر عن الجميع؟!

ولكنه خرج بقرارات غيّرت مجرى الثورة إلى الأحسن؟

لا. ما خرج به المؤتمر كان مُحضّرا له من قبل، ومن الزيف أن نعتبر هذا المؤتمر قاعدة الثورة. فهذا المؤتمر لم يكن إلاّ لغرض تهميش القُدامى، ووضعهم على الجانب. وحبّ الزعامة والقيادة

هو من حرّك هؤلاء. خاصّة عندما أرادوا التفاوض مع فرنسا. ففي البداية أرادت فرنسا أن تُناور. وأوفدت مبعوثين لكي يتفاوضوا مع الثوّار، فوافقوا ضانين أنّ فرنسا في موقف حرج، وأنها تنوي الاستسلام. ولكنّ فرنسا كانت تسعى، بالدرجة الأولى إلى زعزعة استقرار الثورة، ولولا وعي البعض لكانت نجحت. لهذا فإنّ مُهندسي المُؤتمر لم يكن تُحرّكهم إلاّ الرغبة في الاستيلاء على الثورة. وأمّا القرارات التي تقول أنها غيّرت مجرى الثورة، فأنا لا أراها كذلك. خاصّة وأنها ناقضت بيان الفاتح من نوفمبر 1954، والذي كانت مرجعيته الأولى الانتماء الإسلامي، والعربي، أمام مؤتمر الصومام فقد ساوى بين القاهرة، وواشنطن، وموسكو، وهو أمر يجب أن لا يكون مقبولا أبدا. فالخلاف كان بين التيار التغريبي، والعروبيين الإسلاميين. إذ أنّ سياسة التيارات الكبرى في أمريكا، وأوروبا حينها كانت تُحارب التيار العروبي الإسلامي، ولهذا تمّ إقصاؤنا. وأنا شخصيا أمثل التيّار العروبي الإسلامي. ولهذا كنا نرى في المواثيق التي خرجوا بها انحرافا واضحا عن المبادئ الأولى للثورة.

ولكنّ المؤتمر على المستوى العسكري خلق جيشا قويّا؟

هذا ما يدّعونه. وهو غير صحيح. يدّعون أنهم جاؤوا برُتب، ومسؤوليات، ونظّموا كلّ شيء داخل الجيش. ولكن هذا كان سابقا للمُؤتمر. وأنا شخصيا كنت قد أمرت أن يتمّ تكوين أربع فرق عصرية. من بينها فرقة كان يُشرف عليها الشاذلي بن جديد. وقد نجحنا في ثلاثة. وأذهب إلى أبعد، لأقول أنه لو تمّ أخذ قرارات المؤتمر في هذا الشأن بعين الاعتبار لكانت الثورة فشلت. فالفرق التي حدّثتك عنها، مثلا، كانت تُراعي ظروف حرب العصابات. فيما أنّ مُؤتمر الصومام، أمر المُجاهدين أن يُؤسّسوا لوحدات قتالية كبيرة. تماما مثل الجيوش الكلاسيكية، والتي لا تستطيع أن تُواجه جيشا بحجم جيش فرنسا. وفيما يخصّ مبدأ أولوية الداخل على الخارج، والسياسي على العسكري، فذلك ليس إلاّ انحرافا على الفكر الثوري. حيث كانت المُسمّيات بالنسبة لنا أمرا هامشيا. فالسياسي كان عسكريا في نفس الوقت. وكذلك كنا نفعل في المُنظمة الخاصّة. لم نكن نفرّق بينهما، أمّا المبدأ في حدّ ذاته، فكان مُكرّسا قبل المُؤتمر، ومنذ المُنظمة الخاصّة أيضا.

ولكنّ الثورة نجحت وازدادت تماسكا بعد المؤتمر. وأنتم قلتم قبل قليل أنّ كثيرا من الأمور أخلت بالنظام، منها استشهاد قادة الثورة، ومحاولات فرنسا لإجهاضها، والبعض يقول بأنّ موقفكم المعادي للمؤتمر ليس إلاّ محاولة لتصفية حسابات شخصية لا علاقة لها لا بمصلحة الوطن ولا الثورة؟

الثورة نجحت لأنها اعتمدت نظامها الأوّل، وتمسّك المُناضلين بالمسار الذي سُطر منذ البداية. موقفي من مؤتمر الصومام ليس بدافع تصفية حسابات مثلما تفضّلت بالقول. ولكنها حقيقة تاريخية لا بدّ أن أقولها، وبقيت دائما مُتمسكا بها. ثمّ إنّ حتى المُشاركين لم يفعلوا شيئا خلال المؤتمر، واكتفوا بالحضور فقط.

كيف ذلك، وقد نوقشت بعض المسائل وتم الاتفاق على أخرى خلال الجلسات؟

لا، كانت هناك لجنة خاصّة تابعة لرمضان عبان هي التي قامت بتحرير البيان، وجميع الوثائق. وهناك أيضا ما قاله بن طوبال عن المؤتمر:"أحضر لنا عبان أوراقا وطلب منا أن نُمضي عليها، رغم أننا لم نُشارك في صياغتها، ولكننا أمضينا".

لجنة عبان تلك مُتكونة من من؟

كان على رأسهم عمر أوزقان. وكان أمين عام الحزب الشيوعي. والذي كان ضدّ تفجير الثورة في البداية. مثله مثل الآخرين الذين كانوا مُناوئين للثورة.

إذا كانت اللجنة التابعة لرمضان عبان هي من حرّرت بيان مؤتمر الصومام، وهو من وضع خطوط المؤتمر، فلماذا تذكرون أنه كان مُناضلا بسيطا، وأنه لا يصح أن ننسب إليه لقب "مهندس الثورة"؟

أنا من أشرفت على تجنيد رمضان عبان، ثمّ دخل بعدها السجن، ولما خرج منه كانت الثورة قد اندلعت. ومن هذا المُنطلق كيف يُهندس لشيء وهو غائب عنه؟ كما أنّ المؤتمر، كما قلت لك، لم يأت بجديد.

بعد المؤتمر لم تكتفوا بالإدانة بل حاولتم إفشاله، ألم يكن ذلك خطيرا؟

لا، لأننا أردنا أن نُحرّر وثيقة تُحقق الإجماع. وطلبنا عدم نشر وثائق المؤتمر. إلاّ أنّ هذا لم يحدث، وحدث العكس، حيث تمّ نشرها في الصحف. فذهبت إلى ليبيا، وهناك التقيت أحمد بن بلة، وقلت له أن الوقت حان لكي نُوقف تلك الجماعة، والتي لو تركناها تفعل ما شاءت لفشلت الثورة فشلا ذريعا. وكان لزاما علينا أن

نُفكّر في خطّة ما لمحو تلك المواثيق. فقُمت بنفسي بوضع خطّة، تتمّثل في جمع مُفجري الثورة في تونس. وقُمنا بالتحضيرات اللازمة، ودعوت كلاً من بوضياف وبن بلة، حيث كنت أنا المسؤول في تونس، وتقرّر أن يلي الاجتماع اجتماع قادة المغرب العربي في المغرب. إلاّ أنه وقعت حادثة اختطاف الطائرة، فتمّ سجن بوضياف، وايت احمد، وبن بلة، وخيدر، ثمّ بقيت لوحدي، ورغم أنني كنت قادرا على المُواجهة، إلاّ أنني فضّلت الانسحاب، حتى لا يكون هناك تشويش على الثورة، لكنني واصلت مهامي في تونس.

هناك من اتهمكم بأنكم منعتم السلاح عن الولاية الثانية، ومنحتم الاوراس سلاحا أكثر من غيرها، وأنكم كنتم تتلقون أوامر من مصر؟

رمضان عبان وجماعته هي من راحت تُحاربني، وروّجت عني هذه الإشاعات المُغرضة. وتمّ إبعادي فعلا، وتمّت ملاحقة جماعتنا، وقتل 15 من بين الثلاثين الذين قبضوا عليهم. وحاولوا اغتيالي في تونس، وكنت قادرا على الرد، ولكني لم أفعل. بل إنني فضّلت أن أُغادر تونس كليا. حتى أتجنب أيّ اصطدام يُؤدي إلى الفتنة.

لماذا لم تفكروا في كتابة مُذكّراتكم؟

لم أكن أحسب أنني سأتعرّض إلى هذا الطعن في شخصي، والتشكيك في نضالي. كتبوا عني أشياء لا تليق بي. ولكن لا يُمكن لأحد أن يقول أنني أسأت إلى الثورة أو يُشكك في وطنيتي. ربما قد أكون أخطأت سياسيا أو إستراتيجيا. لكن أن ينفوا كلّ ما فعلت لأجل الوطن. فهذا أمر لا يُمكن السكوت عنه.

منذ متى بدأ هذا التهميش لشخصكم وتاريخكم؟

منذ مدّة، عندما صرّحت أنّ الطابور الخامس[1] تسرّب إلى النظام الجزائري وبدأ يشتغل. فمن حينها، وأنا مُحاصر. لأني تفطنت لما يفعلونه في الخفاء. وبوجودي لن يستطيعوا العمل بكلّ راحة. ووصل بهم الحد كما قلت لك يا مصطفى أن يسحبوا اسمي نهائيا من كتب التاريخ.

---

la cinquième colonne 1

من ألغى اسمكم من كتب التاريخ؟

أذكر لك مثلا أخ المرحوم بوضياف الذي أصدر كتابا يحكي فيه عن بوضياف، وأرسل لي طبعة منه، وفيها إهداء كذلك، لا يُوجد اسمي بين صفحاته، وإن كان لا بدّ لأحد أن يتحدّث عني فهو محمد بوضياف. لأني أنا من اكتشفه. ثمّ اقترحته للدخول في المنظمة، ليصير بعدها مسؤولا للنظام في المنظمة. وكنا نسكن في شقة واحدة لمدّة ستة أشهر. وكان معنا بن بلة كذلك، فكيف لا يذكرني؟!! وكذلك أحد المركزيين وهو بوشبوبة أنجز كتابا حول مشواره النضالي بعد موته، وكنا أصدقاء وندرس معا وأعرفه جيدا وأدخلته إلى اللجنة، وكنت أحاول إقناعه ألاّ يتبع المركزيين، لكنه فعل، وحتى عندما تقلّدت منصب وزير بعد الاستقلال وفّرت له عملا. أحضرت لي ابنة أخيه النُسخة المكتوبة باليد، وطلبت مني أن أوّقع عليها تقديما. لكني عندما قرأته واكتشفت أنني لست موجودا بداخله سألتها عن السبب. خاصّة وأني كما قلت كان لي دور في حياته الثورية وحتى بعدها. في البداية حاولوا قتلي بالسلاح، والآن يُحاولون قتلي فكريا بحذف اسمي من التاريخ نهائيا.

هل تظنون أنّ هذا التهميش مقصود؟

طبعا، لأنه في كلّ حركة هناك اختلافات إيديولوجية، وثقافية، وسياسية، وإستراتيجية. فكلّ شخص أو جماعة كانت ترى الثورة بطريقتها الخاصّة.

ومن كان وراءه؟

كلهم كانوا يُحاولون التقليل من شأني أو محو اسمي من التاريخ ككل. ومثلا عندما كنت في فرنسا كوّنت لجنة من المُثقفين خلال اندلاع الثورة. كنت أوّل من كوّن لجنة الآفلان في فرنسا. وحتى محمد حربي الذي لم يتّفق معي في بعض الأمور صرّح أنني من 1 نوفمبر إلى 15 نوفمبر جمعت مجموعة في باريس، وبعثت لكلّ المسؤولين في نواحي فرنسا، ثمّ ذهبت إلى شخص يُدعى عمار بودة وطلبت منه أن ينظمّ إلينا، فاعتذر وقال لي أنه سيُغادر إلى المغرب. ولم أستطع إقناعه. ولم ألتق به بعدها إلاّ في سنة 1957 وقد أصدر كتابا مُؤخرا، لكن دون ذكر تلك الفترة! هؤلاء المُدّعمين من طرف أشخاص يُحرضونهم، وليست لهم حتى

الشجاعة الكافية لمُواجهتي. ويكونون في الغالب مُوظفين من الخارج. أمّا أنا فلي 70 سنة من النضال، ولم أغيّر مبادئي، ولا مواقفي واتجاهاتي. لقد خضعت لعمليتين جراحيتين، ومرضت بالسرطان وشفيت منه. ولو كانت لي أغراض أخرى غير خدمة الوطن لما التحقت بالثورة أصلا. فقبل سنة 1945 كان يُمكن أن أتحوّل إلى أحد أثرياء المنطقة، لكن عندما اشترط عليّ الحزب أن أنخرط بل أهب حياتي كلها لخدمة الوطن تركت كلّ شيء، وكنت أعمل بكثرة، حتى أفكر أحيانا أنني لست موجودا. لكنني لست نادما على شيء، فهدفي كان نبيلا، وأمثالي هم من أسّسوا لثورة التحرير. قاسينا البرد، والفقر، والجوع لسنوات، ولم تتغيّر مبادئنا. وتهميشي طال حتى القنوات التلفزيونية حيث تمّت استضافتي في التلفزيون قبل 5 سنوات، لكن لم يدعني أحد إليها بعد ذلك. وهو دليل على أنني مُستهدف. لكن لم لا نُكوّن لجنة من أشخاص حياديين وعقلاء لنكشف من الذي كان يُدافع عن الجزائر من غيره؟ كنت قادرا أن أتحوّل إلى مليونير بطرائق قذرة، لكني لم أفعل!

ألفتم كتاب "الحركة الثورية في الجزائر 1914 1954" هو شهادة هامة، وتناولت فيها الكثير من التوضيحات عن تلك المرحلة، وأيضا معلومات لم يتم حتى الآن الخوض فيها، هلا حدّثتنا عنه؟

تناولت فيه التحضير للثورة منذ بداياتها الأولى. فالمُشاركة في الثورة لا تعني أن يُنجز الشخص مهمّة، ثمّ يختفي ويحسب نفسه مجاهدا عظيما. بل لا بدّ أن يُتابعها ويبقى في نضاله، ولا تتزعزع ثقته في نفسه، وفي الحرّية والاستقلال. ولم يسبقني أحد إلى تأليف كتاب في نقد الفرنسيين وكنت حينها في بلدهم في المنفى كذلك. تناولت فيه أمورا قد لا يجرؤ البعض على خوضها حتى الآن.

هل كان هناك التفكير في الحكم لمرحلة الاستقلال قبل خروج الاستعمار؟

أجل، منذ البداية، وخاصّة منذ مؤتمر الصومام، وهو انقلاب على ثورة أوّل نوفمبر. حيث كانوا يُفكرون في السلطة لمن ستؤول. وأنه لا بدّ أن يُهمشوا آخرين حتى لا يُعرقلوهم. ثمّ يتفاوضون هم مع الفرنسيين. وكان في المؤتمر أشخاص كانوا رافضين أصلا لفكرة اندلاع الثورة.

ألم يحن الوقت لتعترف فرنسا بجرائمها؟

لا نطلب من فرنسا شيئا. لقد قهرونا مائة وثلاثين سنة، وكنا نُقاوم فيها. ثمّ فزنا في النهاية وطردناهم. أمّا مسألة الاعتراف فلا أهمّية لها. لقد دخلنا في حرب ضروس ومات من مات، واستشهد من استشهد، لكن، مع ذلك، لا بدّ أن نبقى على يقظة، ولا ننسى تاريخنا. وكان الشعب الجزائري يُحارب بشكل مُستمر، فتقوم ثورات هنا، وهناك، وقلنا بيننا وبين أنفسنا أنّ تلك الثورات لم تكن إلاّ مغامرة كتب لها الفشل قبل بدايتها. لكن فيما بعد أدركنا أنّ هؤلاء مهّدوا لنا الطريق، وفكّروا في أنّ ثوراتهم ستكون مُحفزا للآخرين. وأنّ الأجيال ستفعل نفس الشيء، وستنجح كذلك.

هل من إضافة في نهاية لقائنا المجاهد أحمد مهساس؟

ربما ذكرت بعض السلبيات حول الثورة، لكنّ إيجابياتها أكثر بكثير. فلا يُمكن في النهاية المساس بقيمة المُناضلين، ولا المسؤولين في أيّ زمان، ولا بالشعب الجزائري كذلك. بل بالعكس، فالشعب الجزائري الذي كان في ظروف صعبة جدا، كان مع ذلك يملك الطاقة والذكاء، ما جعله يتفوّق على الاستعمار الفرنسي.

4

جلول ملايكة

"أغلب زُعماء الحركات التحرّرية الافريقية تدرّبوا في الجزائر" [1]

1- نشر بتاريخ 11 نوفمبر 2010.

المجاهد جلول ملائكة واحد من بين الأسماء التي ناضلت خلال فترة الاستعمار وحتى بعد الاستقلال، لنصرة وخدمة وطنه وإعلاء رايته. ولكن كذلك في سبيل الدفاع عن كلّ الحركات التحررية التي كانت تراها الجزائر عادلة. وامتدادا لثورتها ضدّ الظلم والاستعمار. وقد استضافنا الرجل في بيته. وغاص بنا في مراحل من تاريخ الجزائر. من بداية الحلم بالاستقلال إلى مرحلة الجهاد. مُرورا بأهمّ المحطّات التي توّقف عندها كمواطن ومُناضل غيور على بلده. وحتى بعد الاستقلال. وبداية مرحلة جديدة، لا تقلّ أهميّة عن سابقتها. ورغم أنه تفادى الحديث عن نفسه، لأنّه يعتبر تاريخ الإنسان من تاريخ بلده وأمته. إلاّ أننا استطعنا أن نصل إلى أعماقه وتفكيره، فكان لي معه هذا الحوار...

المجاهد جلول ملائكة أحد أبرز الأسماء التي شُهد لها بالنضال قبل وبعد الاستقلال، فهلا تعرفنا أكثر على البداية؟

بعد باسم الله الرحمن الرحيم. بما أننا احتفلنا بالذكرى 56 لاندلاع ثورة التحرير المُباركة. ولا نزال في شهر نوفمبر الذي كان أوّل شاهد على قرار شعب بأكمله على كفاح المُستعمر الغاشم. بهذه المناسبة أنحني إجلالا وتقديرا للشهداء، والمُجاهدين، والفدائيين، والمسبلين، والمناضلين. والى كلّ من ضحى في سبيل استقلال الجزائر. ولا أكون مُبالغا إن قُلت أنّ هذه الثورة العظيمة تُعتبر أكبر وأعظم ثورة في العالم. فعندما قامت، زعزعت أركان الاستعمار العالمي، وليس الفرنسي فحسب. حيث كانت القارّة حينها كلها مُستعمرة، إلاّ مصر والحبشة. أمّا بقيّة الشعوب فكانت كلها ترزح تحت ويلات الاستعمار الفرنسي والانجليزي والبلجيكي والبرتغالي والألماني. ولما اندلعت الثورة الجزائرية أحيت نفوس هؤلاء الشعوب، وشجعتهم على القتال في سبيل نيل الاستقلال.

سنعود إلى حركات التحرر والى غيرها من القضايا، لكن قبل ذلك لا بدّ أن نتعرف على بداية القرار بالنضال ضدّ المستعمر بالنسبة لكم، أنتم شباب تلك الفترة؟

أنا من شباب الحركة الوطنية، وحزب الشعب، وحركة انتصار الحريات الديمقراطية. وكنت مُناضلا في الحركة عندما كانت تُطالب باستقلال الجزائر. ولكن وقع خلاف بين المركزيين ومصالي الحاج، وتشتّتت قوات المناضلين.

أيّ صفّ اتبعت حينها؟

في ذلك الوقت انسحبت كليا. فلم أستطع أن أهضم الخلاف. ولم أكن أنتظر ذلك. فالخلاف كان جوهريا، وفي نفس الوقت كان الاستعمار فرحا بهذا الانشقاق. لأنها الحركة الوحيدة التي كانت تُشكل خطرا عليه. إذ كانت تُطالب بالاستقلال بكلّ صراحة وشجاعة. ولكن، وكما يقول الله عز وجل: "وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم" فالخلاف، وإن شتّت صفوفنا، إلاّ أنّ فئة من المناضلين المُخلصين لم تتوقّف عن النضال. وخاصّة مجموعة الـ 22 الذين اجتمعوا سنة 1954. وقرّروا تفجير الثورة الجزائرية. ثمّ انتخبوا 6 مناضلين على مستوى النواحي التي سُميّت بعدها ولايات. ففي الأوراس كان مصطفى بن بولعيد. والشمال القسنطيني كان به مراد ديدوش. أمّا الناحية الثالثة وهي القبائل كان ينشط بها بلقاسم كريم. أمّا الناحية الرابعة فكان هناك رابح بيطاط. وفي الناحية الخامسة العربي بن مهيدي، وكذلك الأخ محمد بوضياف، والذي التقى بجماعة ايت احمد، ومحمد خيضر، واحمد بن بلة، وكانوا في مكتب المغرب العربي بالقاهرة.

لكن ما الذي جمع كلّ هؤلاء بعد ذلك الخلاف الذي فرّقهم؟

كانوا كلهم ينتظرون ساعة تُمكّنهم من تحقيق حلمهم في الحرب. والذي قام بلم شملهم محمد بوضياف. وكذلك الذي كان قائما على الولاية الأولى مصطفى بن بولعيد. لأنهم على اتصال بجماعة 22، والذين، ولدى اجتماعهم، قسّموا الجزائر إلى مناطق، وتركوا المسؤولية للستّة الذين يختارون الوقت المناسب واختاروا الفاتح من نوفمبر 1954 موعدا لاندلاع الثورة.

وهل كانوا كلهم مُجمعين على ضرورة القتال باستعمال السلاح؟

أجل.. كلهم، ولهذا اختاروا الستة، والذين أعطوهم الصلاحيات، والستة بدورهم فجّروا 1 نوفمبر 1954.

وكنتم أنتم انسحبتم حينها كليا؟

أجل، لأنني لم أكن أريد أن أتحيّز لا إلى مصالي ولا إلى المركزيين. وكان ذلك الخلاف صدمة بالنسبة لي. ولم أكن الوحيد بل عدد كبير من المُناضلين استاؤوا من الخلاف.

اندلاع الثورة هو ما أعاد لمّ شملكم؟

بالطبع. كان بالنسبة إلينا مخرجا رائعا للنضال. والتحقت بجيش التحرير الوطني. لكن، قبل ذلك كان قد تمّ القبض علي بعد اندلاع الثورة بأيّام.

لماذا، بما أنه لم يكن لكم علاقة حينها بتفجيرها؟

لأنني كنت مُناضلا في الحركة الوطنية. فعندما اندلعت الثورة، حسبت فرنسا أنّ المُناضلين المعروفين في الحركة هم من قاموا بتفجيرها. فألقت، بالتالي، القبض على كلّ المشبوهين وكنت من جملتهم. وكذلك كان معي سعد دحلب الذي صار فيما بعد وزيرا للخارجية في الحكومة المؤقتة، وقام بدور كبير في مُفاوضات إيفيان.

وكيف تمّ إذا إطلاق سراحكم؟

أُطلق سراحي لأن الحركة الوطنية كان مُعترفا بها من طرف السُلطات الفرنسية. ولهذا كنا نحن مُنخرطين بشكل قانوني، ولا غُبار علينا. وأصلا لم يكن لدينا علم بتفجير الثورة حينها ومُحاربة فرنسا عن طريق السلاح.

هل أعاد تفجير الثورة الأمل إليكم. وأحسب أنّ الكثير من الشك كان قد طرق قُلوبكم في تلك الفترة؟

لم يكن أملا بسيطا. بل أمل كبير. فهي الطريقة التي كنا ننتظرها. فحتى التقارير التي كنا نُقدّمها لقيادة الحركة الوطنية قبل اندلاع الثورة، كنا نُطالب فيها بأنّ الجزائر لا بدّ أن تدخل مرحلة الكفاح المُسلّح. أمّا الاحتجاجات والتظاهرات فقد ولّى عهدها. وعندما اندلعت الثورة تحرّرنا، وكنا السبّاقين لرفع السلاح في وجه الاستعمار الغاشم.

وأين كان ذلك؟

التحقت مباشرة بالثورة في الولاية الرابعة. كان اسمها الناحية

العسكرية. ولهذا التحقت كمجاهد وكنت ضابطا بالجيش، وكنا نقوم بعمليات عسكرية وسياسية.

ما هي أهم العمليات التي أنجزتموها في تلك الفترة؟

كانت كثيرة. أذكر منها ما فعله البطل السي الزبير، والذي قام باشتباكات. حيث كمن للجيش في طريق المديّة. وأخذ السلاح وقتل الجنود. وكذلك العمل الفدائي. فالفدائيون قاموا بعمليات كبيرة ضدّ الجيش الفرنسي. وهي عمليات فدائية استعملت فيها القنابل. وفُجّرت مطاعم وقُتل ضبّاط فرنسيون وجُرح منهم عدد كبير. وبعدها انتقلت إلى الحدود المغربية الجزائرية مع العقيد السي صادق. حيث كان قائد الولاية (وهو لا يزال على قيد الحياة) انتقلنا من أجل الاتصال بالقيادة في الخارج. وكنت قد كُلّفت بذلك في إطار دائرة التسليح الذي كان يُشرف عليها عبد الحفيظ بوالصوف، رحمه الله، وكان منصور بوداود هو المسؤول على مستوى المغرب والحدود، ولا يزال على قيد الحياة كذلك.

وبعد الاستقلال؟

بعد الاستقلال أصبحت نائبا في أوّل مجلس وطني تأسيسي للجزائر المُستقلة. وكنت في جبهة التحرير الوطني كمسؤول. وبعدها مسؤول عن الحركات التحرّرية الإفريقية وحتى في العالم. وفلسطين بطبيعة الحال. وقضية الشعوب في أمريكا اللاتينية. إذ كان لديهم من يُمثلهم في الجزائر إلى سنة 1977. ثمّ انتخبت نائبا في المجلس الوطني الشعبي 1977، وكنت نائب الرئيس رابح بيطاط لخمس سنوات. وكذلك الفترة الثانية من 1977 إلى 1982 ثمّ من 1987 إلى 1992 نائب ونائب الرئيس ثمّ تقاعدت في سنة 1992.

قلتم أنّ الخلاف بين المصاليين والمركزيين جعل الحزب يتفرّق، وبالتالي قررتم الانسحاب. فكيف كان وقع الخلافات الإستراتيجية الأخرى التي كانت تحدث بين قادة الثورة؟

بالنسبة لمصالي الحاج فمُشكلته هي تمسّكه بالسلطة. ولم يكن يسمح لأيّ أحد أن يُنافسه في أمر من الأمور، سواء في اندلاع الثورة أو غيرها. وهو المشكل الذي وقع بينه وبين المركزيين، وهؤلاء، من جهتهم، لم يكونوا يُفكرون في اندلاع الثورة لأنّ الخلاف أضعفهم، وأضعف الحزب كله. أمّا الإخوان الذين فكّروا

في الثورة فكانوا يُؤمنون بأنّ اندلاعها كان لا بدّ سيقضي على كلّ الخلافات. وحساباتهم كانت صحيحة. وفي بيان الفاتح من نوفمبر طرحوا الأسباب التي دفعتهم لتفجيرها. وفي نفس الوقت دعوا كلّ الأحزاب إلى أن تحلّ نفسها وتنضمّ فرديا إلى الجبهة. وحدث ذلك. فكلّ الأحزاب انحلت وانخرطت بشكل فردي في الجبهة. لكن هناك أباطيل رُوّجت مثل أكذوبة قتل بومدين لعميروش التي لا أساس لها من الصحة. والتي أطلقها أشخاص لا علم لهم بالثورة. أو على الأقل لم يُعايشوا تلك الفترة. سواء ابن عميروش أو حتى السعيد سعدي.

لكن قضية مقتل المجاهد رمضان عبان بقيت غامضة، فماذا تقولون عنها؟

استشهاد رمضان عبان قضية غامضة. فقبل ذلك كان الخلاف قد وقع بين رمضان عبان وبين ثلاثة مسؤولين أساسيين في الحكومة المؤقتة. وهم بلقاسم كريم، بوالصوف، ولخضر بن طوبال. فهؤلاء الثلاثة كان قد وقع خلاف بينهم. ولهذا يُقال بأنهم قرّروا تصفيته. ونفذ القرار في المغرب. حيث أمروه بالذهاب إلى المغرب حتى يتصل مع محمد الخامس. لكن ذلك لم يكن إلاّ استدراجا له. وأنّ بن طوبال لم يُوافق على الأمر، واقترح أن تتمّ مُعاقبته، إن كان لا بد منها، بطرائق أخرى، ولكنه نفذ لأنّ الأغلبية أرادت ذلك.

لكن ماذا كان نوع الخلاف؟

رمضان عبان كان يُشكل خطرا على القيادة الجماعية، لأنه رجل قويّ وله موقف، ومتمسك بآرائه.

أي مُتسلّط؟

أجل، قويّ في مواقفه ومُتسلط في نفس الوقت.

نعود إلى الحركات التحريرية، ومن دون شكّ أنّ صُنّاع الثورة الجزائرية استلهموا منها بعض المبادئ. لكن كيف بدأ الاهتمام بمُساعدة الحركات التحريرية الأخرى بعد تفجير الثورة؟

في الحقيقة كما سبق وأن قلت، ثورة نوفمبر شجّعت الحركات التحررية في العالم أجمع. بل فتحت لهم الأبواب للتدريب. وكانوا يأتون من كلّ البلدان الإفريقية. وحتى نيلسون مونديلا جاء للحدود الجزائرية المغربية. واتفق مع القيادة المُمثلة في هواري بومدين

سنة 1962 حتى يُرسل مجموعة من المُحاربين جنوب إفريقيين لكي يتدرّبوا هنا. لكن لدى عودته القي عليه القبض. إلاّ أنه، مع ذلك، تمكّن من إرسال هؤلاء الشباب، ليعودوا بعدها ويُساهموا في تحرير أوطانهم. وكذلك الشعوب التي كانت مُستعمرة من البرتغال مثل انغولا بقيادة الدكتور نيتو[1] التي أرسلت شُبانا يتمرّنون في الجزائر ثمّ التحقوا ببُلدانهم. وهناك كذلك حركة موزنبيق الذي توفيّ رئيسها سامورا ماشال في حادث طائرة. هو الآخر تدرّب هنا في الثكنات العسكرية، وأصبح رئيس دولة بعد استقلال بلاده. وكذلك غينيا بيساو. وجزر الرأس الأخضر الذي كان زعيمها اميركال كابرال والذي اغتيل من طرف المخابرات البرتغالية في غينيا، التي كان يرأسها احمد سيكوتوري، وكان زعيما كبيرا وهو صاحب الكلمة المشهورة، عندما قمنا بالندوة الصحفية في مركز "الحركات التحريرية"[2] وكنا عند زيارة كلّ قائد من هذه الحركات تكون لنا اتصالات مع الرئيس ومع المسؤولين. وتكون الخاتمة ندوة صحفية. وكان فيها عدد كبير من الصحفيين الأجانب. وقد ألقيت كلمة، وسألني صحفي أمريكي بعد انتهاء الكلمة، حيث قال لي:"ما هو نوع السلاح الذي تقدموه لحركة اميركال كابران؟" فابتسم هذا الأخير وقال أنّ السؤال يجب أن يُطرح عليه. وراح يُعدد نوع السلاح، أمّا الصحفيين فراحوا كلهم يُدوّنونه. ثم قال أنّ المسيحيين يُؤدّون فريضة الحج في الفاتيكان. والمسلمون يُؤدونها بمكة. أمّا حركات التحرير فيحجّون إلى الجزائر. وكانت كلمة شهيرة ومهمّة. وعلى كلّ حال فالجزائر قامت بواجب كبير في تسليح وتأييد تلك الحركات العادلة. على الصعيدين العسكري وحتى الديبلوماسي بالأمم المتحدة والوحدة الإفريقية. وبالدعم والدفاع عن قضيّة هذه الشعوب، والتي استقلّت بعدها. وحتى البرتغال وقع بها انقلاب قام به شُبّان من الجيش البرتغالي يحملون رتبة "رائد" ولما تأسست الحكومة الديمقراطية كان أوّل وزير خارجية للبرتغال زار الجزائر وشكر الجزائر على موقفها.

---

1 زعيم قاد حركة تحرير انغولا.

2 مقرها اليوم تحول إلى المنظمة الوطنية للمجاهدين.

وقد منحكم رئيس الدولة البرتغالية منذ سنة وسام شرف لذلك؟

منذ شهور منحني رئيس الدولة البرتغالية وسام شرف. وهو وسام افتخر به. وكنت أساند حركات مناضلين من عهد "سالازار" الذي كان استعماريا كبيرا. كان يقتل أبناء شعبه. وحتى أوروبا التي تتغنى بحقوق الإنسان الديمقراطية كانت لديها علاقات وطيدة بحكومة سالازار. أمّا نحن فرفضنا أيّة علاقة دبلوماسية بهذا الحكم. إلى أن قاموا بتغيير النظام. وكانت الجزائر تُساعدهم عن طريق الإذاعة والندوات الصحفية.

هل تُضيفون شيئا في نهاية لقائنا هذا؟

بمناسبة الذكرى 56 لاندلاع الثورة أتقدّم بكل تحيّة لكل من استشهد في سبيل الاستقلال. ونتمنى للبلاد النجاح والتقدير والازدهار، وأن يبقى الفاتح نوفمبر مشعلا يُضيء على الجزائر، وعلى المستضعفين في الأرض.

5

سيد علي عبد الحميد

"ألمانيا أرادت تحويلنا إلى جواسيس لديها" [1]

1 نشر بتاريخ 16ديسمبر 2010.

في هذا العدد التقينا مجاهدا معروفا. ورغم أنّ الأسطر، بل والصفحات لا تكفي لحصر مسيرته النضالية الحافلة بالبطولات. إلاّ أننا حاولنا الوقوف معه عند بعض المحطّات، والحديث، ليس عن ثورة التحرير فحسب، ولكن عمّا سبقها من أحداث وتحضير. خاصّة وأنه كان من بين أبرز الأسماء التي ضحّت، ومهّدت لبداية حرب ضروس ضدّ المُستعمر الغاشم. فمن رفع السلاح، إلى إصدار جريدة، وتوحيد الصفوف، والتنظيم والتسيير، وعرف كذلك الاعتقال والسجن والتعذيب. وحدّثنا كذلك عن بعض النقاط من التاريخ، والتي بقيت عالقة، أو وقع فيها تهميش وتحريف. وأزال الغموض عن مظاهرات الثامن من ماي 1945، مُرورا ببعض الأحداث، وكذا الصراعات التي حطّمت حزب الشعب، أو كادت، من الأزمة البربرية، والاتصالات التي جرت بين بعض المناضلين وألمانيا، وغيرها من الأحداث التي مرّ بها الحزب، فكان لنا معه هذا الحوار الشيّق.

هلا تعرفنا على المُناضل سيد علي عبد الحميد وبداية الوعي لديكم في تلك المرحلة؟

نما الوعي لدينا مُبكرا، فرغم أننا كنا صغار السن، إلاّ أننا كنا نحضر ندوات كان يُلقيها مصالي الحاج وغيره من المسؤولين. واتّصالي الأوّل مع حزب الشعب كان عبر البرقيات التي كنت أحضرها إلى مقرّ الحزب. وهكذا شاهدت حسين لحول لأوّل مرّة، والذي تعرّفت عليه شخصيا بعدها سنة 1946، ودون أن ننخرط، كنا حينها تشبعنا بالحسّ الوطني. وبعدها كانت الحرب. وتسارعت الأحداث وزاد وعيُنا. خاصّة بعد الوقائع التي عشناها فيما بعد. ومحمد طالب، والذي كان مسؤولا في حزب الشعب، هو الذي كوّننا. والذي جعلنا نلتحق بلجنة العمل الثوري لشمال إفريقيا. الذي كان يجمع عددا من المناضلين، كانوا يُفكّرون في الكفاح المُسلّح سنة 1938. وفي هذه الفترة كان هناك مُناضلون لهم علاقة بأشخاص كانوا بدورهم على اتصال مع ألمانيا، والتي اتّصلت بهم ببلجيكا حتى تعرف موقف حزب الشعب إزاء الحرب العالمية.

فاتصل هؤلاء المُناضلون من بلجيكا بالحزب، وفكّر المناضلون في أنّ ألمانيا يُمكن أن تساعدهم عسكريا. وكما يقول المثل "عدو عدوّك صديقك" فسافروا إلى ألمانيا وتكوّنوا مدّة قصيرة، احتمالا لتكوين حركة مُسلّحة مُستقبلا لمحاربة فرنسا. لكنّ ألمانيا خانت دعمها، ومدّ المناضلين بالسلاح.

لماذا؟

لأنّ ألمانيا كانت قد هزمت فرنسا. وأرادت بعدها أن تستعمل بعض المناضلين حتى يمدوها بالمعلومات والأخبار التي تحتاجها، لكنهم لم يُوافقوا على الأمر. وتفطّنوا إلى أنها لن تفعل أكثر من استغلالهم لخدمة مصالحها.

وتوقّفت على إثر ذلك العلاقات بين المُناضلين وألمانيا؟

تقريبا، إلاّ محمد بوراس، رحمه الله، والذي كان مسؤولا عن الكشافة. بقي يعمل معهم مدّة، مدّهم فيها ببعض المعلومات، لكنّ الشُرطة الفرنسية، والتي كانت يقظة، ألقت القبض عليه، وتمّ قتله.

أي أنّ فكرة الكفاح المُسلّح كانت سابقة لأحداث الثامن من ماي 1945؟

أجل. عكس ما يقوله البعض. فإنّ فكرة الكفاح المُسلح لم تكن نتيجة لمظاهرات الثامن من ماي 1945، وما وقع بعدها من أحداث دامية. فالفكرة كانت تختمر عند بعض المناضلين من قبل.

كيف تمّ التحضير لمُظاهرات الثامن ماي؟

بحسب المعلومات التي وصلتني فإنّ التحضيرات لمظاهرات الأوّل من ماي 1945 في العاصمة كانت مسبوقة بثلاثة اجتماعات تحضيرية.

لكن حسين آيت أحمد قال عكس هذا؟

أؤكد لك أنه كانت هناك ثلاثة اجتماعات، اثنان منهما في بلكور، الأولّ عند محمد زكّال، والثاني لدى محمد دكار، والاجتماع الثالث لدى أرزقي جمعة في القصبة، كانت مُسيّرة من طرف حسين عسلة، محمود عبدون، سعيد عمراني، احمد بودة، وارزقي جمعة. وبلوزداد، وغزالي وبلحفاف، بالنسبة لبلكور، كتيب في حسين داي، وعبد القادر زياري في "سانتوجان" وكان من المُنتظر أن تنتقل الجماهير من شارع "مارانغو" الذي كان مُسيّرا من طرف حمودة، ومن ساحة الشهداء حاليا، من زياري

وبلحفاف.

من خلفيات مظاهرات 1 ماي 1945 أحداث شلالة أيضا؟

لا، هذا خطأ. الاجتماعات التحضيرية تمّت في 18 من افريل، وبينها وبين الأوّل من ماي ليس هناك إلاّ 12 يوما. صحيح كانت لأحداث قصر الشلالة أثر على مُظاهرات الأوّل ماي، لكنّ المُظاهرات كان مُحضرا لها من طرف الإدارة بهدف إظهار قوّة حزب الشعب بالمُقارنة مع الحزب الشيوعي، والذي أراد مظاهرة عامّة. أمّا حزب الشعب، ولإظهار مدى تمثيله للشعب فقد نادى مُناضليه فقط للتظاهر، وكانت ستُقام في المساء.

هناك من يقول أنّ تلك المظاهرات أُقيمت للاحتجاج على إبعاد مصالي؟

هذا أيضا ليس صحيحا. الهدف الأوّل كان إظهار قوّة حزب الشعب.

قلتم أنّ فكرة النضال بالسلاح كانت تختمر لدى بعض المناضلين قبل أحداث الثامن ماي 1945، بالنسبة إليكم هل كان لديكم سلاح؟

كنّا نجمع الأسلحة للقيام بعمل عسكري ما.

ولماذا لم تفعلوا؟

لأنّ الأسلحة التي كانت لدينا لم تكن تفي بالغرض. فلم نكن نملك سوى بندقيات وأسلحة بسيطة. وكان لدينا مُشكل نقص الإمكانيات، من حيث عدد المناضلين، ومن جهة ثانية لم نكن ننشط إلاّ في العاصمة. ولم يكن لنا نفوذ في كامل القطر الجزائريّ، وهو ما جعلنا نعجز عن تنفيذ عمل عسكري.

ومتى استعدتم النشاط؟

كان ذلك بعد قدوم الحلفاء، في نهاية ديسمبر من سنة 1942. وبمُبادرة من محمد طالب، التقينا في مدرسة الرشاد، وكنا سبعة أشخاص هم: محمد طالب، والذي كان مسؤولا على الحركة الوطنية من قبل، وعلي حاليت، محمد عبدون، حسين عسلة، عبد المالك تمام، الشيخ أحمد بن حسين، وأنا. اجتمعنا بمدرسة الرشاد، وأردنا أن نُكوّن نظاما يجمع شبابا من القصبة، المُناضلون طبعا. وأوّل عمل كان مقاطعة الخدمة العسكرية الفرنسية. ثمّ، وبعد

أشهر، قمنا بمُحاربة فكرة شارل ديغول الداعية إلى التوقيع لجمع مليار فرنك فرنسي.

اسمحوا لي أن أقاطعكم سيدي... هلاّ حدثتمونا قليلا عن مدرسة الرشاد هذه؟

كنّا شُبانا وسمعنا بأنّ هناك شيخا يدرس اللغة العربية، وهو الشيخ "حمادو"، ورغم أنني كنت قد درست اللغة العربية سنة 1935. ولكن فكّرت في أن أعيد دراستها حتى أتمكّن منها، ولا أفقد ما كنت قد تعلّمته. ولقد وجدنا من المدرسة المكان المناسب الذي يجمعنا. خاصّة بعدما قرّرنا أن نضمّ شبابا آخرين.

نعود إلى نضالكم؟

بعد صدور بيانات منشورة تدعو إلى الاستقلال، عملنا على توزيعها، بعدما قام أخي بوعلام بطبعها، وفي سنة 1943 تمّ القبض على بن يوسف بن خدّة، والدكتور لمين دباغين، وعلي بن شرشالي، وارزقي جمعة، واحمد مزغنة. وبعدها تمّ القبض كذلك، في 23 سبتمبر من نفس السنة، على فرحات عباس وعبد القادر السايح، بعد قرار من الجنرال "جورج كاترو" الحاكم العام للجزائر وقتها. فقرّرنا على إثر ذلك أن نُنظمّ مظاهرات في يوم العيد للمُطالبة بإطلاق سراحهم.

لماذا اخترتم هذا اليوم بالتحديد؟

فكّرنا في جمع المصلّين بعد صلاة العيد. فهي فُرصة يلتفّ فيها عدد كبير من المُواطنين، والذين يخرجون من المساجد ثمّ يتّجهون جميعا إلى ساحة الشهداء. وللأسف فاتنا أمر واحد. وهو أنّ مدة الخطبة تختلف من إمام لآخر (حيث أن إمام هذا المسجد قد يُنهي خطبته قبل إمام الآخر). وأذكر أننا ركّزنا على المسجد الجديد، حيث ألقى علي فضي الخطبة فيه، أمّا أنا فاتجهت إلى مسجد سيدي رمضان حتى أحثّ المصلين على الخروج، وقطع الطريق. وكان علي فضي أوّل من أنهى خطبته. فخرج المصلّون، واشتبكوا مع الشرطة الفرنسية. وعندما خرجنا نحن توجّهنا إلى ساحة الشهداء وجدنا المواطنين في اشتباكات، وهذه المُظاهرة أهملها المُؤرخون ولم يعطوها نصيبا من الاهتمام. وفي الحقيقة كان لها دور كبير. فمن الصعب تنظيم مُظاهرة عامّة في وجه فرنسا، ولكن كان لها، مع ذلك، صدى، وساعدت على انضمام بعض الأشخاص الذين

كانوا بعيدين عن الحركة الوطنية من تجّار وحرفيين. ومن أبعادها كذلك أنها شجّعت، بعد ذلك سنة 1944 بعض المناضلين، الشباب دائما، ومنهم سعيد لعجالي وأحمد عمراوي، واللذان كانا عاملين بالطباعة، تشجّعا وفكرا في إنجاز جريدة. حيث جمعنا محمد طالب في بيته بالقصبة، وقال لنا:" يُمكننا إنجاز جريدة"، ولم يبق لنا حينها إلاّ أن نجد المكان المناسب لذلك. فعثرنا على محل أوروبي في 5 شارع "كابتان إيلار، فونتان فراش" بباب الواد، وتمّ تسجيله باسمي الشخصي. وفي نفس الوقت كنت مُطاردا لعدم التحاقي بصفوف الخدمة العسكرية. فاستقلت من مركز التلغراف والهاتف، بحجّة الالتحاق بالخدمة العسكرية. وهو أمر غير صحيح، فحتى عندما كنت أعمل، كنت مُلاحقا. أمّا والدي، عندما اقترح عليّ أن أتكفل بمسؤولية المحل الذي كان يعمل به، قلت له أنني سأباشر تجارة خاصّة بي، ففرح بذلك كثيرا. إذ حسب أنني فعلا اتجهت إلى التجارة. ولكن لم يكن المحل إلاّ غطاء لي. وتحت ذلك المحل الذي لا يزال موجودا إلى يومنا هذا، كان هناك قبو، تمكّنا فيه من إصدار أوّل عدد من جريدة" الحركة الجزائرية".

وكم مكثتم في ذلك المحل؟

ليس طويلا. لقد نقلنا كلّ معداتنا إلى محل بشارع "افريفيل"، وهو محل كان لأبي. كنت مُجبرا على أن أطلب منه أن يمنحنيه. بما أنني كنت مُطاردا من طرف الشُرطة بسبب تهربي من الخدمة العسكرية. وساعدنا على إصدار أعداد أخرى من الجريدة، وتطوير وسائلنا كذلك.

كم أصدرتم من عدد؟

خلال سبعة أشهر أصدرنا تقريبا من سبعة إلى ثمانية أعداد. وكان فيه مقالات لبن علي بوكور، محمد غرسي، حسين لحول، مصطفى لشرف، قدور صاطور، وآخرون. وفي سنة 1943 تمّ إطلاق سراح الشاذلي المكي، والذي كان مُعتقلا، وكان صديقا لعمر حمزة. وهو مسؤول قديم في حزب الشعب وكان بين مجموعتنا. ثم وافق مصالي الحاج سنة 1944 على التحاق لجنة العمل الثوري لشمال إفريقيا بإدارة حزب الشعب. وبهذه الطريقة كان محمد طالب ومحمود عبدون أوّل من انخرط مرّة أخرى بإدارة حزب الشعب. وتبعهما بعدها كلّ من حاج محمد شرشالي، وحسين عسلة. حتى أنّ

بعض المناضلين القدامى انسحبوا تاركين المجال للشباب. وعلى هذا فإنّ إدارة حزب الشعب سنة 1944 كانت مُكوّنة من: محمد عبدون، حسين عسلة، حاج محمد شرشالي، لمين دباغين، شوقي مصطفاي، احمد بودة، ومحمد طالب. أمّا لجنة العمل الثوري لشمال إفريقيا فلم يعد لها وجود. وبالمقابل كان لدينا فرع قويّ مُتكوّن من شباب بالقصبة وآخر ببلكور. وفي منتصف سنة 1944 قرّر محمد طالب واحمد بودة توحيد تلك الفروع. ولهذا تمّ الاجتماع عند ساعد شارف، وحضر سعيد عمراني، وعبد الرحمن طالب واللذان يُمثلان شباب القصبة. وساعد شارف ومحمد بلوزداد لتمثيل شباب بلكور، فكان الاندماج الكلّي، وتمّ الاتفاق على إدارة يكون على رأسها سعيد عمراني، ومُساعده محمد بلوزداد، أمّا أنا فكنت دائما مطاردا، أي أعمل في السرّية، وهو ما جعل نشاطي يقلّ نوعا ما، على مستوى المنظمة. ومع ذلك بقيت في الجريدة رئيسا للطباعة.

متى خرجتم من السرّية؟

بعد عفوسنة 1946 حيث تمّ تعييني كمسؤول على العاصمة الكبرى. من عين البنيان، إلى رويبة، وحتى السويداينة، حاليا، ومن 1946 حتى مؤتمر 1947 وتحديدا في نوفمبر، عُيّنت كخازن في المكتب السياسي للحزب. وبعد ذلك استعاد الحزب نشاطاته. فكّر في إعادة تقوية نفسه. وذلك بإدماج مُناضلين شباب في صفوفه، وفي سنة 1946 أيضا تأسّست جمعية النساء المسلمات. ترأستها ماميا عيسى، زوجة شنتوف، ونشطتها سليمة بلحفاف زوجة بن خدة، مينا بوعامر زوجة بوميزة، خيرة بوعياد زوجة مصطفاي، يزّة بوزكري زوجة عبان، ونفيسة حفيظ، ونفيسة حمود، هذه الأخيرة التي صارت بعدها أوّل طبيبة تصعد إلى الجبل سنة 1955، وكذلك مليكة مفتي زوجة لمين خان، باية نواري زوجة مبروكي، زهور رغيمي زوجة شرشالي، زهور توبيش زوجة بن شيخ، وفاطمة زكال زوجة بن عصمان، هذه الجمعية كنت على اتصال بها منذ سنة 1950 حتى سنة 1953. كانت تنشر أوامر الحزب، وكانت تعتني بالجانب الاجتماعي. كما لا بدّ من الإشارة إلى مُساعدات الحزب للطلبة الذين كانوا يُنظمون خرجات مسرحية. ومع مجيء مصالي الحاج، تقرّرت المُشاركة في انتخابات المجلس الوطني، وفي تلك الفترة بذل شُبّان العاصمة

الكثير من الجهود، قمنا بإرسالهم إلى أماكن عدّة من الوطن، حتى يعملوا على تقوية النظام فيها. في القبائل، الأوراس، وهران، كانوا يُشاركون مع المُناضلين المحليّين لتلك المناطق في الحملة الانتخابية للمجلس الفرنسي لنوفمبر من سنة 1946، أين حصلنا على 5 مقاعد، ولقد قُمنا بإرسالهم كذلك إلى الانتخابات البلدية في أكتوبر 1947 حيث حصلنا على كلية المقاعد في المدن الكبرى. وفي 1948 في 4 و11 أفريل. وأخيرا انتخابات 17 جوان 1951.

لكن انتخابات المجالس لم تُحقق الإجماع؟

أجل، كان ذلك سنة 1946 كانت هناك انتقادات حول المشاركة في انتخابات المجلس الفرنسي. البعض كان يُؤيّدها، وآخرون عارضوها، وبما أنني لم أكن في الإدارة المركزية لم أشارك في الندوة. ولكني علمت أنّ شجارا حادا وقع بين الذين كانوا مُساندين للمشاركة كوسيلة لنشر أوامر الحزب. وآخرين عارضوا بحجّة أنّ المُشاركة هي تسرّع، وأنه يجب أوّلا المُشاركة في الانتخابات البلدية. مثل لحول، الذي كان مُعارضا، ولكن في النهاية عندما اتخذ القرار بالمُشاركة فالكلّ أقرّه، ووافق عليه. وبعد انتخابات 1946 في المجلس الفرنسي كانت هناك ندوة جمعت إطارات الحزب في بوزريعة، وفيها وجّه بعض المُناضلين مجموعة من الانتقادات لإدارة الحزب. مُناضلون أكثرهم من القبائل. وبهذه المُناسبة كان هناك دعوة لاجتماع في فيفري 1947 والذي كان سيُحدد إستراتيجية الحزب، والذي قرّر أن يستمرّ النضال على ثلاث جبهات: أولى شرعية، تُمثّل حزب انتصار الحريات الديمقراطية، والتي تمّ تأسيسها في أكتوبر 1946، وثانية، وهي حزب الشعب والذي بقي ينشط في الخفاء، وثالثة هي المنظمة الخاصّة، والتي تعمل في السرّية التامّة، وتُكوّن الإطارات العسكرية.

ألم يكن قرار خلق المنظمة الخاصّة نتيجة لتزوير الانتخابات؟

هذا خطأ. المُبادرة أُخذت في بداية سنة 1947، أمّا الانتخابات فلم تكن قد أجريت حتى أكتوبر 1947، وأفريل 1948. كنا نُفكر في أنه لا بدّ من المُرور إلى التحضير العسكري قبل الانتقال إلى العمل. ولا بدّ أن نُذكر هنا، أيضا، بأنّ الحزب، وفي نفس الوقت شجّع الكثير من الجمعيات في ميادين متنوعة، كالرياضة، والشبيبة، خاصّة فرق كرة القدم، والثقافة، والتربية، ومُساندة

الحركة الكشفية. ولقد اهتّم الحزب كذلك بتكوين مُختلف النقابات والاتحادات في كلّ الميادين: التُجّار، الخبّازين، الحلاقين، وكلّ النشاطات الاقتصادية والتجارية، في جمعيات. وهذا الانخراط كان يسمح لنا أن نكون على اتصال وثيق مع كلّ فئات المجتمع. وكثير من هؤلاء تحوّلوا إلى مُناضلين، أو على الأقل مُساندين لقضيّتنا، فيدفعون الاشتراكات، ويُطبّقون أوامر حزب الشعب.

كيف عشتم الأزمة البربرية؟

كان عناصرها مُتأثرين بالفكر الماركسي. في سنة 1947 كانوا قد بدأوا يتهجّمون على إدارة الحزب. ولقد قاموا باجتماع. ودعوا اثنين من الإطارات، من الجزائر قصبة، ومن بلكور. ونادوا باجتماع انشقاقي. كان لديهم توجّه ضدّ إدارة الحزب. ولكن الأسوأ هو فكرة رشيد علي يحيى بأن يأخذ زمام الأمور، بداية من فرنسا، للانتقال إلى العاصمة. كان هذا غير مقبول. ما كان يُهمهم بالدرجة الأولى هي إدارة الحزب، بتنحية كل من له علاقة بالإسلام والعروبة. واعلي بناي هو من اتجه إلى احمد بودة لكي يُساند رشيد علي يحيى. مُدّعيا أنّ هذا الأخير ليس إلاّ طالبا يحتاج إلى المُساعدة. فأمر بودة، ودون أن يعلم بما يُدبرون، أمر فدرالية فرنسا أن تقوم بمُساعدة علي يحيى حتى يتمّ دراسته في ظروف جيدة. وأنا بنفسي قمت باعتراض رسالة من عمر اوصديق موجّهة إلى واعلي بناي. وفيها كان يُحدثه عمّا سمّوه حزب الشعب القبائلي. أعطيت تلك الرسالة إلى الإدارة.

ألم يكن ذلك كله من تدبير فرنسا لزرع الشقاق بين المناضلين؟

كانت هناك فعلا نيّة لزعزعة الحزب، والانقلاب على إدارته، وحتى ايت احمد يعترف في كتابه "مذكرات مُحارب" بأنه حاول الدفاع عن هذه الفكرة. فأرسلنا له شرشالي وبودة، فالأزمة كانت حادة، ولم تحدث هكذا فقط!

متى تمّ القبض عليكم؟

سنة 1950، حيث كنت مسؤولا على النظام في الحزب. فأشرفت على بلقاسم كريم، وعمر اوعمران، واللقاءات معهما كانت تتمّ بسرّية تامّة. ذلك أنهما كانا مُطاردين، ومحكوم عليهما بالموت. وكنا نلتقي لإقامة ندوات بصفة شهرية. فما إن أنتهي من

لقاءاتي مع باقي الأعضاء ألتحق بهما في القصبة. وذلك، وكما قلت لك، لأسباب أمنية. وكانا في كلّ مرّة يختاران المكان الملائم. وفي إحدى المرّات كنت قد أنهيت ندوة مع الاثنين، أي بلقاسم كريم، واوعمران، وكان ذلك في ليلة الثامن من أفريل من سنة 1951، وكانت بحوزتي ورقة كان مُدوّن عليها أسماء أشخاص كانا ينويان تصفيتهم، وذلك للخطر الذي كانوا يُشكلونه على الحزب، وقد عثرت الشرطة على تلك القائمة معي. ولكنني أكّدت على أنّ الأمر لم يكن يتعلّق بتصفية ولا شي. فتعرّضت إلى التعذيب الذي تعرض إليه أغلب المناضلين من قبلي وبعدي، ولكن، والحمد لله، لم يعثروا على شيء يُدينني، أو يدلّ على أنني عضو في النظام. وتمّ تعذيبي خمس حصص، بواسطة الكهرباء والماء، فقدّمت على إثر تلك المُعاملة السيئة شكوى لدى النائب العام. وبعد تحويلي إلى سجن تيزي وزو التقيت محند السعيد معزوزي، وآخرين كان قد أُلقي القبض عليهم بعد أحداث ماي 1945، وبعد أشهر تمّ نقلنا ليلا إلى سجن البليدة، وبقينا مدّة قبل أن يلتحق بنا أعضاء آخرون متورّطون في المنظمة الخاصّة، فكان هناك احمد بن بلة، احمد مهساس، يوسفي، بلحاج، بوقرة، وكلّ أعضاء المنظمة الخاصّة لإدارة الجزائر العاصمة، ولكن لا أحد من مُناضلي القبائل.

وكم مكثتم في السجن؟

بعد ستة أشهر من الاعتقال استفدت من الحرّية المُؤقتة، مع مُناضلين آخرين، ومنهم جيلالي رغيمي. ثمّ استعدت مُباشرة مهامي على رأس المنظمة في كامل القطر الوطني. ثمّ كان مُشكل المُناضلين المُطاردين، مثل العربي بن مهيدي، وبوالصوف، ورمضان بن عبد المالك، ورابح بيطاط، ومراد ديدوش. حيث اقترحت على الإدارة أن تُعيد ضمّهم إلى النظام الذي كان قد تجمّد. وكذلك بالنسبة لعناصر من المُنظمة الخاصّة، والذين لم يكن قد أُلقي القبض عليهم بعد.

قيل أنّه تمّ تهميش تلك العناصر في تلك الفترة؟

لا، أبدا. لا بدّ ألاّ نصدق من يدّعي هذا. بل بالعكس من ذلك، الحزب سمح لهم بالنشاط، وبالعمل والالتقاء بمُناضلين آخرين. وهو الأمر الذي ساعدهم أثناء قيام الثورة، وحتى بعد ذلك. فذلك

الاتصال هو الذي سمح لهم بالحرية في العمل، والاستفادة كذلك من دعم الحزب المادي.

لكنّ محمد حربي وبنيامين ستورا ذكرا غير ذلك؟

ما ذهبا إليه من أنّ تلك العناصر تمّ تهميشها غير صحيح. فكلّ مناضلي المنظمة الخاصّة ترأسوا على مستوى الدوائر السياسية. مثلما كان الحال مع رمضان بن عبد المالك، العربي بن مهيدي، ورابح بيطاط، وعبد الحفيظ بوالصوف، وإبراهيم الشرقي، ومراد ديدوش. وكان هناك اثنان ترأسا على مستوى الولايات، ويتعلّق الأمر بمحمد بوضياف، ومحمد ماروك، والاثنان كانا يعملان معي، وكانا على اتصال بي. كنت أمدّهما بالوثائق التنظيمية والمالية لدراستها، وهو العمل الذي سمح لهما بالإطّلاع على كلّ ما يحدث في المُنظمة على المستوى الوطنيّ. وهو ما كان يُجنبهما المكوث دون حراك وعمل. رغم أنّ ذلك لم يكن كافيا. لكن، وبما أنهما كانا مُطاردين، فلم يكن بالإمكان إثقالهما بالعمل. وهو الأمر الذي كان يُمكن أن يُضاعف في احتمال القبض عليهما.

ومتى تمّ القبض عليكم مرّة ثانية؟

المرّة الثانية كانت في 22 ديسمبر 1954 مع أعضاء اللجنة المركزية. وبعدها قُبض عليّ للمرّة الثالثة في 24 ماي 1956 مع نقابيي الإتّحاد العام للعمال الجزائريين، إلى أن أُطلق سراحي في أكتوبر من سنة 1960.

احتفلنا الأسبوع الماضي بالذكرى الخمسين لمُظاهرات الحادي عشر من ديسمبر فماذا تقولون عنها؟

كان لها أثر كبير، وأعادت الأمل إلى المُواطنين والى الحكومة المؤقتة. خاصّة بعدما أراد ديغول تغيير سياسته. وبيّنا لفرنسا أن لا أمل لها في الاحتفاظ بالجزائر. وعلى شبابنا اليوم أن يتّعظوا من تلك المظاهرات. ويسيروا على خطى هؤلاء في الكفاح ضدّ كل الآفات التي صارت تعصف بنا في وقتنا هذا من الرشوة والجهوية، وكلّ الأمور التي لا بدّ أن نتجاوزها، لنخطو إلى الأمام.

6

السي خير الدين

"الخيانة وراء استشهاد الحواس وعميروش ولطفي" [1]

1 نشر بتاريخ 6 جانفي 2011.

لأنّ الحديث عن الثورة التحريرية، والتي شكّلت منعرجا حاسما في تاريخ الجزائر الحديث، تحتاج إلى الكثير من الغوص والبحث عن حقائق خفية وأخرى زُيفت، اقتربنا في عددنا هذا من رجل مجاهد حارب العدو منذ صغر سنه، واضعا نصب عينيه هدفا واحدا لا يحيد عنه، وهو استقلال البلاد. استقبلنا وحدّثنا بكلّ صراحة عن نضاله وعن تلك المرحلة. وكشف قضايا من مثل قضية استشهاد الحواس وعميروش والعقيد لطفي، وأيضا حدّثنا عن مظاهرات 17 أكتوبر في فرنسا، فكان لنا معه هذا الحوار.

هلا تعرفنا، بداية، على المجاهد رمضان محمد، أو المدعو "السي خير الدين"؟

اسمي الحقيقي محمد أُورمضان، وأطلقت عليّ أسماء كثيرة، وكان ذلك حسب المراحل التاريخية. فلُقبت بمحمد دزيري، واشتهرت بخير الدين. وقد وُلدت بأعالي شرشال، وكان لي الحظ أنّ أبي توفيّ في الحرب ضدّ ألمانيا، فأصبحت، وكما يقولون الابن المدلل لفرنسا. رغم أنّ أبي كان قد جُنّد رغما عنه، مثل آلاف الجزائريين حينها. ولهذا فإنّ الظروف الإدارية جعلت أسرتي تستقرّ بشرشال، فكبرت ودرست بها، فأخذت في دراستي الابتدائية شيئا من اللغة العربية، ولكن ليس بالمعنى الأكاديمي. فقط لغة القران. وفي نفس الوقت درست الفرنسية بطبيعة الحال، لكن في تلك المدّة، أي بين سنتي 1940 و1945 انتقلت أمي إلى الجزائر بشكل مُؤقت، فتابعت دروسي بدوري هناك كذلك، بسوسطارة، وبلكور، لكني عدت لأواصل الدراسة بعدها بشرشال، إلى أن نلت الشهادة الابتدائية.

هل يعني هذا أنّ فرنسا كانت تمنح الجزائريين فُرصهم في الدراسة؟

لا، فكما قلت لك أنا نلت امتيازا لأنّ أبي توفي في حرب ألمانيا. وفرنسا من جهتها كانت تُحاول أن تُظهر ذلك فقط، لكي تدّعي بأنها تُساوي بين الجزائريين والفرنسيين. لكن هذا بعيد عن الواقع. فأخي الأكبر، مثلا، لم يدرس. أمّا أخي الأصغر فدرس الفرنسية فقط.

لماذا لم تواصلوا الدراسة بعد شهادة التعليم الابتدائي؟

لم يكن بإمكاني ذلك، فمُواصلة الدراسة كانت تتطلّب مصاريف لم أكن قادرا على سدّها، ومنها التنقل إلى العاصمة، ولهذا توقفت بعد تلك الشهادة. لكن أمي احتجّت على ذلك، وأصرّت على أن أتعلم، فلم يكن أمامي إلاّ أن انخرط لأتكوّن في البحرية. جئت إلى العاصمة وشاركت في المسابقة، إلاّ أنّهم أرسلوني بعدها إلى مدرسة البحارة ببجاية. ولأعود إلى سؤالك حول فرص التعليم الموّفرة للجزائريين أقول لك أنه في مدرسة البحارة هذه لم يكن هناك إلاّ أربعة من أبناء الجزائر،من بين 48 شابا، وكُلنا كان لنا نفس الامتياز، أي أنّ آباءنا شاركوا وتُوفوا في الحرب الألمانية، فتخرّجنا سنة 1953.

ثمّ عملتم في البحرية بتلك الشهادة؟

في الحقيقة عملت، ولكن ليس لمدّة طويلة، فكما قلت لك كنا نُعاني من العنصرية حتى في العمل، رغم أننا نحن الجزائريون الأربعة كنا ضمن الستّ الأوائل، ورغم ذلك كانوا يمدّوننا ببواخر مُهترئة، ففضّلت الانسحاب، ثمّ استقرّيت في الجزائر، وكنت أعمل وأساعد عمّي الذي كان يملك شاحنة نقل.

وكيف كانت بداية النضال والالتحاق بصفوف الثوّار؟

عمي، وبين سنتي 1954 و1955، كان ينتقل باستمرار إلى الجبل لإحضار الحطب ونقله إلى الحمامات، فكنت أرافقه إلى تلك الجبال والتقي فيها بالمجاهدين. ورغم أنني كنت اسمع عنهم، إلاّ أنني فُوجئت بمنظرهم.

لماذا؟

لم أكن اعتقد أنهم بمثل ذلك التنظيم. فرغم أنهم كانوا جزائريين مثلي، إلاّ أنهم كانوا يرتدون كلهم ألبسة عسكرية. ثمّ اتصلوا بي وراحوا يُكلفونني بمهام.

عذرا، هلا قلتم لنا كيف تمّ ذلك الاتصال، ولم وقع الاختيار عليكم بالذات؟

لأنني ابن تلك المنطقة. وكان بينهم أشخاص ينتمون إلى عائلتنا. وحتى عمي الذي كنت أرافقه كان معروفا هناك.

ما نوع المهام التي كانوا يكلفونكم بها؟

في البداية اقتصرت تلك المهام على أشياء صغيرة. أنقل، مثلا، الرسائل وغيرها، ثمّ تطوّرت الأمور شيئا فشيئا، حتى فهمت أنّ هؤلاء هم المجاهدون الحقيقيّون الذين كانوا يُحاربون فرنسا.

ما هي الأسماء التي تتذكرونها في تلك الفترة؟

كان هناك عبد الحق، وكان هناك سي جلول، وهو من الأشخاص الذين هربوا من سجن شرشال مع آخرين. ولم نكن نعرف في تلك الفترة إلاّ الأسماء المستعارة.

قلتم لي أنّ انخراطكم في صفوف الثوّار حدث شيئا فشيئا، لكن اسمحوا لي أن استوقفكم عند تلك اللحظة التي أدركتم فيها أنكم تتعاملون مع مُجاهدين حقيقيين، كما وصفتموهم، هل توقفتم لحظة لتفكروا في حجم المسؤولية التي تضعون أنفسكم فيها؟

بالعكس، كنت افتخر بتلك المهام. وكنت كأني مجاهد صغير. بل وكنت أطمح لأكثر من ذلك. فكنت أودّ أن احمل السلاح مثلهم. وكان يجب أن يحدث ما يمهد لي الاندماج في صفوف الثوار بشكل نهائي. فكان هناك شخص يُسمى "سي موسى" وهو مُحارب قديم بالهند الصينية. كان على رأس أحد الفروع المقاتلة، وكانت هناك صلة قرابة بيننا. حيث كان يحمل اللقب الذي تحمله أمي وهو"شامي" ولأنه كان غير مُتعلّم، اتفق مع عمي على أن أكون كاتبه الخاص، فحصل ذلك. وصرت بالتالي أتنقل مع المجاهدين، ثمّ صرت أحمل السلاح، من مسدس إلى بندقية وهكذا.

ماذا كانت مهامكم ككاتب؟

كنا نكتب إلى المواطنين الشعارات مثلا، لكي يدفعوا اشتراكاتهم، أو حتى لتهديد البعض منهم، أو اكتب تقارير. وفي نفس الوقت كنت أشارك في عمليات قتالية، نحرق مزارع أو مخازن.

فما هي العمليات التي كان لها عميق التأثير عليكم؟

أنت تستبق الأحداث، فهذه العمليات التي حدّثتك عنها لم تكن إلاّ مرحلة لتنظيم الشعب، والتي لم تكن تتطلب إلاّ عمليات صغيرة. أمّا العمليات الكبيرة فكانت لا تقوم بها إلاّ العناصر القديمة. أمّا نحن فكنا نُنظم الشعب ونُحضّر للثورة، وأيضا نُهاجم دوريات

عسكرية.

كم دامت تلك المرحلة؟

بقيت كذلك حوالي ثمانية أشهر. ثم تمّ نقلي إلى الكتيبة الحمدانية، وهي أرقى من الفرع الذي كنت فيه.

أين كانت تنشط هذه الكتيبة؟

من الشفّة إلى تنس، وعندما انخرطت فيها صرت جنديا بأتمّ معنى الكلمة، ثمّ جاءت العملية التي اشتبكنا فيها مع الفرنسيين، والتي أُصبت فيها، ولازالت آثار الإصابة في كتفي، ولقد شاركت في كلّ العمليات التي نفّذتها الحمدانية ما بين سنة تأسيسها في 1957 حتى سنة 1959 وكنت أترقى من جندي إلى عريف إلى رئيس فوج، ورئيس فصيلة، بحسب النشاط.

ما هي آخر معركة نفذتموها مع الحمدانية؟

آخر عملية كانت بالبرواقية، وتحديدا في جبل موقورنو. كانت معركة كبيرة. وشاركت معنا الزبيرية كذلك. واستشهد من كتيبتنا 22 مجاهدا.

وبعدها؟

بعدها تمّ اختياري رفقة جماعة اخترتهم بدوري من الكتيبة، وبقينا تحت تصرّف قائد الولاية الرابعة احمد بوقرة المدعو "السي محمد"، أي صرنا نُكوّن مجموعة خاصّة تقوم بمهمّات سرّية، وبقينا كذلك حتى ماي من سنة 1959 على رأس الولاية الرابعة، ثمُ نُقلنا ووُزعنا، وبعدها عُيّنت قائدا عسكريا في المنطقة الثالثة، والتي تمتدّ من الشفة حتى شنوة، مرورا بالعفرون، القليعة، حطاطبة، موزاية، وهي الناحية الثالثة التي صرت قائدا عسكريا بها رُفقة آخرين، منهم السي بوعلام دلوسي، وكان رئيسا للناحية، وكذلك السي الزبير المكلف بالاستعلامات، استشهد في بلكور، أي أنّ العمليات التي وقعت في 1959 وحتى الستينيات في تلك الناحية كنت المسؤول العسكري عنها. ثمّ تمّ نقلي إلى منطقة سادسة استحدثت وهي العاصمة وضواحيها، تابعة للولاية الرابعة وتتكوّن من ثلاث نواحي، وكانوا قد بعثوا قبلي بمسؤولين منهم "السي الزبير"، وكان هناك "السي السعيد" وبوسماحة الذي كان قائدا إلى أن جئت فتولّيت القيادة، أي أنهم احضروا أشخاصا

يعرفون العاصمة لتأسيس القيادة، وإعادة تنظيم المنطقة السادسة بالعاصمة، وأمّا أنا فبعدما كنت رئيسا عسكريا في الناحية الثالثة، صرت مسؤولا عن نفس الناحية، ولكن مدّة المسؤولية لم تدم إلاّ شهرين أو ثلاثة أشهر، فالإخوة الذين جاؤوا للقيادة في العاصمة بالمنطقة السادسة اشتبكوا مع فرنسا، وكان ذلك بتاريخ 24 نوفمبر 1960 في بني مسوس، منهم من استشهد، وهناك من قبض عليه مثل السي السعيد الذي جرح، والسي بوسماحة الذي قبض عليه هو الآخر. وعندما شغرت القيادة، كان على محمد بونعامة أن يجلب مسؤولين، وكنت من الذين استدعاني، فأصبحت رئيس المنطقة السادسة لإعادة الهيكلة، ولهذا كنت مسؤولا عن تنظيم 11 ديسمبر 1960.

كيف ذلك؟

صحيح لم أكن في العاصمة، ولكني كنت مسؤولا عنها، أي بين نوفمبر إلى الحادي عشر من ديسمبر، لأنّ القيادة السابقة انتهت في 24 أو 25 نوفمبر 1960، فأخذت زمام الأمور وبعدها في 11 ديسمبر قامت المظاهرات. لكني قبل أن أقدم إلى العاصمة، ومع محمد بونعامة أعدنا الهيكلة، أي أعدنا كلُ التنظيم، بين من بقي حيا، ومن استشهد. وواصلت في القيادة إلى أكتوبر 1961 وبالتحديد الثالث أو الرابع أكتوبر. فدخلت في اشتباك بولاد بلحاج، واستشهد من عندنا أحد المُجاهدين، وتمّ القبض عليُ. وفيما وُضع الآخرون في السجن، تمّ تسجيلي على أنني استشهدت وقاموا بإخفائي.

اسمحوا لي أن أعود بكم قليلا إلى الوراء؟ لقد كانت لكم فرصة لم تتوفّر لدى الكثير من المجاهدين، وحتى القياديين منهم، وهي أنكم درستم، ونلتم شهادة، الم يجعلكم هذا تحاولون أن تفرضوا فكرا ما على الآخرين؟

لا، ولم يكن بالإمكان أن تنجح الثورة لو سعى كلّ واحد إلى فرض آرائه الخاصّة على الآخرين. فكلّ من كان مجاهدا بأتمّ معنى الكلمة، ليس له الحق أن ينتقد أو يُعطي فكرة خارج فكرة قائده. فالمجاهد لديه مبادئ عليه أن يحترمها، ومُهمّته تحطيم العدو بأية وسيلة. فكانت الطاعة عمياء لمصالح الثورة.

هل كانت تحدث صدامات بين الثوار في الداخل مثلما وقع بين بعض القادة في الخارج؟

أقول لك، وبصفتي كنت جنديا بسيطا في البداية إلى أن صرت قائدا، أقول أنه لم تحدث صراعات في الداخل، بل كانت تقع

صراعات سياسية خارج الحدود، ولهذا قُتل بن بولعيد، والشيهاني، وعبان مضان. وهي أمور كانت تقع في إطار الصراع السياسي الإيديولوجي. وحتى بالنسبة لي فطريقة استشهاد الحواس وعميروش ولطفي بقيت نقاط غامضة، فهم لم يستشهدوا هكذا فقط، بل لا بدّ أن تكون هناك خيانة وراء تلك الحوادث. هذه الخيانة لا بدّ أن تظهر. وأعطيك مثالا، فمؤتمر طرابلس إلى الآن لم يُرفع. حيث وقع فيه تقاتل وتصارع، ثمّ حملوه إلى الداخل، فاضطررنا نحن أصحاب الداخل إلى التصارع مع أصحاب الخارج.

بما أنكم كنتم مسؤولا في السنوات الأخيرة قبل الاستقلال، ماذا تقولون عن المجاهدين المزيفين، والذين يُقال أنُ فرنسا دستهم قبل خروجها في صفوف الثوُار؟

أقول لك أنُ تسعين بالمائة من المجاهدين الذين كانوا ضباطا أو حتى جنودا عند فرنسا، وهربوا من عندها ليلتحقوا بصُفوفنا، لم تكن تُعطى لهم المسؤولية، كنا ننظر إليهم على أنُ بهم نقصا. حيث كنا نتوقع أنُ فرنسا ستدسّ جواسيسها بيننا. ولحسن الحظ لم يتمكنوا من الوصول إلى الداخل، ولكن أوقعوا أصحاب الخارج في الخطأ.

ولكن من المسؤول إذا عن هؤلاء المجاهدين المزيفين؟

لا أوافقك على مُصطلح مجاهدين مزيفين، ولكن الإداريين لوزارة المجاهدين هم المزيّفون، ولا سيما منذ سنة 1994، حيث اختلت الأمور بشكل فظيع.

كيف ذلك، أو ما الذي تغيُر؟

تغيرت بعض القوانين والتي أحدثت خللا، فالمشكل أنه قبل سنة 1994 كان المجاهدون يملكون شهادة تثبت أنهم شاركوا فعلا في الثورة، حتى وإن اقتصرت تلك المشاركة على دفع الاشتراك وغيرها. ولكن لم يكن لهم الحق في المعاش، لكن منذ سنة 1994 جاء القرار بأن يُمنح أصحاب الاشتراك أيضا معاشا، فسُميت العملية بتعديل العضوية، ولم تعدل تلك العضوية فحسب، بل حتى بعض الأحداث التاريخية.

هلا أعطيتمونا مثالا، سيدي؟

أقول لك أنُ مظاهرات السابع عشر من أكتوبر، أي يوم الهجرة،

كما أطلقت عليه الدولة، ولحسن الحظ أنه سُمي كذلك، أقول أنّ مظاهرات وقعت فعلا في باريس، لكن بالنسبة لي هناك علامات استفهام لا بدُ أن تطرح، ففي ذلك الوقت أصدر موريس بابون قرارا يمنع العرب من الخروج بعد الثامنة مساء، وكان ذلك في باريس، لهذا خرج هؤلاء للاحتجاج على القرار. ولكنها صُنفت على أنها مظاهرات وطنية، فرغم أنّ المؤتمر الثامن سنة 1996 رفضها، إلاّ انه، وفي النظام الداخلي صنفت كذلك.

أي أنُ مظاهرات السابع عشر من أكتوبر كانت لها أهداف أخرى؟

أجل، وإلاّ لماذا اقتصرت تلك المظاهرات على باريس، ولم تتعدّها إلى مدن أخرى في فرنسا مثل بوردو وأورليون أو غيرها، وأشكرك على أنك طرحت قضية هؤلاء المجاهدين المزيفين، وأقول لك أنُ موظفي الوزارة هم من شاركوا في ذلك التزييف، وقد قُبض على الكثير منهم بتهمة التزوير واستعمال المزور.

7

السعيد بوراوي

"المصاليون تحالفوا مع المنظمة الخاصّة لمُحاربتنا" [1]

1 نشر بتاريخ 13 جانفي 2011.

في لقائنا لهذا الأسبوع قابلنا السعيد بوراوي، وهو رجل مُجاهد، كافح من أجل استقلال الجزائر، وتخليصها من أيدي المُستعمر. فحدّثنا عن بعض ما عاشه في تلك الفترة، وهو الذي كان شاهدا على مُختلف المراحل التي مرّت بها الثورة الجزائرية... حول الأوضاع التي كانت سائدة في الجزائر قبل الثورة المباركة، وعن المعارك التي خاضها مع جيش التحرير، ضدّ الفرنسيين، وحتى ضدّ المصاليين، ثمّ الاعتقال والسجن، وهو اليوم رئيس جمعية هدفها الأوّل المُحافظة على ذلك التاريخ المجيد، وهي جمعية 11 ديسمبر 1960، أين قابلنا، فكان لنا معه هذا الحور.

السعيد بوراوي رئيس جمعية 11 ديسمبر 1960، وقبل ذلك كان ضابطا في جيش التحرير، فهلا حدّثتنا عن بداية النضال؟

بدأنا النضال ونحن شبّان. حيث كنا في حي بلوزداد حاليا، وكنت العب كرة القدم في وداد بلكور. ووقتها كنّا على اتّصال مع أشخاص يكبروننا سنا. منهم من كان مُنظمّا للحركة مثل محمد العياشي، وآخرون. وكانوا يُحدّثوننا عن العمليات التي يقومون بها، فتأثّرنا بالحركة وبطولاتها، ونمت فينا تلك الوطنية، وصرنا نتحدّى فرنسا حتى على ميادين الكرة، فنلعب ضدّهم كما لو كنا نُحاربهم.

كم كان سنّكم حينها، ومن كان معكم من شُبان مُتحمسين للنضال مثلكم؟

كنت قد بلغت حينها العشرين، أو أقل، وكان معي عبد القادر بوعلام، وأيضا مصطفى بوزوران، ومصطفى كتكار، وبوعافية دحمان، وكثيرون غيرهم. وكنت مُتشوّقا للالتحاق بصفوف الثوّار في الجبل.

لكن في ذلك الوقت كانت فرنسا تصف المجاهدين على أنّهم قطاع الطرق، وخارجون عن القانون، وإرهابيون ألم تنجح في تشويه صورتهم لدى المُواطنين؟

كانت شعارات فرنسا مُغرضة. ولكن بما أننا كنّا على اتّصال بأشخاص ينتمون إلى الحركة الوطنية، فإنهم نقلوا إلينا ذلك الإحساس بالوطنية.

إذا لم تزدكم تلك الشعارات إلاّ حماسا وحبّا في الوطن؟

أجل، ثمّ إنّ الوعي عندنا بدأ في سنّ مبكرة، وبالنسبة لي فقد درست في مدرسة كان أغلبية التلاميذ فيها فرنسيين، فكنت أرى الفارق الاجتماعي الكبير بيننا وبينهم.

وكيف اتّصل بكم النظام؟

كان ذلك سنة1955 حيث اتّصل بنا محمد العياشي.

ماذا كانت مهامكم الأولى؟

في البداية كنا نجمع الملابس والدواء والمال، لكي نشتري حاجات الثورة.

هل كان الاتصال بالعائلات، والأفراد سهلا؟

أقول لك أنّه في العاصمة فإنّ حوالي 80 بالمائة من العائلات ينتمي احد أفرادها إلى النظام، أمّا الباقون، ولولم ينخرطوا، فقد كانوا في خضمّ الأحداث، خاصّة بعدما وقع إضراب الثمانية أيام.

إلى أي حد أثّر هذا الإضراب على فرنسا؟

أقول لك أنه كان للإضراب وقع خاص، خاصّة وأنّ العاصمة هي واجهة الجزائر، وأبسط الأحداث كانت تسمع بها كلّ شعوب العالم.

ألم يتمكن الضُبّاط الذين استدعتهم فرنسا من (الهند الصينية) من منع تلك المظاهرات؟

فعلا، فرنسا كانت قد أحضرت نخبة من ضباطها الدمويين، منهم ماسو، بيجار، جون بيار، دانكيه، وذلك بعد أن توالت التفجيرات، وحتى لا يسبق اجتماع الأمم المتحدة حوادث تضعف موقفها. ولكن النظام بدوره، أراد أن ينفذ عملية ليُسمع صوته.

وكيف قابلت فرنسا المُضربين؟

بعد انتهاء الثمانية أيام راحت فرنسا تضطهد المواطنين، وتدخل البيوت وتعتقل وتكسر المحلات، وهناك من انتقل إلى الجبل.

وانتم أيضا كنت من بين الذين التحقوا بالجبال بعد إضراب الثمانية أيام؟

أجل، أنا اتجهت إلى الجبل بعد الإضراب بأيام.

ما الذي عززّ قراركم؟

كانت الأمور قد ازدادت صعوبة، فحتى في الشارع كانوا يقبضون علينا دون تهم، ولا شيء.

ما هي أوّل مهمة تلت صعودكم إلى الجبل؟

كنت قد صعدت إلى الجبل مع مُناضل آخر، وهو محمد بوقرفة. وانتقلنا من مخبئ لآخر، إلى أن استقرّينا بالاخضرية. فتناولنا وجبة العشاء عند شيخ طيب يُدعى الحمامي. وعلى الواحدة صباحا التقيت بأوّل مجاهدّين من الجبل، هما امرأة تدعى "مي مي"، وكان هناك شريف جوادي أيضا. ثمّ تفارقنا أنا والحسين بوقرفة الذي جنّدته الثورة لتستفيد من خبرته في التأطير. أمّا نحن فكنا أكثر من 150 شخصا مكثنا ثلاثة أشهر في الاخضرية، ثمّ غادرناها، وكنا مُتوجّهين نحو المغرب لنأتي بالسلاح. وكان على رأس مجموعتنا محمد البليدي مع السي مقران. وعندما وصلنا إلى تنس، تفارقنا، وكنا خمسة وأربعين رجلا، ذهبنا حتى اقتربنا من عين تموشنت، أي الولاية الخامسة فأعطونا السلاح.

لماذا لم تذهبوا إلى المغرب؟

كان من المفروض أن نُسافر إلى المغرب، وبما أنّ الطريق كانت وعرة تفارقنا. بعضنا ذهب إلى الصحراء ودخل إلى المغرب، أمّا نحن، فكما قلت لك، جلبنا سلاحا، وعند عودتنا مررنا بجبل زكّار، حيث التقينا بالسي عبد القادر كبدي، وبعدها انتقلنا إلى مالة بثنية الأحد، وفيها كان هناك اجتماع مع السي محمد بونعامة، والذي أراد أن يلحقنا بكوموندو كان على رأسه إمام الياس، المدعو جمال، وهو كوموندو الورشنيس في المنطقة الثالثة، والذي صار يُدعى كوموندو جمال التابع للورسنيس، أمّا الآخرون، أو الذين بقوا فهناك من نقلوهم إلى جهات أخرى، بين نواحي وأقسام.

نعلم أنكم بعد ذلك اتجهتم إلى الولاية السادسة، لملاقاة السي عميروش والسي الحواس، قبل أن يشتبكا مع فرنسا ويستشهدا؟

كان ذلك بداية سنة1959، حيث كانت لدى "الكوموندو" الذي كنت فيه في مُهمة فذهبنا إلى الصحراء، أي الولاية السادسة، وكان مُقرّرا أن نلتقي هناك مع عميروش والحوّاس قبل أن يُستشهدا، لأنّ مسؤول الكوموندو السي العربي كان قد تقدّمنا وذهب إليهم، ولكن قبل ذلك قمنا بعمليات أخرى.

قبل أن نتحدث عن تلك العمليات، ماذا كانت مُهمّتكم في الولاية السادسة؟

كان لدينا أمران، ربما كنا سندعم سي عميروش وسي الحواس، اللذين كانا مُتّجهين إلى الخارج، حيث كان هناك اجتماع في سنة 1959 نتج عن الظروف الصعبة، منها نقص السلاح وكذلك خطي موريس وشال.

هل كان عميروش وسي الحواس ذاهبين لجلب السلاح، أو للاجتماع بالحكومة المؤقتة؟

كان سيلتقيان بالإخوان في الحكومة المؤقتة، والمكلفين بكلّ ما هو عسكري، حتى يشرحوا لهم الوضعية التي كنا فيها.

كم كان عددهم؟

لا أستطيع أن أقول لك بالتحديد، لكن ما أعلمه أن مهمّتنا كانت دعم تلك الجماعة.

والهدف الثاني؟

هدفنا الثاني كان قتال المصاليين.

وأين كانوا يرتكزون؟

المصاليين كانوا في جبال بوكحيل والصحاري ومساعد وحتى الجلفة إلى ولاد جلال وبوسعادة وعين وسارة. كانوا ينتقلون في مجموعات، وكانوا يلتفّون حول نقطة المياه ثمّ يُجبرون السُكّان الرحّالة على الإحاطة بهم حتى يصعب مُحاربتهم.

من كان على رأسهم؟

كان على رأسهم مفتاح.

أليس بن لونيس من كان يقودهم؟

لا، بن لونيس اتجه إلى فرنسا بعد حادثة ملّوزة، حيث هاجمه السعيد محمدي، بعد أن صار يُشكل خطرا على الجبهة، وعندما وجد أنه مُحاصر ذهب إلى فرنسا، وبعدها تمّ قتله، وفيما بقي أغلب المصاليين في فرنسا، عاد آخرون، واستقرّوا، كما قلت لك، في الصحاري، والذين كان على رأسهم مفتاح.

قلتم أن فرنسا قتلت بلونيس؟

لا أدري بالضبط من قتله، فرنسا أو جنوده. فهو عندما ذهب إلى فرنسا ربما كانت له معهم اختلافات حول تولي القيادة، ثم قتل هناك.

بما أنكم ذهبتم لمُحاربتهم فذلك يعني أنه كانت لهم قوّة ما؟

بالفعل، كان لديهم جيش قويّ ومُسلحّ وله سلاح أمريكي، وكانوا يتسببون في أضرار لجيش التحرير. وقاموا بقتل كثيرين من صفوف الثوّار، فطلبت الولاية السادسة من باقي الولايات أن يدعموها لمُحاربتهم.

ما كان هدفهم، أو هل بقوا محافظين على فكر مصالي الحاج؟

أجل، لقد تمسّكوا بنفس مبادئ مصالي الحاج، وكانوا يُعارضون الثورة ويُحاربوننا، حيث كانوا يحتلّون أراضي على أساس أنهم ثوار وفي الحقيقة كانت لهم اتصالات مع فرنسا.

كانوا يتعاملون مع فرنسا؟

منذ أن بدأوا كان لديهم اتّصالات في الخفاء مع فرنسا.

وهل اشتبكتم مع هؤلاء المصاليين؟

أجل فأوّل اشتباك كان معهم، استشهد لنا مجاهدان اثنان، وكنا قد هجمنا عليهم في مساء السابع والعشرين من فيفري.

وهل وصلتم بعدها إلى جبل تامر؟

قبل ذلك قطعنا السبخة إلى جبل المناعة، ثم، وفي السادس من مارس قمنا بعملية في جبل وجه الباطل، وهو جبل يقع بين بوسعادة والجلفة، دامت من ساعة الفجر الأولى إلى المغرب، واستشهد لنا 7 مناضلين، وفي الليل اتجهنا إلى جبل اللبة ثمّ مساعد، ثمّ تفارقنا، فالسي العربي ذهب ليلتحق بالسي عميروش والحواس، ونحن ذهبنا إلى جبل الزرقة، ومكثنا هناك مدّة، ولو لم نتعطل بيوم كنا سنلتقي هناك في جبل تامر، مع جيشي عميروش والحواس، ولكن المسافة كانت بعيدة، كنا نرى الفوضى والطائرات من بعيد، بالنسبة لفرنسا فقد مكثت هناك يومين، أمّا نحن فوصلنا إلى جبل تامر على الرابعة صباحا ومكثنا 20 يوما.

قلتم أنكم كنتم ترون الفوضى من بعيد، يعني ذلك أنه كانت هُناك تحرّكات غير عادية؟

بالفعل، نحن كنا في جبل الزرقة والذي يُقابل سيدنا الهامل في بوسعادة، كان هناك جبل عالي، وفي إحدى الأيام كان هناك موكب عسكري مار، وأنا بنفسي شاهدته وكان موكبا كبيرا، ولكن في

الغد عاد الموكب، ولم نعلم حينها السبب، فلم أعلم شخصيا إلاّ بعد الاستقلال ما حدث. في إحدى المجلات التي نشرت أقوال جنرالات في تلك المرحلة تحدثوا عن ذلك الموكب، والذي، حسبهم، جاءه أمر بالعودة، والاتجاه إلى جبل تامر، أي كان لديهم معلومة بأنه سيحدث شيء ما.

بما أنكم كنتم شاهدا على تلك الأحداث، ماذا تقولون عن تلك المعركة التي استشهد فيها عميروش، وعما يشاع من أنّ بومدين هو من كان وراء التبليغ عن مكانهم؟

لا، هذا كلام مقاهي، ليس حديث رجل ثوري. لقد قلت لك كيف مر الموكب وعاد، والتصريحات في تلك المجلة لجنرالات، لعل فرنسا كانت تراقب من الطائرات، وتتجسس عبر وسائلها وأجهزة استقبال الإرسال، وحددوا المنطقة، فلا يمكن اتهام الأشخاص، والأسماء هكذا فقط.

وهل عُدتم من الصحراء بعد ذلك؟

أجل، وعندما عدنا كان السي عُمار أُورمضان على رأس "الكوموندو" حتى وصلنا إلى الولاية الرابعة، فحرّر تقريرا عن المُهمّة التي قمنا بها في الولاية السادسة، فتعين على رأس " الكوموندو"، وكنا نعمل في نواحي الورشنيس، حتى السادس من نوفمبر حيث كنا في بني بوعتاب، فدخلنا في اشتباك مع فرنسا، فكانت معركة كبيرة، وفي 21 ديسمبر تحديدا، قمنا بعملية استحوذنا فيها على أسلحة، وكنا في الحدود بين الولاية الخامسة، والولاية الرابعة، حتى آخر سنة 1959، حيث جمعنا السي محمد بونعامة، فتقرر إرسال السي عمار أُورمضان كملازم عسكري للمنطقة الرابعة، أما السي لحسن فهو من صار على رأس "الكوموندو" كما تقرر إرسالنا لانجاز مهمة أخرى حتى وصلنا إلى ولاد بوعشرة، ولكنّ المهمة ألغيت، رغم أننا دخلنا في اشتباك آخر، ثم كان شهر جويلية فقسم السي محمد بونعامة "الكوموندو" إلى مجموعات وأرسل كل مجموعة لتقوية المناطق الأخرى، ثمّ كان علي أن التحق بالمنطقة السادسة، والتي تكونت بعد طلب من الولاية الرابعة من الحكومة المؤقتة، وكان قد جاء ضباط جيش التحرير إلى العاصمة حتى يعززوا النظام.

خاصة بعد ضعف العاصمة؟

فعلا،كان النظام بالعاصمة قد ضعف، وكان لا بدّ من دعمه،

وأنا كنت من المجموعة الأولى التي جاءت إلى العاصمة، والتي كان على رأس المنطقة السادسة محمد بوسماحة، المدعو محمد البرواقية. لكن في الخامس والعشرين من نوفمبر كنا مارّين من بني مسوس نحوالزواوة بالشراقة، فكمنوا لنا هناك، وفي الغد اكتشفوا مخبأنا، فاشتبكنا معهم، واستشهد منا ثلاثة، أمّا أنا واثنان آخران فجُرحنا، وقبض علينا. وقد خضعت لعملية جراحية في شهر ماي ثمّ ذهبوا بي إلى بني مسوس حيث بقيت حوالي أسبوع ثمّ إلى بوقبرين لعدّة أيام، ثم أخذونا إلى بوغار حتى نهاية أفريل حيث أطلق سراحنا بعد وقف إطلاق النار.

أنتم، سيدي، رئيس جمعية 11 ديسمبر 1960، فهلا حدثتمونا عنها؟

الفكرة جاءتنا عندما حاولنا أن نجمع المجاهدين القدامى في جمعية، وكنت أنا وسي خير الدين، وسي محمد زيتوني، فكونا هذه الجمعية، والتي أسسناها سنة 1995، أما الترسيم فكان سنة 1996، وكانت أول ندوة في أكتوبر من نفس السنة، وكانت حول علي لا بوانت وحسيبة بن بوعلي.

ولماذا اخترتم أن تطلقوا عليها اسم مظاهرات 11 ديسمبر 1960؟

محمد زيتوني هو من اقترح التسمية، لأنّ هذه المظاهرات كان لها وزن في الثورة، كما أنها كانت صوتا للشعب الذي انتفض ليقول لفرنسا أننا جزائريون ولسنا فرنسيين.

وما هي أهداف الجمعية؟

هدفنا الأول هو تبليغ التاريخ للأجيال، فالشباب إن لم يكن له شيء يطلع عليه فانه سينشأ جاهلا لتاريخه، فلا بد أن نذكر شهداءنا ونحافظ على بلادنا.

الجمعية لها كتب مطبوعة كذلك؟

أجل، لدينا حوالي الستين كتابا، وكنا ننجزها بعد اللقاءات حول الأحداث والشخصيات كما قلت لك، حيث نجمع أشخاصا عايشوا الحدث، ويدلي كل واحد منهم بشهادته، ثم نجمعها في كتاب.

وكيف يتم التوزيع؟

عادة نوزعها على المدارس، فكما قلت لك هدفنا الأول التوجه إلى الأجيال الصاعدة.

8

حميد دالي

"ياسف سعدي وراء استشهاد لوني ارزقي"[1]

1 نشر بتاريخ 27 جانفي 2011 .

حوارنا هذا الأسبوع مع المُجاهد أحمد دالي، والمدعو حميد دالي. والذي كان ينشط في المنطقة الحرّة من سنة 1954 إلى سنة 1957. ثمّ التحق بجيش التحرير الوطني، بالولاية الرابعة المنطقة الأولى، الناحية الأولى. وكان في أوّل مجموعة مُسلّحة في القصبة. قبل أن يعود ليكون على رأس النظام بالقصبة منذ جانفي من سنة 1962. استضافنا الرجل، وحدّثنا عن نظرته من خلال ما عاشه، والتي تذكّر فيها أحداثا من النضال، قبل اندلاع الثورة بحيّ القصبة الذي كان يسكنه، إذ سبقه والده السيد ارزقي دالي في النضال، حيث كان يأوي في بيته 43 شارع الباب الجديدة بسوسطارة كلا من بلقاسم كريم، وعمر اوعمران. أمّا الابن فقد استقبلنا في بيته بأعالي العاصمة لكي يسرد لنا ما عايشه. ويُعطي لنا شهادة حصريّة حول مُلابسات استشهاد المُجاهد لوني ارزقي الذي تعرّض إلى الخيانة. وحول تشكل أولى مجموعات القصبة. وهي فترة لا يُمكن الإحاطة بتفاصيلها إلاّ بعد الاستماع إلى شهادة السي حميد التي ننقلها لكم في هذا الحوار.

نعلم أنّ حميد دالي التحق بالنضال رغم حداثة سنة، فكيف كان أوّل اتصال بالنظام؟

كنا صغارا. ولم يكن أكبرنا يتجاوز الرابعة عشر، أو الخامسة عشر سنة. كنّا في المدرسة، وكان معنا زميل لنا، اسمه كاب عبد الرحمن، يكبرنا بثلاث سنوات. وحينها كانت فكرة مُحاربة فرنسا قد انتشرت بيننا. فأصبحت أوّزع حينها جريدة كانت ممنوعة تحت عنوان "الجزائر الحرّة" وكان ذلك بين سنة 1953 إلى بداية اندلاع الثورة تقريبا.

هل واصلتم الدراسة بعدها؟

لا، لم أفعل، لقد طُردت.

لماذا؟

بسبب حادثة وقعت لي مع المُدرّسة الفرنسية. حيث كان هناك كتاب قراءة كنا ندرس فيه، ويُسمى "تاريخ فرنسا" ويحكي عن فرنسا وتاريخها وتراثها وغير ذلك. وأوّل ما وقع ذلك الكتاب في يدي مع بداية السنة الدراسية، اصطدمت بصفحة مكتوب عليها عبارة "تحيا فرنسا" فقُمت بتمزيقها على الفور. وخلال السنة الدراسية طلبت مني المُدرّسة الفرنسية أن أقرأ، وصادف دوري الصفحة التي مزّقتها، فقلت لها أنني لا أملك الصفحة، فجاءت لي بكتاب آخر للزميل الذي كان يجلس بجانبي حتى أقرأ تلك العبارة، أي " تحيا فرنسا" لكني لم أشأ أن أفعل، وحتى عندما استدعت زوجها، السيد بيستر، والذي كان مُديرا، طلب مني نفس الشيء، فرفضت. فضربني وطردني من المدرسة نهائيا.

في مظاهرات الثامن من ماي 1945 كان سنّكم لا يتجاوز العشر سنوات، فماذا كان وقعها عليكم؟

كان لها كبير الأثر في الصحوة الوطنية بصفة عامّة. ونحن، ورغم أننا كنا صغارا، إلاّ أننا خرجنا مع المُتظاهرين إلى الشارع، ولم نشأ المكوث في البيت.

ومتى كان الالتحاق الرسمي بصفوف المناضلين؟

كان ذلك في الفاتح من نوفمبر من سنة 1954، جاءني عبد الرحمن كاب، والذي كنت أبيع الجرائد معه، وكان معه العزوزي، وهو أوّل شهيد في القصبة. قال لي أننا سننتقل من بيع الجرائد إلى الحركة المسلحة، فأعطيته مُوافقتي.

وبذلك شكّلتم أوّل مجموعة مُسلحة في القصبة؟

بالفعل، كانت أوّل مجموعة مسلحة تُنفذ عمليات في القصبة. كنا أنا والعزوزي والسعيد الحوات أيضا.

وما هي أوّلى العمليات التي نفذتموها؟

قامت مجموعتنا بعمليات تصفية بعض الخونة وآخرين كانوا يشتغلون مع فرنسا، مثل الحاج لعزيب الذي كان يعمل في المخابرات الفرنسية، اغتاله العزوزي، وكانت أوّل عملية لمجموعتنا. ثمّ كان هناك من وشى ببعض من جماعتنا، فجاءت فرنسا، وقتلت العزوزي، أمّا كاب فقُبض عليه، لكنه لم يشي بي. فانحلّت المجموعة، وبقيت أنا لوحدي.

كنتم مصاليين حينها؟

أجل، كنا حينها كلنا مصاليين.

ومتى كان أوّل اتصال لكم بجبهة التحرير الوطني؟

كان ذلك في سنة 1955، حيث جاءني مصطفى "جيتا" والذي كان يعرفني من قبل، وكان مصاليا هو الآخر. واتّصلت به جبهة التحرير الوطني، فطلب مني أن التحق بهم، ولم أكن قد سمعت بها من قبل. فشرح لي أنّ أغلب المسؤولين الجزائريين قرّروا أن يتّحدوا ويُكوّنوا جبهة التحرير. فصرت أحد أعضاء ثاني مجموعة مُسلحة بالقصبة.

من كان معكم في المجموعة؟

كان هناك في المجموعة مالك بن رابية، المدعو قبايلي، والذي استشهد بعدها، وفرحاوي رشيد المدعو رشيد الراد، وعمار حمية، ورابح قاصف، وأنا. ونحن من بين المجموعات القلائل التي لا يزال أغلب أعضائها على قيد الحياة.

ماذا عن استشهاد مالك بن رابية في عملية "الحصان الأبيض"؟

كان بصدد تنفيذ عملية مع علي "لابوانت" والعماري العربي المدعو "بيطاريس" وهو السائق. حيث ذهبوا جميعهم إلى الأبيار للهجوم على حانة الحصان الأبيض. وقُتل هو دون الآخرين، وبعد ذلك انحلّت المجموعة. وانتقل الإخوان إلى الجبل. وبقيت لوحدي، فطلبت من ياسف سعدي أن يمنحني الإذن بالتنقل. لكنه رفض أن انتقل إلى الجبل، وفضّل أن أبقى للعمل معه في المنطقة الحرّة. فقُمنا بعمليات كثيرة، منها عمليات الملاعب. حيث أعطانا أنا وعلي بوصورة قنبلتين، نقلناهما إلى السعيد تواتي الذي نفّذ عملية الملاعب مع مجموعته. ثمّ ساءت الأوضاع في إضراب الثمانية أيام.

كيف ذلك؟

كان هناك أمر بأن نبقى في مخابئنا، وألاّ نخرج منها، وهو خطأ ارتكبه النظام. فلو أننا خرجنا إلى الشارع، كنا قادرين على الهرب أو التحرك. إذ كانت فرنسا تقبض علينا الواحد تلو الآخر. ثمّ تُعذب المُناضلين، فيهم من استشهد تحت التعذيب، وآخرون لم يحتملوا، فيُقرّون بمخابئنا. وتأتي فرنسا لتقبض علينا مُباشرة.

أي أن إضراب الثمانية أيام كانت له سلبياته؟

كان له ايجابياته بطبيعة الحال. ولكن كانت له سلبياته أيضا. فقد قبض على الكثيرين واستشهد آخرون. كما أنّ هناك من أصبح يعمل مع فرنسا. ومن هؤلاء عمارة عليلو، رغم أنّ أخاه السعيد عمارة استشهد تحت التعذيب، وكوّاس بوعلام كذلك صار يعمل مع فرنسا. وقندريش الذي كان مسؤولا ورئيس منطقة يعمل مع ياسف سعدي، قُبض عليه. ولكن فرنسا أطلقت سراحه لكي تُحوّله إلى عميل لديها. وبذلك استطاعت القبض على ياسف سعدي.

هل صدّقه المُناضلون بسهولة؟

بيطاط حذر منه، ولكن صهره حديدوش، ورمضان عبان وثقوا به. وكانت فرنسا بعدها تضع لمن تقبضُ عليهم أغطية على رؤوسهم، وتتركهم في المقاهي وعند مرور المناضلين يقبضون عليهم.

حسنا بعد نهاية الإضراب كيف عاودتم التنسيق فيما بينكم؟

بعد انتهاء الإضراب صرنا معزولين تماما، وحتى ياسف سعدي اختفى، واختبأ ولم يعد يتحكّم في الوضع، بين من استشهد ومن قُبض عليه، وآخرون بقوا محصورين.

ألم يكن بالإمكان الصعود إلى الجبل للالتحاق بصفوف جيش التحرير هناك؟

من اتجه إلى الجبال ولم يكن يحمل إذنا تمّ إعدامه، هكذا كان النظام. إذا انتقلت دون إذن فذلك يعني أنك مشبوه.

كنتم من بين من قرّر الصعود إلى الجبل؟

أجل، ولكنّ أحداثا كثيرة سبقت صعودي إلى الجبل، وعزّزت قراري بذلك، منها ما وقع للوني ارزقي عندما قبض عليه ووقع في السجن ثم ّطلب أن نمدّه بالسلاح. ولكن ياسف سعدي لم يُوافق، بل أرسل عمارة عليلو ليطرد أخاه لوني الوناس ويُهدده.

قبل هذه النقطة الهامّة، هل كنتم على اتّصال بلوني ارزقي؟

كنت على اتّصال به، وليس بمجموعته. هكذا كان النظام.

وكيف تمّ القبض عليه؟

كان ذلك في ليلة رأس سنة 1956، ذهبوا لإنجاز عملية في

"روفيغو"[1] وعندما هربوا ومن شدّة الارتباك، أخطأ السائق، وعوض أن يتّجه إلى الحكومة العامة[2]، اتجه إلى ساحة الأمير عبد القادر، حاليا. فحُوصروا، وخرج لوني ارزقي فأصيب وقُبض عليه. أمّا احمد بن نبي، المدعو احمد "النفة" فاتّجه إلى "شارع طنجة"[3] وذهب إلى بائع الحلويات، أو "الخفافجي" التونسي، والذي أخفى سلاحه، ومسح عنه أثار الدماء. فجاءني احمد مباشرة، وقصّ عليّ ما حدث، فأخذته إلى المخبأ، ثمّ جاءني علي عمارة، وعُمار الصغير، بأمر من سعدي أن استعيد السلاح وكنت على معرفة ببائع الحلويات[4] فذهبت إليه، وعندما تأكدت من خلو المكان دخلت وبعد أن جلست قليلا، طلبت منه أن يعطيني السلاح فاستغرب للأمر.

لماذا؟

لأنه لم يكن على علم أنني مُجاهد على صغر سني. كما أنه كان على معرفة بوالدي ارزقي، فالناس لم تكن تعلم أنّ الأطفال والمراهقين كذلك كانوا يُشاركون في الثورة وفي حمل السلاح.

لنعد إلى ما وقع للوني ارزقي؟

قُبض عليه، وحكم عليه بالإعدام في سركاجي، فبعث بأخيه الوناس لكي نبعث له قنبلتين يدويتين، ومسدسين إلى سركاجي، وذلك بمساعدة حارس السجن، واسمه مجبر، وهو الجزائري الوحيد في رواق المحكوم عليهم بالإعدام. هذا الأخير الذي طلب أن نُرسله بعد ذلك إلى الجبل مُباشرة، هذا إن عاد أصلا. فشرح لي الوناس الأمر وشرحه لعليلو عمارة، والذي ذهب إلى ياسف سعدي المُختبئ غير بعيد عند جميلة بوحيرد. وعاد بعد قليل ليقول للوناس أنّ عليه أن يرحل، وأن ينسى الأمر نهائيا. بل زاد على ذلك بأن

---

1 ذبيح شر يف حاليا.

2 أي قصر الحكومة حاليا.

3 شارع أحمد الغراب.

4 والد المُتحدث كان لديه كشك لبيع الورود بالقرب منه.

شتمه وطرده، فاحتار الوناس وذهب يبكي، أمّا علي فقد قال لي أن سعدي والذي كنا نلقبه ب" الخو" يأمرني ألاّ أتدخل في أمور مثل هذه، وإلاّ قتلني.

وماذا فعلتم حينها؟

استغربت الأمر، وفكّرت في أنني إن وافقت على مثل هذا التصرف أُصبح خائنا، وقلت ذلك صراحة لعلي، والذي ضربني، لأنه كان يكبرني سنا. فصرت بعدها معزولا، وانقطع الاتصال بيني وبين ياسف سعدي. وبقيت أكثر من شهرين مُطاردا من طرف الفرنسيين.

قبل أن نكمل، لماذا رفض ياسف سعدي أن يُرسل السلاح للوني ارزقي؟

ليس له أي عذر!

ربما هناك أسباب خفيّة؟

ليس هناك شيء. الثورة ليس فيها حسابات. الثورة هي خيار بين الاستشهاد والاستقلال. وليس له الحق أن لا يقبل شيئا كهذا. وحتى عندما تمّ القبض عليه، ورفع يده، رغم أنه كان مُسلحا، ليس له في ذلك عذر. فالثورة هي هكذا تضحية واستشهاد. نحن اخترنا الثورة لنموت، لا لنقوم بحسابات، وهو ليس أحسن من الشهداء الذي كانوا لا يستسلمون حتى الممات. كما أنه بعد إضراب الثمانية أيام اختبأ، ولم يعط التسريحات للمناضلين، وهو أمر غير مقبول.

ربما فعل عمارة عليلو ذلك من نفسه، أي أنّ ياسف سعدي لم يأمره أن يطرد لوني الوناس؟

الأمر ليس بهذه السهولة. لا يُمكن أن يقدم عليلو على فعل كهذا بقرار من نفسه، هذا مُستحيل.

عندما فقدتم الاتصال بياسف سعدي، كيف تحصّلتم على الإذن بالمرور؟

كان ذلك عن طريق عُمار الصغير. حيث ذهب إلى رمّال، أو حاجي عثمان، والذي استشهد بعدها مع ذبيح شريف في معركة واحدة. وهؤلاء حاربوا قبل موتهم إلى أن استشهدوا، وليس مثل آخرين استسلموا دون شيء. ورمال هو الذي أرسل لي الإذن، ورافقني عُمار إلى الشاحنة التي كانت ستذهب إلى "تابلاط"، فحذّرني السائق من أنّ هناك في منطقة الأربعاء دوريات للتفتيش، واحتمال كبير أن يقبضوا علي. وحتى بعدها في المكان المُسمى

"ساكامودي" أو المياه الباردة، هناك خطر كبير. لكنني، مع ذلك، قرّرت الذهاب، فالعاصمة كانت أخطر علي، فذهبنا. وبعدها تمّ إيقافنا. لكنني تظاهرت بالمرض، وبأنني مُعاق حركيا. وعندما نزل جميع الركّاب طلب الشرطي مني النزول، فلم أجبه. فسأل السائق عني فأخبره أني مريض، وفعلت نفس الشيء عندما وصلنا لمعسكر الفرنسيين، وفي منعرجات "تابلاط" فتح السائق الباب ونزلت أركض نحو الجبل، حتى وصلت إلى القرية الأولى، فعثرت على جنود جيش التحرير، سألوني عن وجهتي، فأجبت أني مناضل، وأني أحمل الرخصة. مكثنا حتى المغرب وبعدها اتجهنا إلى "الزبربر" بعدها ذهبت إلى بني خلفون، بين الأخضرية والقادرية. مكثت ستّة أشهر هناك، وعملت كاتبا للسي محفوظ. وفي بداية 1958 حرّر لي إذنا بالذهاب إلى تونس.

ماذا كنتم ستفعلون في تونس؟

في الحقيقة لم أطلب أصلا رخصة للذهاب إلى تونس. جميع المناضلين من العاصمة كانوا يُبعثون إلى تونس، كما لو أنه لم تكن لهم ثقة بنا. فذهبت مع مجموعة ومررنا بسور الغزلان، المسيلة، ثمّ الأوراس، وكان هناك مركز ولاد تبّان، والتقيت برجل أعرفه هو السعيد موسوني. اقترح عليّ أن أبقى معه أسبوعا إلى أن مرّت كتيبة من تونس، وكان بها سعيد حمدين. الذي اقترح عليّ أن أعود معهم إلى الاخضرية، فعدنا. وفي الطريق وقعت ثلاثة اشتباكات مع فرنسا، أولاها في بريكة، بجبل ولاد سلطان، واستشهد منا الكثير. واشتباك ثاني في جبل ولاد حناش. واشتباك آخر في المسيلة في ولاد دراج، جبل الحمراء. ورابع في باب الحديد، بين البويرة وبرج بوعريريج. قبل أن نصل إلى بني خلفون من جديد، والتقي السي محفوظ، الذي طلب مني أن أبقى معه، وفعلت. إلى أن تمّ نقلي إلى بودواو.

لماذا تمّ نقلكم إلى بودواو؟

حدث أن حُوصرنا في ماتوسا، فوق شعبة العناصر، ولكني تخلّصت من الحصار مع جندي آخر، حتى مرّت الدورية. ولكن بقيت سيارة شرطة من نوع "الجيب" أو هكذا حسبت، ولم يكن أمامنا أنا والجندي إلاّ مُواجهتها فاتفقنا على ذلك، ولكن، وقبل مُرورها هرب مُرافقي، وبقيت لوحدي. ثمّ، وعندما اقتربت تبيّن

أنها سيارة مدنيّة، وكان بها عسكريّ فرنسي مع زوجته وأولاده، فأخذت معي العسكري كرهينة. وفي المساء أدان السي محفوظ عملي وقال أنه خارج عن الأوامر بحجّة أنه كان يُمكن أن يُقبض عليّ وأبوح بكل شيء، مع أنني لم أفعل سوى الدفاع عن نفسي، فأمر بقتلي. ولحسن الحظ جاء القائد بوخالفة الذي هرب مع القائد عز الدين عندما كانا في سجن تابلاط، وأمر بأن استعيد سلاحي، وأن أتجه لأكون على رأس القطاع في بودواو. وأنجزنا عمليات فدائية إلى نهاية سنة 1960، حيث أصبت، وفي سنة 1961 عندما شُفيت هربت من عين طاية مُتّجها إلى العاصمة، حيث قتلت عسكريا فرنسيا بالسكين في باب جديد.

ألم يكن هذا خطرا، وهل تلقيتم أوامر بقتله؟

لا، كانت الأمور في سنوات 1961 وبداية 1962 سيّئة للغاية. وقمت بتلك العملية بمُفردي، لكي يقتلوني، كانت أشبه بعملية انتحارية. فعندما يفقد الواحد منا الاتصال، الكلّ يشك فيه، ويتساءلون لماذا عاد من الجبل إلى العاصمة؟ فالصديق يخشى من صديقه خوفا من أن يكون قد صار خائنا. وكوني عُدت من الجبل إلى العاصمة، كان هذا كفيلا بأن يُثير حولي الشُبهات.

وكيف عاودتم الاتّصال بالنظام؟

كان ذلك عن طريق الحاج باحة في القبة، والذي سألني إن كنت على استعداد للعمل فأجبت بالإيجاب فنفّذت عمليّتين، حيث أعطاني قنبلتين يدويّتين، وضعت الأولى بالقرب من جامع كتشاوة، ساحة "لافيجري" سابقا. ووضعت قنبلة في حانة في حي لامارتين، ثمّ انقطع الاتصال مع الحاج باحة، فعرض عليّ النظام الذهاب إلى تونس، فذهبت إلى مرسيليا عند منصورة محمد، وبقيت مُختبئا عنده لمدّة 10 أيام.

عذرا، ولكن كيف استطعتم التنقل إلى فرنسا، وكان من الصعب بمكان أن تنتقلوا دون وثائق؟

لا، كنت قد زوّرت وثائقا تُثبت بأنني مُدرّب رياضي.

كيف ذلك؟

أصدقاء لي زوّروا لي تلك الوثائق.

من هم؟

حميد نعمان، ويمّي يحيى، وعبد القادر غوغريني، هذا الأخير كان يعمل في البلدية، واستطاع أن يُزوّر الوثائق، بالإضافة إلى بطاقة مهنية بأنني مُدرّب. فقد زوّروا لي وثيقة على أنني في عطلة مُتجها إلى فرنسا، وكنت أتنقل بحرية بتلك الوثائق، وحتى عندما ذهبت إلى جونيف بسويسرا استعملتها.

كيف التقيتم بالرائد عز الدين؟

ركبت القطار إلى جونيف، وذهبت إلى الشريف ولد الحسين، الذي كان مُمثل الجزائر في جونيف، بشكل غير رسمي، ولكنه كان يستقبل الجزائريين هناك، ويُرسلهم إلى تونس. وفي نهاية سنة 1961 التقيت بالرائد عز الدين، قصصت عليه ما وقع لي، فقال لي أن لا أذهب إلى تونس، وأنه يحتاج إليّ في الجزائر. فدخلت إلى الجزائر، وصرت على رأس الجزائر الوسطى، وبقيت على رأس القصبة إلى أن دخل بومدين وأصحابه واقترحوا عليّ أن أعمل معهم في القوّات الأمنية، خاصّة وأني كنت أعرف العاصمة وضواحيها، لكني رفضت. على أساس أنّ الشعب هو من كان يحميني، ولا يمكن أن أخونه، بحال من الأحوال.

9

لويزة إغيل أحريز

"ياسف سعدي تعاون مع فرنسا دون أن يتلقى صفعة واحدة"[1]!

1 نشر بتاريخ 5 ماي 2011.

وقفتنا لهذا الأسبوع مع مُجاهدة تنحدر من أسرة مُجاهدة. لم يتجاوز سنّها التاسعة عشر عندما تركت دراستها، وراحت تنشط ضمن فرقة المخابرات، وهي من بين أولى النساء العاملات في المنطقة الحرّة، وكانت تحت إشراف السعيد باكل الذي اختار لها اسم "لويزات". بعد وشاية بها استقرّت في الولاية الرابعة، المنطقة الثانية، وكانت تُسعف المجاهدين المصابين، بعدما تحوّل اسمها الثوري من لويزات إلى ليلى، وفي ليلة التاسع والعشرين من سبتمبر 1957، حاصر جيش الاستعمار المنطقة، وبعد اشتباك في الشبلي تلقت فيه مُناضلتنا خمسة طلقات نارية، تمّ القبض عليها، فنُقلت إلى الفرقة العاشرة للمظلّيين ببارادو، بحيدرة، وهناك تعرّضت إلى الاستنطاق الوحشي، ولم تنج حتى من الاغتصاب. تمّت مُحاكمتها في 22 ديسمبر، لتُوضع في سجون بربروس والحراش ولاروكات ولابومات وبوردو، وغيرها، وتبقى تحت الإقامة الجبرية في أجاكسيو، وباستيا. لكنّ نضالها لم يتوقف عند هذا، وهي التي لا تزال تكافح من أجل أن تعترف فرنسا بجرائمها في الجزائر، وفي سنة 2000 أصدرت كتاب "جزائرية" فتحت فيه ملف المغتصبات، ليُحاكم بعدها بعض المُجرمين ممن حسبوا أنهم فرّوا من العقاب. استقبلنا المجاهدة، وكان لنا معها هذا الحوار.

أقامت بعض الجمعيات الفرنسية قبل أيام حفلا في مدينة نيس على "شرف" ضباط المنظمة الدموية المسلحة، برأيك، هل تندرج هذه الخطوة ضمن سياسة فرنسا في تمجيد استعمارها؟

إنهم لن يتوقّفوا عن مثل هذه الأفعال، فهم سيبقون يُمجّدون استعمارهم ما لم نتحرّك، وسيفعلون اليوم وغدا، والجزائر لا تزال صامتة. الجرائم التي ارتكبوها في الجزائر لم تقع في أيّ بلد آخر، وهي من أقرف الجرائم في حقّ الإنسانية جمعاء.

هل ترين أنّ هناك من يقف في وجه تجريم الاستعمار؟

لم أفهم لماذا رفض البرلمان تمرير قانون تجريم الاستعمار، واليوم كيف نسكت عن الأمر وفرنسا تُشجّع ضُبّاطها الدمويين! من كان عريفا صار مُلازما، واليوم أصبحوا كُلّهم، تقريبا، جنرالات، رغم أنّ ماضيهم أسود ودموي، ولكنهم يُشجّعونهم ويُقلدونهم الأوسمة، حتى بعد مماتهم، والجزائر لا تقول شيئا!

حتى الرابطة الفرنسية لحقوق الإنسان استنكرت تلك المبادرة، فيما بقيت الأسرة الثورية صامتة، لماذا!؟

لا أدري، فعلا على المجاهدين أن يُطالبوا فرنسا بأن تعتذر وتعترف بجرائمها، أنا مثلك أطرح عليهم السؤال، لم لا يفعلون؟! هل هم مُوافقون على ما فعلته بهم فرنسا؟ بعدما حدث ما حدث، أطرح هذه الأسئلة التي لم أجد لها جوابا. ومن لم يرد أن يطالب بالاعتراف لا بد ألاّ يتحدث باسم الغير.

تقصدين ياسف سعدي؟

هو وغيره، ممن يقفون في وجه المُطالبة بالاعتذار الرسمي. أنا لويزة أطالب فرنسا اليوم قبل غدٍ بأن تعترف بكلّ ما اقترفته بحقّ الجزائريين، وضدّ نساء الجزائر ورجالها. أطلب اعتذارا رسميا. كما يقول المثل: "لا يُحسّ بالجمرة إلاّ من اكتوى بنارها" لماذا فرنسا منحت اعتذارا لليهود، ولكثير من البلدان، وبلدان أخرى كثيرة طلبت الاعتذار من أخرى اقترفت في حقّها جرائم، فلماذا نحن لا؟ حتى ساركوزي في خطوته الأولى في مطار هواري بومدين، يقول أنه لم يأت للاعتذار، وهي إهانة للجزائريين. في معركة شبلي، كنا خمسة، واتفقنا على أن نُسلم الرسالة، وهو ما قاله المجاهد الذي سقط أمامي شهيدا، وهو ما أحاول فعله، وسأبقى إلى أن تعترف فرنسا.

بماذا تردّين على تهجّم ياسف سعدي الذي وصفك بـ"الكاذبة" وقال أنك لم تُشارك في ثورة التحرير؟

لا يُمكن لسعدي أن يتحدّث عن مُساهمتي في ثورة التحرير. هناك عسكريون كانوا في فرقة المظليين العاشرة، ويذكرونني في كتبهم، كتابان لـ"فلورونس بوجي" و"ريمون كلوارات" يتحدّثان عن تعذيبي، والجحيم الذي عانيته من طرف فرقة المظليين

العاشرة. أمّا بالنسبة لثورتي فهناك سعيد باكال الذي كان رئيسي، وليس سعدي، وهناك قصير محمد من المنطقة، وهناك معركة شبلي، وكلّ شبلي تشهد لي أين كنت، وكيف أصابوني بالمدفع الرشاش وألقوا عليّ القبض، وكيف تمّ تعذيبي شهرين ونصف في بارادومن طرف الفرقة العاشرة، وبالإضافة إلى ذلك سُجنت في بارباروس، والحراش، "بومات" و"لاروكات" و"بوردو" وغيرها، ثمّ نقلت إلى الإقامة الجبرية في أجاكسيووكورتي، وباستيا.

ما الذي يجعل سعدي إذا يقول ما قاله عنك؟

ياسف سعدي مُباشرة بعد الاستقلال كان يريد الزواج بأختي، وقد رفض والدي الأمر لأنه قال أنه لن يوافق على زواج ابنته بخائن للثورة، لكن أختي ارتبطت به لمدة وجيزة، وحملت منه، ثمّ انفصلت عنه، وأجهضت ابنها خوفا من والدي، وهو الأمر الذي اعتبره سعدي إهانة، وهو يسعى للانتقام من عائلتنا بأيّة طريقة، حتى لو كان ذلك بأساليب دنيئة.

وهل الخلاف حول الاعتذار من خلفيات هذا التهجم؟

أجل، هو المُحرّك الأوّل، هو لا يُريد اعترافا، أمّا أنا فأريده، وهو السبب الذي جعله يُهاجمني، وأقول لك أنّ "غرازياني" عندما كان يُعذّبني في الفرقة العاشرة قال لي أنت تُناضلين فيما أنّ غيرك اعترف بمالم نطلبه منه.

مثل من؟

ياسف سعدي طبعا.

هل كان لوحده؟

أراني "غرازياني" صور زهرة ظريف، وياسف سعدي، هذا الأخير الذي كان على الطاولة يكتب أسماء رفقائه، وأقول لك أنه لم يتمّ تعذيبه تماما، ولم يتلق حتى صفعة واحدة. من المؤسف أن يقول هذا، ثمّ إنه ليس لديّ أيّ ثقة في نضاله.

هل تقصدين أنّ ما ذكره الضابط الفرنسي "أوساريس" من أمر وشاية سعدي بعلي لابوانت وحسيبة بن بوعلي صحيح؟

لا أستطيع أن أجزم في شيء كهذا، فأنا لم أكن حاضرة، ولكن أشخاصا كثر قالوا هذا، وأدلوا به في شهاداتهم، ضباط ومجاهدون

أكدوا الأمر، لكني أحسب أنّ "الزهايمر" قد أصاب سعدي ليدلي ببعض التصريحات الغريبة.

كيف ستردين عليه؟

لقد اتصلت بالمحامي، وسيقوم بمقاضاته.

على ذكر التصريحات، هل تعتقدين أنه لا بدّ على المجاهدين أن يدلوا بشهاداتهم، أو بكلّ شهاداتهم عمّا وقع خلال الثورة؟

أجل بالطبع، لا بدّ من ذلك، لا بد أن نقول كلّ شيء، ولا نخفي على الأجيال القادمة أيّ شيء، فهو واقع.

البعض يقول أنه لم يحن الوقت بعد، والدليل أنّ بعض الشهادات أثارت ضجّة كبيرة، رغم أنّ بعضها واقع؟

فلتثر ضجّة، إلى متى نبقى صامتين؟ نحن بحاجة إلى معرفة تاريخنا كله، وليس ناقصا، والشباب بحاجة أكثر إلى ذلك، أظن أنّه علينا أن نتحدث عن كلّ شيء، وأولادنا لا بدّ أن يعرفوا ما حدث، ليست هناك ثورة بدون أخطاء.

هل قلت كلّ شيء؟

عند اندلاع الثورة كان عمري 18 سنة، وأحسب أنني قمت بواجبي، ولكن لا بدّ أن نستمر، وهذا بأن نكشف للأجيال كلّ ما فعلته بنا فرنسا المجرمة، ما كنت أخفيه تحدثت عنه بصراحة... عمّا سكت عنه رجال ونساء.

...تقصدين حوادث الاغتصاب؟

أجل... للأسف فإنّ المجتمع لا يتقبل أن تتحدث المرأة عن أمر يُعتبر من "الطابوهات" لست وحدي من تعرضت للتعذيب، هن كثيرات آثرنّ الصمت، ولا أدري لم لا يتقبل المجتمع الخوض في وقائع من التاريخ ؟! العار أن نخفي التاريخ لا أن نكشفه.

هل عارضت أسرتك الأمر وأنت تُدلين بتصريحاتك لأوّل مرّة؟

أجل المجتمع لا يزال يعاني من العقد، منذ أن أدليت بشهادتي لم يتقبل البعض ذلك، ومنهم أولادي، عاتبوني لأني فعلت.

هل توجهين لهم اللوم؟

لا، المجتمع هو المُلام، عندما طلبت من نساء تعرضنّ إلى مثل ما تعرضت له أن يشهدوا هنّ كذلك، وافقن في أوّل الأمر، ثم

تراجعن بحجة أنّ لديهنّ أولادا وأزواجا، وبقيت لوحدي.

هل شعرت بالندم على تلك التصريحات؟

لا، هو واقع، وجريمة قاموا بها، كنا في ثورة، واليوم لا بدّ أن نتحدث.

في كتابك "جزائرية" قلت أنّ اعترافك لم يأت بدافع الكراهية أو الحقد، فالذكريات شيء يثقل حمله"...

...أجل، أنا لست حاقدة، فقط أريد اعترافا من فرنسا بجرائمها، وهذا من حقي، وعدا ذلك فأنا مع صداقة الشعوب.

...أي أنك ستطوين الصفحة إذا ما قدمت فرنسا اعترافا؟

أجل، سأفعل، فخلال فترة الاستعمار كان هناك فرنسيون أيضا تعذبوا، أنا ضدّ الحكومة الفرنسية، ولكن في عهد الاستعمار.

بحسب وزير خارجية فرنسا السابق برنارد كوشنير قال أنّ ما يُعرقل الصلح بين البلدين هو جيل الثورة، وأنّ رحيله سيمهد لطيّ الصفحة بين البلدين، فهل ترين الأمر كذلك؟

أسألك نفس السؤال يا مصطفى... أنت من تجيب على هذا(تقصد الشباب) لكن أقول لك أنّ الشباب الذين التقيتهم، يؤكدون لي على أنهم سيكملون المسيرة. الجزائريون ليسوا المجاهدين فقط، بل نحن أكثر من 35 مليون، وهي قضية وطن.

قلت سابقا أنّ فرنسا لن تستطيع أن تكذب على العالم لوقت أطول، ثمّ قلت أنّ علينا أن نكتب تاريخنا حتى لا نجد أنفسنا يوما ما شعبا بلا تاريخ! فهل تعتقدين أنّ فرنسا يمكنها تزوير التاريخ؟

فرنسا لا تستطيع التزوير، وسيأتي حتما الوقت الذي لا بدّ أن تعترف فيه بجريمتها.

في الثورة التحريرية كنت تحملين قضية أمّة في حربك ضدّ المستعمر، فهل تشعرين أنك وحيدة اليوم في حربك لنيل الاعتراف؟

(تفكر قليلا) ...في البداية أجل، قالوا لي ما الذي ينقصك لكي تتحدثين عن هذا؟ حتى أنني تألمت كثيرا ومرضت، ولكنني لم أفشل، صمّمت على المواصلة، رغم أنهم لم يُموّلوني حتى أقاضي هؤلاء المجرمين.

من تقصدين بـ"هم"؟

السلطة لم تُساعدني.

ومن ساعدك؟

خواص من فعلوا، لكي أذهب إلى باريس، ساعدني ربراب، حداد، عمار رمضان، وبوشناف، وغيرهم، أعانوني ماديا، وساعدني كذلك بعض الصحفيين والمجاهدين، ولكن السلطات لم تساعدني في شيء، لكن ما لا أنساه، وما يبعث فيّ الأمل ويفرحني معنويا، هم الشباب الذين لم ينسوني فما إن يروني يسلمون علي، لهذا أستطيع أن أجيب على "كوشنير" وأقول أنّ لديّ أمل كبير في الجيل الجديد.

هل ستواصلين مقاضاة من قاموا بتعذيبك؟

أجل سأفعل.

لم لم تفعلي أمام المحكمة الدولية؟

أردت فعلا أن أفعل، وأن أقاضي هؤلاء المجرمين، ولكنّ الجزائر لم تصادق على اتفاقية روما.

لماذا في نظرك؟

لا أدري وأنا انتظر أن تفعل.

أنت التي عشت واحدة من أجمل الثورات في العصر الحديث، إن لم تكن الأجمل، كيف ترين ما يعيشه العالم العربي من ثورات اليوم، وهل تعتبرينها كذلك؟

بالنسبة لتونس ومصر، كنت تابعتها منذ بدايتها، تحلى هؤلاء الشباب بشجاعة كبيرة، ولكن لا بدّ من وقت حتى تستقيم الأمور، خاصّة وأنّ هؤلاء الديكتاتورات تركوا زبانيتهم، مثلما كان حالنا، حيث قال ديغول أنه بعد عشرين سنة سيحصل على الجزائر بدون سلاح، ففرنسا تركت زبانيتها قبل أن ترحل.

يعني أننا لم نحصل على استقلالنا بعد؟

بالطبع لا، لم نحصل عليه مائة بالمائة، نحن حاربنا، وحصلنا على التراب والعلم والبترول، والباقي عليكم، نحن حاربنا من أجل الحرّية، ولا بدّ على الشباب أن يُكمل الباقي اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا.

حسنا، وبالنسبة للوضع في ليبيا، كيف ترينه؟

القذافي هو جارنا، واعتدنا على جنونه، صحيح أنه لا بد أن

يرحل بأسرع وقت حتى لا تُراق الدماء، وهناك المجموعة الإفريقية تُحاول أن تبحث عن حلّ ما، ونرجو أن تصل إليه، ولكن لابدّ أن نقول لا للتدخل الأجنبي، خاصّة إن كانت هناك نيّة في التوّسع مستقبلا.

هل ستواصلين كتابة شهادتك بعد كتابك "جزائرية"؟

أجل سأحكي كلّ ما وقع لي، خاصّة بعد التصريحات التي أدليت بها، وما رافق ذلك من ردود فعل، وسأنطلق من الحوارات واللقاءات التي أنجزتها.

هذا الأسبوع تحلّ علينا ذكرى مجازر الثامن من ماي 1945، ماذا تقولين عنها؟

كانت بداية حرب أوّل نوفمبر، لأنه ابتداء من ذلك التاريخ، أي بعد أن سقط شهداء، أقسم رجال وراحوا يخططون بشكل جديّ وواقعي، وأقول أنّ الثامن ماي هي بداية ثورة نوفمبر، وجعلتنا نعي وضعنا، وأنه لا بديل عن السلاح لمواجهة المستعمر الغاشم، فالضحايا الذين سقطوا هم أو ل شهداء الثورة.

هل من إضافة سيدتي؟

أتمنى أن تكون شبيبتنا واعية وجد حذرة...

10

عمر مداحي

"لهذا كانت تقع التصفيات الجسديّة خلال الثورة!" [1]

1 نشر بتاريخ 26 ماي 2011.

استضفنا في عدد هذا الأسبوع رجلا مُجاهدا، ومن أسرة ثورية كذلك، رافق جدّه الأوّل ثورة الشيخ المقراني، وجدّه الثاني ثورة الشيخ بوعمامة، وكان والده مناضلا في حزب الشعب، أمّا هو فكان من الطلبة الذين يلتحقون بصفوف الثوار في التاسع عشر من ماي من سنة 1956. عمل في المنطقة الأولى، للولاية الرابعة، وجرّب عذابات السجون، بين سركاجي، والحراش، والبرواقية، وقصّ لنا ما عاشه في تلك السنين، وما عاناه في المنطقة الممنوعة، وما علمه من أسرار تلك المرحلة، هو الذي حرر مئات الوثائق وتعرض لكثير من الحقائق المتعلقة بالثورة والثوّار، وثائق احتفظت ببعضها فرنسا مع ما أخذته من أرشيف، وحقائق طُمست بعضها، وزُيفت أخرى، كلّ هذا تحدثنا عنه في حوار مطول مع المجاهد عمر مداحي، المدعو عمار، والمولود في الثاني عشر من شهر جويلية من سنة 1939 بالجباحية، وترعرع بالحراش، والتي كان له فيها أوّل اتصال بالجبهة، لينطلق في نضاله ضدّ المستعمر.

نعلم سيدي أنكم مناضل، ولكن أيضا من أسرة مناضلة، فهلا حدثتنا عن ذلك؟

أجل، جدي الأوّل كان مناضلا مع الشيخ المقراني، هذا الأخير جاء من زاويته من القبائل الصغرى، ومرّ بالبويرة، حيث كانت أسرتي، وتحديدا في جبال جرجرة، وفي ولاد العزيز، فرافقه سبعة إخوة من عائلتي، وحاربوا معه، واستشهد ثلاثة منهم، وقبض على أحدهم في إحدى المعارك التي وقعت في نواحي عين بسام.

المعركة التي استشهد فيها الشيخ المقراني كذلك؟

أجل، وجدّ أبي صار شيخ جماعة، وعندما مات، خلفه ابنه، أي جدي، أمّا أبي فحارب مع الحلفاء ضدّ ألمانيا في الحرب العالمية الثانية، وبما أنه كان مشبوها لدى الفرنسيين، فقد أوقف عن العمل، فقدم إلى العاصمة، وكان مع حزب الشعب، ثمّ حركة انتصار الحريات الديمقراطية. كان شخصا مثقفا، وكان له وعي سياسي،

وكان يحدثني في أمور كثيرة.

ولقد نقل إليك ذلك الوعي؟

أجل، عوامل كثيرة ساهمت في نمو فكرنا النضالي، أمّا أنا فكنت في ثانوية الحراش، حيث كان نصفنا جزائريا والنصف الآخر فرنسيا، أي كنا نمثل، نحن الجزائريون، نسبة خمسين بالمائة من مجموع التلاميذ...

(نقاطعه قائلين) هل هذه النسبة تدلّ على أنّ فرنسا كانت تمنح الجزائريين نفس فرص التعليم مع الفرنسيين؟

لا، ذلك كان استثناء، كانت ثانوية الحراش الوحيدة التي فيها تلك النسبة المرتفعة من الجزائريين، أمّا باقي الثانويات، مثل "بيجو" أو الأمير عبد القادر حاليا، بباب الواد، أو ثانوية بن عكنون، أي المقراني حاليا، فكانت النسبة بها قليلة، أولاد الفقراء كانوا في الحراش.

ألم يخلق ذلك مُشاحنات بين التلاميذ... أي بين فرنسيين وجزائريين؟

أجل، ولكن ازدادت بعد قيام ثورة التحرير في الفاتح من نوفمبر من سنة 1954، حتى أننا كنا نُقاطع هؤلاء الفرنسيين أحيانا، وراحت تتوسع الهوّة بيننا.

فلم يكن النداء لإضراب التاسع عشر من ماي 1956 إلاّ القطرة التي أفاضت الكأس؟

قبل ذلك كان هناك إضراب سنة 1955.

ماذا كانت أهدافه؟

قبل تلك السنة كان التلاميذ الداخليون يسهرون في ليالي رمضان حتى الساعة منتصف الليل، ثمّ قررت الإدارة أنّ تمنعهم من السهر، ويدخل التلاميذ إلى مراقدهم على الساعة الثامنة مساء، وهو ما دفعهم إلى قرار الإضراب في صباح أوّل ماي 1955.

كان إضرابا خاصّا بالتلاميذ الداخليين إذا؟

لا، أضرب كلّ التلاميذ الجزائريين، أو أغلبهم، وجاء المراقب العام على الساعة الحادية عشر، واستغرب للأمر فحتى الخارجيين، ومنهم أنا، أضربوا، وعندما سألونا قلنا أننا اتحدنا مع إخواننا الجزائريين، وكان ذلك أوّل إضراب لتلاميذ الثانوية التي كنت بها.

فكيف كان اتصال النظام بكم؟

اتصل المسؤولون في الثورة بالتلاميذ الخارجيين، مثلي، وكان القرار أن نكون حركة هدفها توزيع المناشير كما نجمع من خلال تلك الحركة الأموال والإعانات، فأنجزنا الفوج الأوّل التابع لجبهة التحرير الوطني للحراش في الثانوية، ومؤسسيها كانوا: عبد الرحمن شرقو، عبد الحميد طرفة، والبشير حميدوش، وأنا. كنا على اتصال مع التلاميذ الداخليين، وكنا نساهم بما نقدر عليه، وحتى معنويا كان ذلك يزيدنا شعورا بروح الوطنية والنضال، وفي سنة 1956 صرنا أكثر وعيا وعزما، ثمّ حدث أن نظّمنا في الثالث عشر من شهر ماي 1956 نحن جمعية الشبّان المسلمين الجزائريين، والإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين رحلة إلى سيدي فرج، وهناك جاء عمارة رشيد باسم جبهة التحرير الوطني، كان قد أرسله رمضان عبان، وكان هناك جماعة العاصمة مثل لعيد لشقر، عبد الرحمن بن حميدة، لمين خان، محمد الصديق بن يحيى، حضروا كلهم، وبين من كان مع الإضراب ومن كان ضدّه، وبين من اختلفوا حول تاريخ تنفيذه، جاء القرار الأخير بأن يكون هناك إضراب، ولكن دون تحديد اليوم، وجئنا من سيدي فرج نغني نشيد "من جبالنا طلع صوت الاحرار" ثم تفارقنا.

أي أنكم كنتم متحمسين للإضراب؟

فكرنا في أنّ دراستنا لن تمنحنا إلاّ شهادات ورقية، فماذا سنفعل بها في المستقبل؟ وماذا نؤطر عدا الدمار والموتى؟ والشهادة الجامعية لا تنفع الشهيد في شيء.

أود أن أعود بكم إلى الوراء قليلا... بما أنكم من أسرة مناضلة، ألم يدفعكم أحد أفرادها يوما إلى التفكير في الالتحاق بالثوّار قبل ذلك؟

لا، لم يفعلوا.

لماذا؟

كانوا يتركون لي حرّية الاختيار، وخاصّة في مسألة مصيرية كهذه.

وعندما علموا بأمر التحاقك بالجبهة؟

قالوا لي أني حرّ في اختياري، وأنني أتحمل المسؤولية كاملة، وبتعبير آخر رحبوا بالأمر.

فكان قرارا شخصيا؟

بدعم وتشجيع الأسرة، ما كنت أخشاه أن يؤذوا والدي، فعندما يفعل الواحد منا شيئا، تنتقم فرنسا من أهله.

أعود إلى الإضراب، هل كان التحاق الطلبة بصفوف الجيش في التاسع عشر من ماي فقط؟

لا، كان قبل ذلك التاريخ وبعده، ولكن في ذلك التاريخ كان إضرابا عاما، وكانت ضربة قويّة لفرنسا، وإثباتا للعالم أنّ ما يحدث في الجزائر هو ثورة بأتمّ معنى الكلمة، ثورة يحملها الشعب والمثقفون.

هناك من يقول أنّ العاصمة شاركت لوحدها في التاسع عشر من ماي 1956، هل هذا صحيح؟

العاصمة هي من قامت بالإضراب في التاسع عشر من ماي، أمّا الآخرون فقد التحقوا بنا فيما بعد.

لماذا؟

لا أدري إن كانوا على علم، ولم يلبوا النداء، أو أنهم لم يسمعوا أصلا، ففي الغرب، مثلا، أضرب البعض أسبوعا بعد ذلك التاريخ، ولكن عادوا في أكتوبر إلى مقاعد الدراسة، وبعضهم اجتاز امتحان الباكالوريا، ولكنّ العاصمة هي التي انتشر فيها الإضراب بشكل كبير، والذي كان وراءه الاتحاد العام للطلبة الجزائريين، ومعهم جمعية الشبان المُسلمين الجزائريين.

من أنشأ الاتحاد العام للطلبة الجزائريين؟

كوّنها رمضان عبان وعمارة رشيد، أي جبهة التحرير الوطني، وفي شهر جويلية 1955 تكوّن اتحاد التجار، ثم النقابات بعد ذلك.

التحقتم أنتم الثانويون بالإضراب أكثر من الطلبة الجامعيين؟

أجل، جامعة الجزائر لم يكن يدرس بها إلاّ مائة وخمسون جزائريا، ولو بقى الطلبة لوحدهم لما كان للإضراب وقع كبير، ونحن في ثانوية الحراش كنا 250 تلميذا، ولولا تلاميذ الثانويات لما نجح الإضراب.

حينا كيف تمّ إعلامكم بتاريخ الإضراب؟

اتصل النظام بالجماعة المسؤولة صباح التاسع عشر من ماي،

وقالوا لنا أنّ الإضراب اليوم.

ألم تكونوا على علم بذلك التاريخ من قبل؟

لا، علمنا به في صباح ذلك اليوم، اتصلت جماعة الطلبة بالمسؤول علينا، نحن الثانويين، آنذاك، وهو ميلي محمد، وحدّدوا الإضراب على الساعة العاشرة، حيث اتفقنا مع الحارس، ودفعنا له أموالا على أن يدع أبواب المراقد مفتوحة، وفي ربع ساعة، تقريبا، كان جميع التلاميذ قد خرجوا، وعندما جاء المدير تحدث معه ثلاثة منا قالوا نحن جزائريين وجاءنا أمر من عند جبهة التحرير الوطني، والسلام، وعندما وصلت قوّات الأمن، كانت الأغلبية قد غادرت، ومن ثمّ اتصل كلّ منا بالنظام.

ألم تلتحقوا بالثوّار جماعيا؟

لا، ذهبنا فُرادى، كلّ واحد عاد إلى حيّه أو قريته وبدأ نضاله، وبالنسبة لثانوية الحراش، منهم حوالي 25 التحقوا بالجبال، وصاروا جنودا لجيش التحرير الوطني، ثم أصبحوا إطارات بعدها، ولكن، ولأنّ الطلبة والتلاميذ كانوا كثر، لم يستطع الجيش التكفل بهم جميعا، فضاعوا.

كيف ضاعوا؟

لم يُواصلوا دراستهم، ولم يلتحقوا بالجيش، وكان من الصعب أن يعملوا كفدائيين في المدن، خاصّة وأنهم معروفون، وسيتم القبض عليهم بسهولة.

لم يكن لهم تصريح بالمرور ليلتحقوا بالجيش؟

ليس هذا، جيش التحرير لم تكن لديه الإمكانيات الكافية للتكفل بهم.

فكيف فعلتم أنتم؟

ما سهل عليّ الوضع أنّ عائلتي كانت مجاهدة، أربعة من أقاربي كانوا في الجيش، أحدهم التحق بالثوّار في أوّل نوفمبر، وبعدها لحق به الآخرون. كما أنّ السي محمد بوقرة حينها كان نائبا لأوعمران، وكان في ناحيتنا، في المنطقة الأولى، للولاية الرابعة، هذا قبل المؤتمر، وكان لديه مخبأ عند عمتي، وزوجها مجاهد، أي صار سي محمد يعرفنا جيدا، ولهذا لم أجد صعوبة في الاتصال بالجيش.

ماذا كان دوركم، أنتم الطلبة؟

نحن الطلبة الذين درسنا، كانوا يكلفوننا بمهمة "السكرتير" وكانت كلّ أسرار الثورة تمرّ تحت أيدينا.

أي أنه لم تكن تُوكل إليكم المهام العسكرية؟

ليس بالضرورة، بيننا من تحوّل إلى إطار، مثل الشهيد محمد بوخالفة، الذي كان يدرس معنا، وصار ملازم منطقة، هو ابن تابلاط. لكن عندما التحقنا بالجيش لم نكن متمرسين، لا عسكريا، ولا سياسيا، وكنا صغارا كذلك، أنا كنت في السابع عشر من العمر، أمّا عبد الرحمن شرقو18 سنة، مثل صالحي إبراهيم، في البداية تبقى مدنيا، وبعدها تعتاد على حياة الجبال والمجاهدين، وتتكون في نفس الوقت، وعندما تصبح جنديا فتصل إلى الكتيبة، كثرتنا كنا كتابا لأننا كنا ندرس، تدربنا معهم، سي محمد والمسؤولين وثقوا في الشباب، وربّوهم، المسؤول كان أميا، ويمضي على كلّ ما أقوله له لقد كانت لديه الثقة التامّة فينا، ورغم أنه أمي إلاّ أنه كان يتميز بكفاءات وميزات لا تتوفر حتى عند بعض المثقفين.

ألم يحدث شرخ بينكم، أنتم المثقفون، وبين المجاهدين الآخرين الذين لم يحظوا بمثل ما حظيتم به من التعلّم؟

هناك مرحلتان، الأولى قبل مؤتمر الصومام، والثانية بعده. في البداية لم يكن الجيش مُنظما، ثمّ أصبح قويّا، وتمّ إحضار السلاح، وأقول لك أنّ المُجاهدين والقادة كانوا يثقون فينا ثقة عمياء، أو شبه ذلك، بل أذهب إلى أبعد فأقول أنّ خصوصية الولاية الرابعة وسرّ نجاحها، هو أنّ قادتها وثقوا في الشباب، وخاصّة منهم التلاميذ والمثقفين.

ألم يكن ذلك حال الولايات الأخرى؟

لم نسمع بأنّ هناك كثيرا من الطلبة في الولايات الأخرى، وأتحدث مثلا عن الولاية الثالثة المجاورة، لم يكن هناك الكثير منهم، ولم يتقلدوا مناصب، حتى أننا كنا نُعامل معاملة خاصّة، مثل السي سليمان، رحمه الله، كان مسؤول ناحية، أي عسكري سياسي في الناحية، عندما نمر عبر واد، مثلا، يأمر أحد الجنود بأن يحملني على ظهره حتى لا أتبلل، ويقول له أنني، وآخرون مثلي ممن درسوا، أننا إطارات الوطن المستقبليين، وحاملو راياتها.

ما هي المعارك التي عشتها في تلك الفترة؟

عشنا معارك، منها ما بقيت في التاريخ، مثل معركة سيدي مخلوف التي قامت بها الكتيبة السليمانية للسي رابح، رحمه الله، ونجحت، حتى أنّ أحدنا أسقط طائرة فرنسية، بقيت آثارها حتى فترة ما بعد الاستقلال، كما كانت هناك كمائن للعدو، خاصّة في البداية، حيث كانت العمليات صغيرة، وليست كبيرة، هجمات على الثكنات، إحراق ممتلكات المعمرين، أمّا نحن فكنا للتسيير.

أين كنتم تنشطون؟

كنت في الجباحية، بين الأخضرية والبويرة وعين بسام، بعد مؤتمر الصومام أصبحت الولاية الرابعة، المنطقة الأولى، الناحية الرابعة، سنة 1956 كان الجيش قويا، كما لو كان استقلالا وكان الشعب يساندنا، وبعد إضراب 1957، إضراب الثمانية أيام، صعد الشعب من المدن فقوي الجيش، ثم بدأ يتراجع.

لماذا؟

الإمكانيات أصبحت قليلة، كانت فرنسا قد بدأت تسترجع أنفاسها وجاءت بالسلاح، فرنسا عذبت وقتلت، ثم وضعت الشعب في محتشدات مسيجة بالأسلاك الشائكة، والشعب من الفقر والتعذيب، صار يشي ببعضه البعض، وزرعت الشك بينهم، فانقطع كلّ شيء، وخاصّة الاتصال، وفي ناحيتنا من بقي يعمل وينسق ويفعل، تقريبا، كلّ شيء هنّ النساء. المرأة الجزائرية احتضنت الثورة بكلّ ما تملك من قوّة، كانت مكلفة بالاتصالات، والمخابئ، وقد لعبت دورا كبيرا، وخاصّة في الفترة الأخيرة من الثورة، وهذا ما أهملنا الحديث عنه نوعا ما، ولولم تكن هناك النساء، ربما لم نكن لننال استقلالنا، وبقين يعملنّ حتى الدقيقة الأخيرة، ولم يتوقفنّ أبدا، أمّا الجيش فكان قد انهار، أو كاد.

وفي نفس السنة تمّ القبض عليك؟

أجل، أنا قبض علي في شهر ديسمبر من سنة 1957.

كيف حدث ذلك؟

عبر وشاية.

ممن؟

لم يكن الأمر متعمدا، قبض على أحدهم فاعترف. كنا أربعة،

دخلنا سجن سركاجي، وتعرضنا للتعذيب، ثمّ الحرّاش، ومن ثمّ البرواقية، ومكثت أربع سنوات في السجن، من ديسمبر 1957 حتى ديسمبر 1961، وعندما بدأت المفاوضات، ديغول أطلق بعض المساجين ووضعهم في الإقامة، بدأ بصغار السن والشيوخ، ولأني كنت صغيرا تمّ إطلاق سراحي.

وبعدها عدت إلى الجيش؟

أجل عدت إلى الجباحية، كان النظام قد تغيّر، ولم تُصبح الناحية الرابعة، ولكن الناحية الأولى، للمنطقة الأولى.

قلت أنّ التقارير المهمّة والسرية كلها كانت تمرّ على أيديكم...

ما كان يحدث في القسم كنت أكتبه وأترجمه، وهناك أيضا تقارير شهرية، في كلّ ميدان: الأخبار، الحالات الاجتماعية، الاتصال بالجيش وبين الجنود...

...وبين القادة

أجل، أيضا بين القادة.

وكانت هناك رسائل التصفيات أيضا؟

بكلّ صراحة أقول لك حتى سنة سبعة وخمسين تسعمائة وألف، تاريخ القبض عليّ، لم تكن هناك صراعات، وسأقول لك ما سبب التصفيات الجسدية التي كانت تقع، نحن لم يكن لدينا سجون، فأيّ شخص مشكوك فيه تتم تصفيته، لأنه لم نكن نستطيع محاكمته أو وضعه في السجن إلى حين يتمّ البحث في أمره، ولكن بعد المؤتمر صارت هناك محكمة، ويوضع شخص يدافع عن المتهم، وصار ممنوعا أن يُقتل هكذا فقط، لمجرد الاشتباه، وحتى المسؤولية كانت تكليفا لا تشريفا، وعندما تلقى على أحدهم يرفضها في البداية، بل قد يبكي ويخاف.

بعدما خرجتم من السجن كانت هناك فترة المنطقة الممنوعة...

أجل.

فكيف كنتم تتنقلون؟

كان الأمر صعبا للغاية، كنا نختبئ في الحفر، نفترق على الثالثة صباحا، كلّ واحد منا يذهب إلى مخبئه الذي لا يعرفه الآخر، ثم نعود ونلتقي مساء، لا تجد في النهار إلاّ الفرنسيين، الجيش كان

قليلا، لقد عشتها، وكان الأمر صعبا، أربعة أشهر عانيت فيها، في المنطقة الممنوعة كلّ شيء عدولك، وحتى العصافير، تطير فتفضحك، الذئب يبحث عن علب السردين التي تخفيها ويعثر عليها أينما كانت، الضفدع يفضحك بسكوته، السلاح قل، والجيش كذلك، ولم يبق لدينا إلاّ ما نسميه بالسلاح الإيماني، وهو الإيمان بالوطن، وقنبلة يدوية ليرميها الجندي ويفر، وقارورة ماء، وخنجر حتى يفتح علبة السردين، هذا فقط.

تحدثتم عما كنتم تكتبونه من تقارير، وقلتم أنها كانت كثيرة، شهرية وأسبوعية، فماذا كان مصيرها؟

فرنسا أخذت كلّ شيء، كنا نكتب، كل شهر لدينا تقرير، لكن فرنسا أخذتها، المجاهدين الحقيقيين، أو الأوائل أكثرهم استشهدوا، ثم التحق آخرون بصفوف الثوّار في الدقائق الأخيرة، أي أنّ الأرشيف ضاع، وحتى الشهادات الحيّة التي عاشت سنوات الثورة الأولى.

تتحدثون عن المجاهدين الذين تمّ تسريبهم من طرف فرنسا؟

البعض منهم نعم، لكننا اكتشفنا الأمر في المنطقة الأولى، عثرنا على وثائق بعد وقف إطلاق النار، حيث كانت فرنسا تتصل بأشخاص جزائريين، خصوصا المثقفين منهم، قالوا لهم أن يلتحقوا بالجبهة، تنجز لهم ملفات حتى يصبحوا مسؤولين في الثورة. طلبت منهم أن يبقوا في السجن، فإذا ما استقلت الجزائر فهم معنا، وإذا بقيت فرنسا تتكفل بهم، هكذا قالت لهم فرنسا، ليصبحوا مسؤولين.

وعملية "لابلويت" ألم تخترق صفوفكم؟

ليس في الولاية الرابعة، لم تنجح عندنا، ربما في الولاية الثالثة، ولكن ليس في الولاية الرابعة، لم تنجح تماما، اكتشفوا الأمر سريعا، بل أقول لك أننا من سبقنا فرنسا في محاولة اختراق صفوفها، لقد بعثنا للحركى رسائل كما لو أنّنا نشكرهم على السلاح الذي أرسلوه لنا، ولكن ذلك لم يكن صحيحا، وفي الجباحية في سنة 1958 كلّ الحركى هناك أخذتهم فرنسا وقامت بتعذيبهم، لأنها اكتشفت تلك الرسائل الوهمية، فكان أن ضربنا عصفورين بحجر واحد. وكان العقيد عميروش على رأس الولاية الثالثة، وأخذت هذه العملية أكبر مما تستحقه، ولكن كان من نتائجها أنّ الثقة نقصت بين المجاهدين.

وبعدها انتقلت إلى الولاية الرابعة؟

أجل، انتقلت إلى الولاية الرابعة، لأنّ الولايتين متجاورتان، ولكن تمّ إحباطها منذ البداية، وتفطنوا إلى أنه لا وجود لها، لأنّ الأسماء التي أعطيت هي أسماء شهداء، وهم لـ"الكوموندو" علي خوجة، والسي عز الدين يعرفهم جيدا، في مناطق أخرى نجحت هذه العملية، ولكن ليس في الولاية الرابعة.

إذا أحبطت عمليات التسريب تلك، فعلى أي مستوى وقع التزوير فيما صار يسمى بالمجاهدين المزيفين؟

على مستوى الوزارة، في السابق كانت هناك فئات: المجاهد، والمسجون، والمناضل، لكن صاروا كلهم مجاهدين، وحتى من كان يدفع الاشتراك صار مجاهدا، لكن قبلها لا، كان المجاهد ذلك الجندي الذي يرتدي اللباس العسكري، ويحمل السلاح، ولكن الخلل أنّ المسجون بين من كان فدائيا وحكم عليه فأصبح مسجونا، وبين من كان مجاهدا، وحكم عليه فأصبح مسجونا، فلا نستطيع أن نحدد، لهذا جمعوا كلّ الفئات في المجاهدين، يتحدثون باسم المُجاهد، حتى تظهر الحقائق، فنقول مثلا عندنا 80 ألف مجاهد، وليس 800 ألف، هذا غير معقول، وصار يشهد لآخر، فصار الجميع مجاهدين. بل هناك حركى ماتوا ثمّ صاروا شهداء، ولدينا بيانات عنهم بأنهم كانوا حركى، ومع ذلك أصبحوا شهداء وهذه خيانة عظمى، أن تعطى صفة الشهيد لحركي، هذا غير معقول، مثل أحد الحركى ولد في العاصمة، وكان حركيا في تابلاط، ووضع ملفه الذي رآه من كان مسؤولا في تابلاط، ويعلم أنه حركي من قريته، ولكن مع ذلك صار مجاهدا، ولا يزال إلى اليوم كذلك، والتزوير، مع الوقت،ولّد التزوير، حيث صار هؤلاء يشهدون على بعضهم البعض. وضعنا شكوى، ولكن لحدّ الآن مازال مجاهدا،وأمثاله، للأسف، كثيرون.

نعلم أنّ المصاليين مرّوا من قريتكم قبل أن يستقروا في الصحاري، فهل سببوا لكم متاعب؟

أجل كثيرا، في بلادي أولاد العزيز، بجبال البويرة، لازالوا إلى حد الآن مصاليين، آمنوا بهم، وكانوا يعملون مع فرنسا.

ولكن أوّل اتفاق بين المصاليين والفرنسيين كان بداية سنة 1957 بعد تغلب جيش التحرير عليهم، أي أنّ بعض الروايات تقول أنّهم اتحدوا مع فرنسا تحت الضغط؟

لا، لقد كانوا يعملون مع فرنسا قبل ذلك التاريخ، في سنة 1955، في جويلية بالضبط، كان مجموعة من المصاليين صادقين، كان مخبؤهم في بيت إسماعيل مخلوف، كانوا في 18 مجاهدا، ثم جاء التقسيم بين آفلان ومصاليين.

اسمحوا لي أن أقاطعكم سيدي، ماذا تقصدون بكانوا "صادقين"؟

اقصد أنهم في البداية كانوا ضدّ فرنسا، وصادقين في جهادهم، وكان الخلاف فقط على من يتزعم الثورة، وكانوا في بيت اسماعيل مخلوف، جاء مسؤول منهم إلى العاصمة التقى مع مسؤولين مصاليين منهم مولاي مرباح ثم عاد إلى أصدقائه، وقال لهم أنّ المصاليين أعداؤنا. أمّا السي محمد والذي صار مسؤول الولاية الرابعة اختار الجبهة، فطلب من الذين يريدون الالتحاق بالجبهة أن يرافقوه، فخرج خمسة أشخاص:سي عثمان، جنان احمد، بن سيدي عيسى عمار، سي عقبة، والشيخ مسعود بن غربي، وحاول السي محمد أن يقنع الآخرين فلم يوافقوا، وقالوا نحن نواصل مع مصالي وأنتم أعداؤنا، واستولوا على مدخل بويرة أي ولاد العزيز، ومن ذلك الوقت قليلون من جبهة التحرير الوطني من دخل أولاد العزيز، حيث أنّ الثلاثة عشر بقوا مصاليين ومنهم مسؤولهم حملاوي، وفي ذلك الأسبوع وقعت وشاية عند فرنسا، فاستشهدوا، أي المجموعة الأولى استشهدت على يد الاستعمار، فهم شهداء، ثمّ جاء بلونيس.

أين استقر؟

بالقرب من المنطقة، في زبوجة، قرب الواد، وضع علم فرنسا وعلم الجزائر، كان يلقب بالجنرال بلونيس، أطرته فرنسا، وكانوا أيضا في بعض المناطق على غرار بابا علي، والشباشب، أي الرويبة، والذين كانوا مصاليين حتى فترة الاستقلال، وصرنا أعداء، واشتبكنا معهم في فيفري 1962، وتعاملوا حتى مع المنظمة الدموية السرّية، لكن هم من بدأوا الاعتداء، على الأقل في ناحيتنا، وعندما ذهبوا إلى الحجيلة، والتي تقع بعد سيدي عيسى ببوسعادة كان سكانها طلاب زاوية الهامل، أوقعهم المصاليون في الخطأ، وحسبوا أنهم مجاهدين فاتبعوهم، وعندما تفطنوا كان الأمر قد تأخر.

أليس ضغط المجاهدين هو ما جعلهم يتعاملون مع فرنسا؟

بعد الاتصال ببوزريعة والقصبة ومع مولاي مرباح ومصطفى النيقرو، والشامبي محمد. بعد ما حدثتك عنه أقول لك لا.

كيف تقولون أنّ الجبهة لم تستطع الدخول إلى أولاد العزيز، لأنّ المصاليين استقروا فيها، ونحن نعلم أن الجبهة كانت تحارب المصاليين، وكادت تقضي عليهم، ثم كيف يتجه بلونيس ومن معه إلى الجنوب إن لم تطرده الجبهة؟

لا لم نستطع الدخول إلى أولاد العزيز، لأنّ الشعب أصلا كان ضدّنا، كان يؤمن بأفكار مصالي الحاج!

رغم أنهم رأوه يتعامل مع فرنسا؟

أجل، كانوا يساندونه ويؤمنون به، وكانوا يخرجون مع فرنسا ضدّنا، كانوا يحاربوننا، ورغم أنّ البعض لم يتقبل هذه الحقيقة، ولكن هناك شهود، اذهب إلى الحالة المدنية للبويرة لن تعثر على اسم شهيد واحد، لأنهم كانوا مع فرنسا، إلاّ المجموعة الذين حدثتك عنهم، كانوا شهداء، ولحد الآن ليس لديهم البيان بأنهم شهداء!

11

ارزقي باسطا

"لم نعتد على بوضياف وبيطاط، واوعمران خانني ليلة الفاتح نوفمبر"! [1]

1 نشر بتاريخ 2جوان 2011.

هل حان الوقت لكشف بعض المُلابسات عن أحداث بقيت غامضة من تاريخنا؟ وما الذي لا نعرفه عن ثورتنا؟ أو ما الذي لم يُقل لنا بعد؟ أو هل نحن مُضطرّين أن نُبقي هذه الثورة، وحقائق عن الشخصيات التي صنعتها، وبعض الأحداث التي وقعت خلالها، نبقي كلّ ذلك حبيس الأدراج إلى حين؟ لا شكّ أننا لن نُجيب على كلّ هذه الأسئلة في حوارنا هذا، ولو أنّ ضيفنا سيُصدر كتابا تحت عنوان:"الحقائق التراجيدية التي لم تُقل بعد!". إلاّ أننا سنُحاول أن نتطرق معه إلى بعض المواضيع، والتي، وإن لم تكن يقينيات، فإنها من دون شك ستفتح أبوابا أخرى للبحث. أمّا ضيفنا فهو أرزقي باسطا، التحق بحزب الشعب سنة 1945، ثمّ حركة انتصار الحريات الديمقراطية سنة 1946، وكان على رأس أوّل "كوموندو" مُسلّح بالقصبة، عاش الثورة، والغربة، والسجن، والتعذيب، والخيانة، والمأساة، وعاش استشهاد اثني عشرة فردا من عائلته، ورغم ذلك كله بقي محافظا على مبادئه، وأهدافه التي من أجلها التحق بالنضال وسنّه لا تتجاوز الخامس عشرة سنة، كان صريحا معنا، وهو يتحدّث عن حقائق وصفها بالعبء الذي يثقل حمله، وأنّ الأجيال من حقّها أن تُلمّ بكلّ تاريخها، وخاصّة ثورة بحجم ثورتنا، ولأننا بدأنا مُقدمتنا هذه بسؤال ننهيها بسؤال آخر: فهل ستُشجع، أو تضطّر هذه الشهادة آخرين إلى الحديث؟

سيدي سيصدر لك كتابك "الحقائق التراجيدية التي لم يتم التحدّث عنها" باللغة الفرنسية، بعد أن صدر بالعربية قبل أربعة عشر شهرا، فلماذا هذه التسمية؟

المُنتج اقترح هذا العنوان الذي رآه مناسبا، وأقول لك أنّ هذا الكتاب أصدرته بعد أن أدركت الحاجة الماسّة إلى ذلك، خاصّة بعد الذي عشته.. بعدما ما رأيت في السجون... والصحاري... والجبال... والمُناضلين الذين تمّت تصفيتهم ظلما، وصاروا مجرمين وحركى، فقط لأنّ الجبهة هي من أمرت بتصفيتهم...

ومُناضلين آخرين يأتون إلى تونس لكي يأخذوا السلاح، فيُقبض عليهم، ويتمّ قتلهم... وشخصيات تاريخية هُمشت، وأخرى لعنها التاريخ والبشر أجمعين.

صرنا نترقب الكتب التي تتناول التاريخ بحذر وخوف، والبعض صار يحسبُ أنها تحوّلت إلى وسيلة لتصفية الحسابات؟

لا، لم يأت كتابيّ هذا لتصفية حسابات، أو النفخ في رماد الفتنة، ولكن قلت ما قلت للأمانة التاريخية، ورسولنا عليه الصلاة والسلام يقول أنه ليس هناك أسوأ ممن يعرف شيئا ولا يقوله، وممن يقول ولا يفعل. بالعكس سامحت الكثيرين ممن ظلموني، ولقد أتاني يوسف بن خدة، رحمه الله، وطلب مني الصفح، فصفحت عنه، لأنه كان ضحيّة. حاولت في كتابيّ هذا أن أُزيل بعض الغموض على بعض الأحداث، وأفيّ بعض الشخصيات حقّها، وأذكر شهادتي عما عشته بصدق.

الكتاب كان قد تقرر إصداره قبل هذا التاريخ؟

أجل، كان سيصدر سنة 1968، ولكنه توقف، أرسلت نسخة منه في ذلك الوقت إلى الرئيس الراحل هواري بومدين، كان ذلك سنة 1972، وأرسلت نسختين إلى عقيدين سنة 1974، ووزيرين، محمد السعيد معزوزي، وعبد المجيد اوشيش، وأرسلته كذلك للمخابرات سنة 1986.

(نقاطعه قائلين) وكانت الإجابة في كلّ مرّة أنه لم يحن الوقت بعد للتعرض لهذه القضايا؟

(يجيب مبتسما) أجل هكذا يقولون.

حسنا، ولو أننا لن نستطيع التعرض في حوارنا هذا إلى كلّ تلك الحقائق التي لم يتمّ التطرق لها، إلاّ أننا سنتحدث قليلا عن بعض المُلابسات، ولكن قبل ذلك ماذا لوعدنا إلى قراركم بالالتحاق بالعمل الثوري؟

كان ذلك سنة 1945، أي بعد الحرب العالية الثانية، وكان في عمري خمسة عشر سنة عندما التحقت بالحركة الوطنية، وكنت فرحا بوجود حزب الشعب، خاصّة بعد أن تعرض أبي للاعتقال من طرف قوات الاستعمار، إذ كان يملك مطعما، فجاءه بعض الشرطة الجزائريين، من الذين يعملون مع فرنسا، حيث أنه في ذلك الوقت كانت الوجبات تُباع بالتذاكر، ولكن شرطيا من هؤلاء

أراد أن يأخذ منه الزيت مجانا، فلم يوافق أبي، فأخذ منه الشرطي كيس بطاطا، متهما إيّاه بأنه اشتراه من السوق السوداء، فتمّ اعتقاله وأخذ إلى مركز الشرطة، إلى الدائرة الأولى بساحة الشهداء. أمّا أنا فكنت في الثالث عشرة سنة، وكانت تلك الحادثة بمثابة الصدمة التي جعلتني أعي حقيقة الاستعمار، والظلم المُمارس علينا كجزائريين من المحتّل، وعندما دخلت إلى ذلك المركز لكي أسأل عن أبي، أوّل من وجدت كان مُحافظ الشرطة، والذي يُسمى "باييه" سألته عن أبي، فطردني، ولكنني لم أشأ الذهاب، فصفعني، وكانت أوّل صفعة أتلقاها من الاستعمار الغاشم، فشتمتهم جميعا، إلى أن جاء أبي فصفعني هو الآخر، ولم أفهم كثيرا، ولكني لم أفكر حينها إلاّ في شيء واحد، وهو أنّ ظلما مُورس عليّ، وأنه يجب أن نعثر على حلّ ما لإيقاف هذا الظلم، ورغم أنهم أطلقوا أبي بعد ذلك، إلاّ أننا بقينا نُعاني من الاضطهاد، فإخوتي كذلك تعرضوا لحوادث مشابهة، ما جعل حقدي يتنامى اتجاه هذا العدو، ولكني لم أكن أعلم ما أفعل ولا كيف أرد، إلى أن التقيت مرّة بشاب مثلي، وهو علي حمزة، وكان مُنتميا إلى حزب الشعب، وقصصت عليه ما حدث لي، وما يحدث لنا جميعا، ورغبتي الشديدة في التحرك، فقال لي أنّ هناك رجالا يُحاربون من أجل أن تستقلّ البلاد، وكان يقصد، طبعا، حزب الشعب، فالتحقت به، وصرت أصغر مُناضل بينهم، حتى أنني في اجتماع الحزب السرّي كنت أصغر عضو، لكني كنت فرحا، لأنني عثرت على أشخاص لي معهم عدو مُشترك وهو فرنسا المُستعمرة، ومن تلك الفترة إلى الفاتح من نوفمبر وأنا مُناضل، وعندما بلغت السادسة عشر من العمر، صرت مسؤول خليّة، ثمّ مسؤول فوج، ثمّ صرت مسؤولا عن كلّ القصبة، إلى سنة 1954، حيث انتفضت تونس من جهة، والمغرب من الجهة الثانية، وليبيا كانت حرّة، أي الحدود الشرقية والغربية للجزائر انتفضت، فأرسل مصالي الحاج أمرا بأن يلتحق الحزب بهذا الحراك، وينتفض، ولو أنهما لم تكونا مُستعمرتين مثلنا، بل تحت الوصاية، ولكن لم يستمع إلى صوته أحد، ذلك أنه كان معزولا.

ما الذي جعل المناضلين لا يستجيبون لدعوة مصالي الحاج للانتفاض؟

أقول أنه بعد أن وُضع مصالي الحاج تحت الإقامة الجبرية،

انحرف بعض المُناضلين عن مسار النضال، وصار خطابهم ينحصر في جمع الأموال، وبيع جريدة "الجزائر حرّة" ولكننا، نحن مُناضلو القاعدة حينها، كنا ننتظر بفارغ الصبر مرحلة الانتقال إلى العمل والفعل، حتى أنّ بعضا منا خرج من الحزب احتجاجا.

أي أنّ مصالي الحاج لم يكن يوما ضدّ العمل الثوري، وإنما إطارات الحزب هم من كانوا يتماطلون؟

بالفعل، وأنا أردّ على كلّ هؤلاء الذين كانوا، ولا يزالون يدّعون أن مصالي ليس ثوريا. لقد ذهبت بنفسي لمُلاقاة هؤلاء المركزيين عندما سمعت بأنّ مشكلا يقع داخل الحزب، دخلت إلى شارع عمر القامة، حي "شارت" سابقا، حيث كان مقرّ الحزب، أوّل من التقيت به من المركزيين كان لحول حسين، سألته إن كان هناك اختلاف بينهم وبين مصالي، فأجاب نعم، وعندما سألته عن السبب قال أنّ مصالي يريد أن يُفجّر الثورة، فاستغربت من كلامه، وسألته عن سرّ رفضهم لهذه الفكرة، فتعذّر بقلّة الإمكانيات والأموال والمُناضلين، وغير ذلك، ثمّ التقيت بعدها بمزغنة، والمفروض أنه كان ممثلا لمصالي.

ألم يكن كذلك؟

بلا، ولكن في الحقيقة هو وكلّ من اتبعه مثل مولاي مرباح، لم يفعلوا ذلك حبّا في مصالي، أو إيمانا بمبادئه، ولكن طمعا في المسؤولية، أي إدارة الحزب، والدليل أنه سنة 1957 طُرد مولاي مرباح.

وكيف كان ردّ باقي المناضلين من الانقسام؟

كان هناك مُناضلو القاعدة الذين كانوا يجهلون ما وقع، فقط الإدارة كانت على علم، وكانت تخشى من مُناضلي القاعدة الذين كانوا مُتشبثين بفكر مصالي الحاج، وتوّاقين إلى المرور للعمل الثوري، ولهذا لم يقف أحد مع المركزيين في البداية، بل بقي الجميع مصاليا.

وأنتم بحثتم عن حلّ بين الطرفين المتنازعين؟

أنا اجتمعت في العاصمة، بعد ما قاله لي لحول حسين، اجتمعت مع مُساعدي: صادق طايبي، وعمر عيساني، اجتمعنا فقلت لهم أنه

علينا أن نجمع مُمثلين من الطرفين، أي من اللجنة المركزية، ومن المصاليين، لكي نرى في الأمر، ونُحاول أن نجد حلا ما، وكان ذلك في شهر مارس، وحضر سيدعلي عبد الحميد من المركزيين، ومزغنة عن المصاليين، وقمنا بجمعهم، وكان هناك كلّ مُناضلي القصبة، ودام الاجتماع إلى الساعة الثالثة صباحا، ولم يتمّ الاتفاق على شيء، لا حل ولا شيء. وكان هناك اجتماع ثاني في أواخر شهر ماي، ولكن المركزيين كانوا قد قاموا باستدراج بعض مناضلي القاعدة إلى صفهم، وتمكّنوا من ذلك، خاصّة وأنهم هم من كانوا يدفعون لهم أجرهم، فوقف، بالتالي، كثيرون في صف المركزيين، ولكن في ذلك الاجتماع الثاني، والذي ضمّ مناضلي القصبة، وحضر الصادق طيبي، بلقاسمي، عميروش، حساني وغيرهم، قام مناضل قديم في المُنظمة السرّية، وهو عمر حمزة، وكان صائغا مبدعا، وكان الجميع يقصدونه، وحتى يهود العاصمة كانوا يأتون إليه، وكان مُنظما لجماعة"البربريست"...

ماذا قال لكم المُناضل عمر حمزة عندما قام؟

في البداية عرّف بنفسه من أنه من الشباب الذين التحقوا بالنضّال بعد خطبة مصالي الحاج في ملعب 20 أوت، وسرد علينا الكثير من الأسرار، قبل أن يقول لنا:"اتبعوا مصالي لأنه إذا قرّر فعل" ولم يكتف بذلك بل حذّرنا من المركزيين، وقال أنّ صفوفهم مُخترقة من العدو.

تحدّثتم عن الخطبة التي دعا فيها مصالي الحاج إلى الاستقلال التام...

أجل، كان ذلك في 2 أوت سنة 1936، عندما أقاموا المُؤتمر الإسلامي، ومصالي الحاج جاء للمرّة الأولى إلى الجزائر، وطالب بالاستقلال التّام، وكان خطابا غريبا على الجميع...

...حتى على جمعية العلماء المسلمين؟

أجل، حتى الجمعية لم تكن تفكر في ذلك، لا هي ولا الشيوعيين، ولا غيرهم، ولو أنّ الجمعية لم تكن يوما ضدّ الفكرة، أمّا الشبان المُتحمسين فأعجبهم أن يقول لهم أحد لأوّل مرة أنّ هذه الأرض ليست للبيع، بل ولديها أصحابها، الذين يُطالبون بالاستقلال التّام، في وقت كان فيه آخرون يُطالبون بالاندماج، مثل فرحات عباس الذي ذهب إلى القول بأنّ الجزائر ليس لها تاريخ ولا شيء.

وما كان موقف الشيخ عبد الحميد بن باديس؟

قال لهم أن اتركوه يُعبّر بكلّ حرّية عن رأيه، ومصالي الحاج، والشيخ ابن باديس هما رائدا الوطنية والإسلام في الجزائر، هما اللذان غرسا في الشعب والشباب الفكر الوطني، وهذا لا بدّ أن لا ننساه أبدا.

ولكنّ البعض يقول أنّ أوّل من دعا إلى الاستقلال كان الأمير خالد، وليس مصالي الحاج؟

لا، لم أعثر على دليل واحد يقول هذا في التاريخ. لا بدّ من دليل، الأمير خالد طالب ببعض الحقوق فقط.

حسنا بالعودة إلى الاجتماع، اخترتم المواصلة في المسار الذي سطّره مصالي الحاج؟

بعدما سمعنا كلّ ذلك، وبعدما أزاح عمر حمزة الكثير من الغموض، كان علينا أن نختار إمّا أن نكون مصاليين، أو نكون مركزيين، وأنا طبّقت الديمقراطية مع جماعتي، ولطالما فعلت ذلك، ولهذا كانوا يثقون فيّ، تلك الثقة التي لم أستطع خيانتها يوما، وطلبت رأيهم وكانت الأغلبية مع مصالي الحاج، ولأنّ مصالي كان مع العمل الثوري، فقد قررنا أن نبقى مصاليين.

وشكّلتم إدارة جديدة للمصاليين؟

أجل، بالفعل، اجتمعنا في بروكسل، نحن المصاليون، وكانت الإدارة الجديدة فيها فيلالي، وأنا أصبحت إطارا في اللجنة المركزية، ثمّ وقع الخلاف بيننا وبين بوضياف ورابح بيطاط.

الاختلاف الذي جعلكم تعتدون على محمد بوضياف، ورابح بيطاط بقضبان من حديد، مثلما ذهب إلى ذلك عبد الحميد مهري؟

لا، كان هذا ما زعمه مهري، ولكني أجبته بعدها بسنتين، ولو بقي هؤلاء المُناضلون الذين تحدث عنهم أحياء لما تدخلت، ولكن بما أنهم ماتوا شهداء، وقُطعت رؤوسهم في سركاجي، اضطررت لأن أُدافع عنهم، وهو ما يدلّ على أنهم مُناضلين، وفرنسا هي التي قتلتهم هم مصاليُون وليسوا من الجبهة، لو كان المصاليون يتعاملون مع فرنسا كيف تقتل مُناضليها؟ ثلث الذين اعدموا في سركاجي كانوا مصاليين، وأشير هنا إلى ما نشرته إحدى الجرائد الفرونكوفونية قبل شهر ونصف، في ذكرى المحكوم عليهم بالإعدام في سركاجي، كتبوا أنّ ثمانية وخمسين مناضلا كان محكوما عليهم بالإعدام في سركاجي، واتصلت بالجريدة، وتحدثت

مع صاحبة المقال، وقلت لها أنّ العدد الذي وضعته خاطئ، وأنّ العدد الصحيح هو سبعة وستون، وفي سركاجي هناك اللافتة التي تدلّ على ذلك، فقالت لي أنهم أعطوها ذلك العدد، فقلت لها أنها مخطئة، وأنّ الذين أعطوها ذلك العدد الخاطئ ليسوا فقط مُخطئين، ولكن ليسوا جزائريين، هذا ما أقوله على كلّ من يعترف بالشيوعيين، والملحدين أيضا، ولا يعترف بالمصاليين...هذا ظلم ما بعده ظلم.

حسنا، وبالعودة إلى اجتماع بروكسل، ماذا كانت قراراته؟

في مؤتمر بروكسل 13، 14، 15 جويلية قررنا تفجير الثورة في غضون شهرين، والقبائل كانت مُمثلة من طرف بلقاسم كريم، والذي قال أنّ من يُفجر الثورة فهو والقبائل كلها معه، ولأنّ المؤتمر أُقيم في شهر أوت من سنة 1954 فإنه كان علينا التحرّك في سبتمبر من نفس السنة، ولما عدنا إلى الجزائر، عقدنا اجتماعا عندي في البيت، في القصبة، كان ذلك في 19 جويلية، مع القيادة الجديدة للحركة الوطنية، أي ممشاوي، مزغنة، رزقي لعجالي، كما حضر بلقاسم كريم واوعمران، وطلب بلقاسم كريم من مزغنة أن يتمّ تفجير الثورة، وقد انقضى الشهران، أو كادا ينقضيان، لكن مزغنة تماطل، وتحجج بقلة الإمكانيات، والأموال، والمناضلين، لكن بلقاسم كريم قال أنه على أتمّ الاستعداد، وكذلك بالنسبة للعاصمة، أي الجماعات التي كنت أُشرف عليها أنا، ولكنّ مزغنة بقي يتماطل.

أي أنّ الحجج التي قدّمها مزغنة لم تكن السبب الحقيقي لتماطله؟

لا.

وما خلفية تردده؟

أراد أن يبقى لأطول مدّة على رأس الإدارة، أعجبه الأمر، وراح يتعذر بقلّة الإمكانيات.

فماذا فعل بلقاسم كريم حينها؟

عندما جاء مصطفى بن بولعيد من طرف اللجنة الثوريّة للوحدة والعمل، التقى ببلقاسم كريم في القبّة، في منزل نذير قاصب، وأقنعه بنيّة اللجنة الثورية في تفجير الثورة، فأكّد بلقاسم كريم ما قاله زعموم علي من أنّ الذي يُفجر الثورة سيُسانده. وأشير هنا إلى الخطأ التاريخي الجسيم الذي كان سيقع لولا أنّ مصطفى بن بولعيد

تفاداه، حيث اقترح أحدهم أنّ يتمّ تفجير الثورة دون منطقة القبائل، فأجاب مصطفى بن بولعيد أنّ ذلك لا يُمكن، وأنه يعرف كريم واوعمران، وأنهما مُستعدان للعمل الثوري، فقيل له أنهما مصاليّان، فأجاب بن بولعيد أنّ الجميع كان مصاليا.

أي أنّ بلقاسم كريم كان يُنسق معكم؟

كريم بقي على اتصال بالجميع، بالمصاليين، وبمجموعة البربريست، والذين كانوا مُستعدين هم كذلك، وباللجنة الثورية للوحدة والعمل أيضا.

إذا لم يكن واضحا؟

لا، بالعكس، كان صريحا إلى حد ما، وليس أوضح من قوله من أنّ الذي يُفجر الثورة فهو معه، وفعلا عندما فجّرتها اللجنة الثورية للوحدة والعمل كان معهم.

قال بن يوسف بن خدة أنّهم كانوا سينطلقون في العمل الثوري لولم تتسرّع اللجنة الثورية للوحدة والعمل بتفجير الثورة؟

هذا خطأ، لقد كانوا في إدارة الحزب، وذلك من سنة 1952 إلى 1954، فماذا كانوا ينتظرون ليفعلوا، لو كانت لديهم النيّة فعلا للعمل المسلح ؟! بل كان الجميع مُحضرا، أمّا مُناضلو القاعدة فكانوا متحمسين، وحتى الشعب كان ينتظر فقط الإشارة لينتقل إلى العمل، وأوّل من يُفجر الثورة كان الجميع سيلتفّ حوله، ولو فعلها جماعة البربر لكانوا السبّاقين، ولهذا سارعت اللجنة الثورية للوحدة والعمل إلى التحرك، وسبقت الجميع.

أنتم تمّ إبعادكم في آخر لحظة؟

للأسف أجل، حتى آخر لحظة كنّا مُحضرين، ومُستعدين، حتى أنني أنا من أعطيت السلاح لاوعمران ليلة الفاتح من نوفمبر، وسألني من أين جئت به؟ لم أجبه حينها، وكان قد أعطاه لنا بلقاسمي رزقي وهو مناضل قديم، يُلقب ب"رزقي الماكي" أحضره لنا لأننا كنا قد اتخذنا موقفا مع مصالي الحاج، كان ذلك في 31 أكتوبر 1954، ولقد قال لبوضياف أنني وجماعتي مُستعدين، ولكنّ بوضياف قال له أنه يجب تركنا، نحن المصاليين، كقوات احتياط، وفي نفس الليلة، وقبل أن يذهب اوعمران، نصحني بالحذر، فاستغربت الأمر، خاصّة وأنه هو من كان

محكوما عليه بالإعدام، وليس أنا، لكنه، كان صريحا نوعا ما عندما قال هذا، كما لو أنّ ضميره كان يُؤنبه، ثم ذهب، وبعد ساعات انفجرت أوّل رصاصة معلنة بداية ثورة نوفمبر.

كانت خيبة أمل كبيرة بالنسبة لكم؟

جدا... أقول لك أنني شعرت بصدمة قوية، خيانة عظمى، ستة أشهر كاملة ونحن نُحضر، وعندما أخبرت المُناضلين الذين كنت أشرف عليهم، شعروا بالإحباط هم كذلك.

فهل تمّ القبض عليكم مثلما قال لكم اوعمران، خاصّة وأنّ فرنسا أطلقت في الأيام الأولى من انطلاق الثورة حملة اعتقالات على كلّ المشبوه فيهم، ومن بينهم المُناضلون القدامى لحركة انتصار الحريات الديمقراطية، الحزب المُعترف به؟

أجل، حاولوا، ولكنني كنت قد ذهبت، حيث قال لي السعيد بوجرودي، مسؤول دائرة الجزائر، قال لي أن أذهب إلى فرنسا، خاصّة وأنّ الجماعة كان قد تمّ القبض عليها، منهم مولاي، وغيره، قال اذهب إلى فرنسا حتى أستطلع موقف الآخرين ومصالي الحاج أيضا. وفي الخامس من نوفمبر ذهبت، وفي مساء نفس اليوم كانت الشرطة تبحث عني في البيت، ولم أكن أعلم حينها. وهناك التقيت أخي، وهو طالب في الطب، اتخذ موقفا مع مصالي وباقي الطلبة، ثم اكتشفت أنهم لم يكونوا مع التحرك، وبعد ثلاثة أيام جاءني عبدلي، وهو مسؤول من المصاليين، قلت له أنّ الذنب ذنبكم.

عبدلي هذا من الإطارات التي كانت تُعطل المسير نحو العمل الثوري؟

لا، هذا لم أكن على إطلاع بموقفه، ولكن إطارات الحزب كانوا قبلا فعلا مُناهضين للعمل الثوري.

تقولون أنّ إطارات الحزب، أو المصاليين كانوا ضدّ رغبة مصالي الحاج في العمل الثوري، ولكن آخرين، ومن بينهم محمد مشاطي ذكر أنّ مصالي هو من كان ضدّ الثورة، وأنّ إطارات الحزب سئموا من تعطيل مصالي الحاج للثورة، وحبّه للزعامة، واعتماده على إطارات ضعيفة، وأنه طالب بتزكيته كرئيس حزب مدى الحياة، وقال آخرون أنّ تصرفات مصالي هي التي جعلت مُفجري الثورة بعد ذلك يعتمدون على مبدأ الزعامة الجماعية حتى يتفادوا أن يُخلق بينهم مصالي جديد، فبماذا تردّون على كلّ هذا؟

(يبتسم قبل أن يقول) للحديث لا بدّ من دلائل، وأنا قرأت كل ما كتب حول هذا الموضوع، ولم أجد دليلا واحدا على ما يزعمونه،

بقيت مجرد أقوال فقط، في نوفمبر فرنسا قبضت على كلّ المركزيين والمصاليين معا، ولكنها أطلقت سراح المركزيين، وأبقت المصاليين سبعة سنوات، أي حتى وقف إطلاق النار، أو إلى 22 أفريل 1962، فلماذا؟ أطلب جوابا على هذا السؤال.

وكيف انتقلت جماعتكم من النضال إلى العمل المسلح؟

عندما ذهبت إلى فرنسا، عندما تمّ إعلامي من الجزائر بأنّ الشرطة جاءت للبحث عني، فكّرت في أنّ أحد المناضلين التابعين لي قُبض عليه فأقرّ باسمي، ولكن لم يكن هذا الحال، كان خطأ اوعمران، قبل الثورة، أي في ليلة الفاتح من نوفمبر أعطيت اوعمران رجلا كميائيا في صناعة المفجرات، أعطاه لي عمر حمزة الذي تحدثنا عنه قبل قليل، فأعطيته بدوري لعمران، هذا الأخير قام بعملية وتخلى عنه، فتمّ القبض على الرجل المسكين سريعا، وعمران قال لهم في ذلك الوقت أنّ أيّ شيء يحدث أذكروا اسمي، أي أدعوا أنني أنا الآمر، ذلك أنه كان محكوما عليه بالإعدام، فمم يخاف؟ بل إنّ ذلك ساعد في الدعاية له ولاسمه، ولم يكن يفعل من خلال ذلك إلاّ أن يُشهر بنفسه، وعندما تمّ القبض على الكميائي، والذي لم يكن يعرف البلد جيدا، أقرّ بأنّ عمر حمزة تركه لباسطا أرزقي وباسطا لاوعمران.

أي أنه تمّ تحذيرك من العودة إلى الجزائر؟

أجل، وعندما حدث ذلك، أرسلت رابح واباد، وهو مناضل قديم، أرسلته لكي يرى المُساعدين الثلاثة الذين كانوا تابعين لمجموعتي للالتحاق بالثورة، وينتقلوا إلى الحركة، لأنه كان لدينا مُخطط ثاني، فذهب إلى الجزائر واتصل بهم، وفعلا انتقلت مجموعتي إلى العمل.

لكن لماذا بقيت تحت لواء مصالي؟

لأنها كانت البداية، مصالي طلب أن ننتقل إلى العمل قبل الجبهة، ثمّ إنّ الجبهة جاءت فيما بعد، عندما أطلقوها، ماذا حدث؟ شيء يجهله الكثيرون، أو يتجاهلونه، وهو أنّ رمضان عبان، رحمه الله، دعا الجميع للالتحاق بالجبهة، وحتى الشيوعيين، ومن كان ضدّ الثورة، وغيرهم، إلاّ المصاليين كانوا منبوذين.

إذا كان بوضياف قد اتخذ موقفا من المصاليين منذ الشجار الذي وقع بينه وبينهم، فما الذي جعل رمضان عبان هو الآخر يستبعد المصاليين؟

رمضان عبان أعذره نوعا ما، ففي سنة 1957 التقى مع أحمد بودة، هذا الأخير كان مركزيا، وحتى عبّان كان مركزيا قبل أن يدخل إلى السجن، قال عبان لأحمد بودة عندما خرج من السجن والتقاه:"لقد أوقعتموني في الخطأ في شخص مصالي الحاج" وفي القاهرة استدعوا مزغنة من الجزائر، فيلالي من فرنسا، وكانوا تابعين لمصالي، ولحول حسين، ومحمد يزيد من المركزيين، تم استدعاؤهم حتى يجمعوا بينهم، ولكن عندما ذهبوا إلى القاهرة، انفجرت الثورة، لأنه لم تكن هناك نيّة فعلا في أن يجمعوا بينهم، ولكن خشوا أن يكونوا في الجزائر عندما تنفجر الثورة، ويُصبحوا ضدّها.

حتى أنتم ذهبتم إلى القاهرة؟

بالنسبة لي ذهبت إلى القاهرة في 17 ديسمبر، خاصّة وأنني لا أستطيع العودة إلى الجزائر، المُناضلين الذين كانوا تابعين لجماعتي كانوا قد بدؤوا في إنجاز عمليات، وأتحدى أيّ شخص من الجبهة قام بعملية منذ 6 نوفمبر 1954 في العاصمة، كلّهم مصاليين، لم تكن هناك هيكلة للجبهة داخل العاصمة، أنا اذكر الأسماء، هناك من الجزائريين من قام بعمليات تحت اسمهم الشخصي، لا جبهة، ولا مصالي، ولا شيء، مثل تفروين من ازفون، قتل دركيا، ثم أُعدم سنة 1956، ولكن المصاليين المُناضلين الذين كانوا تحت مسؤوليتي، ماتوا والأسلحة بين أياديهم في 24 أوت 1955 في الجزائر، وأوّل شهيد يُقتل وهو يحمل الأسلحة في يديه كان مصاليا، وكان ذلك في القصبة، وهناك باداش حمدي من بوسعادة الذي قام بعملية ضدّ رئيس المجالس البلدية على مستوى العاصمة امادي ايفروجي 28 ديسمبر 1956 في شارع مراد ديدوش، ميشلي سابقا، وكان مُبرمجا قبل الفاتح نوفمبر، ولكن لم يحدث إلاّ بعد سنتين. وهناك عملية أخرى قضينا فيها على مفتش الشرطة المدعو سي حميدي في أفريل 1955، وكان ذلك في مقهى البهجة بالتحديد. العمليات الثلاث كانت مُنجزة من طرف مناضلين مصاليين، حرفوشي محمد هو من قام بها وتمّ إعدامه في سركاجي.

يعني أن ياسف سعدي ليس هو من قام بالعملية كما يذكر في كتابه "معركة الجزائر"؟

كتاب معركة الجزائر عندما أحضروه لي وقرأته، وضعت أكثر من علامة حمراء على التناقضات الواردة فيه، ومن ذلك هذه القضيّة، فكيف يُعطي أوامر لتنفيذ هذه العملية وقد قدم على رأس العاصمة بعد ستة عشر شهرا.

إلى أين بقيت العمليات تحت اسم مصالي في العاصمة؟

تقريبا إلى سنة 1957 كلّهم مصاليون.

لكن رابح بيطاط هو من صار على رأس الولاية الرابعة؟

كان مكلفا بتنظيم العاصمة، ولكن تمّ اعتقاله مُبكرا، في 23 مارس من سنة 1955 بقهوة بسوسطارة، وبالتالي غيابه جعل العاصمة تخلو من مناضلي الجبهة.

من الأحداث التي يعتقد البعض أنها تدلّ على أنّ مصالي الحاج كان محبا للزعامة اتهامه بالدعوة إلى ثورة موزاية كان من شأنها أن تشوّش على ثورة نوفمبر؟

لا، ذلك غير صحيح، مصالي كان مع الثورة منذ سنة 1952 خاصّة بعد أن انتفضت تونس والمغرب، ونحن كنّا دائما مع المغرب العربي، وعندما أراد لمين دباغين أن يُؤسّس إتحاد العمال المغاربة رفضت تونس والمغرب، وتخليتا عن مسؤوليتيهما، بحجّة أنهما تحت الوصاية وأننا مُستعمرون.

أي أنّ دور تونس والمغرب كانا ضئيلا في مُساعدة الجزائر؟

قالا أنّ الوضع يختلف، وأنّ فرنسا لا تستعمرهما، ولكن تحميهما، وأنّ لديهما السلطان، والباي، يعني أنهما ليستا فرنسيتين، وعندما ذهب لمين دباغين لكي يُؤسس لإتحاد المغرب العربي رفضتا، فمنذ ذلك الوقت كان علينا أن نُحارب لوحدنا، لأنّ المغرب وتونس، لم يُريدا أبدا مُساعدتنا، إلاّ ربما التونسي صالح بن يوسف، والذي تمّت تصفيته على كلّ حال، ولكن الحديث في هذا يطول...

حسنا، حتى سنة 1957 كانت جماعتكم تشتغل، وماذا حدث بعدها؟

بعض المناضلين التحق بالجبهة، آخرون توقفوا عن مبدأ، وآخرون استشهدوا، أنا التحقت بالجبهة من القاهرة في فيفري 1955، ولكن بقيت مُهمشا، لأنّ بوضياف عندما أتى إلى القاهرة لم يقل الحقيقة كاملة لبن بلة وآيت احمد، ولو أنّ هذا الأخير يعلم

حقيقة ما وقع في العاصمة، ولكنّ بوضياف كان حقودا، وعلى كلّ حال لطالما كان كذلك، بعد الشجار الذي وقع قبل 1954.

بوضياف لم يغفر لمصالي الحاج أن عيّن محمد بلوزداد على رأس المنظمة السرّية؟

ربما يكون هذا من الأسباب، لا ادري بالضبط، لكن ما أستطيع قوله أنّ بوضياف حقود، هذا في طبعه، وليست توجد مقارنة بين بلوزداد وبوضياف، الفارق شاسع، كنا نتمنى أن يكون هناك الآلاف مثل بلوزداد.

وهو ما جعله يحاول اغتيال مصالي الحاج في ماي من سنة 1955؟

لا يمكن أن أتحدث فيما ليس لي به علم، وقضية الاغتيال هذه أسمعها منك لأوّل مرّة، ربما حدث هذا، لا أدري.

من بين المهام التي كُلفتم بها بعد ذلك تحقيق المصالحة بين اوعمران، والمناهضين لمؤتمر الصومام...

لكن قبل أن تكمل سؤالك أقول لك أنّ من كانوا ضدّ مؤتمر الصومام ليس لهم ذنب.

ذنب من؟

بن بلة من طلب منهم ألاّ يُشاركوا في المُؤتمر.

لكن بن بلة تمّ إبعاده؟

لا هذا ليس صحيحا، هو من رفض أن يشارك، لأنه كان خائفا.

من ماذا؟

من أن يقتله الفرنسيون، أو ربما الجزائريون، خائفا من الخوض في المعركة.

ولكنه لم يستطع الدخول إلى الجزائر؟

هذا ليس صحيحا أيضا، كان قادرا على ذلك، كانت توجد ألف طريقة ليفعل، في سنة 1955 تطوّعت لكي أدخل الأسلحة إلى صحراء تونس، والأوراس. هو من اختار ألاّ يفعل.

بما أنّ الحديث قادنا إلى بن بلة، ماذا تقول عن تصريحاته الأخيرة من أنّه هو من خلق الفاتح من نوفمبر؟

من المستحيل عليه، وعلى أيّ شخص سواه أن يُحدد تاريخ انطلاق الثورة من الخارج، ولا أن يُوقفها، لأنّ الأوضاع الداخلية لم تكن على أحسن ما يرام.

كيف ذلك؟

كانت هناك مشاكل في الداخل، لم يكن بن بلة وأصحاب الخارج على علم بها، ولا قادرين على التحكّم فيها، مثل الولاية الخامسة، مثلا، والتي كانت تعاني من مشاكل في التمويل والسلاح، وغيرها من المشاكل التي توجب على من يُحدد تاريخ اندلاع الثورة أن يكون على علم تام بالوضع، بوضياف هو من اختار التاريخ، ثمّ ذهب إلى القاهرة. بعد الاستقلال جاءني عبد العزيز بوتفليقة، وأحمد مدغري سألاني عن الذي حدّد تاريخ تفجير ثورة أوّل نوفمبر، فأجبت أنه من الداخل، وذكرت الأسباب، ومنها أنّ بن بلة وأصحاب الخارج لو حدّدوا الموعد ولم تنفجر، لأي سبب من الأسباب، ومنها نقص الذخيرة، أو غياب المسؤولين، أو أي شيء، لو حدث هذا لما وثق فينا أحد بعد ذلك، لا الشعب الذي كان ينتظر تلك اللحظة بفارغ الصبر، ولا الدول العربية الأخرى أيضا. وأذهب إلى أبعد من ذلك، وأقول أنهم عندما اجتمعوا ليضعوا إستراتيجية، كانت ولاية الأوراس الأكثر تسليحا، لأنّ سلاح 1945 إلى 1948، ثمّ سنة 1950 عندما اكتشف أمر المنظمة السرّية، محمد بلوزداد قال أنه لا يوجد مكان أحسن من الأوراس لإخفاء كلّ ذلك السلاح، وبقيت الولاية ثلاثة أشهر تقاوم، أي من نوفمبر إلى نهاية شهر جانفي 1955، بقيت صامدة، حتى تسمح لباقي الولايات لكي تلتحق بها، لكنّ الخارج لم يفعلوا شيئا، لهذا القي القبض على مصطفى بن بولعيد، وأنا الوحيد الذي يذكر هذا، أو أنا الوحيد من بين الأربعة الذين يعرفون بعض التفاصيل الهامّة من حياة مصطفى بن بولعيد، ومن ذلك قضية مقتله، وإلقاء القبض عليه، حيث أنه خرج من الأوراس بطلب من عباس لغرور، وشيهاني البشير، وعجول، الذين كانوا ينتظرون السلاح من الخارج ولم يأت، والأوراس كانت مُحاصرة، من طرف الجنرال "فارلوج" ولم تكن هناك ذخيرة كافية من السلاح في باقي الولايات، والولاية الخامسة لم تكن قد التحقت أصلا بالثورة، ولم تفعل إلاّ في أكتوبر 1955، وذلك عندما جاء محمد الخامس فانتفضت الحدود المغربية.

وهو ما جعلكم تنتقدون فيلم مصطفى بن بولعيد، وتقولون أنه جانب الواقع؟

أجل، رغم أنني أحترم المخرج راشدي، وأعماله، إلاّ أنه جانب الحقيقة في فيلمه عن مصطفى بن بولعيد، لأنّ هناك أربعة رجال

ممّن عاشوا قصّة بن بولعيد، هو نفسه، أي بن بولعيد، ومُساعده عمار بريك، ومحمد شميني، وأنا. أمّا بن بولعيد فلقد مات، وسي عمار بريك ربما يكون مات هو الآخر، وصرت الوحيد الذي يعرف قصّة القبض على بن بولعيد.

كان ذلك عندما خرجوا للبحث عن السلاح، ثمّ ماذا حدث؟

استقلّ مصطفى بن بولعيد، وعمّار بريك حافلة تُوصل إلى الحدود الليبية، وعندما وصلا إلى الحدود كان هناك حركي تونسي كان في الحافلة يرى ويُراقب الأشخاص الأجانب، فقام بإنزالهما، وبعد أن ذهبت الحافلة طلب منهما أن يتبعاه، فقالا له أنهما جزائريان يقصدان الحج، فبقي الحركي معاندا، حتى قتله عمار، ولكن لسوء الحظ فإنّهما كانا في صحراء، بحيث رأت طائرات "الهيليكوبتر الجاسوسة" ما وقع، فأعطى مصطفى لعمار الوثائق التي كانت معه، وطلب منه أن يفر، فرفض عمار، وبينما هما يتحدثان تمّت مُحاصرة المكان. أخرج بن بولعيد الوثائق ليُحرقها، طلب مصطفى من عمار أن يقتله لأنه لا يستطيع أن يُجهز على نفسه بنفسه، فرفض أن يفعل، فأطلق بن بولعيد طلقات على الفرنسيين حتى يقتلوه، ولكنهم عندما سمعوا الرصاص لم يردّوا عليها، وبعدها ضحى مصطفى بن بولعيد بنفسه وادعى أنه هو ن قتل الحركي، ذلك أنهم يعرفونه، حيث كان محكوما عليه في قسنطينة، عكس عمار الذي لم يكن معروفا، وقال بن بولعيد أنّ عمار كان مجرد دليله في الرحلة وفقط، وفعلا حكموا على عمار سنة سجن فقط.

هل صحيح أنّ مؤتمر الصومام أبعد المُناضلين القدامى، وبالتالي يُعتبر انقلابا عليهم؟

عندما نعود إلى حديث رمضان عبان، والذي قال أوقعتموني في الخطأ فيما يخص شخصية مصالي الحاج، يعني أنه من ضمن "المجلس الوطني للثورة" وأنا أفضل أن أسميه "المجلس التأسيسي للثورة" من ضمنه عناصر لم يكونوا يريدون مُناضلين من الحركة الوطنية.

كيف كلفتم بمُهمة تصفية أحمد مهساس؟

حدث ذلك عندما جاءني أمر بالذهاب إلى سويسرا، ففعلت، ولم أُبلغ بنوع المهمة إلاّ عندما وصلت إلى هناك.

ألم يزرع ذلك فيكم الشك؟

كان ذلك طبيعيا، لأنّ المهمات كانت تتمّ في سريّة، وكان معي في الرحلة شخص يُدعى عبد القادر بن التومي، تلقيت بعدها هاتفا لكي آمره بالعودة إلى تونس، وذلك حتى لا يحضر التنفيذ، وعندها تمّ إبلاغي عبر اتصال هاتفي، حيث اتصلوا بي في البداية في الفندق الذي نزلت فيه، لكي أعاود الاتصال بهم من مكتب البريد، فردّ عليّ عميروش، وحوّل لي اوعمران الذي قال لي أنّ مهساس في سويسرا، وأن عليّ قتله، ولم يمهلني عمران الوقت الكافي لأردّ عليه، وقال لي "دبر راسك" وأقفل الخط، والخلاف بينهما يعود إلى أنّ مهساس وهو من جماعة القاهرة، أو ما يُسمى بالبنبليست: بن بلة، مهساس، يوسفي، أمّا يوسفي فأرادوا تصفيته عبر مصطفى لكحل، ولكنّ هذا الأخير لم يُوافق، فتمّ قتله.

لم رفضتم تصفيته؟

قلت للشخص الذي أرسلوه لمراقبتي، أنني لا أقتل رجلا مناضلا، ومن أوائل الحركة الوطنية، وعدت إلى تونس، رغم تحذيرات مهساس، ورغم أنني كنت أعلم أنهم قد لا يتسامحون معي، وما إن وصلت حتى ألقي عليّ القبض، وتمّ تعذيبي، وبقيت معتقلا 18 شهرا.[1]

ألاّ تظنون أنّ من شوّه صورة المصاليين، وبالتالي شخص مصالي الحاج هو بلونيس، الملقب بالجنرال بلونيس؟

في الحقيقة لا أعرف بلونيس شخصيّا، لكن ما أعلمه أنني لم ألتق شخصا مناضلا أو أسمع أنّ هناك من يدعي أنّ من المصاليين من تعامل مع فرنسا، مُناضل واحد فقط، يكون عاش الأحداث، ولا

---

1 نشرت جريدة الخبر في يوم الإعلان عن وفاة أحمد مهساس الحلقة السادسة من حوار أجرته معه الجريدة حيث يذكر كل تفاصيل محاولة إغتياله من طرف عبان رمضان بما يوافق تماما شهادة أرزقي باسطا. << ... كنت مارا على سويسرا، والتقيته وكان يعرفني (أرزقي باسطا) وأعرفه، فقد كان مناضلا في بلكور (بلوزداد حاليا) . قال لي: "أمروني بأن أقتلك". فقلت له: "... قم بواجبك". فقال: "لست خائفا منهم". فقلت: "الحمد لله.. إذن أرسلك إلى مكان في أوروبا، لأنك إذا رجعت إلى تونس سيقتلونك"، لكنه رفض. كان مناضلا عظيما وبقي إلى اليوم على نفس الخصال ولم يتغير أو يتبدل. **ومذا كان مصير أرزقي باسطا عند عودته؟** سجن و عذب ...>> . الخبر، العدد 6995. 24 فيفري 2013.

يتفوه بأحاديث يلتقطها من هنا وهناك، وأنا، مثلا، لا أتحدّث إلاّ على ما عشته بنفسي، وبالنسبة لمصالي الحاج، انتقدوا حتى لباسه، الذي ليس إلاّ رمز الانتماء الديني والقومي، من الشاش الذي يرتديه، واللحية كذلك، حتى أنّ البعض قالوا أنه يتشبه بالأنبياء، هم الذين كانوا يُحبّون تقليد الغربيين، أمّا هو فلا، كان مُتمسّكا بأصله، فهو رمز الوطنية، رجل هذه حاله لا يمكن أن يكون خائنا، ومن قال عن مصالي خائن هو من كان ضدّ حزب الشعب من قبل، من فرحات عباس والشيوعيين، وكلّ من كان ضدّ استقلال الجزائر، وحتى بين العلماء المسلمين من كان ضدّ الاستقلال، ويُطالب بالاندماج، مثل الشيخ كحول، الذي حكم عليه العلماء بالإعدام، عندما كان سيُمضي وثيقة التحاق الجزائر بفرنسا. وأعود لأذكر بقول رمضان عبان، والذي خرج من السجن ثلاثة أشهر بعد الفاتح من نوفمبر، وما إن خرج حتى احتووه معهم، وعندما رأى ما يحدث، قال أنكم دفعتموني للخطأ فيما يخصّ شخص مصالي الحاج، الرجل الذي خاطت زوجته علم الجزائر.

تقولون أنّكم لم تلتقوا يوما بمناضل عايش خيانة المصاليين، أو هكذا يقولون، لكن هناك الكثيرين أكدوا أنهم كانوا يحاربونهم، وأنّ مصاليي بلونيس، مثلا، كانوا يتعاملون مع فرنسا، بل ومع المنظمة المسلحة الخاصّة كذلك، وبعض القرى إلى الآن لا تزال تعتنق فكر المصاليين، فما هو تعليقكم؟

أجيب على سؤالك ببساطة، كيف لرجل يمضي 24 سنة من حياته في السجن والمنفى أن يُصبح خائنا؟ حاولوا تشويه صورته، وألصقوا به كلّ التهم، ولم يُسمح له بدخول الجزائر حتى بعد الاستقلال، وزوجته هي من خاطت العلم الجزائري، حسنا كانوا لا يتّفقون معه بالأمس، فلماذا صاروا لا يتفقون حتى بين بعضهم البعض لولا الصراع المقيت على السلطة؟ حتى أنّ عميروش ألصقوا به كلّ التهم، قالوا عنه أنه قاتل، وخائن، والبعض يقول أنّ بوالصوف خانه، هذه تفاهات، عميروش خانه أشخاص من داخل الولاية الثالثة بما أنه كان في الولاية الثالثة لا أحد من الخارج كان يُمكنه قتله، ما إن خرج من الولاية الثالثة حتى تمّت تصفيته، هناك شخص في الولاية الثالثة هو من تحدث عن مكان عميروش مع الحواس، وكان يجهل حتى أنّ الحواس كان معه.

من هو هذا الشخص؟

يأتي الوقت الذي نتحدث فيه عنه، وهو على قيد الحياة.

قلتم قبلا أنه يجب أن ننزع عن المُجاهدين كلّ الشبهات، كيف ذلك؟

أجل وأقصد المجاهدين الحقيقيين، ويجب أن نقف عند هذه النقطة لنُحدد قبلا ماذا تعني كلمة مجاهد؟ لا أحد يمكن أن نطلق عليه لقب مجاهد إلاّ إذا كانت كلمة الله هي العليا، وإلاّ فهو مكافح، أو محارب، أو أيّ شيء آخر، ولكن ليس مجاهدا، وإن مات فهو ليس شهيدا، إن لم يكن قصده أن يعود إلى كلام الله، أنا حاربت لكي يعود الإسلام إلى هذه البلاد، وقلتها سنة 1962 لمن خان العهد، كنا في الفاتح من نوفمبر نُحارب من أجل جزائر إسلامية ديمقراطية تحت لواء المبادئ الإسلامية، وتمّت خيانتها سنة 1962.

ألم تتمّ خيانتها قبل ذلك التاريخ، أي في مؤتمر الصومام؟

الجهاد بقي في الجزائر حتى سنة 1962، بقي المُجاهد مجاهدا، أمّا على الحدود فصار جنديا، لم يعد لنا الحقّ أن نقول عنه مجاهد، وبما أنه جندي صار له الحقّ في أن يشرب الخمر ويُدخن، أمّا في الجزائر فبقوا يجدعون أنف من يُدخن، لأنه خان المبادئ الإسلامية، ولم نكن قادرين على اقتناص الاستقلال لولا تمسكنا بالدّين، الرجال الذين انتفضوا في 1954 كانوا يُضحّون في سبيل الله، هناك منهم أغنياء، مثل مصطفى بن بولعيد، ولكنّ حُبّ الجهاد من دفعه للموت.

أطلق الرئيس الحالي عبد العزيز بوتفليقة اسم مصالي الحاج على مطار تلمسان، ألاّ تعتقدون أنّ هذه الخطوة ستكون بداية الاعتراف بالرجل؟

أشكره، لأنّ مصالي الحاج غرس الوطنية في الجزائر، ولو أنّ الرجل يستحقّ أكثر من هذا، المطار هو قطرة فقط، مقارنة بالعمل الذي قام به مصالي الحاج من أجل الجزائر.

هل من إضافة سيدي؟

أقول أننا، وفي كلّ الأحوال ليس لدينا إلاّ عدو واحد في هذا العالم...وليس الجزائري... فمن يضرّ الجزائر فهو ليس جزائريا.

12

محند الشريف قاضي

"صالح زعموم ليس خائنا والشريف سعيدي وراء مقتل علي ملاح" [1]

1 نشر بتاريخ 6 جوان 2011.

المجاهد محند الشريف قاضي من بين صنّاع الثورة التحريرية، كان ضيفنا في هذه الوقفه الجميلة. التقينا به في مؤسسة الولاية التاريخية الرابعة. فاستغلّينا الفرصة، وحاورناه... هو الذي التحق بالحركة الوطنية من فرنسا سنة 1952، قبل أن يعود إلى الوطن، ويلتحق بـ"كوموندو" علي خوجة. سلّط الرجل الضوء على حقائق لا تزال لحد اليوم تُثير حديثا وجدلا واسعين، مثل قصّة "الكوموندو نوار" وما ألصقه ضبّاط فرنسيون بالمُجاهدين من تنكيلهم بقتلى المعارك، رادا بذلك على الرواية الفرنسية. ضيفنا رافق محمد بوقرة في مُهمته في جوان 57 ليُحقق مع الشريف بن سعيدي حول قضية استشهاد علي ملاح، وبعض قادة الولاية السادسة. ومنحنا محدثنا شهادته عما أُسمي بقضية "الاليزي" والاجتماع الذي جمع بين الجنرال "ديغول" والشهيد صالح زعموم دون علم قيادة الخارج. هذه التفاصيل التي ستقرأونها شهادة مجاهد عاش تلك الفترة، وحاول أن ينقلها لنا بكثير من الدقّة في هذا الحوار الشيق.

نعلم سيدي أنكم من بين صناع الثورة التحريرية...

لا، لست كذلك. لست من صنّاع الثورة التحريرية، ولكن من بين الشبّان الذين كان لهم الحظ في المُشاركة بالقليل فيها...

فصرتم من صنّاعها...

الشعب هو صانعها. ثمّ إنّ هناك الكثير من الأشخاص الذين ودّوا لو يُشاركون فيها، ولكن لم يستطيعوا لسبب أو لآخر. لهذا أفضل أن تلقبني بالمناضل البسيط..حسبي هذا وفقط.

حسنا، لكن نتّفق على أنّ أوّل اتّصال لكم بالحركة الوطنية، لم يكن من الجزائر، ولكن من فرنسا، فكيف كان ذلك؟

هذا صحيح، ولكن قبل هذا اسمح لي أن أعود بك إلى الوراء قليلا، لأقول لك أنني قبل أن أعي على ضرورة الانضمام إلى الحركة الوطنية، وعيت على حقيقة هذا الاستعمار الغاشم الذي يجب مُحاربته. وأوّل اصطدام لي بهذا المُحتّل كان منذ زمن. كنت

حينها صغيرا، لم أبلغ السادسة من العمر. وكانت المرّة الأولى التي أرى فيها فرنسيين يدخلون إلى "دشرتنا[1] تيمغراس" التابعة لعين الحمام بتيزي وزو، في وقت كانت فيه الحرب العالمية الثانية على الأبواب. وفرنسا كانت تُجّند المُواطنين الذين لم يُلبّوا نداء الخدمة الوطنية، جاؤوا لكي يأخذوهم قسرا، أو ما يُسمى بالتجنيد الإجباري.

ألم تكونوا قد رأيتهم أمثال هؤلاء الجنود من قبل؟

لا، كانت المرّة الأولى، أو على الأقل عندما أعود بذاكرتي إلى الوراء، تلك هي أوّل صورة أتذكّرها عنهم.

بما أنّكم كنتم صغيرا في السن، فهل كنتم تدركون أنكم مُحتّلون؟

في الحقيقة لم أكن استوعب تماما كلّ ذلك. لكن ما أعلمه أنني استغربت، مثل كثير من أهل دشرتنا، من شكلهم. كانوا طوال القامة، وذوي بشرة حمراء.

كيف كان سكّان الدشرة ينظرون إليهم؟

لقد أخافوا الأهالي. وأخذوا بعض الأشخاص مُقيدين.

الذين لم يرضخوا إلى نداء التجنيد؟

ليس هؤلاء فحسب، بل حتى أسرهم. كانوا يُريدون أن يضغطوا على الأشخاص الهاربين من التجنيد من خلال اعتقال أفراد من أسرهم. هناك من أخذوا زوجته، وآخر ابنه، وهكذا.

حسنا بالنسبة إليكم، هل كنتم قد دخلتم إلى مدرسة أو كُتّاب[2]؟

بدأت الدراسة في المسجد، وكنت في الرابعة من العمر، وكنا نكتب على اللوحة. وعندما بلغت سنّ التاسعة، جاء عمي الذي كان تاجرا في "تاملوكة"[3]، أخذني لكي أدرس هناك، وبقيت أتابع تعليمي الابتدائي. ثمّ التحقت بمدرسة تابعة لجمعية العلماء المسلمين كما تعلمت في المدرسة الفرنسية. وتوقفت عن الدراسة

---

1 جمع:دشور، وهي مجموعة من المنازل، والدشور تكون القرية.

2 جمع:كتاتيب، وهي مدارس صغيرة يتعلّم فيها الأطفال القرآن خاصّة واللغة العربية.

3 ولاية أم البواقي حاليا.

في مدرسة الجمعية إثر أحداث الثامن من ماي 1945، التي غيّرت، إلى حدّ بعيد، المسار التاريخي للجزائر الحديثة. فتلك المظاهرات وذلك التقتيل، وما فعلته فرنسا بالزعماء السياسيين، بحيث اعتقلت بعضهم وقتلت آخرين، ونفت البعض الآخر، مثلما حدث مع مصالي الحاج الذي أخذ إلى برازافيل. كل ذلك كان بمثابة الصفعة التي جعلت المناضلين يزدادون إصرارا. وحتى الكثيرين ممّن كانوا مُترددين بشأن طرد الاستعمار بقوّة السلاح، جعلت هؤلاء يتمسّكون بخيار العمل المسلح.

حسنا فمتى ذهبتم إلى فرنسا، ولماذا؟

قبل ذلك كنت انتقلت بين تاملوكة، وبلعباس، وعين مليلة وقسنطية، وكنت في تلك المدن بين الدراسة والعمل. ثمّ انتقلت إلى فرنسا لكي أعمل. ذلك أنه بعد وفاة أبي، بقيت أمي لوحدها تتكفّل بإخوتي الأربعة الصغار. فسافرت من أجل العمل ومُساعدتها. بحيث كنت أرسل لها بعض المال.

فكيف التحقتم بالنشاط السياسي في حركة انتصار الحريات الديمقراطية المُعترف بها[1] بفرنسا؟

البرنامج غير الرسمي لحركة انتصار الحريات الديمقراطية كان برنامج حزب الشعب. وباختصار العمل دائما من أجل نيل الاستقلال الكامل عن فرنسا. أمّا أنا فلم أنشط حتى سنة 1952، مع ابن عمّي الذي كان مُنخرطا في الحركة الوطنية. وحتى جريدة الأمة لحزب الشعب، تغيّر اسمها ليصير جريدة الجزائر الحرّة. وكانت تُدعّمها جريدة "المنار". هذه الأخيرة التي كان يُديرها محمود بوزوزو الذي كان الأمين الوطني للكشافة الجزائرية من قبل. هذه الجريدة كانت تخدم القضية الجزائرية، رغم أنها لم تكن مُتحزّبة. كانت جريدة حرّة بحق.

ما الذي سبق قراركم بالانخراط في الحزب؟

كان ذلك بعدما ذهب مصالي الحاج إلى المشرق لكي يحجّ، ويزور البلدان العربية الموجودة هناك. ووصل حتى باكستان، ثمّ

---

1 حزب الشعب كان قد حل ولم يكن يملك الحق في أيّ نشاط سياسي.

عاد إلى الجزائر. وكان سيقوم بجولة في الأصنام[1] خرج، فوقعت مُشاداة بين المُتظاهرين والعساكر، وقتلوا مُواطنا، واعتقل مصالي. أمّا نحن فتظاهرنا بفرنسا، لكي نُطالب بإطلاق سراحه. وكان مسؤول الناحية حينها مراد ديدوش، رحمه الله. كانوا يُلقبونه بنور الدين، أو شيء كهذا. هو من كان يقود تلك المظاهرات. أي أنه في الجزائر كان هناك إضراب، وفي فرنسا قمنا بمظاهرات. ثم اشتبكنا مع الشرطة الخاصّة بمُكافحة الشغب، وتحديدا في "الاردان". حتى أنّ أحدنا، ومن شدّة الخوف والفزع، ألقى بنفسه في الواد، وغرق. أمّا أنا فقُبض عليّ، وأخذوني إلى مركز الشرطة. وبعد عشرين يوما تمّت مُحاكمتي. ولكني كنت قاصرا. ففي ذلك الوقت البالغ هو صاحب الواحد والعشرين سنة. وأنا لم أكن قد بلغت تلك السنّ بعد. وبعدها مُباشرة انخرطت في الحزب. ولكن، ولأني كنت قاصرا، ولم يكن لي حق الانخراط في أيّ حزب سياسي، فقد بقيت أنشط في السرّية. وكنّا نُوزّع جريدة الجزائر الحرّة، ونكتب على الجدران عبارات الدعاية. وبعد الأزمة الاقتصادية طردونا من العمل فعُدت إلى الجزائر، بقيت أسابيع ثم عُدت إلى فرنسا.

كيف كان أثر انقسام الحزب بين مركزيين ومصاليين على فدرالية فرنسا؟

لم نسمع به مُبكرا، ودخل الشكّ المُناضلين. خاصّة بعد أنّ ثارت تونس والمغرب، وراحوا يتساءلون عمّا إذا كنا سنثور نحن بدورنا أم لا؟ الخلاف كان موجودا من قبل أن نسمع به بأشهر. وكنا دائما نفكر في أنّ مصيرنا مُرتبط، كما قلت لك، بتونس والمغرب. خاصّة بعد أن التقى الأحزاب الثلاثة التي تمثل الجزائر والمغرب وتونس، واتفقوا أن ينتفضوا مرّة واحدة، تونس انتفضت، والمغرب بعدها، وبقيت الجزائر التي من المفروض أن تكون ثورتها رائدة. فراح مناضلو القاعدة يضغطون، وهو ما قسّم الحزب.

كيف كان موقفكم من هذا "الصراع"، وما كان عليكم فعله؟

بالنسبة إلينا حاولنا البقاء على الحياد. ونفس الانقسام الذي وقع

---

1 الشلف حاليا.

في الجزائر انتقل إلى فرنسا. ونحن كنا مُحتارين بطبيعة الحال. خاصّة بعد أن كانت تأتينا تعليمات لم نكن نعلم مصدرها في البداية. ثمّ تعيّن على رأس الحزب قائد جهوي يُدعى سي صالح، واسمه الحقيقي قدور العدلاني، كان من اللجنة الثورية للوحدة والعمل ولكن قدّم لنا على أنه مسؤول في الحزب. جاء لأيّام قليلة. أخذ المعلومات الخاصّة بنا، ثم اختفى. قبل أن يعود بعد مدّة باسم جبهة التحرير. والسي صالح هذا من بين المناضلين المعاقبين الذين أصدر فيهم مصالي الحاج العفو. جاءنا على أساس أنه القائد الجهوي الجديد. وكلّ هذا حسب رواية حميد الذي خلفه.

حسنا، فلماذا اختفى سي صالح؟

لأنه أخذ ما كان يريده. هو أراد في البداية أن يتعرّف على المناضلين. وكانت تأتينا منشورات تحت عنوان "الوطني"[1] كانت تحتوي توجيهات تأمرنا بمُواصلة النضال، ولكن أن نُجمد الأموال التي نجمعها، ونحن فعلنا، خاصّة بعدما علمنا بالانقسام، وبعض خلفياته، لم نفهم ماذا يحدث! وجمدنا الأموال التي كنا قد جمعناها، ومنها تلك التي كاانت موجهة لمُساعدة ضحايا زلزال الشلف، حيث أننا لم نكن نعلم من هو الفريق الذي كان علينا إتباعه.

حسنا في تلك المنشورات بالتحديد، ألم تكن هناك أوامر أخرى من طرف اللجنة الثورية للوحدة والعمل تشرح فيها الوضعية التي يمرّ بها الحزب، أو تُؤلبكم ضدّ مجموعة على حساب الثانية، أو ضدّ شخصية ما؟

كانوا يحثوننا على أن ننادي بدورنا بأن يُعقد مؤتمر وطنيّ عام، يكشف فيه الجميع كلّ شيء، ويتفقون على حلّ واحد، أو موحد.

حسنا، بعد تسريحكم من مناصب العمل التي كنتم فيها عدتم إلى الجزائر؟

عدت إلى الجزائر، وأُخذت إلى الخدمة العسكرية، تدرّبت في قسنطينة ثم أرسلوني إلى سور الغزلان في ماي من سنة 1956 وبقيت مدّة قبل أن أنتقل إلى سيدي عيسى ومنها إلى ماجينو[2]. في البداية كنا نفكر في الهرب مرّة واحدة، كنا حوالي عشر أشخاص.

---

1 "*le patriote*"

2 خمبس لعذاورة حاليا.

ثمّ كان أن منحونا إجازة للعودة إلى ديارنا.

كان من الصعب الحصول على إجازة بالعودة إلى منازلكم؟

أجل، ولكن تمكّنا من الحصول عليه. لأنّ هذا يتعلق بالمكان الذي نسكن فيه. فمن يسكن في الجبل، وسط المداشر، حيث لا وجود للسلطات الفرنسية، لا يستطيع زيارة أهله، خشية من أن يؤثر عليه ذلك المحيط ولا يعود. ولكن أنا وصديق لي اسمه علي بوطمين تمكنّا من زيارة ديارنا. بالنسبة لي أنا عدت إلى دشرة تيمغراس، دائرة بني وسيف، حاليا. التقيت بمجاهدين هناك كنت أعرفهم ويعرفونني، وكان من المفروض أن لا أعود. ولكن مسؤول المنطقة وهو عمر بوعكاش أمرني أن لا أفرّ خلال مدة التسريح. قال أنه إن أنا فعلت، فإنّ فرنسا يُمكن أن تأتي للبحث عني لدى أهلي، وقد يقتلونهم، وربما يُبيدون كلّ سكان الدشرة. خاصّة وقد حدث هذا من قبل. أمرني أن أعود إلى الثكنة و"أن اثبت أنني رجل على طريقتي" ويقصد أن أفرّ من هناك لألتحق بجيش التحرير. ونفس الشيء وقع مع زميلي الذي يسكن بالشقفة في جيجل. وعدنا نحن الاثنين إلى الثكنة. وجعل تأخرنا بيوم القيادة تشك في أمرنا. فراحوا يحتاطون منا. سألونا لماذا تأخرنا فتعذرنا بمشكل النقل، صدّقونا. ولكن شعرنا أنّ شكوكهم لم تختف، وبقينا تحت الحراسة، ولم يُسلمونا سلاحنا إلاّ بعد مدّة. وفي نفس الليلة التي حصلنا فيها على سلاحنا قمنا بالفرار... أنا وصديقي.

كيف عاودتم الاتصال بالمجاهدين بعدها؟

مشينا إلى أن وصلنا إلى جواب التي تقع بين تابلاط وسور الغزلان والبرواقية وبني سليمان، كلها مُناطق مُتجاورة. في البداية التقينا بالسي لخضر[1]، والذي كان قائد الكتيبة في منطقة بني سليمان قبل أن يصير قائد منطقة، وبقينا معه. وقمنا بعمليات كثيرة.

كم من عملية وماذا كان نوعها؟

أكثر من 16 عملية، عدا المناوشات الصغيرة. وكثير منها كانت كمائن لدوريات العدو خاصّة. وبعدما صار سي لخضر رئيس

---

1 الاسم الكامل للسي لخضر هو مقراني السعيد.

منطقة، وأصبحنا مع سي مسعود، واسمه الحقيقي مسعود معدن، الذي ينتمي إلى زاوية الشيخ المحفوظ بالزبربر، قمنا بعمليات أخرى. إلى أن أعدنا تنظيم الوحدات وكنت مع سي مسعود الشيخ. وصرت من المحظوظين الذين أصبحوا ضمن "الكوموندو" بحيث كان الجميع يحلم بأن ينضم إليه.

حسنا، اشتبكتم مع ما سُميّ بـ"الكوموندو الأسود "نوار" المشكل من شبّان فرنسيين قدّموا نداء الخدمة الوطنية خصيصا من أجل الانتقام من المجاهدين؟

لكن سبق هذا جملة من الأحداث، بحيث أنّ بعض المسبلين أحرقوا مزارع للمُعمّرين. انتقمت فرنسا من دشرة "جراح" بطريقة أقل ما يُقال عنها أنها بشعة. قتلوا كثيرين، وأحرقوا المأونة الخاصّة بسُكّانها، ودمّروا وشرّدوا. ولهذا قرّر علي خوجة[1] الانتقام من فرنسا، فكمن لعساكرها بعد يوم أو يومين في نفس الدشرة. ولهذا تشكل "كوموندو نوار" في فرنسا، من شباب فرنسيين قرّروا الانتقام من المُجاهدين خاصّة بعدما عنونت جريدة "باري ماتش" الفرنسية صفحتها الأولى بـ"فرنسا تُجرح في باليسترو" وهو ما أثار غيظ بعض الشبان الفرنسيين الذين تحمّسوا للانتقام.

لكنّ ضبّاطا فرنسيين ممّن عايشوا تلك الفترة قالوا أنّ المُجاهدين نكّلوا بالعساكر الفرنسيين، وبقروا بطونهم، وشوّهوا جثثهم بعد الكمين؟

هذا افتراء وكذب. وسأقصّ عليك حقيقة ما جرى دون تزييف. عندما كمن علي خوجة لـ"الكوموندونوار" جاء بعض سكّان قرية "جراح" الذين كانوا مصدومين ممّا فعلته فرنسا فيهم قبل ساعات فقط. فراحوا يبقرون بطون العساكر الموتى الذين سقطوا في الكمين. ويضعون الحجارة في بطونهم، ويُشوهون أجسادهم ويكتبون عليها عبارات "تحيا جبهة التحرير الوطني" وهم مُعذورون إلى حد بعيد. فقد كانوا مصدومين، وأرادوا الانتقام. وفرنسا، طبعا، استعملت هذه الحادثة من أجل التشهير بالمُجاهدين، وتصويرهم على أنّهم مُجرمون، وهذا خطأ عظيم. وأخذت تلك الصور إلى الأمم المُتّحدة من أجل إضعاف موقف الجزائر، هذا ما حدث دون تلفيق.

---

1 اسمه الحقيقي مصطفى خوجة.

حسنا فماذا عن الاشتباك مع "الكوموندو نوار"؟

كان هذا ليلا في "ساكامودي"، جاءنا حارس، وأخبرنا بمجيئهم، فأعددنا العدّة لكي نكمن لهم. كمنّا لهم، وفي الوقت الذي كانوا فيه يُوزعون المهام على رجالهم، هاجمناهم. أطلقنا الرصاص فانبطحوا جميعهم، لم ندرك عدد القتلى، ولم نتجه حتى لجلب الأسلحة، بل فضّلنا الانسحاب. لأنه كان من المغامرة أن نُهاجمهم في الظلام. أمّا الأحياء منهم فعندما حاولوا الهرب فقد كمنت لهم مجموعة ثانية كنا وضعناها لهذا الغرض.

هل كنتم أول من هاجمهم لدى قُدومهم إلى الجزائر؟

لا، كانوا قد اشتبكوا مع مجموعات أخرى. ولكن باقي المجموعات في القرى والمداشر الصغيرة كانت تخشاهم، إذ كانوا مُسلحين بشكل جيد. أما فيما يخصّنا، فإنه حتى الرقيب الذي كان على رأس "الكوموندو نوار" كان يُريد أن يلتقي السي لخضر. كان يمرّ بالقرى ويقول أنه أقوى من سي لخضر، وأنه يريد أن يُلاقيه يوما ما، ووقعت تلك الملاقاة فعلا.

متى تمّ القبض عليكم؟

في نهاية 1957 ألقوا القبض علي حتى وقف إطلاق النار. نقلوني بين السجن عسكري بباب الواد، وسركاجي، ثم الحرّاش، ثمّ سجن "لومباز".

ماذا يُمكن أن تقولوه لنا عن ظروف استشهاد مصطفى خوجة المدعو علي خوجة، وهل فعلا هناك من وشى به؟

علي خوجة كان ذهب إلى دار عائلة بلونيش، في مهمة معاينة المكان للهجوم على ثكنة عسكرية قريبة منه. ولسوء الحظ، أو لأمر لا نعرفه تفطّنت فرنسا له، ودار الاشتباك العنيف الذي أدى إلى استشهاده.

هي وشاية؟

لا أدري. ربما هي كذلك. ما أعلمه أنّ علي خوجة اصطدم بالجيش الفرنسي واشتبك معه بداية في دار بن مرابط، ثم اشتباك ثاني في دار بلونيش. هذه الأخيرة التي كان لديها مشفى تأوي فيه المجاهدين، ومخابئ كذلك، وأطباء مُختصين يأتون من أجل إجراء عمليات للمُجاهدين المصابين. وكلا المكانين يقعان في شرق مدينة

برج الكيفان.

رافقتم محمد بوقرة، أو السي محمد، لحلّ المُشكل الذي وقع بين الشريف سعيدي والشهيد علي ملاح. فهل تُؤكدون بأنّ الخيانة هي التي كانت وراء مقتل سي شريف وبعض قياداته؟

قبل هذا أقول لك أنّ لجنة التنسيق والتنفيذ عندما أرسلت سي محمد للتحقيق في الأمر، فلأنّ هذا الأخير كان يتمتع بصفات تجعله قادرا على معرفة الحقيقة. وبالفعل كان حكيما في تعامله مع الوضع. ونحن كنا "كوموندو" كامل. رافقناه لكي نُوفّر الحماية. كان علينا مُعالجة القضية بعد وصلتنا أخبار أنّ علي ملاح وقادته تعرّضوا إلى مكيدة وخيانة، حيث استشهد هو وقبله "الروجي" والبكباشي، وغيرهم. وعندما وصلنا طلب السي محمد مُقابلة شريف السعيدي. ثمّ كانت هناك جلسة عامّة، حضرها مُمثّلون عن السكّان. وراح السي محمد يطرح أسئلة على شريف، هذا الأخير الذي كان يُنكر أن تكون له صلة بمقتل علي ملاح أو "الروجي" أو غيرهم. وفي الأخير طلب السي محمد من كاتب شريف السعيدي أن يُوافيه بالحسابات، فقام وأحضر له بعض الأشياء وراح يُعدّها، وكان بينها الأشياء التي كانت عند السي ملاح قبل استشهاده، فسأله السي محمد من أين أتت؟ أجاب بأنها كانت موضوعة فوق جثة علي ملاح. فلم يفعل سي محمد سوى أن قال بأنّ الجلسة لا تزال مفتوحة، وطلب من الحضور أن يذهبوا لكي يتناولوا وجبة العشاء على أن يعودوا في الساعة الواحدة. وفعلا، افتتحت الجلسة من جديد وعادوا جميعهم إلاّ شريف الذي تغيب، وكان قد فرّ، فقال السي محمد أنه لم يعد هناك من شك في ما حصل. وأقفل الجلسة وجمع مُمثلي السكّان كلهم في الساحة. وقال أنّ يختاروا بين أن يتّبعوا خائنا، أو يعودوا إلى صفوف الثوّار. فإن كانوا معذورين بالأمس لإتباعهم الشريف عن جهل، فإنهم اليوم مُدركين لحقيقته. وإن حاولوا الوقوف في وجه الثورة، فإنّ الثورة ستدهسهم لأنها لا تؤمن إلاّ بالنصر. ولا الشريف ولا غيره يمكنه أن يوقف مسار الثورة. وعندها أصبح الشريف يعمل تحت لواء فرنسا، مثله مثل بلونيس، واختار "ماجينو" معسكرا له.

لكنه أعطى أسبابا لتخلصه من علي ملاح و"الروجي" وقال أنّ هذا الأخير، مثلا، كان يقتل وينتهك الحرمات وغير ذلك؟

أقول لك بأنّ الشريف كان يبحث عن أسباب واهية لكي يُبرر فعلته التي كانت خلفياتها جهوية لا غير. ولو أنّ مسألة الحكم على الأشخاص صعبة ومعقدة.

ماذا يمكن أن تقولوه عما سُميّ بحادثة "الاليزي" واللقاء الذي جرى بين ديغول وصالح زعموم، كيف يمكن الحكم على تصرف هذا الأخير و"إخلاله" بنظام الثورة الذي قضى بأن لا ناطق باسم جبهة التحرير إلاّ الحكومة المؤقتة؟

هذه أيضا مسألة صعب البث فيها. ولكن ما أستطيع أن أقوله لك أنّ صالح زعموم لم يكن خائنا للوطن، ولا لرفاقه في الجهاد. ربما لم يكن تصرّفه صائبا، عندما لم يستشر الحكومة المؤقتة، ولكنه معذور إلى حد بعيد. فنحن كنا معزولين، وكانوا يُرسلون إلى أصحاب الخارج، ولم يتلقوا الرد. فاتخذوا مسؤوليتهم كاملة. ثمّ إنهم لم يردّوا على ديغول، وقالوا بأنهم سيستشيرون الحكومة المؤقتة كونها الممثل الشرعي للجزائريين.

13

إيفلين لافالات

"عبان رمضان له قدرة خارقة على الاقناع وبن مهيدي أورثني تصميمه" [1]

1 نشر بتاريخ 7 جويلية 2011.

ضيفتنا من بين المُناضلات الأوروبيات اللائي ساهمن، وشاركن في حرب الجزائر لنيل استقلالها، لم تكن قضية الجزائريين فقط "بل كانت قضية كلّ من يؤمن بالعدل والمساواة والأخوة" هكذا تصف ضيفتنا القضية الجزائرية "ناضلنا لنرى جزائر صادقة يوما ما" تضيف، كانت تحدثنا وفي حديثها الكثير من التأثر، كيف لا، وهي التي ضحّت لسنوات، وعاشت السجن، والتعذيب، وعرفت أسماء مُناضلة من حجم محمد العربي بن مهيدي، وعبّان رمضان، وبن بولعيد، تقول:"لقد نقلوا لي التصميم على الكفاح، والإيمان بالاستقلال المُحقق". ضيفتنا هي إيفلين لافالات حرم الصحفي الفقيد بودالي سفير، بدأت نضالها مع الكشافة، ثمّ صارت كاتبة في العاصمة، وبعد أن قرأت بيان الفاتح من نوفمبر 1954 قررت أن تناضل من أجل القضية الجزائرية، كتبت رسالة الشهيد زبانة لوالديه بطلب من بن يوسف بن خدة، وحررت بيان إضراب الطلبة في 19 ماي 1956 كما كانت تصل بين الجزائر ووهران، التقينا السيدة لافالات، وسرقنا منها حوارا سريعا، هي التي لطالما حاولت أن تختفي عن الأضواء.

لقد تمّ تكريمك سيدتي الأسبوع الماضي لكونك إحدى المُناضلات اللائي ضحين بأنفسهن من أجل الجزائر، فهل هذه المبادرة هي الأولى من نوعها؟

لا، ليست المرّة الأولى، كُرمت مرّات عدة، وكنت رفقة مناضلات أخريات، ولكني أقول أنها، ربما، المرّة الأولى التي أكرم فيها بهذا الشكل، وبمثل هذه الطريقة الجميلة، أنا لست ممن يحببن الظهور، ولهذا كنت فرحة بالتكريم، وفي نفس الوقت مندهشة، فأنا لم أكن أنتظره تكريما مشابها، وبحضور كلّ هؤلاء الأشخاص، شاركت، أو تمّت دعوتي لعديد من التكريمات، ولكني كنت من بين مناضلات أخريات مثلي شاركن، وناضلن، وتمّ الاحتفاء بهن، وبنضالهن،، أمّا اليوم، وهذه المرّة وأنا أرى كلّ من شارك في الحفل، ومن ساهم في الاحتفاء بي، فأنا سعيدة،

ومضطربة في نفس الوقت، أقول لك أنني عادة لا أحب الصفوف الأولى، وأقول أنني محظوظة لما قدم من أجلي، بل كنت مندهشة فعلا، لأنّ مسيرتي لا تختلف عن كل مناضلة بسيطة حاربت من أجل نيل الاستقلال، أو من أجل أن ترى جزائر حلمنا بها جميعنا، لهذا أقول أنني لست لوحدي، وهناك كثيرات مثلي فعلن ما كنّ مقتنعات به.

كم كان سنك عندما التحقت بالنضال؟

لقد بلغت الرابعة والثمانين، وحين انطلقت الثورة، أو عندما التحقت بها سنة 1955 كان عمري 26 سنة.

حسنا، فكيف التحقت بصفوف جبهة التحرير؟

كانت البداية الأولى في النضال عبر الحركة الكشفية، كنت كاتبة بالعاصمة، عندما تعرفت على جزائريين من أصول مسلمة، أو هكذا كان يُطلق عليهم، ثمّ، وفي سنة 1955 قرأت بيان الفاتح من نوفمبر، فقررت أن أصبح مناضلة لجبهة التحرير، فكرت في أنّ الهدف كان نبيلا، وأنني سأخدم قناعاتي إن فعلت، ففعلت دون تردد ولا شيء، فصرت واحدة من بين كثير من المناضلات مثلي اللائي ساهمن بما يملكن من أجل تحرير هذا الوطن. كتبت رسالة الشهيد زبانة لوالديه بطلب من بن يوسف بن خدة، وفي 19 ماي 1956 أي تاريخ إضراب الطلبة كنت أنا من كتب بيانه، ورقنت أوّل عدد من جريدة المُجاهد كما كنت عنصر ربط بين الجزائر ووهران.

...وكنت خلال الثورة تُخفين مُجاهدين مسؤولين؟

أجل.كنت على اتصال دائم بيوسف بن خدة، كنت قد استأجرت منزلا كان يتوافد عليه أشخاص لم أكن أعرفهم في البداية، ثم تبين أنّهم يتقلدون مسؤوليات في جبهة التحرير الوطني، ما قمت به كان بسيطا، كنت أعثر على مخابئ لهم.

..مثل العربي بن مهيدي، وعبان رمضان؟

أجل، وبلقاسم كريم، وعمر اوعمران، ومصطفى بن بولعيد، وغيرهم.

ما الذي يمكن أن تقوليه لنا عن شخصية عبان رمضان؟

كان رجلا مستقيما، ومثقفا، وله صفات المسؤول، لقد أبهرني

بشخصيته، وشجاعته، ونضاله المُستمر، ومن بين المناضلين المُصممين على نيل الاستقلال، كان يعرف كيف يجمع كلّ طبقات المُجتمع، ليضمهم إلى جبهة التحرير الوطني، وحتى الذين انخرطوا عن تطوّع وتصميم، كان يفعل كلّ هذا، وأكثر، فهو كان رجلا متفتحا، كان يجمع الجميع الطلبة، والعمال، وغيرهم، فما إن يلحظ في جماعة، أو في فرد استعداده للعمل الثوري، يضمه إلى الجبهة، كانت له قدرة خارقة على الإقناع، ولهذا استطاع أن يلحق بالجبهة عشرات، ومئات المُناضلين.

هل نقلوا لك ذلك التصميم، والاقتناع بالاستقلال؟

أجل، لقد صار الاستقلال بالنسبة إلينا شيئا مُحققا، أتذكر جيدا توقيع اتفاقيات "افيان" كنت مع أصدقاء فاتصل بي أصدقاء، كنت مع الدكتور بن تامي رئيس الهلال الأحمر الجزائري آنذاك، وقال أنّ التوقيع تم، قال هذا ثمّ بكى.

وبالنسبة للعربي بن مهيدي؟

نفس الشيء هو رجل مُصمم، أي كان مصمما على ما كان يفعله، ومقتنعا به، كما لو كان يدرك أنّ الاستقلال آت لا محالة، كان هكذا، وكان أيضا يُحدثني كثيرا عن واجباتي، وما كان عليّ إنجازه كمناضلة في جبهة التحرير الوطني، ولكنه، مع ذلك، قال لي أن أكون حذرة، وحدّثني منذ البداية عن الأخطار التي يُمكن أن أتعرض إليها وأنا أخفيه عندي، بل إنه طلب مني أن أعود إلى فرنسا إن لم أكن مقتنعة فعلا بما أفعله، وأنني إن لم أكن فعلا مصممة على الكفاح، فلا بأس إن تراجعت، هكذا كان يقول لي.

هل كنت تعرفين اسمه حينها؟

لا، لم نكن على إطّلاع على الأسماء، كنت أعرف أنه مسؤول، ولكن لا يمكن أن أعرف اسمه في تلك الفترة، كنت أقوم بإخفائهم، وكنت أفعل ذلك في مرّات كثيرة، ولكن لم أجمعهم أبدا مرّة واحدة، كان ذلك مخالفا للسرّية التي كان يجب أن نكون عليها.

أين كان هذا الملجأ؟

في54 شارع "داغير" ثم 35 خليفة بوخالفة.

حيث تمّ توقيفك؟

أجل.

وبعدها حوكمت فيما سميّ بمُحاكمة المُثقفات؟

بالفعل.

متى كان ذلك؟

تمّ توقيفي سنة 1956.

كم بقيت في السجن؟

بقيت في السجن ثلاث سنوات، من سنة 1956 حتى سنة 1959.

بعدما أطلق سراحك هل عدت والتحقت بالمناضلين؟

لا، بعدما تمّ إطلاق سراحي ذهبت إلى فرنسا، حيث تمّت مُطاردتي من طرف الأيادي الحمراء، فاتجهت إلى سويسرا، وهناك شاركت في الهلال الأحمر، وعملت فيه كموظفة دائمة، كان ذلك مع الدكتور بن تامي، ثمّ عُدت وأكملت دراستي، وفي سنة 1962 تمّ ترشيحي كنائبة في البرلمان في أوّل اجتماع، ثمّ عملت ووُظفت في وزارة العمل.

حسنا ما الذي دفعك إلى أن تختاري أن تكوني مع الثورة والمناضلين؟

في البداية رأيت ما يحدث في الجزائر، وفكرت في أن شيئا ما ليس على ما يرام، أي يجب تغييره، أولا، فعندما وعيت على هذا الاستعمار، وكل تلك المشاكل التي كانت الجزائر تعيشها، الاجتماعية، الاقتصادية، ثم السياسية، قررت أن أناضل مع من رأيت أنه يناضل من أجل الحق، وعندما سمعت بانطلاق ثورة نوفمبر 1954 لم أتردد في الانضمام إلى صفوفها.

هل أنت مع أو ضد أن تعترف فرنسا بجرائمها؟

أنا لست مؤرخة، أترك هذا للمؤرخين، هم أدرى بمثل هذه الأمور.

هل تمّ الاعتراف بك، وبنضالك من طرف السُلطات الجزائرية منذ الاستقلال، أو تمّ إهمالك وتجاهل تضحياتك مثلما حدث مع البعض؟

بالنسبة لي، فقد أعترف بي، ويكفي أنني كنت نائبة في أوّل مجلس تأسيسي، وانتخبت مرّتين، ثمّ عملت في وزارة العمل، هذا يعتبر اعترافا، لم أعان من التجاهل، أرى أنني أخذت فرصتي، وحظي، أتحدث، بالطبع، عن نفسي، وعمّا عشته شخصيا.

ونحن نحتفل بذكرى الاستقلال، ما الذي يمكن أن تقوليه لنا، سيدتي؟

أرجو أن تتحقق يوما تلك الجزائر التي حلمت بها، وباقي المناضلات، والمناضلين، جزائر فيها أخوة، وصدق، وكل شيء جميل.

14

زليخة بقدور

"المرأة استعملت خلال الثورة لتنبذ بعد الاستقلال"[1]

1- أنجز بتاريخ 16 ماي 2012.

ضيفتنا مولودة في الفاتح من مارس سنة 1934 بتيارت. ونشأت في تلمسان، درست فيها، ثمّ انتقلت مع عائلتها إلى العاصمة سنة 1953. وتحصّلت فيها على شهادة الباكالوريا بتقدير، قبل أن تنتقل إلى الجامعة المركزية التي انخرطت فيها بالاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين. فكانت تربط الاتّصال بين العاصمة ووهران، وبها أُوقفت في 11 نوفمبر 1956 على الساعة الرابعة صباحا. فتمّ تعذيبها، وسجنها، ثمّ نفيها إلى باريس. وعادت بعد الاستقلال لتقوم على تهيئة المكتبة الجامعية، إلى تاريخ 8 مارس 1986. اتجهت إلى فرنسا في 1994 بعد تعرّضها لتهديدات من طرف الجماعات المسلحة، وعادت في سنة 2010. التقيناها في منزلها بحي المُسبلين المُتفرع عن شارع محمد الخامس، عدنا بها إلى فترة الاستعمار، ونضالها، وقضية المسجونات المثقفات، وحادثة "الابلويت" التي أرادت السلطات الفرنسية أن تُورطها فيها. حدّثتنا عن دور المرأة قبل وبعد الاستقلال، ودور المناضلين الأوروبيين، الذين تفضل أن تُسميهم "جزائريون من أصل أوروبي". كما شمل حديثنا آراء المناضلة حول واقع الوطن، وما ينتظره من تحديات مُستقبلا.

تُحضرين سيدتي لانجاز كتاب حول نضالك، تنطلقين فيه من أحداث 8 ماي 1945 فهل تعتبرين تلك المجازر، وكما يراها كثيرون أوّل شرارة لانطلاق ثورة التحرير؟

أمّا الكتاب فتحدّثت فيه عن كلّ مسيرتي، وما عشته، والأشخاص الذين التقيتهم. قلت فيه حقيقتي، وانطلقت فعلا منذ الثامن من ماي 1945. وبالنسبة لتلك المظاهرات فكان لها الأثر البالغ على نفوس جميع من عاشها، وتركت جُرحا عميقا لا ولن يندمل. وأنا كبرت في جو وطني، وصادف الثامن من ماي بلوغي الحادي عشرة سنة. كانت في البداية مظاهرات سلمية نظمها

المُناضلون، وكم آلمنا ما جرى بعدها. خاصّة وأنّ الناس خرجت توقا للحرية، بداية بالعاصمة في الفاتح من ماي، ثمّ وقعت المجازر الأكثر دموية في قالمة وسطيف وخراطة في 8 ماي. ورغم أننا في تلك الفترة كنا بعيدين عن ما حدث، ولكن جاءتنا الأخبار المؤلمة، وتفطّنا لحقيقة الاستعمار الغاشم، ولكن لم نكن نعلم ما العمل.

أنت نشأت ودرست في تلمسان

ولدت في مدينة تيارات، وعائلتي رحلت إلى تلمسان في سنة 1940. وبالنسبة لي فقد تابعت دراستي في المدرسة القرآنية. ففي سنوات الأربعينيات كانت هناك دار الحديث[1]، وكنا نتعلّم فيها اللغة العربية. أتذكر مثلا الشيخ عبّاس من جمعية العلماء الذي كان يُدرسنا. أمّا في المدرسة الفرنسية فلم يكن يحقّ لنا تعلّم العربية أصلا.

حسنا، على غرار الأحداث الوطنية الخارجية، نعلم أنّ الخطاب السياسي قليلا ما كان يُوجه إلى المرأة. ولكن، مع هذا، كانت النساء يتناقلن الأناشيد والمواعظ الوطنية بينهن في الحفلات، والملتقيات العائلية، هلا حدّثتنا عن هذا؟

لم يكن من الطبيعي أن نتفادى الأحاديث والأغاني الوطنية. وخاصّة بوجود نساء كنّ ينقلن لنا ذلك الوعي. فمن منهنّ لم يكن زوجها، أو والدها، أو ابنها مُنظما في صفوف الحركة؟ لا واحدة، أتذكر أنّ كلّ جيراني كانوا إمّا مُنخرطين، أو مُساهمين في الحركة الوطنية، بداية بحزب الشعب، ثمّ حركة انتصار الحريات الديمقراطية. وحتى العقيد لطفي[2] كان جارا لنا، وبعد الاستقلال عدت وزُرت الحي الذي كنت أسكن فيه، وأستطيع أن أقول لك أنّ كلّ البيوت فقدت شهيداً أو اثنين خلال حرب التحرير. وعائلتي، من جهتها، كانت كلها مُناضلة. ولهذا كان من الطبيعي أن ينتقل إلينا الخطاب السياسي، أو لنُسمه الخطاب الوطني. وأُحدّثك، على سبيل المثال، عن مُناضلة اسمها فاطمة زكال، قدمت للسكن في تلمسان بعدما ارتبطت مع السيد بن عصمان، وكانت تجمع النساء

---

1 مدارس جمعية العلماء المسلمين.

2 اسمه الحقيقي بن علي بودغن.

في ساحة المنزل العربي حول سهرات عائلية، أو مناسبات، مثل المولد النبوي الشريف، وتُلقي خطابات سياسية، ودينية. أي أنها كانت تُعطي دروسا للنساء، فكنا خلالها نقرأ ونُغني الأناشيد الوطنية، ونفس السيدة التقيتها بعد مدّة في سجن الحراش. أمّا نحن، وكما قلت، لك فكنا نذهب إلى تلك السهرات، ولكن لم نكن نعلم ماذا كان سيُحدث، إلاّ مع انطلاق الفاتح من نوفمبر، أي حرب التحرير، ولا أقول ثورة، لأنها كانت حربا.

نعلم أنك شاركت في إضراب الطلبة في 19 ماي 1956، فكيف اتّصلت بالمناضلين؟

درست في تلمسان، وانتقلت بعدها إلى ثانوية "دولاكروا"[1] التي لم يكن بها سوى عشر فتيات جزائريات من أصل 1500 طالبة، إلاّ أنهنّ كن جميعهن من عائلات مرموقة. مثل حسيبة بن بوعلي التي كان والدها مالك أراضي في الشلف. وأنا عندما حزت على الشهادة بتأهيل تقدير، انتقلت إلى الجامعة، وأوّل شاب التقيته كان عمارة رشيد. توجّه نحوي، وحدّثني، وعرض عليّ بعدها أن التحق بالمكتب الذي كان يتمّ تحضيره، وهو قسمة الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين بالعاصمة، طلب مني أن أترشّح لأصبح عضوا في المكتب، ففعلت. وحصلت على أغلبية الأصوات، رغم أنني لم أكن معروفة، للتو قادمة من مدينة أخرى. فصرنا 9 ذكور وفتاتين. وبهذا ناضلت في مكتب الاتحاد بالعاصمة، في أكتوبر 1955.

نعلم أنّ اتحاد الطلبة لم يكن إلاّ وجها من أوجه جبهة التحرير، فكيف كنتم تُحافظون على السرّية، وأنتم في الوسط الطلابي؟

كان الاتّحاد غطاء لحركتنا النضالية، وفرنسا لم تكن تعلم بهذا، وكنا نستعمل المكتب للالتقاء والتشاور فيما بيننا. وكنا نلتقي أمام الجامعة في المساء مع مُناضلات، مثل نسيمة حبلال، التي كانت كاتبة رمضان عبان، وكانت تؤويه في "فيلا" صغيرة بالحامة، مُقابلة للمتحف الوطني[2]، وكانت معنا أيضا يزة بوزكري، التي صارت بعدها زوجة رمضان عبان، وكانت تسكن في السيدة

1 ثانوية عروج وخير الدين بربروس حاليا.

2 أوّلى أعداد جريدة "المجاهد" رقنته المجاهدة نسيمة حبلال.

الإفريقية، كما كنا نلتقي مع مريم بلميهوب، وصفية بعزيز، كنا نلتقي ونتحدّث سريا.

كيف كان يتمّ الاتصال مع المسؤولين؟

عمارة رشيد[1] كان يُوفر الاتصال مع رمضان عبان، والعربي بن مهيدي، ويوسف بن خدة، وبقينا كذلك إلى غاية شهر جانفي من سنة 1956 حيث تدهور الجوفي الجامعة، فقرّرنا أن نقوم بحركة احتجاجية، بداية بالإضراب عن الطعام في 20 جانفي، ثمّ إضراب عن الدراسة لمدّة 15 يوما. وبهذا أثبتنا للسلطات الفرنسية أننا مع جبهة التحرير. وأشير هنا إلى أننا تلقينا دعما كبيرا من طرف طلبة أوروبيين، وكذا شخصين اثنين، هما البروفيسور الكبير اندريه مندوز[2]، كما تلقينا الدعم من طرف موريس اودان[3].

كيف كان يتمّ التحضير الأوّل لإضراب الطلبة؟

كان هذا بعد تدهور الأوضاع بداخل الجامعة، وفي الشارع كانت هناك مُظاهرات دائمة، ولم نكن قادرين حتى على مواصلة الدراسة بشكل عادي، وفي 17 و18 ماي قرّرنا أن نجمع الطلبة الجزائريين، ولم يكن عددهم حينها قد بلغ 400 طالب، منهم 20 فتاة. رغم أنّ عدد الطلبة الأوروبيين كان 5000 طالب. لم يحضروا كلهم، ولكنّ الثانويين، من جهتهم، كانوا على اتصال بنا، وكانوا مُتحمّسين، وشكّلوا الأغلبية أيضا، وكانوا مع اللجوء إلى الإضراب، أمّا الأقلية التي كانت ضدّ حل الإضراب، ففكروا في أنّ الشهادات التي سيحصلون عليها مُستقبلا يُمكن أن تكون ذات فائدة في الحرب التحريرية، أو حتى بعد الاستقلال، والدخول في مرحلة التشييد والبناء.

هل تقبلتم وجهة نظر هؤلاء الذين كانوا ضدّ خيار الإضراب؟

في البداية لم أفكر في هذا، ولم أكن ضدّ أحد، وليس لي حساب أصفيه مع أيّ كان. لكن المؤسف هو أنّ هؤلاء هم من استفادوا من

---

1 أول طالب يلتحق بصفوف الثورة.

2 مؤسس مجلة "الوعي المغاربي" سنة 1951.

3 باحث وأستاذ فرنسي ساند القضية الجزائرية.

الامتيازات خلال الثورة وبعد الاستقلال، في وقت أضرب فيه حتى تلاميذ الابتدائي، والأطوار التعليمية الأخرى.

حسنا، بعد الإضراب ماذا كانت مُهمتك؟

أرسلوني إلى الدكتور نقّاش بوهران، وكان يُكوّن الشباب الذين يتجهون إلى الجبال ليُسعفوا الجنود المصابين، وحتى المواطنين العاديين. بقيت في وهران، بالولاية الخامسة، كنت مُكلفة بالسكرتارية، وترتيب الاتصال بين العاصمة ووهران، وفي العاصمة كانت هناك ايفلين لافالات، ابنة مُعمر اورورببي، وزوجة الصحفي الكبير عبد القادر سفير، كانت من جهتها تؤوي رمضان عبان، والعربي بن مهيدي، ويوسف بن خدة، وبلقاسم كريم، واوعمران، في شقتها في حي "داغار"[1].

أثارت حادثة توقيفك مع مُناضلات مُثقفات ضجّة في الجزائر، وحتى في فرنسا، فكيف حدث هذا؟

كان ذلك في 11 نوفمبر 1956 مع طالبة فرنسيّة، وقبل ذلك كان قد تمّ القبض على القادة الخمسة: بن بلة، وخيضر، وبوضياف، ولشرف، وايت احمد. فأرادت لجنة التنسيق والتنفيذ أن تُحذر وهران. ولأنّ ايفلين لافالات لم تكن قادرة على المجيء، أرسلت الفرنسية جاكلين اورانغو التي وصلت في المساء، وأوصتها ايفلين أن لا تبيت ليلتها، ولكنها فعلت، وكان خطأ فادحا. فباتت في شقة دونيس بلا التي كانت تخفيني فيها أنا وحاج بن علا، فقُبض علينا على الساعة الرابعة صباحا، أمّا أنا فاعتقلتني الشرطة الفرنسية، وتمّ تعذيبي، وبعدها جاءت جاكلين اورانغو وايفلين لافالات واثنين من أخواتي، وكذا سليمة بلحفاف، زوجة بن يوسف بن خدة، وصرنا 7 في سجن وهران. وبعد 15 يوما تمّ إطلاق سراح جاكلين، وأختاي الاثنتين وسليمة بلحفاف. فبقينا ثلاثة، أنا وايفلين، ودونيس، هذه التي كانت تؤويني مع حاج بن علا، كان والداها مُدرّسين، أمّا هي فمُهندسة دولة كيميائية مُختصّة في قمع الفساد بوزارة الداخلية الفرنسية، أما ايفلين لافالات فكانت سكرتيرة عميد جامعة الحقوق. عندما قبضت علينا السلطات

---

1 حي متفرع عن شارع محمد الخامس بالجزائر الوسطى حاليا.

الفرنسية كانت مذهولة، وأدركت أنّ المُناضلين ليسوا مجرد "فلاقة" وإنّما فيهم المُتعلمين والمثقفين، ومن الجزائريين، وكذا الفرنسيين. وهو ما هزّ الصحافة، وأدرك الاستعمار في 23 مارس 1957 أنّ الحرب لم تكن مُسيّرة من مجموعة "قطّاع طرق" ولكن كلّ الشعب كان وراءها، بعامته، ومثقفيه، وكبيره، وصغيره...والمساندين لقضيته العادلة من أوروبيين وحتى فرنسيين.

تحدّثت عن الفرنسيين الذين أدّوا دورا هاما خلال حرب التحرير، فماذا يُمكن أن تقوليه عن تلك المساهمة؟

لم تكن مجرد مساهمة، ولكنهم لعبوا دورا هاما. بل وكانت تضحيتهم أكبر من تضحيتنا، لأنهم قرّروا أن يقفوا في وجه وطنهم الأم، لمُساندة قضيتنا. وهذا بحد ذاته قرار شجاع قلّ مثيله، لقد أوقفوا الكثير من الفرنسيين، ومات آخرون أيضا. أوقفوا موريس اودان، وقتلوا المُحامي تيفني الذي كان يُدافع عني، ثمّ قتلوا بيار بوبي في مكتبه، وكذا بيار غاريغ. وهناك مناضلات مثل ايفلين لافالات، وايلييت لو، وآني ستينار، قمنّ بتضحيات عظيمة أيضا. لهذا أقول أنهم جزائريون من أصل أوروبي. وفي سجن وهران، مثلا، كانت هناك 6 سجينات أوروبيات، وبنات الدكتور لاريبار، وكان طبيب نساء كبير، إضافة إلى زوجة ميشال مارتيني، وبنات دكتور مازباف، وكان طبيبا في "اورليون فيل"[1] كلّ هؤلاء لا بدّ من ردّ الاعتبار لهم، لأنهم ساهموا مُساهمة كبيرة وفعّالة في تحرير هذا الوطن.

متى تمّ نقلكنّ إلى سجن الحراش؟

كان ذلك في أوت 1957، حيث التحقنا هناك بنسيمة حبلال، وفاطمة زكال، وآني ستينار اللائي كنّ في سجن بربروس. وبعد 1958 قدمت النساء اللائي شاركن في معركة الجزائر، مثل الوزيزة إغيل أحريز جميلة بوحيرد، وزهية خرف الله، وباية حسين، وجوهرة اكرور، وجاكلين غروج، وكان محكوم عليهنّ بالإعدام. وبما أنه لم يكن هناك مكان تمّ نقلهنّ إلى فرنسا. عندما

---

1 الشلف حاليا.

سمحوا للمحكومات بالإعدام في بربروس، جاءت الجميلات، ثمّ جاكلين غروج، ثم ابنتها دانيال مين جميلة عمران، التي قُبض عليها مع نفيسة حمود، ثم أتت زهية خرف الله، ثم باية حسين مع جوهرة اكرور.

في سجن الحراش، أوت 1958 قمتنّ بإضراب عن الطعام، فماذا كانت خلفياته؟

أجل، فعلا، وذلك احتجاجا على تعرضنا للاعتداء من طرف حارسات السجن، اللائي انهلن علينا ضربا. وذلك بعد ما وقع في عيادة السجن، حيث كانت هناك نفيسة حمود، ولويزة اغيل احريز، وأختها مليكة، هذه الأخيرة كانت مريضة، فنادين مديرة الحارسات السيدة غريمالدي، ولكن يبدو أنها تأخرت. فقامت لويزة بانتزاع غطاء البالوعة وضربت بها رأس الحارسة العامة. وصادف ذلك زيارة العائلات للسجينات، وكنا ننتظر، حتى دخلت علينا الحارسات وضربننا، دون أن نعلم السبب. فأضربنا عن الطعام لثمانية أيام، إلى أن جاء المدير العام للسجن، لكي يُقنعنا بتوقيفه.

بعد خروجك من السجن عرضت عليك فرنسا أن تُشاركي فيما أُطلق عليه عملية "الابلويت"[1] كيف حصل ذلك؟

خرجت من السجن في 8 نوفمبر. ثمّ تمّ استدعائي في أفريل إلى مركز الشرطة.

كيف اختاروك؟

لأنهم قبضوا على مُناضلة خرجت من السجن معي، وقالت أنني عاودت العمل مع الثوّار، فاتصلوا بي، وأخبروني أنهم لن يقوموا بمُتابعتي إن أنا عملت معهم.

وماذا كانت إجابتك؟

قلت لهم نعم.

حتى تتمكني من ربح الوقت؟

أجل، تحايلت من أجل إيهامهم بأنني مُوافقة، ثمّ اتجهت إلى أمي، وقالت أنها ستتصل بالأستاذ زرطال[2] من أجل أن يُرتّب

---

1 عملية اختراق الثوار من قبل جواسيس فرنسا وعملائها.

2 محامي الشهيد زبانا.

التحاقي بالجبل. فقال أنّ الأمر صعب. وكنت أريد أن أفرّ قبل أن تتفطّن فرنسا لي، وحتى أمي قالت لي أن أموت شهيدة خير من أن أموت خائنة. وكان يوم خميس موعد الالتقاء بهم، لم أذهب، فأرسلوا لي تهديدا صباح يوم السبت، تلقيته في فندق "الاليتي"[1] أمّا زرطال فأرسل الأستاذ غاريغ من أجل مُرافقتي إلى قصر العدالة. قال لهم إن كان هناك أمر بالقبض عليها فلتفعلوا، وإلاّ فلا داعي لمُتابعتها. فلم تستطع العدالة الرسمية أن تقبض علي، لأنني لم أكن مُدانة. ثم أخذني غاريغ إلى بيت يأوي أساتذة، وكان لهم جار هو مفتش فرنسي بالعاصمة، أحضروه وقصصت عليه ما ماحدث، وهو لم يكن يعلم، لأنّ الشرطة الرسمية لم تكن على علم أحيانا بما يفعله بعض الجنود. وتلقيت أيضا دعما من باستور سجن بربروس الأب دوكلار، أعطيته رسالة قدمها إلى الحكومة المؤقتة في تونس. فعلم الجميع، وأحدث ذلك ضجّة حصنتني إلى حد ما، حتى أنّ الصحفي بروم بارجي من "الاكسبرس"[2] حاورني في المساحة التي كانت تُغطي الأحداث في الجزائر. وطلب مني أن أكتب كلمة أرفقها نسخة من رسالة التهديد التي تلقيتها، ففعلت. وبهذا أحدثت القضية ضجّة، فتمّ نفيي إلى فرنسا التي بقيت فيها 10 أيام. لقيت هناك مريم بن ميهوب، وفضيلة مصلي، وايفلين لافالات، وصفية بعزيز، كنّ تحررن. استقبلنني، وكنت مع أمي. وفي اليوم العاشر اتجهت إلى سويسرا التي لم تكن حدودها مُراقبة. وعادت أمي إلى الجزائر. أمّا أنا فذهبت إلى تونس. وفي 30 أكتوبر 1960 استعدت دراستي. ثمّ أرسلتني الحكومة المُؤقتة لكي أُمثل المرأة الجزائرية المُناضلة. وشاركت في ملتقيات دولية.

كيف عشت الجو المُشحون الذي كان في تونس خلال تلك الفترة؟

في البداية عندما وصلت لقيت الكثير من الأشخاص الذين كنت أعرفهم، مثل الدكتور نقاش. كما التقيت هناك بماميا شنتوف، التي كانت مُناضلة، وتمّ القبض عليها في العاصمة، قبل أن تهرب

1 فندق السفير حاليا.

2 كانت جريدة أسبوعية تصدر كلّ يوم خميس.

وتلتحق بتونس. كما تعرّفت على يزّة بوزكري أرملة السي حسان[1] ولم أكن قد علمت بعد بالشقاق الذي وقع. إلى أن رافقت الدكتور نقاش مرّة إلى الجبال من أجل التمريض، فالتقيت الرائد" سليمان (قايد أحمد) وكان يشتم الحكومة المؤقتة، فصُدمت. وفكّرت في أنّ الشعب الجزائري إذا علم بما يحدث لوضع السلاح فورا، ولحسن الحظ لم يكن الجزائريون في الداخل على علم بكل تلك الأحقاد، وما كان يُطبخ من تقاسم للسلطة في الخارج. وكلّ ذلك انفجر في الجزائر في شهر جويلية، إلى أن قال الشعب كلمته "7 سنين بركات"[2].

كيف دخلت أنت إلى أرض الوطن، وكيف لقيت الجزائر؟

أنا عبرت الحدود في الخامس من جويلية، كنت فرحة عندما رأيت الأعلام الجزائرية، دخلت مع الدكتور مارتيني رفقة مُمرضتّين فرنسيتين، وكان هناك أيضا موريس ماسكينو[3].

برأيك، ما الذي لم يُقل عن مساهمة المرأة خلال الحرب التحريرية؟

النساء كان لهنّ دور بحسب المكان الذي كنّ فيه، أو مُستواهن التعليمي. الطبيبة الأولى التي اتجهت إلى الجبال، وسبقت حتى الرجال هي نفيسة حمود. والدها كان إماما، وكانت من عائلة برجوازية في العاصمة، وكانت من قبل ذلك في حزب الشعب. والممرضات في الجبال لم يكن يُسعفنّ المُصابين فقط، بل كنّ يُكوننّ، وبعضهن كنّ حاملات لشهادات عليا أيضا. حتى أنّ مدرسة الممرضات في وهران أُغلقت لأنّ الجميع بها كانوا قد صعدوا إلى الجبال. وأشدّد على نساء الجبال اللائي لم يتمّ الحديث عنهنّ حتى اليوم، وأمّا عنها في المدن، فالمرأة هي سكرتيرة،

---

1 الاسم الثوري للمجاهد رمضان عبان.

2 الجملة التي رددها الجزائريون في صائفة 1962 للتعبير عن سخطه مما سُمي بحرب الولايات.

3 أوّل مُتمرّد من الجيش الفرنسي رفض أن يُحارب إلى جانب الفرنسيين. وهوزوج المناضلة فضيلة مرابط.

ووفرت الاتصال، وكانت تُخفي الرجل، وتحمل القنابل.

هناك من يحصر دور المرأة في وضع القنابل فقط؟

أجل، هذه مغاطلة كبيرة. لا أدري إن كانت عن قصد، أو عن جهل. ولكن أقول أنه كانت لدينا 6 نساء واضعات قنابل، أمّا عدد النساء المُشاركات في الثورة التحريرية، فإننا نتحدّث عن الآلاف، ومنهن أمي التي كانت تنقل الأسلحة في محافظ إخوتي. وحتى في الجبال كنّ يحملن السلاح. المرأة لم تقف مع الرجل، بل فعلت ما فعله الرجل. لهذا لا أعلم كيف نُنكر عليها اليوم دورها.

هل تعتبرين أنّ ثورتكم، وثورتكنّ سُرقت منكم؟

أجل، من طرف مُناضلي الساعة الأخيرة.

من تقصدين بمُناضلي الساعة الأخيرة؟

هؤلاء الذين كانوا على الحدود، ومنهم بومدين وغيره. قبل الاستقلال عندما دخلت إلى تونس، علمت بالكثير من الأمور التي صدمتني. ومنها أنني لقيت يزة بوزكري، وعلمت أنّ زوجها مات على أيد جزائرية. كان الصراع في الحدود على أشدّه، ولكن ليس ضدّ القوات الفرنسية، فالحدود كانت مُؤمنة، وكنا في بلدين مُستقلّين. إنما كان الصراع قائما على السلطة، وعلى مرحلة ما بعد الاستقلال.

بعد الاستقلال كان بن بلة يريد أن يمنح قيادة الجيش لزوج أختك وقائدك حاج بن علي، فكيف آلت للعقيد هواري بومدين؟

لا أعرف. رغم القرابة التي تجمعني وبن علا، إلاّ أنني لم أسأله. هو صار بعدها رئيس المجلس الوطني والمكتب السياسي، لكن ما أؤكده لك أنّ بومدين لم يكن ليترك قيادة الجيش بسهولة. أمّا أنا فكان ينتظرني عمل في مكتبة الجامعة.

قبل ذلك. هل تحسبين أنّ النساء تم استبعادهنّ قصدا من العمل السياسي بعد الاستقلال؟

أجل، وقبل الاستقلال استبعدت المرأة من المجلس الوطني للثورة الجزائرية. رغم أنه كانت هناك نساء مُثقفات. كان هذا تمييزا من طرف المسؤولين في ذلك الوقت. أمّا بعد الاستقلال فبن بلة لم يكن ضدّ تواجدهن. والدليل أنّ 15 امرأة شاركت في المجلس الأوّل. ولكن بن بلة لم يكن حرّا، كان مُوجها. ولا أحسب

أنه سرق المجوهرات من صندوق التضامن، بل عيبه أنه كان يستمع لمن يوجهه. ولأعود لسؤالك أقول أنّ المرأة استعملوها خلال الثورة لينبذوها بعد الاستقلال، ولولا النساء لما كان هناك استقلال.

يعني أنّ بومدين هو من كان ضدّ تواجد النساء سياسيا؟

كلّ من كان يحيط ببن بلة، أما بومدين لم يكن يتحدّث أبدا، بل لم يكن يظهر، أوّل مرّة رأيته كانت في تونس، كان رفقة بن بلة، وحاج بن علا، وبعد انقلاب 1965 تأكد الجميع أنّ بن بلة كان مُوجها. لكنه لم يكن ضدّ النساء. ونحن في الثامن من مارس 1965 قمنا بمسيرة في العاصمة. انطلقنا من ساحة 1 ماي، إلى قاعة "ماجيستيك"[1] وجاء بن بلة ليتحدّث إلينا عن الوحدة الإفريقية، فلم نتحمّل خطابه، لأنه كان في غير موضع.

ماذا كانت طلباتكنّ حينها؟

طالبنا بحقوقنا المهضومة، هذا فقط. نحن النساء خُضنا حرب التحرير إلى جانب الرجل. وكنا سنموت مثله. وفي النهاية تمّ استبعادنا. نحن عملنا، قبل وبعد الاستقلال. وهنا أردّ على مُديرة البرامج في القناة الثالثة، التي ذكرت أنّ النساء المُناضلات عدن إلى مطابخهنّ بعد الاستقلال. هذا غير صحيح. لقد أُجبرنّ على ترك السياسة. ورغم ذلك واصلن النضال. أمّا بالنسبة للمُتعلمات، وكان عددهن قليل، فقد عملن في المحاماة، والتدريس، وحتى السياسة. إلى أن استبعدن في المجلس الثاني، وأمّا غير المتعلمات، فكن في السكرتارية، والتمريض، وغيرها من الأعمال. يقولون لي أنني كنت قريبة من السلطة، وكان بإمكاني أن أتقلد مناصب عليا، وأنا أردّ بأنّ قُربي من السلطة في وقت ما هو ما جعلني أبتعد عنها، لما رأيته من دسائس. لم تستهوني السياسة يوما، ولا أريد أن أخوض فيها.

لكنك ترشحت مع عهد 54 لتصيري نائبة في بداية التسعينيات؟

ذلك، لأنّنا كنا على مشارف أزمة، وكان يجب التحرك. وفكّرت في أنني إذا ما دخلت البرلمان يمكن أن أخدم الشعب. ولم نكن

---

1 قاعة الأطلس بباب الواد، حاليا.

نبحث عن المنافع، وكنا أربع نساء مرشحات، كان الوضع صعبا.

ما هي هذه الأزمة التي كنا نُواجهها؟

صعود التيار الإسلامي المُتطرف.

ما هو الخطر الذي كانت جبهة الإنقاذ تشكله؟

أفكارهم المتطرفة بحد ذاتها كانت خطرا. ولا تسأل واحدة تعرّضت للتهديد بالقتل، وسجنت في بيتها ثمانية أيام عن الخطر الذي يُمكن أن يُشكله "الفيس".

كان ذلك بعد وقف المسار الانتخابي، ولكن قبلها هل اطلعت على برنامج جبهة الإنقاذ؟

لا كان كلّ شيء واضحا منذ البداية، وموقفهم من المرأة، خاصّة، مكشوف. لقد اقتحموا العائلات وراحوا يفرضون عليهم طريقة عيش خاصّة، نحن كنا مسلمين قبل أن يأتي هؤلاء الاسلامويون. حتى أنهم جعلونا نشك في أنفسنا، هو دين جديد ذلك الذين استوردوه فجأة.

أي أنّ جبهة الإنقاذ هي التي جعلتك تقتحمين السياسة رغم أنك قرّرت أن لا تفعلي؟

أجل، لأنّ الوضع كان صعبا. وأي غيور على وطنه ما كان ليتركه في خطر.

ألا تعتقدين أنّ الوضع اليوم شبيه به بداية التسعينيات، فلماذا لا تقتحمين السياسة؟

لا، لأنّ السياسة صعبة، وهناك ضغوطات، وأنا عشت طيلة حياتي حرّة، وسأبقى.

هل أنت ضدّ قيام دولة إسلامية؟

أجل، أنا ضدّ الاسلامويين، لأنّ الدين شخصي. أنا مؤمنة، ولا يأتي أيّ أحد ليُمليّ علي تصرفاتي. دفعت الثمن باهظا في العشرية السوداء. أنا حفظت بعض القرآن، لم أكن أفهم كلّ شيء، لأنني لم أكن محظوظة وأتعلم اللغة العربية. أنا أريد إسلاما صافيا. مررت بكل البلدان العربية، رأيت التسامح بين الدول العربية، واليهود والمسيحيين يعيشون مع المسلمين في سلام.

لكن ميثاق الفاتح من نوفمبر ينصّ على مبدأ الإسلام كدين الدولة؟

أجل، ولست ضدّ هذا. لكن في ذلك الوقت كان الوضع مُختلفا، كنا كلنا مسلمين، وكان العربي مساوي للمسلم. لهذا لم يكن هذا

يستحق تفكيرا طويلا.

هل هذا يعني أنّ الذين حرّروا ميثاق أوّل نوفمبر لم يكونوا واعين؟

لا، لم أقل هذا. ولكن من قام بحرب التحرير؟ هم سُكان المداشر والجبال. هؤلاء إذا ما قلت لهم أننا لا نحارب من أجل الإسلام، فلن يتبعك أحد منهم. ثمّ إنّ الإسلام دين الدولة، ولا بد من التفرقة بين الإسلام والإسلاميين. الإسلام دين تسامح، خاصّة في زمن الرسول، عليه الصلاة والسلام.

حسنا، هل أنت مع أو ضدّ أن تُطبّق الشريعة الإسلامية في وطن حارب فيه كثيرون من أجل قيام دولة إسلامية، أو هذا ما يقوله البعض على الأقل؟

أنا ضدّ تطبيق الشريعة. شخصيا لا أقبلها. لأن الإسلام ولد قبل 14 قرنا. حينها كنا نعيش بطريقة تختلف عنها اليوم. نحن اليوم نعيش في عصر آخر. لا بدّ من حرّية الاختيار، لا دينا يُوجهنا في كلّ كبيرة وصغيرة، كيف نسمح للولد أن يتزوّج أجنبية، ونمنع البنت من هذا؟ هذه هي الحقوق التي طالبنا بها! أنا مع اللائكية، ثمّ لماذا ليس هناك اجتهاد؟ لا بد أن نجتهد في هذا الدين بحسب العصر الذي نعيش فيه.

حسنا، رغم أنك لطالما دافعت عن حقوق المرأة، إلاّ أنك لم تنخرطي أبدا في اتحاد النساء الجزائريات، لماذا؟

لأنّ تلك الاتحادية لا تصلح لشيء أبدا. والدليل أنها مذ خُلقت لم نحصل على شيء. هذا إن لم نقل أنّ حالة المرأة تدهورت. بما أنها كانت مُتواجدة في المجلس الأول قبل أن تُغيّب. وأمّا رئيسة الاتحادية فهي تتنقل من بلد لآخر من أجل تمثيل المرأة، ولكن بدون فائدة. ولا يفعل أعضاؤها سوى الحصول على الامتيازات.

لكنك مع ذلك كنت مع منظمة النساء غداة الاستقلال؟

أجل، لأننا كنا حوالي 15 مُجاهدة. كنت أساندهنّ. ولكن لم أكن قادرة على الارتباط يوميا بمواعيدهن. هن كنّ يسهرن إلى ساعة متأخرة من الليل. وأنا كان لديّ عمل في الصباح الباكر. فانسحبت. وبعدها لم تفعل الاتحادية شيء. وأنا لا أوافق على هذا المبدأ أصلا. فمتى يكون للرجل اتحادية تدافع عن حقوقه، سألتحق باتحادية نساء. نحن حاربنا مع الرجل، ثم بعد الاستقلال صرنا مخلوقات غريبة.

لكن هناك من يقول العكس من ذلك من أنّ المرأة حصلت على الكثير من "الحقوق" مؤخرا؟

حصلت على القليل فقط. وحتى قانون الأسرة عُدّل ولكن لا يزال مُجحفا. وشهادة المرأة لا تزال ناقصة. وأقول لك أنّ الجمعيات النسوية هي التي ناضلت من أجل تلك الحقوق. أمّا نحن فعندما قُمنا باحتجاج في الثمانين. وكنا قرابة 100 امرأة. لم يستقبلنا الشاذلي بن جديد. وكلّ ما فعله أن وضع على رأس إحدى الوزارات امرأة لا تمثل النساء، ولم تناضل من أجلهن.

من تقصدين؟

كلّ النساء اللائي خضن السياسة بعد الاستقلال لم يُدافعن عن المرأة. كلهن، وحتى من اختارهن لم يفعل إلاّ لأنهن لا يشكلن مصدر إزعاج. كنّ آفالانيات بائسات لا همّ لهنّ سوى الحصول على الامتيازات.

قلت أنك ضدّ اتحادية النساء، لأنّ مُجرد وجودها هو تفرقة بين المرأة والرجل. فلماذا تُدافعين عن الجمعيات. رغم أنّ نفس المبدأ يحركهما؟

لا. قبل الاستقلال كنا مُتساوين لأننا كنا نحارب مع الرجل جنبا إلى جنب. وكان من غير العادي أن نؤسس لاتحادية خاصّة بالنساء. لأنني، مثلا، أخذت حقوقي بنضالي في الثورة. أما اليوم فالمرأة تراجعت. ولم يعد لها حقوق. وصار من الضروري تواجد تلك الجمعيات اللائي يدافعن عنها. أقول هذا آسفة.

وهل تعتبرين أنّ نظام "الكوتة" سيُمكّن المرأة من استعادة تلك الحقوق، وذلك التواجد السياسي الذي تدعين إليه؟

لا. وحتى كخطوة أولى فهذا غير كافي. لم لا تُمنح "كوتات" للرجال أيضا. المرأة ليست بحاجة إلى أن نتصدّق عليها. ثمّ إنّ النساء اللائي اقتحمنّ السياسة بهذه الطريقة لا يُمثلن إلاّ أنفسهن. وعندما نستمع إلى خطابهنّ نُدرك أنهنّ لسن مُناضلات، ولكن تاجرات. كما أنّ قليلات هن اللائي تصدّرن القوائم.

بعد الاستقلال انتقلت للعمل في المكتبة الجامعية؟

أجل. كانت خرابا، وعملت على استعادتها.

تمّ بعدها توقيفك؟

طردني وزير التعليم العالي السابق السيد برارحي، ودمّر كلّ ما

قمت به.

لماذا فعل ذلك؟

فقط لأنني كنت أُزعجه، كان دعاني إلى مكتبه في الثامن من مارس 1986، مع حوالي 30 امرأة. وعندما عُدت إلى مكتبي كان ينتظرني أمر بطردي. هؤلاء هم الرجال الذين أفسدوا استقلالنا.

...الرجال!

أجل. أمثال هؤلاء هم من حطّموا الجزائر، واليوم من هم على رأس قطاع التربية حولوا المدرسة إلى مؤسسة هشة. المدرسة الجزائرية خلقت وحوشا سيقتلوننا، عاجلا أو آجلا!

تخشين من تكرار سيناريو التسعينيات؟

أنا أخشى من نتائج السياسة المُنتهجة لتسيير البلاد.

بعد المكتبة تعرضت لتهديدات من طرف عناصر "إسلامية"؟

لم تكن تهديدات رسمية. ولكن يمكن أن أقول أنني نجوت من الموت بأعجوبة. كان هناك طالب ينتظرني عند مدخل الباب، اسمه قزمير. ينسبون إليه مقتل جيلالي اليابس، وعسلة وابنه، وبوخبزة، وغيرهم. كان يسكن في تيليملي. وفي اليوم الموالي عاد مع آخر، فلم أفتح الباب. وبقيت مسجونة في بتي ثمانية أيام. وبعدها سافرت إلى فرنسا، واستقبلني هناك الدكتور مارتيني، ولحسن الحظ التقيت رئيس معهد العالم العربي، وطلب مني أن أتكفل بالمكتبة التابعة للمعهد.

لماذا تمّ اختيارك من طرف الجماعات المُسلحة؟

لأنّ هذا الطالب درس عندي. وفي أوّل درس سألني لماذا لا أدرس باللغة العربية؟ قلت له أنّ المادّة باللغة الفرنسية، وأنه كان يعلم بذلك قبل التحاقه بالجامعة. لكنني بالمقابل قلت له أنني مُستعدة لكي أشرح له في كلّ مرّة لا يفهم فيها الدرس.

أليس غريبا أن لا يكون التدريس بعد قرابة الثلاثين سنة من الاستقلال باللغة العربية؟

لطالما تحدّثت مع مدير معهد المكتبات حينها، السيد قداش حول هذه النقطة. واستغربت كيف يتم تكوين الطلبة في الأطوار الأولى باللغة العربية، ثمّ ينتقلون إلى الجامعة فيجبرون على الدراسة

باللغة الفرنسية.

إذا حكم اليسار الفرنسي هل يُمكن أن نأمل اعترافا بالجرائم التي ارتكبها الاستعمار؟

أنا لا أطالب بهذا الإعتراف. وفرنسا عندما تعترف ألف مرّة، فلن تُعيد لنا موتانا. أُمثل فرنسا بطفل صغير أخطأ، وعوض مُعاقبته أو ضربه أنا أعطيه درسا. ونحن لا بدّ أن نعطي دروسا لفرنسا. وهناك من بين الفرنسيين من يعترفون بتلك الجرائم. على غرار فرونسوا هولاند، مُرشح الحزب الاشتراكي، فهذا لم يعد أمرا يسهل إخفاؤه، وأقول لك يا مصطفى أنّ أكبر درس قدمناه لفرنسا هو طردها من بلادنا، وكذا تضحيات الفرنسيين الذين ساندونا.

حاولت دار فرنسيّة قبل أيام تنظيم بيع بالمزاد لوسائل تعذيب الضابط فرناند ميسونييه، ماذا تقولين عن هذه الحركة؟

لا حدث. هي حركة لوبينية سخيفة، تُعبر عن المستوى المُنحط الذي وصل إليه بعض المجرمين.

هل تنادين بإعادة الاعتبار لتاريخ 19 مارس 1962؟

بالطبع. هذا مهم جدا. اليوم نحن نعتبر الخامس جويلية عيد الشباب، عوض أن نسميه عيد الاستقلال. و19 ماي تحوّل إلى عيد الطلبة، وليس عيد إضراب الطلبة. بومدين أخطأ كثيرا عندما نزع عن تلك التواريخ الرمزية التاريخية. وكلّ هذا من أجل التقليل من أهميّتها وشأنها.

قلت في بداية حوارنا أنك تُفضّلين مُصطلح حرب التحرير لا ثورة التحرير، لماذا؟

أسميها حربا، لأنّ الثورة التي تعني إعادة كلّ شيء لم تكتمل. النظام لم يتغيّر. المُجاهدون الحقيقيون هم الشهداء، والذين قد لا نعرفهم، فقدنا منهم الكثيرين. قليلون من يستحقّون الثقة اليوم. في 1962 عندما رأيت ما فعله مُحررو الجزائر، وذلك التصارع الفظيع حول السلطة قلت أننا قمنا بحرب. أمّا الثورة فلا تزال مُستمرّة. استبدلنا بيار بمحمد. وأنا اليوم في بيتي مُستعمرة من طرف جار يُحاول اليوم استعماري لأنّ ماضي كمجاهدة يُزعجه.

هل من كلمة أخيرة سيدتي؟

أقول لك أنه رغم كلّ ما نعيشه، لديّ الكثير من الأمل فيكم أنتم الشباب. نحن قُمنا بواجبنا فقط، وعليكم أن تقوموا بالباقي. عندما التقي الشباب اليوم، مثل هؤلاء الذين ناضلوا من أجل تحرير محمد غربي أقول أنّ الأمل باق. ولكن أرجوكم، لا تتركوا الحركى الذين يحكمون اليوم في السلطة يسرقون منكم هذا الوطن الغالي...فهؤلاء هم "الكولون" الجدد يا مصطفى.

15

الطيب الثعالبي "**السي** علال"

"الأمن العسكري استغلّنا للتحقيق في مقتل بوضياف!"[1]

1 نشر بتاريخ *4* جويلية 2012.

نحاور في هذه الأسطر التي تلي المجاهد الطيب الثعالبي، أو "السي علال" كما يُلقب. وهو واحد من بين الرجالات الذين شاركوا في تحرير الجزائر من ويلات الاستعمار. يُحدثنا عن نشأته الأولى، وكيف درس. إذ استفاد من الثقافة العربية الإسلامية التي تلقنها على والده الشيخ المُتديّن. ومن العلم الذي أخذه في المدرسة الفرنسية. قبل أن يسمع صوت الوطن يُناديه فيُقرّر، على حداثة سنه، الالتحاق بصفوف حزب الشعب. قبل أن يكون نفسه داع إلى الحركة الوطنية، وزارعا لبذور النضال في قلوب المئات من سكّان القرى المُجاورة لقريته. ثمّ انطلق في رحلة نضال لعب فيها أدوارا كثيرة. بل كان يُوفّق بين التدريس والعمل الكشفي والسياسي أينما حل. وحدّثنا الرجل في هذا الحوار عن الأشخاص الذين عرفهم خلال نضاله. من زيغوت يوسف، إلى محمد بوضياف، ورمضان عبان، واعمر اوعمران، وغيرهم. كشف لنا تفاصيل تحضير هجمات 20 أوت 1955. وأبى القدر أن يتوقّف نضاله عند ساعة الاستقلال. حيث انتقل إلى التدريس، قبل أن يحمل حقيبة مُستشار، وعاش مرحلة كانت صعبة عليه بقدر ما كانت مأساوية في تاريخ الجزائر المعاصرة، وهي اغتيال الرئيس الراحل محمد بوضياف. كان بين اللجنة التي حقّقت في الحادثة. كيف ولماذا قبل العمل بها؟ ومن كانت الشخصيات المُتهمة؟ وما هي مُلابسات القضية؟ لماذا لم ينشر التقرير في حينه؟ وهل توصّلت اللجنة إلى أكثر من الرواية المعروفة؟ ثمّ كان وراء اغتيال الرئيس؟ هي كلها أسئلة طرحناها عليه. فنزع لنا الغطاء عن بعض الحقائق التي ندعكم تكتشفونها في هذا اللقاء الشيّق.

تنحدرون سيدي من عائلة مُحافظة..ناضلتم ضدّ المُستعمر الفرنسي، ولكن أوّل فكرة تكوّنت لديكم عن الجهاد كانت اثر حادثة حرق مسجد قسنطينة...

أنتمي فعلا إلى عائلة مُحافظة كما قدّمت. إذ كان أبي شيخا مُتديّنا. كان مُفسرا للقرآن، والحديث، والفقه. وُلدت بدوّار[1] الخرفان بالحروش. ثمّ انتقلت أسرتي إلى قرية السمندو[2] وغير بعيد عنها وقعت تلك الحادثة. إذ أنّ يهوديا قام بتدنيس مسجد بقسنطينة. ما أثار سُخط الناس. ووقعت مُشاداة وفوضى خلفتا جرحى كثيرين.

لكن لماذا انتقل بكم الوالد إلى قرية السمندو؟

كان يُريد تعليم أبنائه في المدرسة.

المدرسة الفرنسية..؟

بطبيعة الحال. لم يكن هناك مدارس عربية، عدا الكتاتيب القرآنية.

هل واصلتم الدراسة؟

درست إلى أن نلت الشهادة الابتدائية.

بما أنّ الوالد كان شيخا مُتديّنا، ودرستم أنتم في المدرسة الفرنسية فقد أصبحت لديكم ثقافة مُزدوجة؟

لطالما كنت مُتأثرا بوالدي صاحب الثقافة الدينية العربية. وكانت لديه مكتبة. ويُلقي دروسا في المسجد. لهذا كبُر فيّ الانتماء العروبي الإسلامي. كنت أرى المُعمّرين كيف يُعاملوننا، نحن سكان القرية من المُسلمين، فأشمئزّ. خاصّة وأنهم كانوا مُتغطرسين، ويحتقروننا، ويُهينوننا.

وكيف كان ردّ فعلكم؟

تولّد لديّ الإحساس بضرورة إحداث التغيير. خاصّة وأنا في السادسة عشر من عمري. فصحيح أننا لم نكن نملك وعيا سياسيا كافيا. ولكن كلّ شيء من حولنا كان يدفعنا إلى أن نثور على هذا

---

1 الدوار هومجموعة من المنازل والمجموعة من الدواوير تُشكل قرية.

2 قرية زيغوت يوسف حاليا.

المُستعمر. وبالنسبة لي، كنت أحلم بأن نلتحق بالحركات التحرّرية للمناطق الأخرى، لم أكن أعرف كيف... أو متى... ولكن نفسي كانت توّاقة إلى الحريّة...

من من الشخصيات السياسية، أو الإصلاحية التي أثّرت فيكم في تلك الفترة؟

الشيخ العلامة عبد الحميد ابن باديس[1]، وهو أهمّ شخصية إصلاحية في ذلك الوقت. وكنت من بين الذين تأثّروا بعلمه، ودعوته. ومن جهة أخرى كانت هناك شخصية سياسية أثّرت علينا، وهو مُحمد الصالح بن جلول[2] رغم أنّه كان يُطالب بالمساواة، ولم أكن أعلم حينها أنها خطاب اندماجي.

وكيف التحقتم بحزب الشعب؟

مثل الكثير من الشباب الذين أدركوا أنّ هناك حركة تدعو إلى الاستقلال، بمعنى الانفصال التام عن فرنسا. فكرة مثل هذه كان لها وقع كبير على الناس، وعلى الشباب خاصّة، ومن بينهم أنا. وكان على رأس حركة الاستقلال هذه...مصالي الحاج.

أنتم جندتم في تلك الفترة الشهيد زيغوت يوسف؟

أجل. فأصلنا من دوّارين مُتجاورين. هو من دوار "الصوادق" وأنا من "الخرفان" ولقد تكوّنت بيننا صداقة. وكوّننا معا الخلية الرئيسية لحزب الشعب في قرية السمندو. كنت أنا رئيس الخلية وكان هو مُساعدي.

وماذا كانت نشاطاتكم حينها؟

كنا نقوم بالتحسيس. نُقابل الشبّان، وسُكان البوادي المعزولين، ونزرع فيهم حبّ الوطن، والشجاعة، والتضحية، وجميع الخصال التي من شأنها أن تُنميّ فيهم الوعي. وباختصار، كنا نسعى لتكوينهم لكي يُصبحوا مُحرّري الجزائر المُستقبليين.

كنتم مُؤطّرين في الحركة الكشفية أيضا؟

أجل. كوّنت الكشافة وكنت مُرشدها. ولعبت الحركة الكشفية دورا مُهما. وعندما جاءتنا أوامر من حزب الشعب لكي نقوم بمُظاهرة

---

1 رئيس جمعية العلماء المسلمين الإصلاحية.

2 رئيس فدرالية النواب المسلمين بالشرق الجزائري حينها.

فعلنا. كان ذلك في 8 ماي 1945، احتفالا بنصر الحلفاء. ورفعنا العلم الجزائري، وعندها ألقيّ عليّ القبض، فدخلت سجن "الكدية" بقسنطية. ثمّ نقلوني إلى سجن الحراش المركزي، ثمّ معتقل بورزق في الجنوب الغربي من الصحراء. وبعدها إلى معتقل المشرية.

إلى متى استمرّت فترة السجن هذه؟

إلى أن صادق البرلمان الفرنسي على العفو. وكنت بقيت حوالي سنة في المعتقل، بدون مُحاكمة ولا شيء.

كيف عُدتم إلى النضال بعد خروجكم؟

كنت التقيت في سجن قسنطينة رجالا من جمعية العلماء المسلمين. لاحظوا أنني نلت نصيبا من المعارف، وخاصّة في اللغة. وتزامن ذلك مع القرار بإعادة فتح مدارس الجمعية التي كانت قد أُغلقت. فرُشّحت أن أكون معلما بإحداها. وبدأت مسيرة التعليم في شلغوم العيد. وكوّنت وصديقي الذي كان يكبرني سنا ويسبقني في النضال الحسين بن الميلي، كوّنا خلية رئيسية في ذات المدينة. قبل أن يلتحق بنا رمضان عبان الذي كان مُوظّفا في البلدية المُختلطة. فكوّن ثلاثتنا فروع حزب الشعب الجزائري.

متى انتقلتم إلى العاصمة؟

كان ذلك بعد أن تركت مدرسة الجمعية هناك، والتحقت بمدرسة الرشاد التابعة لحزب الشعب في القصبة. ومع اقتراب انتخابات المجلس الجزائري كلّفتني قيادة الحزب أن أطوف في العمالة الوهرانية.

ماذا كانت مُهمّتكم؟

كنت ضمن وفد مُهمّته تغطية العمالة من الشمال إلى الجنوب، ومن الشرق إلى الغرب. وعندما وصلنا إلى البيّض ألقي علينا القبض. لأنّ الحكم فيه كان عسكريّا. ثمّ أحضرونا إلى سجن معسكر حيث حُوكمت بسنتين. ومُنعت لـ 10 سنوات من الإقامة في المُدن الكبرى. قضيت تلك المدّة كاملة. وعندما خرجت من السجن، وظّفني حزب الشعب في مدرسة حرّة بالبليدة. بقيت أدرس بها لسنتين. كنت أرواح بين التعليم والنشاط السياسي والنشاط الكشفي. وكانت هذه حالي أينما حللت. أُوّفق بين السياسة والتعليم والكشافة. وبعدها اتجهت إلى مغنية وعُيّنت في مدرسة تابعة لحزب الشعب.

وكان يأتي بوالصوف، ورمضان بن عبد المالك، كانوا جميعهم مسؤولي دوائر، يُراقبون نظام الحزب في دائرة تلمسان، وينشطون في السرّية. وفي تلك الفترة كنت أعزبا وأُقيم في المدرسة. وعندما اندلعت الثورة، أتى العربي بن مهيدي، وبوالصوف، وطلبا مني أن التحق بهما، وأن يكون نشاطي توعويا لكي أُحارب أفكار المصاليين خاصّة. بالإضافة إلى الدور اللوجيستيكي من صنع الأدوية، إلى وسائل الطبع، والمواد الكيميائية لتحضير المفرقعات، وغير ذلك.

ماذا عن مهمتكم في ربط الاتصال بين بلمهيدي ورمضان عبان ؟

بالإضافة إلى الدور اللوجيستيكي، كنت مُكلفا بالاتصال بين بلمهيدي، من المنطقة الغربية، ورابح بيطاط في المنطقة الوسطى، بالولاية الرابعة. وعندما القي القبض على هذا الأخير، خلفه رمضان عبان. فصرت أنسق بينه وبين بن مهيدي، خاصّة فيما يخصّ تبادل المعلومات.

كيف تعرّفتم على من سيُصبح رفيق النضال...محمد بوضياف؟

كانت هناك لجنة في القاهرة، تقوم بالدعاية للقضيّة الجزائرية بالفرنسية والعربية والاسبانية والانجليزية في صوت العرب. وكان خيضر من مُمثلي الجبهة في القاهرة. كان يُشرف عليها إلى جانب هيئات أخرى. واحتاج إلى من يكون مُتمكنا في اللغات، خاصّة العربية والفرنسية. وفي نفس الوقت مُناضلا قديما لكي يترأسها، فاتصل ببوضياف وشرح له طلبه. فرشّحني المرحوم العربي بن مهيدي لهذه المُهمّة، وعرّفني ببوضياف. فقلت لهذا الأخير أنني لست مُتحمسا لهذه المُهمة التي ستُبعدني عن وطني، خاصّة في تلك الفترة العصيبة، وكنت أيضا اتّفقت مع رمضان عبان في العاصمة لكي أعمل معه، نظرا لسابق معرفتي به.

فماذا كانت ردّة فعل بوضياف؟

قال لي أنه عليّ الانضباط، ولكن قبل ذلك أن أنتظر الدكتور لمين دباغين الذي أرسله عبان ليُشرف على الوفد الخارجي للجبهة. وكان دباغين سيتّجه إلى القاهرة لكي يُزكّيني هناك. وفي تلك المدّة القصيرة تعمّقت المعرفة بيني وبين بوضياف إلى أن صرنا أصدقاء، فطلب مني أن أبقى معه، وأنه يحتاج إليّ لكي

أستقبل معه السلاح.

هل كنتم تُنسقون مع المُقاومة المغربية حينها؟

أجل. كنا نُنسق مع المُقاومين المغاربة. خاصّة بعد الاتّفاق الذي وقع في القاهرة تحت إشراف الأمير عبد الكريم الخطابي، والقاضي بأن يُنسّق مسؤولو الحركة الوطنية في كلّ من تونس، والمغرب، والجزائر فيما بينهم، ويتّحدوا ضدّ الاستعمار، عدوّهم المُشترك، ولا يقف الكفاح حتى تستقلّ الأقطار الثلاثة كلها.

فماذا كان نوع التعاون بينكم وبينهم؟

كنا في البداية نشترك في السلاح. ولأنه لم تكن لديهم تجربة في النضال السياسي، ولا حرب العصابات، فإنّ العربي بن مهيدي كان يُدرّب الجزائريين والمغاربة معا. إلى أن عاد مُحمد الخامس من المنفى، فكوّنا جريدة المُقاومة الجزائرية، لكي نُوضّح للشعب المغربي قضيتنا حتى يُؤيدنا. وتوجّهنا أيضا إلى الجزائريين الموجودين في المغرب، وكانوا قرابة 120 ألفا. كما أنّ كثيرا منهم كانوا من النخبة، بين محامين، وأساتذة، وصيادلة، وأطباء. واقترحت أنا أن نُكوّن نظاما حزبيا أيضا، مثل حزب الشعب، حتى نُجند هؤلاء الجزائريين أيضا إلى جانبنا، وينصروا وطنهم. وفعلا قمنا بتلك الجولة، كنت مع بوضياف، وانتقلنا عبر كامل التراب المغربي. من الشمال حتى أقصى الجنوب، ومن أقصى الشرق إلى أقصى الغرب. هيكلنا هؤلاء الجزائريين في الخليّة الرئيسية التي تُسيّر النظام، وكوّنا لجانا مُتعددة: واحدة مالية، وأخرى للشؤون الاجتماعية، وكذا المُخابرات، والتقاط السلاح، وغيرها. وكنت آخذ الإرشادات من الأخ بوضياف، وأتفقّد هؤلاء المُنخرطين في جميع المُدن، دائما أذهب لأراقب وأوجّه.

هل كنتم على اتّصال مع الأحزاب السياسية المغربية، ومع القصر المغربي؟

أجل. وكان محمد الخامس يُساعدنا، وكذلك حزب الاستقلال. وحتى وسائل الإعلام من الصحافة المكتوبة والإذاعة. بل إننا تمكّنا من تكوين إذاعة سرّية في المغرب. كما أنجزنا مصنعا للسلاح على أرض المغرب وكان سرّيا[1].

1 لم يعلم أحد بأمر مصنع السلاح السرّي إلى ساعة الاستقلال.

حسنا، اتّهم البعض الملك الحسن الثاني بضُلوعه في قرصنة طائرة القادة الخمسة، فهل تؤكدون؟

بالنسبة لي أنا أشرح الأمر من الناحية السيكولوجية. عندما عاد الحسن الثاني ومعه والده محمد الخامس فكّر في أنّ ما فعلته فرنسا اتجاه العائلة هو منة منها. ولهذا لم يشأ أن يُضيّع ما رآه فرصة. ولهذا فقد يكون له ضلع فيما حدث. ثمّ إنّه وقع ما يُمكن أن يزيد الشكوك في إمكانية تورط الحسن الثاني، إذ أنّ "البورتوكول" المغربي غيّر طائرة القادة في آخر لحظة، كما لو كان أخلط بين الطائرة الفرنسية وغيرها، وهذا أمر غريب.

وبالنسبة لعبد الحفيظ بوالصوف الذي كان على رأس المخابرات الجزائرية، ماذا كان رأيه؟

بوالصوف كان واثقا من أنّ الحسن الثاني كان وراء العملية، من قريب أو من بعيد.

ذكر أحد المُناضلين المصاليين أنّ بوضياف وفي الوقت الذي فتح فيه الجبهة إلى كلّ الإيديولوجيات مع انطلاق الثورة، فإنه رفض التحاق المصاليين بها، لماذا؟

بالعكس تماما. بوضياف وبن بولعيد وآخرون ذهبوا إلى مصالي الحاج، وطلبوا منه أن يلتحق بالثورة ويكون على رأسها، ولكنه رفض. لأنه أراد أن يكون هو الداعي إليها. وأصل العداوة أنّه عندما اندلعت الثورة، حسب المصاليّون أنها مُناورة من طرف اللجنة المركزية ضدّ مصالي الحاج. وعندما بدأ نشاط الجبهة كان مصالي قويّا في العاصمة، وهم من بدأوا بالاعتداء على عناصر الجبهة. وأنا شخصيّا عندما قدمت إلى العاصمة هدّدني عمّار بوجريدة، وهدّد الشيخ بن الميلي. فأعطى رمضان عبان الأمر بقتله. وهم من أطلقوا حملة الاغتيالات ضدّنا. وأرادوا أن ينسبوا الثورة لمصالي الحاج.

كنتم من بين أعضاء المجلس الوطني للثورة. هل استطاع هذا المجلس أن يكون الهيئة السيادية الأولى، وهل كان يعمل بحرية؟

أجل، كنا أسياد قراراتنا. وكان لكلّ واحد مسؤوليته. وكنا نعمل بشكل مُمتاز. وكنا مُحصّنين. ولم نتلقّ ضغوطا ولا شيء. بل نحن من كنا نُحاسب من يُخطئ، وبكلّ شفافية أيضا.

أوّل المشاكل التي واجهتكم كانت خلال الاجتماع الأوّل للمجلس، وكان الخلاف حول قرارات مؤتمر الصومام؟

بالفعل، إذ كانت سياسة رمضان عبان سياسة لمّ شمل الشعب الجزائري. وكان يُريد أن يُدمج جميع الفئات على اختلاف أطيافها، وأفكارها. مثل المصاليين، ومن كان مُنخرطا في حزب فرحات عباس، وحتى جمعية العلماء المسلمين الذين انحصر نشاطهم في الدعوة الإصلاحية لا الثورية. كلّ هؤلاء أراد عبان أن يُدمجهم على أن يدخلوا فُرادى، وينسلخوا من تلك الأحزاب. فالثورة، بالنسبة له، هي ثورة الشعب، ولا بدّ أن يُشارك فيها الجميع. أمّا جماعة الخارج، من جهتهم، مثل بن بلة، وبوضياف، وخيضر، كانوا يرون أنّ هذه الثورة هي ابنة حزب الشعب، وغيرها من الأطياف يُمكن أن تنضمّ ولكن تبقى ثانوية. وفي الاجتماع الأوّل للمجلس بقي رمضان عبان مُتمسكا بمبدأه، ولكن لم يحصل على الأغلبية. إذ أنّ كثيرين لم يُوافقوه[1].

هل هذا الخلاف هو الذي عمّق الهُوّة بين رمضان عبان وبوالصوف؟

رمضان عبان قام بدور عظيم خلال الثورة التحريرية، وكان مُثقفا، ولكنه كان خشنا، ما جعله يُسيء مُعاملة بعض رفاق الجهاد مثل بلقاسم كريم وعمر اوعمران. وكان يقول بأنهم ذوي مستوى ضعيف علنا. ولم يكن، غالبا، يستشير أحدا في قراراته. كما أنه بعدما عجز عن الحصول على الأغلبية في اجتماع مجلس الثورة أصبح ينتقد الآخرين.

هل وقع اصطدام مباشر بينه وبين بوالصوف قبل عملية اغتياله؟

عندما كان مُتّجها إلى المغرب وجّه انتقادات لاذعة لبوالصوف، وكنت حاضرا، ذلك أنّ بوالصوف كان يتذمر من عبان، ويُشبهه دائما بمصالي الحاج قائلا إنه يحسب نفسه زعيما للثورة. وأنا الذي كنت على اتّصال دائم برمضان عبان أمروني أن أُوقف الاتصال معه.

---

1 وافق عبان كلّ من يوسف بن خدة، سعد دحلب، والصادق دهيلس، فيما خالفته البقية الرأي.

لماذا فعلوا؟

لأنني كنت على رأس النظام بفدرالية الجبهة بتونس، وخشوا أن يستعين بي، وأتواطأ معه، ويستعملني في إحداث فتنة. وكان ما وقع في مؤتمر الصومام لا يزال في الأذهان. فقرّروا، بحسب رواية بن طوبال، أن يأخذوه إلى المغرب لكي تتمّ مُحاكمته، وربما عزله أو سجنه إلى الاستقلال، ثمّ حدث ما حدث.

حسنا، نعود إليكم ماذا فعلتم بعد الاجتماع؟

خُيّرت بين مُهمتين. إمّا أن أبقى في القاهرة على رأس تلك اللجنة، وإمّا أن أرافق وفدا كان مُتجها إلى أمريكا اللاتينية. لأنني عندما كنت في المنطقة الشمالية من المغرب تعلّمت اللغة الإسبانية. فكان من الطبيعي أن يتمّ ترشيحي لهذه المُهمة، وكان فرحات عباس يرأس الوفد.

ماذا كانت ستكون مُهمتكم؟

كنا نريد أن نكسب التأييد من الدول. ولكنني رفضت الخيارين. وفضلت البقاء على أرض الوطن، أو بالقرب من الجزائر. وطلب مني بلقاسم كريم أن أُرافقه إلى تونس، حيث وقعت فتنة كبيرة.

فيما يُسمى بقضية "البنبليست[1]"؟

أجل. وكانت دائما نتيجة للخلاف الذي وقع في مُؤتمر الصومام، ومبادئ الداخل على الخارج والسياسي على العسكري. فذهبت لكي أُعيد النظام في تونس، وأقوم بتهدئة الجو، وهيكلة الجزائريين المُقيمين بتونس مثلما فعلت في المغرب.

كان الأمر سيكون أصعب بما أنّ تمركز النظام في تونس كان أكبر منه في المغرب؟

عدد الجزائريين في تونس كان أضعاف جزائريي المغرب.

قال مهساس أنّ ما حدث كان مُؤامرة، وأنه كانت لديه الفُرصة لكي يخلط الأوضاع، ولكنه فضل أن ينسحب لتجنب الفتنة؟

هذا ليس صحيحا، مهساس كان على رأس الاضطرابات التي

---

1 وهي جماعة القاهرة وسُميت كذلك نسبة لاحمد بن بلة، وكانت متكونة خاصّة من بن بلة، وأحمد مهساس، ويوسفي.

وقعت بتأييد من بن بلة، وعندما قدم اوعمران، وبن عودة، ومزهودي، الذين كانوا يُمثلون لجنة التنسيق والتنفيذ استطاعوا أن يُهدئوا الأوضاع. أمّا مهساس فساعده التونسيون على الهرب لكي لا يسيل الدم بين القادة الجزائريين على أرضهم.

هل تحدّثتم مع طرفي النزاع لدى وصولكم؟

عندما قدم اوعمران انتهى كلّ شيء. وبالنسبة لي كنت على رأس النظام الحزبي. وكانت هناك مصالح للثورة، منها مصلحة الصحّة، ومصلحة الشئون الاجتماعية، والثقافة، والرياضة. كنت مُشرفا عليها جميعها. وتمّت هيكلة الجزائريين من جديد. وكنت أقوم بجولات ومُحاضرات. وكوّنت إطارات المجلس الفدرالي. ونفس الشيء فعلته في المغرب.

وهل كنتم على اتّصال مع هيئة الأركان لدى تكوّنها؟

أجل. كنت كل شهر، تقريبا، وما إن أصل إلى الحدود أذهب من شمال إلى جنوب الحدود الجزائرية التونسية، حيث تتواجد فيالق الجيش لألقي مُحاضرات.

فكيف كانت علاقتكم مع قادة هيئة الأركان، أنتم الذين ساندتم الحكومة المؤقتة؟

في البداية كانت علاقتي مع جيش الحدود جيدة. عادة ما كنت أزور بومدين ومُساعديه. فتكوّنت بيني وبينه علاقات طيبة، وكانوا يطلبون مني أن أُجنّد مُناضليهم لكي يسدّوا الفراغ عندما يُرسلون دفعات إلى الداخل، لكي يبقى بداخل المراكز جنود، أو على الأقل هذا ما كانوا يقولونه لي. وفي مرّتين أو ثلاث جنّدت لهم ما يُقارب عشر فيالق.

وكيف كان التنسيق بين الحُكومة المُؤقتة وهيئة الأركان؟

كان الخلاف قد بدأ بين الطرفين، ولأنني لطالما ساندت الحكومة المُؤقتة، رغم أننا لم نكن راضين على أدائها تمام الرضى، فقد أصبحت خصما لهيئة الأركان، رغم الخدمات التي قدّمتها لهم.

لماذا ساندت الحكومة المؤقتة؟

لأنها ببساطة كانت تُمثل الشرعية. وبعد اختطاف طائرة القادة الخمسة، بقيت على اتصال مع بوضياف سرّا. وكنّا نتعامل بواسطة كلمة سر، بحيث أُطلعه على كلّ ما يحدث في تونس، وعندما وقع الخلاف بين هيئة الأركان والحكومة المؤقتة، أرادت هيئة الأركان

أن تكسب تأييد جماعة الخمسة، فأرسلوا بوتفليقة لجمع التأييد، والحكومة المُؤقتة فعلت نفس الشيء وأرسلت بن طوبال.

وماذا كان موقف محمد بوضياف؟

رفض عرض هيئة الأركان وقال لهم:"أنتم مُتمردون ومكانكم في الثكنة". وكان مع شرعية الحكومة المؤقتة مهما كانت الأخطاء التي ارتكبوها. أمّا بن بلة فقبل بعرض بومدين.

ما هي الحسابات التي كانت وراء إقالة المجلس الوطني للثورة لفرحات عباس؟

هذه الحسابات كانت قبل حتى تنصيبه. بحسب رواية بن طوبال، فإنّ هذا الأخير صارح فرحات عباس بأنّ وضعه كرئيس للحكومة المؤقتة لن يستمر.

لكن بلقاسم كريم هو الآخر كان يسعى لهذا المنصب؟

كريم لم تكن لديه المؤهلات الوطنية لكي يكون رئيس حكومة.

تقصدون أنّ النزعة الجهوية حالت دون أن يكون محل ثقة بن طوبال، وبوالصوف؟

لا، ليس هذا. قصدت بأنّه كان يُمكن أن يترأس ولاية مثلا، ولكن لم يكن يملك الكفاءة اللازمة لترأس حكومة، أي أنه لم تكن لديه المؤهلات الكافية لكي يصير رئيس حكومة في ذلك الوقت.

وماذا كانت مؤهلات فرحات عباس؟

بالنسبة لفرحات عباس، فكما قلت لك، فإنّ معطيات كثيرة جعلته يتوفّر على بعض المُؤهلات. وأهمّها أنه كان سياسيّا مُعتدلا. بحيث كان واجهة استعملها القادة لكي يُصوّروا للعالم أنّ الثوّار ليسوا مجموعة قتلة. وبحسب بن طوبال دائما، والذي لطالما كان صريحا خاصّة في هكذا مواقف، فإنّ المنصب لما عُرض على فرحات عباس تمّت مُصارحته بأنه لن يكون دائما، وأنه ما إن تنتهي مُهمّته بفرنسا، فإنّه لن يتمّ الإبقاء عليه. لكن عبّاس لم يُعجبه الأمر بعدها.

حسنا نعود إلى مؤتمر طرابلس، لماذا برأيكم عجز مجلس الثورة على حلّ الأوضاع فيه؟

الكلّ تفرق. كان هُناك حوالي 54 صوت. الأغلبية الساحقة منهم كانت مع الحكومة المؤقتة. اختار بن بلة وخيضر وبيطاط هيئة الأركان، وبوضياف وايت احمد اختاروا الحكومة المؤقتة. هذه

الأخيرة دعت إلى أنّ الأمور يجب أن تبقى على ما هي عليه، إلى ما بعد الاستقلال الكامل، بحيث يتمّ تنظيم مُؤتمر نهائيّ. أمّا الزعماء المُعتقلون فكانوا يرون العكس من ذلك. وقالوا بضرورة انتهاء مُهمة الحكومة المؤقتة، ووُجوب قيام مكتب خاص فورا لوضع القرارات النهائية. ورغم هذا، ومع أنّ الطاهر زبيري هو الآخر وقف في صف بن بلة، إلاّ أنّهم لم يحصلوا على الأغلبية. مع أنه حدث نوع من التلاعب، بحيث أن العقيد السعيد ايعزوران أعطته الولاية الثالثة أصواتها لكي يمنحها إلى الحكومة المؤقتة، ولكنه منحها لقيادة الأركان. وكذلك فعل بن الشريف، فعوض أن يمنح أصوات الولاية الرابعة للحكومة المُؤقتة، كما كان مقررا، فإنّه منحها إلى قيادة الأركان وبن بلة. وهو ما أدى إلى مُناقشة حادّة بين بن بلة، وبن خدة، وتلفظ بن بلة بكلام غليظ، وفاحش لبن خدة، ووقع هرج ومرج فافترقنا. ولم يُرفع المؤتمر إلى الآن، ثمّ دخلنا فيما يُشبه الحرب الباردة، ومع الاستقلال دخلنا منقسمين فوقع ما وقع.

هل ترون أنّ ما يُسمى بأزمة صيف 1962 هي نتيجة حتمية لما وقع في مؤتمر طرابلس؟

لو توصّلنا إلى تفاهم في مُؤتمر طرابلس وتوصّلنا إلى حلّ وسط، لما حدثت كلّ تلك المصائب والوقائع المُؤسفة التي حدثت بعد الاستقلال.

بعدها اخترتم طريق المُعارضة؟

فكّر المرحوم بوضياف في أنه لا بدّ من قيام مُعارضة سرّية ضدّ نظام بن بلة وبومدين، وكنت إلى جانبه. فأُلقيّ علينا القبض، وتمّ إرساله إلى الصحراء، فأضرب عن الطعام 40 يوما. أما أنا فسُجنت في دار النخلة ببولوغين، في "ضيافة" اختصاصي التعذيب حمداش، ثمّ نقلوني إلى سجن الحراش. وبعد انقلاب بومدين أُطلق سراح المساجين، وكنت بينهم. كما أطلق سراح بوضياف، فاتجه إلى فرنسا ليُعارض من هناك. مثلما فعل ديغول الذي عارض الاحتلال من بريطانيا.

هل عرض عليكم بوضياف أن تكونوا معه؟

أجل، غير أنني رفضت. لأنّ فرنسا هي عدوّتي. وبما أنني كنت مُتزوجا وكان لديّ أبناء، لم أشأ أن يتربى أولادي في فرنسا.

وحتى هو لم يبق في فرنسا، بل اتجه إلى المغرب.

هل كنتم تزورونه هناك؟

كنت أنا أتابع علاجي في المغرب بالمياه المعدنية، وأغتنم الفرصة لكي أزوره في القنيطرة، وكنت أطلب منه أن يعود إلى أرض الوطن، ولكنه كان يرفض دائما. وبعد الانفتاح الإعلامي سنة 1988 عندما أُطلق سراح بن بلةّ، ودخل آيت احمد إلى الجزائر، ذهبت إليه وكرّرت عرضي. وقلت له أنّ آيت احمد جاء في الطائرة، وبن بلة في الباخرة وأننا لا نُريده أن يدخل إلى الوطن في صندوق، أي ميتا. واقترحت عليه أن نقوم بمُعارضة علنية، ولكنه رفض. ولكن فيما بعد أتوا به ليخلف الشاذلي.

واستدعاكم لتقفوا إلى جانبه بعد عودته إلى أرض الوطن؟

أجل. عرض علي أن أكون معه في الديوان.

ولماذا رفضتم؟

لم أرفض. ولكنني فكّرت في أنني قد لا أنسجم مع الجماعة التي كانت تنشط معه في المعارضة من فرنسا. وقلت له أنّ هؤلاء شُبان، وقد لا تكون لنا نفس الآراء، والأفكار، فأخلق له مشاكل. ولكنني أخبرته أنني سأكون معه ما إن يُكوّن تجمعا وطنيا، أي حزبا خاصّا به. كما لم تكن لديّ ثقة في الجو الرئاسي. ما إن أدخله حتى أختنق. أخشى من الجوسسة والتسجيلات، وغيرها من الدسائس. كما كنت أسكن في حيّ خطير. بحيث كان هناك مسجد "كابل" الذي كان مركزا للإرهاب، والكثيرون قتلوا بقربه، وإذا تمّ اغتيالي فلم يكن أحد ليستفيد.

ما هي برأيكم أسباب اغتيال بوضياف؟

هم أحضروا ببوضياف لكي يسدّ الفراغ بعد الشاذلي بن جديد. وتردّد قبل أن يوُافق. ثمّ فكّر في أنّ الوطن يحتاج إليه في تلك المرحلة الصعبة، وحسبوا أنه سيفرح بالحكم ويُسايرهم، ويتواطأ معهم، ولكنه كان صلبا.

أنتم كنتم من بين لجنة التحقيق التي تم تنصيبها للبحث في ملابسات اغتياله، ألم تتوصلوا إلى أبعد من الرواية المعروفة؟

لدى حديثنا إلى محمد بومعرافي[1] قال لنا أنّ فعله عمل مُنفرد. لم نكن نصدقه صحيح، وكانت لدينا شكوك. ولكن لم توجد أدلة كافية.

وماذا عن الأسباب التي ساقها لتبرير فعلته؟

ذكر أنه لم يقتل بوضياف، بل قتل رمزا. ولو كان وجد أمامه الشاذلي بن جديد أو شخصا آخر لفعل نفس الشيء. أي أنه قتل الرئيس لا الشخص.

هل تلقيتم ضغوطات؟

لا، أبدا، أنا شخصيا لم أتلق أية ضغوطات.

قبل اغتياله هل أسرّ لكم بشيء ما؟

ما لاحظته أنه كان مُنسجما تماما مع خالد نزار، كانت لديه ثقة فيه. ووصفه بالرجل المُخلص للوطن...

وهل كانت عنده نفس الثقة في الآخرين؟

هذا لا أستطيع أن أؤكده أو أنفيه، هو حدّثني عن خالد نزار.

قبل اغتياله كان قد بدأ تحقيقا حول مُمتلكات المسؤولين، كيف حضر له، ومن كان يستهدف به؟

ذلك أمر لا يتحدّث عنه. ما أستطيع قوله هو أنّ الخطأ الذي ارتكبه أنه لم يُمتّن نفسه قبل أن يخوض "حربه" ضدّ من كان يشك في نزاهتهم وإخلاصهم للوطن.

لماذا لم يتمّ نشر التقرير في أوانه؟

حتى لا يُعطّل سير العدالة، أو هكذا قالوا. بالنسبة لي كنت أوّل من اعترض على إخفاء التقرير عن الرأي العام. وهذا لكي لا تقع شكوك حول اللجنة، ومصداقيتها. ثمّ وافقني خالد نزار على هذا. والباقي قالوا أننا إن نشرنا التقرير فسيُعيق ذلك السير الصحيح للعدالة.

ولكنّكم لم تصلوا إلى نتيجة بما أنّ فعل القتل، بسحب تقريركم، هو عمل مُنفرد، في الوقت الذي كان الناس ينتظرون معرفة من وراءه؟

أجل، نحن كنا نريد أن نعرف من المُدبر، فالقاتل هو بمعرافي، هذا لا شك فيه.

---

1 الرجل الذي اغتال الرئيس الراحل محمد بوضياف بحسب الرواية الرسمية.

من هم الذين طلبتم ملاقاتهم في تلك الفترة التي كنتم تُحققون فيها؟

إلى جانب عملي في اللجنة، أردت أن أُقابل قاصدي مرباح. وكان من قبل قد أرسل في طلبي، ولكنني لم ألتق به. وكان بيني وبينه صديق، أو صيته أن ينقل له رغبتي في لقائه. ومرباح قد يكون من بين الذين جنّدتهم عندما كنت في سيدي بلقاسم بالمغرب، وكان يحترمني كثيرا. ولأنه كان مُهمشا في تلك الفترة، فكّرت في أنه ربما يكون على علم ببعض التفاصيل الخطيرة، ولكنه لم يرد. كما أنني طلبت ملاقاة خالد نزار، ليس لأنني أثق به، بل لأنّ بوضياف كان يثق فيه، فطلبت أيضا من علي كافي أن يُدبر لقاء بيننا. فاتصل بي نزار، وقلت له ما أريده منه، فأجاب أن ليس لديه ما يقوله أكثر مما قاله خلال تشكيل اللجنة.

قلتم أنكم لا تثقون في خالد نزار...

أجل، ولكنني لم أقصد شخصه، وإنما ليست لي ثقة في العسكريين بصفة عامّة. وهذا لأنني في عداوة معهم منذ أن اخترت صفّ الحكومة المؤقتة، رغم أنه كانت تربطني ببومدين علاقات جيدة في وقت سابق.

حسنا فما الانطباع الذي أخذتموه عن الرجل؟

بما أنّ بوضياف وثق به، قد يكون مصدر ثقة، لكني أقول لك أنّ بوضياف يُمكن خداعه بسهولة في هكذا حالات.

انتقدت أرملة الراحل بوضياف تشكيلة اللجنة، وقالت أنها ليست خبيرة، ولا يُمكن أن تصل إلى شيء، بين رجل تاريخ، وسياسي، وأستاذ، ألم يكن هذا كافيا لكي تفكروا في أنّ عمل اللجنة لن يكون إلاّ شكليا.

كنت أعرف أن اللجنة لن تصل إلى نتيجة، لأنه كانت هناك سابقة جريمة كينيدي.

كنتم تعلمون أنّ اللجنة لن تصل إلى شيء ومع هذا قبلتم المشاركة في التحقيق فيها؟!

أجل، شاركت لأنّ الضحيّة كان صديقي، ولأنني أردت أن أعرف مُلابسات اغتياله. كنت أريد أن أطّلع على الأشخاص الذين كانوا يُحيطون به، لقد استدعينا نزار، والجنرال توفيق، وسيد احمد غزالي، وآخرين.

أي أنّ مُشاركتم في اللجنة كانت بدافع الفضول، لا لمعرفة الحقيقة؟

أجل، وكنت أعلم أننا لن نصل إلى نتيجة. أردت أن أعرف الظروف التي كانت مُحيطة بصديقي.

من استدعيتم للتحقيق معه؟

عدد كبير، ومنهم نزار، وتوفيق، وغزالي وعدد آخر كبير، كلهم جلسنا إليهم وتحدثنا معهم.

البعض يقول بأنّ قوات المخابرات اختارت لُجنة محايدة فقط لكي تظهر نية في البحث عن الحقيقة. أي أنها استعملتكم لكي تغطي على الفاعل الحقيقي، ما رأيكم سيدي؟

أجل، وكنت أول من فكر في هذا. وقلت لباقي أعضاء اللجنة أنهم سيستعملوننا، لا أستطيع أن أجزم في نواياهم، ولكنهم على الأرجح اختاروا لجنة مكونة من أعضاء مُحايدين فقط لكي يبعدوا الشبهات.

فلماذا إذا اخترتم أن تكونوا ضمن لجنة سيتم استعمالها؟

لم اجزم بذلك، قلت أنه على الأرجح اختاروا بحثا عن المصداقية في التحري، لأن الأمن العسكري كان باستطاعته أن يتحرى عن الموضوع لوحده، وأنا قلتها أمام تواتي، وسيد أحمد غزالي بأنّ الغرض من تكوين هذه اللجنة المحايدة هو البحث عن المصداقية أمام الرأي العام.

أي أنهم في النهاية قاموا باستعمالكم؟

لا أستطيع أن أجزم بذلك، لأنني لا يمكن أن أكشف نوايا غيري، ولكن أستطيع أن أقول أن نعم: استعملونا.

هناك من يقول أن المرحوم لم يتمّ اغتياله من الخلف فقط، ولكن أطلق عليه الرصاص من الأمام، فهل رأيتم تشريح الجثة؟

لم انتبه كنت متأثرا أيما تأثر، أرونا صورا ولكن لم استطع أن ألاحظ شيئا.

ما هي النقطة السوداء التي لاحظتموها؟

انعدام الحراسة، أو غيابها بشكل كبير. وهو الأمر الذي دوناه في التقرير.

بومعرافي التحق بحرس الرئيس قبل ساعات من اغتياله، فهل أثرتم هذه النقطة؟

أعطونا الأسباب ولكن نسيتها. كما أنني قلت لك، إنّ كلّ شيء

كان غامضا، الحراسة، وبعض التفاصيل منها التحاق بومعرافي بحرس الرئيس، كما لو كان كلّ شيء مدبرا...ولكن لا دليل.

هل تظنون أنّ مقتل بوضياف هي جريمة كاملة؟

الجريمة السياسية دائما تكون جريمة مُحكمة مثلما يقول المثل الفرنسي، تماما مثل مقتل الرئيس الأمريكي كينيدي.

بما أنّ الجريمة السياسية تكون كاملة، كما قدمتم سيدي، ما رأيكم في الأشخاص الذين يُطالبون اليوم بإعادة فتح تحقيق حول مُلابسات اغتيال الرجل، خاصّة وأنّ أرملة المرحوم ذكرت أنّ الحقيقة لا بدّ أن تظهر؟

لن يصلوا إلى نتيجة. ولا يمكن الوصول إلى نتيجة لم تظهر قبل سنوات. ولكن أن أراد احد أن يبعث التحقيق فليبعث، فقط من أجل إرضائهم.

أشار سيد أحمد غزالي قبل أيام في حوار معه إلى وجود أطراف مُعيّنة لم تكن تريد محمد بوضياف، وتسعى إلى التخلص منه، ألا يستدعي هذا إعادة التحقيق مع الرجل؟

سيد احمد غزالي كان رئيس حكومة، ولم يكن مُؤثرا. كلّ شيء كان يحدث على مستوى الأمن العسكري.

صرّح الرئيس الأسبق أحمد بن بلة مؤخرا بأنه هو الثورة، أي هو من حدّد تاريخا لتفجير الثورة، ما رأيكم؟

لم يكن لأحمد بن بلة دور في الداخل عندما كان في الخارج، الدور الحقيقي كان لبوضياف، وبن بولعيد. بوضياف هو من جمع عناصر المجموعة السرّية. فعل ذلك مع مراد ديدوش، ثم حضّروا لاجتماع 22، ثمّ تقسيم الولايات. وبعد تحديد تاريخ للثورة، ثمّ خروج بوضياف لكي يُعلمهم بالأمر.

هاجم سياسيّونا مُؤخرا الوزير الأوّل التركي الطيب رجب اردوغان لدى استشهاده بما فعلته فرنسا من جرائم في الجزائر، مُعتبرين ذلك "تجارة سياسية"ما رأيكم؟

رغم أنني لا أتتبّع ما يُصرح به السياسيون حاليا. إلاّ أنني أرى أنّ أردوغان على حق، فمن غير المعقول أن تتحدّث فرنسا على 15 ألف أرمينيا قتلوا، وتنسى هي الدماء التي سفكتها في الجزائر، وضحاياها الذين يُعدّون بالملايين. فهل عطف سياسيونا على فرنسا؟!

16

محمد الشريف موهوبي المدعو محفوظ

"الابلويت كانت انتقاما من عملية العصفور الأزرق"[1]!

1 نشر بتاريخ 21 جويلية 2012.

نعيش في هذا الحوار الشيّق مع المجُاهد الكبير محمد الشريف موهوبي (المدعو محفوظ) الانطلاقة الأولى لثورة التحرير، كيف لا؟ وضيفنا أوّل من أدخل السلاح إلى قرية بومهالة في الناحية الثانية المنطقة الثالثة الولاية الثالثة، وترأسّ القسمة الثورية التي تضم سيدي نعمان زيمولة وأولاد وارث وتالة مقّر وذراع خليفة وزبّوج قارة وبومهالة... وجرّب الحرب، والتعذيب، وعاش السرّية والمنفى ودخل السجن. استضاف الرجل جريدة "الجزائر" في بيته بمدينة تيزي وزو الجميلة، وحدّثنا بصدق وصراحة كبيرتين عن أهمّ ما ميّز تلك الفترة من أحداث، وعملية العصفور الأزرق، والوسائل التي كانت تُستعمل لتعذيب المناضلين، والتأثير عليهم نفسيا، واستدراجهم إلى العمل مع السلطات الفرنسية. فكانت شهادته تأريخا لمنطقة مُناضلة عرفت بباعها الطويل في الثورة وأنجبت مناضلين كبارا ساهموا مثل بقية أحرار الجزائر في كافة أنحاء الوطن. لقاؤنا الأسبوعي مع الشخصية التاريخية لهذا الأسبوع تُطالعونه على جزأين اثنين.

سيدي، لقد انخرطتم في حزب الشعب قبل اندلاع الثورة التحريرية من فرنسا، فهلاّ حدّثتمونا كيف حدث ذلك؟

بالنسبة لي ولدت في شهر مارس من سنة 1930. وفي أوت 1949 سافرت إلى فرنسا، ومنها انخرطت في حزب الشعب الجزائري سنة 1950، ثمّ أرسلوني لأعود إلى الوطن في أوت أيضا من سنة 1952.

من كان المسؤول عنكم في فرنسا؟

كان اسمه أحمد الشريف العربي من تالة مقّر.

هل عدتم في مُهمة؟

كان من المفروض أن التحق بالحزب هنا، وفعلا أعطاني ذات المسؤول ورقة لكي أدفعها إلى ممثلي الحزب عند عودتي، ففعلت،

وكان هذا في دار بقرية تالة مقر التابعة لبلدية سيدي نعمان، كان يلجأ إليها الكثير من المسؤولين، على غرار بلقاسم كريم، اوعمران، وعلي ملاح، يأتون سرا، ويرحلون تحت حراسة وحذر شديدين، ذلك أنهم كانوا مُطاردين.

ماذا كانت مُهمّتكم لدى عودتكم؟

كُلفت بترأس خلية تالة مقّر، كان هناك خليتان اثنتان، تكفلت أنا بواحدة. وعملنا في تلك الخلية، وكنا نجتمع مرتين في الأسبوع، الأولى مع عناصر الخلية، والثانية مع المسؤولين.

لكنكم عُدتم إلى فرنسا بعد تلك الفترة؟

أجل وقد كان ذلك في شهر مارس سنة 1953 بعد خلاف بين العروش على بعض الأراضي المشاعة، وقطع أرضية اختلفوا في أحقية ملكيتها، كانت مثل هذه المسائل تعوق كثيرا نشاطنا النضالي، وأذكر جيدا اجتماعي لأول مرة مع المسؤولين، ولكن بعدما أدركت أن الأمور معقدة، نأيت بنفسي عن الموضوع وقررت العودة إلى فرنسا، قال لي السي واكلي وهو مناضل قديم في حزب الشعب ومن الرعيل الأول ما يزال على قيد الحياة (أطال الله في عمره) قال لي أن الحزب منع العودة إلى فرنسا، فأجبته أن لا مكان لي وسط تلك الصراعات العشائرية التافهة التي لا تخدم إلا الاستعمار بتفريقها لصفوف الشعب، وبعد قرابة الـ15 يوما عدنا واجتمعنا في نفس المكان، وكان بيت مناضل، ولكن لم يطرأ جديد، وحتى موقفهم من ذهابي لم يتغير، وقالوا أن عليّ البقاء. ورغم أنني فضلت البقاء أيضا، لكن لم أكن أحتمل تلك الصراعات، فذهبت مُضطّرا إلى فرنسا لا مُخيرا.

عندما اندلعت الثورة كنتم تعملون في فرنسا؟

في الحقيقة كنت مريضا في المستشفى، ولم أخرج إلاّ في شهر ديسمبر من سنة 1954، وهناك التقيت بمناضلين، سألتهما عن الوضع، فأخبراني بما يحدث، فتركتهما هناك وعدت إلى الوطن. وعندها أرسل لي النظام طالبا مُقابلتي، وكان لقاؤنا سيتم بعد ثلاثة أيام، وكان يوم سبت، عندما التقيتهم ذرفت دموعا، كنت أعرفهم.

هلا ذكرتم لنا أسماءهم؟

كانوا 7 أشخاص، منهم المسؤول موح مزيان، والسي واكلي،

وأخوه أحمد، وأوجدي محمد، والذي استشهد في باب معسل سنة 1958 برتبة مساعد، فطلب مني موح مزيان أن أجد حلا للخلاف الواقع بين قريتي بومهالة وتالة مقر.

أي أن الخلافات كانت لا تزال قائمة؟

أجل!.

هل كانت فرنسا تعمل على تغذيتها؟

بالطبع، خاصّة إن عثرت على ما يُمكّنها من تعميق الهوّة بين العائلات المُتخاصمة.

هل اهتديتم إلى حل؟

أجل، فكّرت في جمع أربعة أشخاص من الأعيان يطلق عليهم محليا اسم (العُقّال) من الطرفين، أي من قرية تالة مقر وبومهالة، وفعلا كانت هناك لقاءات، وتحسّنت الأمور تدريجيا إلى أن قضي على أسباب الخلاف نهائيا مع تقدم الثورة وانتشار الوعي الوطني الذي غير كل الذهنيات رأسا على عقب.

حسنا، كنتم أوّل من أدخل السلاح إلى بومهالة، كيف حصل ذلك؟

بدأنا نجمع السلاح في بداية سنة 1955، إذ تلقى محمد باكلي، أوامر بأن يُحضر لي السلاح لأدخله إلى بومهالة. وفعلا قدم باكلي، وكان معه صهره، وأخ هذا الصهر كان خائنا، أما أنا فقد كنت في تالة مقر مع خالي عمر بلعزيز. ثم التقينا، وكنت أعرف محمد باكلي، وهو بدوره عرّفني بمحمد أوشيب، وصهره، وأخوه، ثم التقينا الإخوان، راحوا يفتشون ذلك الحركي، أمّا أنا فجمعت ذلك السلاح، وكان عبارة عن بنادق صيد، واتجهت إلى بومهالة، وتركوا محمد اوشيب، ومحمد باكلي لشأنهما، وقتلوا الحركي. وعندما كان المُجاهدون يأتون لجمع السلاح كنت أحرص على أن يُشارك الجميع في إيوائهم، فذلك جعل الجميع ينخرط في الحركة، وحتى الأشخاص الذين كانت بينهم خلافات وحّدهم العمل المُشترك، وجعل كلّ واحد منهم لا يخشى على نفسه من عدوله قد يشي به، وذلك بحكم أنّ الجميع قد انخرط في العمل النضالي. وبدء من أكتوبر سنة 1956 تجندت وبدأت العمل في بني جناد.

هل كان الفارّون من عملية العصفور الأزرق قد التحقوا بالمنطقة؟

أجل التقيناهم هناك، وأذكر مثل اليوم أننا تناولنا معهم وجبة

العشاء في زاوية سيدي منصور، كانوا قد أنجزوا عملا نوعيا رائعا في غاية الإتقان، إذ عملوا لعدة شهور مع فرنسا على أساس أنهم حركى، حتى أنهم، وللتمويه، كانوا يقتلون بعض الخونة الذين تحكم عليهم الثورة بالإعدام ويلبسونهم البدل العسكرية المهترئة ويقدمونهم لضباطهم الفرنسيين في الصباح على أنهم (فلاقة) أي مجاهدين وقعوا في كمائنهم الليلية وذلك حتى يكتسبوا ثقة فرنسا فيهم أكثر فأكثر، وتُسلّمهم السلاح الجيد وهذا ما قد حصل بالفعل، بل إنّ بعضهم قد صار مسؤولا، وحتى عملية الزرقاء (لابلويت) فيما بعد كانت في جزء منها، على ما أظن، انتقاما من عملية العصفور الأزرق هذه الناجحة جدا في تاريخ الثورة بالولاية الثالثة.

تبع هروبهم حملة تمشيط واسعة في المنطقة، هل تكبدتم تبعات العملية؟

أجل،كان هناك حصار شديد علينا، بدأت عملية تمشيط كبيرة، وبقينا تحت حصار وقصف الطائرات 4 أيام كاملة.

وبعد العملية هل بقيتم في نفس المنطقة؟

بعد انتهاء شدة الحصار علينا أذكر أننا تنقلنا إلى ناحية ذراع الميزان، حيث تركزنا في منطقة تدعى أولاد يحيى موسى، كنا 76 مجاهدا ومنقسمين إلى فصيلتين، الأولى كان على رأسها الشايب الذي قدم من أزفون، والأخرى يترأسها رابح النية وهو من تادمايت. وقد حدث أن وقعت بيننا معركة، حاول الشايب فيها أن يقاوم جهده، لكن رابح النية تراجع، مما جعل الشايب يكتب تقريرا مفصلا عما حدث، وخاصة عن تراجع رابح النية، فأُتخذ القرار من القيادة بمعاقبة هذا الأخير بنزع سلاحه لإبعاده عن العمليات العسكرية وتحويله إلى مُحافظ سياسي، بقينا في ناحية ذراع الميزان بالناحية الثانية من المنطقة الرابعة إلى سنة 1957، وبعدها انتقلت إلى سيدي نعمان، أين خلفت المجاهد أحمد موح خليل على رأس القسمة التي تضم زيمولة وأولاد وارث وتالة مقّر وذراع خليفة وزبّوج قارة وبومهالة...

من عيّنكم على رأسها؟

التعيين يتم على مستوى رئيس الناحية التي كان يرأسها حينئذ عمر حمود (ولقبه حداد) وهو من الرعيل الأوّل.

كيف تمّ القبض عليكم؟

سبق ذلك أحداث كثيرة، إذ أننا أردنا مرة أن ننظم هجوما على المركز العسكري في سيدي نعمان، لكونهم كانوا يتنقلون بحرية في الناحية، فأرسلنا إلى كتيبة "موح لاندوشين" والتقينا بهم، وتصادف ذلك مع سقوط غزير للمطر، وفي اليوم الثاني أيقظنا السي موح واعمر، وقد كنا في "إيغلف" أرسل 6 أشخاص إلى "إيغوراس" و6 إلى "بني سليّم"، وأنا أعطاني 5 أشخاص إلى تالة مقر . كان هدفنا أن نستفزّ عسكر سيدي نعمان حتى يخرج ونستطيع أن نكمن لهم بكامل جنود الكتيبة المستقدمة لهذا الغرض كما كان مخططا.

هل كنتم رئيس القسمة حينها؟

لا، لم أكن قد عُيّنت بعد على رئاسة القسمة. قلت لقد استفزّزنا قوات العدو، وغادرنا المكان وعندما وصلنا إلى قرية "ايمخلاف" قال لي رئيس القسمة هناك أنّ السكان لا يريدون أن يستقبلوا المجاهدين، فذهبنا إلى قرية زيمولة، فوصلنا على الساعة الخامسة مساء، بقينا هناك، وفي الصباح أمرنا أن لا يخرج أحد من القرية حتى لا يُخبر بمكاننا أحد، وفي المساء جمعناهم في المسجد، وفيما نحن نحاول تنظيمهم، كانوا هم يُحصون عددنا، وما نملكه من سلاح، وفي المغرب أطلقنا النساء والمسنين، ثمّ صغار السن، وتفرقنا بعدها إلى ثلاث مجموعات، الأولى اتجهت إلى كطوس، والثانية إلى الوادي لكي تذهب بعدها إلى سيدي نعمان القديمة. واتفقنا على أن نلتقي بعد يومين كلنا، حيث تناولنا وجبة العشاء، وفي صباح اليوم الموالي لمُغادرتنا ذهب بعض سكان زيمولة إلى ثكنة ولاد وارث وفضحوا أمرنا، والمُعدّات التي كنا نحملها، فخرج عسكر دلس إلى بومهالة، وعساكر تيغزيرت أيضا خرجوا، أما حيث كنا فلم نلحظ شيئا، وبعد تناولنا العشاء رأينا عن بعد 7 شاحنات، مُتجهة نحو القرية التي وشت بنا، أي زيمولة، فخرجنا جميعنا من دار بوزرارث في ثالة مقر إلى منطقة الملاعيب ولم نكن نعلم أنّ المنطقة كلها مُحاصرة، فدخلنا إلى الغابة، ثمّ مشينا، وحاولنا أن نجد مسلكا آمنا، ولكن المنطقة كلها كانت مُحاصرة، فقلت لرفاقي:"لا بد أن نكون شُجعانا، وليس لنا خيار إلاّ أن نحارب حتى الاستشهاد" وكانت الغابة عالية، فدخلوا بالقوّة،

وبدأوا يُطلقون النار على الساعة التاسعة صباحا تقريبا، وكانوا يتقدّمون ويُطلقون النار والقنابل. كان هذا في 25 ديسمبر 1958. وبقينا كذلك إلى الخامسة مساء، ثمّ انسحبنا إلى تلّ صغير، وقد استشهد منا 5 مجاهدين وأصيب ثمانية في غابة بومهالة!

حسنا، وكيف تعاملتم مع الخونة الذين فضحوا أمركم؟

أذكر أننا بعد تلك المعركة بثمانية أيام، جاءنا بعض المناضلين من أولاد دوارث (الذين كانوا يتظاهرون بالتعاون مع العدو) وأبلغونا بما فعله حركى زيمولة، هؤلاء كانوا مع الثورة قبل أن يتحولوا إلى خونة، وخونة زيمولة كان رئيسهم اسمه بلعيد علي عمار، خشي على نفسه من انتقامنا، فصار لا يبيت في منزله، ومرة جاء ليبيت ليلته في منزله، فعلمنا بالأمر، فذهبت أنا ورابح طوطاح، ووصلنا إلى بيته التي كان بها مخرجان، حاصرنا الباب من الجهة العليا، وناديته، أجابتني زوجته، فقلت لها أن تعلم زوجها بأنّ سُكان المنطقة كلهم سيلتقون أمام المسجد، فقالت لي أنه ليس موجودا، ولكننا بقينا نراقب المكان مدة 20 دقيقة تقريبا، حتى رأيناه يخرج متنكرا متخفيا بين ثلاث نساء، ولكني اكتشفت أنه ليس امرأة، فسرت وراءه إلى باب المسجد، وكان هناك ركن مظلم هو الحد الفاصل بين النساء والرجال، وهناك نزع الغطاء عن رأسه، وأنا كنت قد أوصيت الحارس أن يُراقبه، ثم غادرت النساء، وتخلف الرجال، وكان الخونة الثلاثة، وبينهم ابن بلعيد علي عمار، الذي كنا ننوي أن نأخذه معنا أيضا، لكن ليس لقتله. أما الأب فعندما انكشف، أظهر نفسه، وتعذر بأنه ادعى الغياب عن المنزل لأسباب أمنية، وأبدّى استعداده ليدفع مبلغ 15 ألف فرك قديم، وهو ما يعادل اليوم 1500 دينارا تقريبا، بقيمة ذلك الوقت طبعا، فطلبنا منهم أن يُرافقونا فرفضوا، وبقوا على تلك الحال حوالي 20 دقيقة،وعندما حاول الرفاق تقييدهم قاوموا أيضا،ثم راحوا يصرخون ليسمعهم العساكر في مركز سيدي نعمان، وفي تلك اللحظات المضطربة قفز ابن بلعيد من النافذة وهرب، فقرر عبد الرحمن عروس أن ينهي أمرهم فأفرغ فيهم خزان رشاشه، وأنا كنت أمام باب المسجد وما إن بدأ إطلاق النار حتى لاحظت انقطاع التيار الكهرباء في كل المركز العسكري بسيدي نعمان وبقي كذلك حتى الصباح!.

هل يعني ذلك أنّ هؤلاء الحركى كانوا يحملون إشارة الإبلاغ؟[1]

لا، ادري، ربما مجرد صدفة أو أن الرصاص أتلف الكوابل.

كيف جُرحتم؟

أذكر أننا تناولنا وجبة العشاء في منطقة ليتامى بالقرب من وادي سباو جنوب شرق سيدي نعمان،على الساعة الرابعة مساء بالتقريب شاهدنا هناك شاحنات عسكرية مارة،فانتظرنا أن تعود فلم تعد،فواصلنا طريقنا إلى زبوج قارة، فتناول من كان معي وجبة العشاء، أما أنا فلم آكل شيئا،ثمّ سمعنا قدوم العساكر، وخرجنا لتالة مقر لنكمن لهم،فبقينا ساعتين،لم نرهم، فجاءني سليمان أوجدي، وقال لي لا بدّ أن هناك تمشيطا في الغابة بحسب عدد الشاحنات التي مرت إلى زبوج قارة، طلبت منه أن يسأل عمر موح ارزقي،فهو ابن المنطقة ويعرف جيدا المكان، ذهبنا إليه، فأخذنا إلى مغارة لنختبئ فيها، ولو أنني شككت في أنهم لمحونا ونحن ندخل إليها، دخلنا وخلدنا إلى النوم، وكان هذا في 22 أوت 1959 وعلى السادسة صباحا أيقظنا الحارس، ثمّ وصلت الطائرات. فتفرقنا، البعض اتجه إلى زيمولة وكان هناك 6 جنود تبعتهم الطائرات فأجهزت عليهم كلهم، أما نحن فلم تتفطّن لنا، عدنا إلى بوقزول فوجدناهم قد سبقونا إلى هناك،ثم ذهبنا إلى تالة مقر، فقاموا بتمشيط هناك، فحاصرونا فقاومنا، فجُرحت، وفي المساء وضعوني في مخبأ وكنت منهكا، وفي اليوم التالي هناك مُسبل وشى بمكاني تحت التعذيب، وأحضرهم لي، فقذفوني بمسيلات الدموع، بعد أن أصبت منهم اثنين بمسدسي، فقبضوا علي وأخذوني على تلك الحالة من الجروح إلى تغزيرت حيث شرعوا في استنطاقي.

في أيّ تاريخ تمّ القبض عليكم؟

كان هذا في 23 أوت 1959، عندما قبضوا علي أخذوني مباشرة إلى العيادة، ومن سوء الحظ أنني وجدت هناك العساكر الذين أصبتهم من مخبئي أثناء اكتشافي ومحُاصرتي، فقيدوا يدي

---

1 جهاز صغير عبارة عن مصباح أحمر، وأخضر وأبيض يحمله الخونة معهم لكي يشيروا للعساكر في مراكز العدو من بعيد وحسب رموز معينة متفق عليها مسبقا مع العملاء إذا ما لمحوا المجاهدين وتأكدوا من مكان وجودهم!.

إلى رقبتي، ثم أعادوني إلى المكان الذي كنت فيه مربوطا، وفي الصباح جاء ملازم فرنسي، مع حركي يُدعى أمالي، فأخذوني إلى الرائد، قال لي أنني بين أيديهم الآن، وأنه عليّ أن أقرّ بما أعرف، وقال أنه لا يطلب مني شيئا كثيرا، وإنما فقط ثلاثة معلومات:مخزن الأدوية، العيادة التي نعالج فيها المرضى، والمخبأ الذي نختبئ فيه في غابة مزرانة، فقلت له أنه يطلب مني معلومات لا أعرفها، فلم يلبث أن نادى الحركي أمالي، وأشار له أن يتمّ تعذيبي. وفعلا عذبوني باستعمال الكهرباء. وكانوا يسألونني عن عملي، وأنا أجيب بالنفي، ولو أنهم كانوا يعرفونني، ذلك أن محمد السعيد، أخ سي واكلي أقرّ بعملنا. أما الحركي أمالي فكان يعذبني حتى أُنهك، فأحضر محمد السعيد، وسأله أمامي إن كان يعرفني فقال نعم، ثم سأله عن عملي فقال أنني محافظ سياسي، فاستدار إلي أمالي وسألني:"أليس كذلك؟" قلت لا. فأخذوني إلى مزرانة، وهناك تم تعذيبي من الصباح إلى المساء بالكهرباء والماء وتركوني، ثم أرسلوا لي مُمرضا ليُعالجني، فغيّر لي الضمادات، ثمّ نقلوني إلى زنزانة بزبوج قارة، وفي الصباح عادوا ونقلوني إلى بغلية، حيث سلموني إلى مصالح الدرك، فبقيت هناك 10 أيام، بدون ماء، ولا أكل، ولا شيء، ولا أدري إلى الآن إن كانوا قد نسوا أمري، أو أنهم فعلوا ذلك عمدا، وبعد ذلك نقلوني إلى دار التعذيب بدار بوني الشهيرة ببغلية، وكان هناك مساجين من بني ثور، وتاورقة، وغيرها، فتوجسوا مني خفية في البداية وأخذوا الحيطة مني،وأنا كذلك، وفي الغد جاءني الحركي الشهير موح السعيد العمراوي، وسألني أين تمّ إلقاء القبض علي، فأخبرته، فسألني إن كنت قاومت خلال المعركة، قلت نعم، سألني عن عدد الذين قتلتهم أو جرحتهم قلت جرحت اثنين، فسألني عن عدد الرصاصات التي تبقت لي، قلت ثلاثة، فسألني لماذا لم أفرغها في رأسي، أجبت بأنني حاولت، ولكن لم تخرج الرصاصات، فضربني، وخاطبنا قائلا:"أيها الخبثاء، هل يوجد شخص لا يريد لبلاده أن تستقل؟" صمتنا، فشبه محاربة فرنسا بالشخص الذي يضرب رأسه إلى الجدار، سألني إن كنت أعرف أحمد موح السعيد، وإن كنت أملك الشجاعة لأموت مثله، قلت:"الله أعلم". كل هذا الحديث الذي دار بيننا، كان بمثابة شهادة على شجاعتي

ورباطة جأشي وصمودي، الأمر الذي حسن صورتي أمام المساجين الذين راحوا يتوددون إليّ بعد ذلك لما تأكدوا أنني لست مندسا عليهم. وبعد قرابة الشهر من وصولي إلى دار بوني، دعاني نقيب مركز زبوج قارة، وأراد أن يُشغلني في منطقته، على الساعة الثانية عشر وصلت، وكنت في الزنزانة جاءني النقيب، أراد أن يستميلني فقال لي أنه جديد مثلي، وأننا يمكن أن نُصبح أصدقاء، سألني إن كنت أحسن الفرنسية، فقلت لا، وعلى الفور تحدث الحركي الذي كان إلى جانبه، وقال بلى، وذلك لأنه يعلم أنني كنت في فرنسا، وأتحدّث الفرنسية، قلت أنني كنت أحسن بعض الكلمات، ولكنني فقدتها مع الوقت. وبعد ساعة تقريبا أحضروا لي الأكل، ثمّ على الساعة الثالثة جاء أحدهم ورافقني إلى مكتب النقيب، وخرج الحركي، فقال لي النقيب أنه أشفق علي، خاصة وأنني شاب، ولا أستحق أن أسجن، لكنه غير قادر على منحي حريتي، ولكنه سيعمل على مساعدتي، وأراد فعلا أن يجعلني أعمل في صفه، وصار يحدثني بما يقارب الثلاث ساعات يوميا.

كان يريد أن يؤثر عليكم نفسيا؟

أجل، شيء من هذا.

عن ماذا كان يتحدث؟

أذكر أنه قال لي مرة أن الوضع في الجزائر يستحق التأمل، فهناك من المجاهدين من يموت يوميا على المستوى الوطني، هذا في وقت لا يفعل أصحاب الخارج إلاّ التمتع بالملذات في بلدان مستقلة، وقال أنه لا يعترف إلاّ برجل واحد وهو العقيد عميروش، ذلك لأنه حارب في الداخل، أما الذين يقبعون في تونس والمغرب فإنهم يتنقلون في السيارات الفاخرة، وينامون في الفنادق الفخمة، ويأكلون في المطاعم، ونحن، ويقصدنا مجاهدي الداخل، نموت هنا.

هل اقترح عليكم أن تعملوا في صفه؟

سألني مرّة لماذا لا نستسلم؟ قلت له أنّ هذا غير مُمكن. قال كيف هذا؟ قلت لأنّ فرنسا تقتلنا، فنفى الأمر، فشرحت له أنّ القادة في الجبال يجمعوننا ويقولون لنا أن من يلتحق بفرنسا تقتله، وأنا قلت هذا لمُجرد التمويه، وصدّقني، وقال أنهم لا يقتلون، وأضاف أنّ

ديغول عندما أتى بمشروع سلم الشجعان وزعت المناشير عليكم في الجبال بالطائرات، فقلت له أنه لا يحقّ لنا أن نحمل تلك المناشير ولا نقرأها أبدا لأنّ ذلك ممنوع، ثم إننا لا نمشي وحدنا أبدا فكل واحد منا يراقب الثاني. بعدها أعادوني إلى دار بوني، ثمّ نقلوني بعد ذلك إلى معسكر التعذيب بكورتيص في برج منايل، وعذبوني هناك، ولكنني لم أقر لهم بأي شيء. وبعدها نقلوني إلى سجن تيزي وزو، حيث بقيت هناك حتى أفريل 1962. بعد توقيف القتال بحكم اتفاقيات ايفيان الشهيرة التي تم على أثرها الاستفتاء على تقرير المصير والاستقلال وها هو الله قد أطال عمري لأعيش الذكرى الخمسين للاستقلال الوطني بكل ما تحمله من معاني جليلة وذكريات أليمة.

17

جميلة تيكامارا

"نتائج الباكالوريا مُضخمة والمدرسة الجزائرية انهارت"[1]

1 نشر بتاريخ 15 جويلية 2012.

استضافت "الجزائر" في عدد اليوم المناضلة جميلة بوربابة تيكامارا، التي استقبلتنا في بيتها بالقبة، وتحدثنا معها في هذا الحديث الشيّق عن نضالها، والمهام التي كُلفت بها إبان ثورة التحرير، وإشرافها على تربية النشء. كما حدّثتنا عن المدارس الحرة التابعة لجمعية العلماء المسلمين، وانخراطها في الكشافة، وصارحتنا برأيها حول واقع التعليم في الجزائر، وخمسينية الاستقلال.

أنت من بين مُعلمات المدارس الحرّة، اللائي كنّ كلهنّ مُنخرطات في العمل النضالي، فكيف كان يتم تجنيدكن؟

لقد كان نضالي على جبهتين، أولى خاصّة بالتوعية، وتربية النشء قبل، وحتى بعد الاستقلال. وثانية تتمثل في ربط الاتصال بين المناضلين في العاصمة. إذ نشأت في حي المقرية "بروسات" بحسين داي، ومنذ أن وعيت على حقيقة الاستعمار شعرت بالهوة التي كانت بيننا، نحن الجزائريين، أو المُسلمين، كما يُسموننا، وبين المعمرين، الذين لم يفتأوا يُحسّسوننا بأننا أقل شأنا منهم. وحتى في مدرسة "تروتشييه" في حسين داي التي تلقيت فيها تعليمي الأوّل، كان باقي الزملاء من أبناء المُعمرين يكرهوننا، ولا يُحبذون الاختلاط معنا.

هل تلقيت تعليمك الأوّل في المدرسة الفرنسية؟

كنت أدرس في المدرسة الفرنسية صباحا، ثمّ صرت بعدها أدرس في مدرسة النصيحة الحرّة، وكنا نتلقى فيها دروس التاريخ والجغرافيا وحتى العلوم. ومرّة نظمنا مسابقة على شكل مسرحية وطنية، وقمنا بالإنشاد، واحتضنت ساحة المقرية الكبيرة هذا النشاط، حضرها جمع كبير. وأذكر أنّ سلوى المغنية أيضا كانت مُشاركة فيها. وفي النهاية تفوّقت في المسابقة، وبهذا صرت أُدرس بدوري وسني لا يتعدى الثالثة عشرة.

أي أنك صرت تتعلمين وتلقين دروسا في نفس الوقت؟

أجل، كنت أدرس في المدرسة الفرنسية في الفترة الصباحية، وفي المساء أداوم في المدارس الحرّة. وكنا نُدرّس كلّ المواد، تقريبا، وحتى الأناشيد التي تزرع الوعي بين الأطفال، وتهدف إلى تذكيرهم

بوجوب مُحاربة العدو، واسترجاع وطننا. وحتى سن 17 بقيت أدرس تلك الأجيال، وحتى الآن لا أزال أشكر الله كثيرا على أنه منحني قوّة مكنتني من أن أنشئ أجيالا كان لها شأن بعد الاستقلال.

كانت الكشافة إلى حد بعيد تمثل الوجه الآخر لجبهة التحرير، حتى قبل تأسيسها الوطني، أو لنقل مدرسة لإنشاء الوطنيين، ومُحرّري الجزائر المُستقبليين، فهل انخرطت فيها؟

أجل، انخرطت مع بنات من سني، وكان يُشرف علينا، ماحي، وقدّاش، الذي كان رئيسنا، إلى أن صرنا دليل المسلم الجزائري (مجموعة من المسؤولين على الأطفال الكشافة،، يلقنونهم درسا، ويوجهونهم). ثمّ لاحظ لاكوست أننا نُلقي أناشيدا وطنية، فطلب من مسؤولينا أن يتمّ تنظيم رحلة تجمع بين الدليل المسلم والدليل الفرنسي إلى فرنسا. وفعلا تمت الرحلة.

من حضر معك؟

كانت معنا فضيلة بن بوعلي، باية لعراب، فضيلة حدادي، حميدة دزوغي، ستي بن بوعلي، ورافقتنا فتيات لا يتعدى سنّهن العاشرة، وبقينا 15 يوما، وفي الليلة لتي تسبق عودتنا إلى أرض الوطن، نظمنا حفلة وداع، فأخرج الفرنسيون علمهم، ووقفوا يُحيّونه. فاغتظنا لذلك شديد الاغتياظ، وأنا قمت بتمزيق قطعة من قميصي الأبيض، وقطعة أخرى من الفستان الأخضر، واستعنت بالمنديل الأحمر، وصنعنا علمنا، وأنشدنا...

"من جبالنا طلع صوت الأحرار ينادينا للاستقلال
يُحاربون من أجل استقلالهم
استقلالهم الكامل
الموت أحسن من البقاء تحت الراية الفرنسية
أُضحي بحياتي وبمالي عليك"

ونحن من ألّفنا هذه الكلمات بالفرنسية، واستعنا بلحن الأنشودة المعروفة "من جبالنا" وأتحدى أيا كان أن يقول عكس ذلك.

أي أنكنّ وضعتنّ الكلمات من قبل؟

لا، قمنا بتأليفها في تلك الليلة، كل واحدة منا قدمت كلمة، أو عبارة، أو مقطعا، وأنشدناها.

كيف كانت ردّة الفعل الفرنسية على هذا"التمرد"؟

اتصلوا بالجزائر، وأخبروهم عمّا حدث، وعن تاريخ عودتنا، وفعلا، في اليوم الموالي قدمنا في الباخرة، وفي طريقنا اصطدمنا مع الفرنسيين الذين كانوا في الباخرة، وعندما وصلنا كانت الشرطة تنتظرنا، اقتادونا إلى مركز الشرطة الرئيسي، وتركوا من كان تحت سن العاشرة يُغادر، ولكن أبقونا نحن، وسألونا عن الأغنية، فقلنا أنّ استفزاز الفرنسيين لنا بالوقوف لتحية العلم الفرنسي هو ما جعلنا نصنع علمنا. وحاولوا أن يجبرونا على أن نقرّ بأشياء من شأنها أن تفيدهم، ولكننا تمسكنا بما قلناه. فسخر منا بعض الشرطيين، واغتاظ آخرون من فعلتنا.

حسنا من درّس إلى جانبك في مدرسة النصيحة؟

كنت الفتاة الوحيدة، وكان هناك أربعة معلمين رجال، مثل محمد اوغرين، ومحمد بوصبيعات، والشيخ مزيان بن عودة، كنا ندرس معا، وكبرنا كذلك معا، ثمّ انتقلوا إلى الجهاد في الجبل. أمّا رفاقي في النضال والذين أودّ أن أذكرهم السيد فلاح، والمدعو باشا، والسيد خنتيس، ورابح شرقي، زوج أختي الكبرى، وعملت أيضا مع آخرين، كثيرون لم أكن أعرفهم إلا عبر ألقابهم، وربما بقيت أجهل أسماءهم الحقيقية إلى الآن.

حتى الفتيات كان يتم الاتصال بهنّ لكي يلتحقن بالجبال، ألم يفعلوا هذا معك؟

بلى.

ولماذا رفضت الالتحاق؟

لم أرفض، ولكن أبي كان يخشى علي، خاصّة وأنني فتاة، وكنت إلى جانب ذلك صغيرة.

فكيف كانت إجابتك؟

أنني لا أستطيع في الوقت الحالي، وأن يتم تأجيل ذلك إلى وقت لاحق. وأن أظلّ أعمل من مكاني في الاتصال، ونقل الوثائق والأسلحة.

حسنا، بعد حادثة النشيد، هل استمرّيت في التدريس؟

أجل، ولكن بشكل سرّي، فبعد تلك الحادثة افتضح كل شيء، وتقرّر منع قسمة الكشافة الخاصّة بنا. ولكنني شخصيا بقيت أدرس سريّا، واستقبل البنات في المنزل، فأعلمهنّ الأناشيد، وكنت

أُحضر الأطفال والبنات الصغيرات. وبقيت أعمل مع النظام في السرّية.

ما هي المهام التي كُلفت بها؟

كنت أنقل الرسائل والوثائق وكذا الأسلحة، قبل وبعد زواجي سنة 1960، ففي 1957 اتصل بي شخص يُدعى السي معروف، وحتى الآن لا أعرف اسمه الحقيقي، كان عليّ أن أتجه إلى شراع "الالير" عند تاجر قماش اسمه بوقادوم، فمررنا بالقصبة، وقال لي أنه سيتقدّمني ويُشير لي لكي أدخل هذا البيت أو ذاك من أجل إيصال رسالة. بيوت لم أكن أعرف أصحابها، أدخل فأقول كلمة السر، وأعطيهم الرسالة، أو أموالا، وفعلت ذلك، وكنت أشعر بالخوف، وأفكر في أنّ الشُرطة يُمكن أن تلحق بي وتسألني عن علاقتي بأصحاب البيوت التي أدخلها في أية لحظة، ودخلت عند عائلة في باب جديد، وشارع سيدي عبد الرحمن، وعائلة أخرى في زنقة باب المستور، أعطيتهم رسائل وأموال، لا يعرفون اسمي، ولا اعرفهم، ولم أرهم بعدها أبدا. ثمّ وقبل الوصول إلى بوقادوم، وقع اشتباك فهربت إلى أن وصلت إلى حسين داي، وكأنّ المظليين في القصبة شعروا بوجودنا.

ما هي الاحتياطات التي كنتن تتّخذنها حتى لا يتفطن لكن أحد؟

كنا نتشبه بالأجنبيات، ونرتدي ملابس جميلة، لكي نستطيع المرور، ومرة، كنا سننقل السلاح، كنا نربطه حول الأطفال الصغار حتى لا يشتبه العساكر بنا، وكنا نرسم ابتسامة حتى لا نثير الشكوك، خاصّة مع وجود المظليين. وكنت أتعلم على الآلة الراقنة باللغة العربية في السماكة "الابيشري" وكانت معي جميلة بويزة، قبيل وضعها للقنبلة، كنا معا في المدرسة، وكانت ستغادر، قالت لي أنها ذاهبة، فاستغربت الأمر، وقالت أنّ أمها ستأتي لاصطحابها، وفعلا قدمت أمها تحمل حقيبة، وذهبت الاثنتين. لم تكن قادرة على إخباري بشيء، ولا أنا كنت أعلم أنها تعمل في السرية، كان كل شيء يتم في السر.

هل واصلت العمل بعد ارتباطك؟

أجل، زوجي إسماعيل تيكامارا، أيضا مجاهد، انتقلت إلى السكن في بيت الزوجية الذي كان مركزا للتكوين المهني قبل

الاستقلال، وصار معهدا للتكنولوجيا والأشغال العمومية، انتقلت إلى هنا في افريل من سنة 1960، وكان زوجي يحضر لي الأحذية والأدوية. كما كنت أعمل مع أمي التي أرافقها إلى الحراش "الاغلاسيير" وكانت تحمل حقائب مليئة بالملابس كي نعطيها للفقراء الذين التحق أولياؤهم بالجبال، وأوقفوا أمي مرّة، وسألوها عن وجهتها، فأجابت أنها ذاهبة إلى الحمام. وخلال مُظاهرات 11 ديسمبر 1960، حضرت البنات من أجل المُشاركة، وعملنا مع المجاهدة الكبيرة المدعوة السيدة الشامة، وقمنا باجتماع في الحمام، حيث أتت النساء، وألقينا خطابا. وخلال المظاهرات قمنا بإخراج بنات القبة، أخطنا الفساتين البيضاء والمناديل الحمراء، وخرجنا وكنا سنتجه إلى بلكور، ولكنّ الشرطة منعتنا لأنه في بلكور كان هناك إطلاق للنار.

سيدتي، بدأت التدريس في السنة الثالثة عشر، وأمضيت سنوات عمرك بين التعليم، وإدارة المدارس، كيف ترين حال المدرسة الجزائرية اليوم؟

مدرسة اليوم ليست مدرسة الأمس، وأستطيع أن أقول أنها تغيّرت، حتى لا أقول تحطّمت. وأنا عندما كنت مُدرّسة، لم أكن أكتف بالدروس التعليمية، بل أتجاوزها إلى الحصص النفسية، أو شبه. أي تلك التي أوجه بها التلميذ، وألقنه درسا في الأخلاق من خلال قصّة أحيكها له قبيل الشروع في الحصة الدراسية. فالمدرسة ليست علما فقط، أو العلم ليس تحصيلا للمعلومات فحسب، وإنما أيضا أخلاق، وتربية حسنة، وهذه صفات لا بدّ أن تتوفر في المربي قبل التلميذ، وأنا لطالما حاولت أن أكون القدوة لتلاميذي، وبعدما أصبحت مديرة صرت أحاول أن أكون خير مثال للمعلمات، فلم يسبق لي خلال 38 سنة عملت فيها كمديرة أن نزعت القميص، إذ كان أول شيء أفعله ما ان أدخل إلى المدرسة هو ارتداؤه، وقس على ذلك.

يشهد الجميع، أو على الأقل سكان القُبة بأنّك سجّلت حضورك كمُديرة مدرسة بن عمار الجديدة، التي صارت تحمل اسمك "تيكامارا" على ألسنة الكثيرين، كما تفوقت المدرسة التي كنت تديرينها في مرات كثيرة، وحزت على جوائز، فبرأيك من يتحمّل مسؤولية خراب المدرسة؟

الجميع مسؤول، ولعلّ الوزارة تتحمّل جزءا من المسؤولية، إذ أنها لا تقوم بعملها بالشكل اللائق، فلا بدّ من أيام تحسيسيّة

وتوجيهية، للتربية النفسية، فالتلميذ عندما يحجم عن الدراسة، فليس الحل في معاقبته، أو نبذه، وإنما التقرب منه، كما أنّ مشكل الاكتظاظ لا يسمح بقاعدة تعليمية صحيحة، كل هذا جعل المدرسة الجزائرية تستقيل.

سيدتي، أمضيت سنين عمرك في التعليم، وأنت أم وجدّة، البعض يرى أن النتائج تحسنت، وآخرون يتهمون الوزارة الوصية بتضخيم النتائج لخدمة أغراض سياسية لا تربوية، أولا علاقة لها بالتربية؟

هي نتائج مضخمة المستوى لم يرتفع، هناك بعض التلاميذ الذين يعملون بجد، وإنما النتائج كما هي مضخمة، ولا تعكس المستوى الحقيقي للتلاميذ.

لماذا ضخموها برأيك؟

لكي يظهروا أن التربية والتعليم في بلادنا بخير.

وهذا ليس صحيحا...؟

ما نراه في الشوارع، وأخلاق الأطفال والمراهقين، أو البعض منهم، لا يدل على أنّ تلاميذنا حصلوا الكثير من العلوم، فالأخلاق، والعلم، كما أشرت أعلاه، متلازمان.

لماذا لا نقول أنّ إمكانيات التحصيل العلمي تطورت في أيدي أبنائنا، فارتفع بذلك مستواهم؟

(تبتسم) ربما، وأرجو أن لا يرتفع مستوى التعليم في بلادنا فحسب، بل نتفوق على كل البلدان. ولكني من جهتي أطرح السؤال مثلك؟

هلا حدثتنا عن نضال أختك صليحة بوربابة سيدتي؟

كانت تعمل في الصحة المدرسية، وعند اندلاع الثورة التحقت بصفوف جبهة التحرير الوطني، عينت في الولاية الرابعة، المنطقة الأولى، كمرشدة، وممرضة، تقدم الإسعافات الأولية، وتوجه الشباب المتطوع للقيام بالواجب الوطني، نحو المناطق السرية للجبهة، وساهمت بجمع التبرعات والأحذية لعائلات المُجاهدين، وتوفيت في شهر جوان من سنة 2008.

احتفلنا منذ أيام بعيد الاستقلال الخمسين، كيف ترين الجزائر، أو هل هي الجزائر التي كنت تحلمين بها؟

لا، أنا أتأسف عندما أرى الذين أخلصوا للوطن همشوا، وحتى

أنا بيتي سُلب مني....في جزائر الاستقلال...!

18

نسيمة حبلال

"هكذا اغتالت فرنسا العربي بن مهيدي في زنزانته"[1]

1 أنجز بتاريخ 28 جويلية 2012.

التقينا في هذه الفسحة القصيرة أوّل مجاهدة ألقت فرنسا عليها القبض خلال الثورة التحريرية. ارتبطت بالقضية الوطنية منذ صغرها. وناضلت إلى أن تحرّر الوطن من الاستعمار. هي المجاهدة نسيمة حبلال المولودة في 28 أفريل من سنة 1928، بحي بلكور الشعبي. التحقت بالنضال ولما تبلغ السادسة عشر من العمر. كوّنت أولى مجموعات المناضلات في القصبة، وكذا جمعية النساء المسلمات الجزائريات. قبل أن تُحوّل بيتها إلى مخبأ لمسؤولي جبهة التحرير الوطني. القي عليها القبض مرّتين، عانت فيهما التعذيب الأكثر بشاعة، والذي لم يجعلها تتخلى عن تلك القضية، وذلك الوطن. رغم مرضها استضافتنا في بيتها بأعالي بئر خادم، وقبلت أن تمنحنا هذه الشهادة القيمة.

كانت مظاهرات الثامن من ماي 1945 للكثير من مُناضلي جيلك بمثابة الصدمة النفسية التي جعلتكم تتفطنون لحقيقة الاستعمار، فكيف عشت أنت تلك المجازر؟

كانت مجازر لا يُمكن للعقل أن يتصوّرها. وأحسب أنّ كل العائلات الجزائرية فقدت إمّا فردا من العائلة، أو قريبا فيها. ولعلّ هذا ما غيّر بشكل كبير مسار الثورة التحريرية. وجعل الكثير من الجزائريين يُدركون أن لا شيء يُمكن أن يهزم هذا المُحتل غير قوّة السلاح. وبالنسبة لي فقد قُتل 4 من أفراد عائلتي كانوا يسكنون بخراطة.

منذ تلك المجازر تسارعت الأحداث، وبدأت ملامح ثورة تحريرية تظهر أكثر فأكثر، خاصّة في العاصمة التي ولدت وكبرت فيها؟

ولدت وأمضيت فترة الطفولة في البيت العائلي. وكانت لنا فيلا جميلة في حي داروين، وتُدعى فيلا بوطالب، وهم من عائلة الأمير عبد القادر. أرادت أمي أن تشتري هذه الفيلا، ولكن لم تستطع، فاكتفت بتأجيرها. أمضيت فيها طفولة جميلة. كان لدينا منها منظر رائع. وكنا نطل على كامل المدينة.

كيف تأسّست أولى خلايا حزب الشعب في القصبة؟

كانت البداية بتأسيس أولى الخلايا النسوية السرّية لنساء حزب الشعب بالقصبة، مع الطبيبة نفيسة حمود والقابلة ماميا شنتوف.

كنا نتكفّل بتدريس النساء، وتوعيتهنّ. ثمّ كوّنا جمعية النساء المسلمات الجزائريات. وهكذا دخلت المرأة عالم النضال. ثمّ رحلت من فيلا بوطالب، ولما أكن تجاوزت سنّ الرابع عشرة سنة. وكنت مُضطّرة لكي أعمل، فعملت ككاتبة إدارة في الصليب الأحمر في فيلا عبد اللطيف. عملت بين 9 أشهر، وسنة. ثمّ فقدت عملي هناك، فعملت لدى مصطفى باشا الذي كان يبحث عن كاتبة عربية، فوظفني فورا. عملت لديه لمدّة، ثم استقلت لأنه طلب يدي من أمي، ولم يكن مُناسبا أن ارتبط به لأنه كان يكبرني بـ22 سنة.

كيف اتّصل بك رمضان عبان؟

كان ذلك بعد أن انتقلنا إلى فيلا "لاغلوريات" المُحاذية لحديقة الحامة، والتي صارت اليوم المكتبة الوطنية. خرج عبان من السجن سنة 1955 كلفه بلقاسم كريم، وعمر اوعمران بتنظيم أوّل منطقة مستقلة بالعاصمة. فكان يختبأ في بيتنا، بفيلا "لاغلوريات" إلى أن تمّ القبض علي.

ماذا كان يفعل رمضان عبان في تلك المدّة؟

كان يقوم بندوات. ويتّصل بالأشخاص من أجل إعادة تنظيم المنطقة الحرّة. وكان هناك عمارة رشيد، الذي كان المكلف بالاتصال بين المناضلين وبين رمضان عبان، كما كان مستشاره، وأيضا محمد لونيس ومصطفى صابر، ثم صار يأتي بن خدة، ومحمد بن مقدم[1] الذي كان المُنسق في العاصمة.

كيف اكتشف أمرك؟

كان ذلك بسبب خطأ بسيط. إذ أنّ رمضان عبان أراد أن يُرسل عمارة رشيد في مهمة إلى مصر. واحتاج عمارة إلى عنوان على جواز سفره، فأعطيته الجواز الخاص بي. ولكنه احتفظ بالرسالة وعليها عنواني واسمي. وعثرت عليها السلطات الفرنسية معه، فأتت فورا للقبض علي، فقبضوا علينا جميعا، أنا وعمارة رشيد، ومصطفى صابر، ومحمد تواتي، ومحمد لونيس. ولكن لم تكن هناك دلائل كافية ضدّي، إلاّ تلك الرسالة. تمّ استجوابي في مركز الشرطة لثلاثة أيام. ثمّ حوّلوني إلى سجن سركاجي، وأطلقوا

1 ارتبط بالمتحدثة بعد الاستقلال.

سراحي لأستفيد من الحرية المؤقتة.

هل استعدت نشاطك بعدها؟

أجل. ولكنّ عبان لم يعد قادرا على المجيء لتحضير ندواته مثل العادة. أنا التحقت بالاتحاد العام للعمّال الجزائريين. لكنه لم يكن إلاّ غطاء، ولم أكن فعلا نقابية، إذ كنت في نفس الوقت كاتبة لدى لجنة التنسيق والتنفيذ، ومكلفة بوصل الاتصال بين رمضان عبان، وعيسات ايدير، إذ كان من المجازفة أن يلتقي الاثنان.

نعلم أنّ الأعداد الأولى من جريدة "المجاهد" قُمت أنت بتحريرها، فكيف كان ذلك؟

أنا قمت بالرقن، وكان ذلك لدى بائع البن في "رويسو".

بيار شولي يذكر أنه هو من واصل تحرير جريدة "المجاهد"؟

هذا غير صحيح، أنا واصلت تحريرها إلى غاية العدد 8، وما قاله غير صحيح، فهو لم تكن له علاقة بالجريدة إلاّ بعد أن اتجه إلى تونس.

ما هي الوسائل التي استعملت في تعذيبك؟

عندما تم توقيفي للمرّة الثانية قبل أن تنتقل لجنة التنسيق والتنفيذ إلى تونس، وتوقيف العربي بن مهيدي، وكان السي العربي قد أوقف، وقُتل، أما أنا فنقلوني بين محتشدات التعذيب، من بربروس[1] ثمّ فيلا "سيسيني" التي كان فيها التعذيب فظيعا، إذ شدّوا جسدي إلى الأعلى، ورأسي إلى الأسفل، واستعملوا معي الماء والكهرباء، وغيرها من وسائل التعذيب الأكثر وحشية، حتى شُلّت ذراعي، وأخذوني إلى المستشفى. لكنني لم أنطق بشيء، ولم أتحدث عن رمضان عبان، إلاّ أنني وقصد التمويه تحدّثت عن عمارة رشيد، الذي كان استشهد منذ مدّة. ثمّ أخذوني في سيارة أرادوا أن يستميلوني لكي أعمل معهم، إذا اقترحوا عليّ أن أعمل لحسابهم.

اشتهرت فيلا "سيسيني" بقسوة التعذيب المُمارس فيها، فما هي الطرق والوسائل التي كان يستعملها الجلادون الفرنسيون؟

كانت كثيرة ومؤلمة. مكثت تحت التعذيب 40 يوما. وكان الجلادون يتناوبون على تعذيب المعتقلين. مثل المناضل هاشمي

---

1 سجن سركاجي حاليا.

حمود، مثلا، الذي استشهد من جراء التعذيب. رغم أنه كان قويّ البنية. لكنه لم يتحمّل قساوة العذاب، فاستشهد بشجاعة. أمّا أنا فحاولت الهرب مرّة، ولكن لحسن الحظ لم أستطع. إذ كنت سأُلقي بنفسي من علو 50 مترا، وهذا بعد أن سقطت الأغلال من يدي، ولم أر أمامي في تلك اللحظة إلاّ الحرية. وفي الوقت الذي استعددت فيه لألقي بنفسي، أمسك بي الحارس. قليلون من يخرجون أحياء من تلك "الفيلا" اللعينة.

كم مكثت في السجن؟

كان محكوم عليّ بخمس سنوات سجن، ولكني أمضيت ثلاث سنوات ونصف، لأنّ جيرمان تيون[1] التي كانت مُساندة لقضيتنا، ذهبت إلى ديغول، وأخبرته أن وضع النساء في السجون سيء، ولا بدّ من إطلاق سراحهن، أو التخفيف عنهن.

ما هي السجون التي وُضعت فيها؟

تمّ اعتقالي في المرّة الأولى ووضعوني في بربروس، ثمّ نقلوني إلى "ميزون كاري"[2] ثمّ نقلوني إلى فرنسا، بسبب ضيق المكان في الحراش، حيث تنقلت هناك من "لاروكات" بباريس، و"غان" ببروتاني، و"بو" في الجنوب الفرنسي.

كنت في مركز تعذيب بالأبيار، في نفس الفترة التي اعتقل فيها العربي بن مهيدي، فهل صحيحة رواية فرنسا حول انتحاره؟

لا. بن مهيدي لم ينتحر، هم أعدموه رميا بالرصاص، ثمّ حملوه إلى الأبيار، حيث كنت أنا، وشدّوه إلى الأعلى كما لو كان انتحر. لكن في الحقيقة هم الذين قتلوه.

ماذا يمكن أن تقوليه حول اغتيال رمضان عبان؟

أقول لك أنّ الرأس المُدبر في الثورة كان رمضان عبان، وكان ذكيا، على عكس عبد الحفيظ بوالصوف الذي اغتاله، والذي كان

---

1 كانت مبعوثة الحكومة الفرنسية لتفقد الأوضاع الانسانية في الجزائر خاصّة بعد تفجير قضية التعذيب من طرف بعض الحقوقيين، كانت متعاطفة مع القضية الجزائرية، وزارت السجينات الجزائريات، وهي قريبة من الجنرال ديغول.

2 سجن الحراش المركزي.

تاجرا أكثر منه مناضلا. استدعى عبان إلى المغرب من أجل تصفيته، وحذّره بومنجل ونصحه أن لا يذهب، هو كان في تونس، وقال أنهم عاجزون عن فعل أي شيء، أي أنه تحدّاهم. فذهب وحدث ما حدث، وتعمدوا تصفيته بالخنق، لأنه كان مريضا من حنجرته، وهم استغلوا ذلك، وخنقوه.

19

بابة ماروك

"هكذا احتكر الرجل مناصب المسؤولية خلال وبعد الثورة..."[1]

1 نشر بتاريخ 4 اوت 2012.

مثلما اعتادت جريدتكم "الجزائر" كلّ أسبوع، تنشر لكم حوارا مع مجاهد، أو مناضل من محرري الوطن، ومن الذين كافحوا، وأعطوا لتستعيد أرضنا استقلالها، تزامنا مع سنة الخمسينية. هذه المرّة جمعنا لقاء شيّق بالمناضلة باية ماروك، المدعوة حورية، مولودة في 12 مارس 1941 في مارينغو، حجوط حاليا. التي حدثتنا عن دخول الثورة إلى قرية حجوط، واحتضان السُكّان لها. كما ألقت ضيفتنا الضوء على العمل النقابي، هي التي كانت أوّل امرأة نقابية في الجزائر المستقلة، وحدثتنا عن تفاصيل حربها الثانية ضدّ أولى مظاهر الفساد، ولهذا كله فقد خصصنا لها حلقتين، ننشرهما يومي السبت والأحد.

أنت مناضلة من غرب العاصمة، وتحديدا المنطقة الثالثة من الولاية الرابعة، فكيف كان النظام يجنّد المُواطنين في القرى؟

أنا مُنحدرة من عائلة فقيرة، مُتكوّنة من بنتين، وولدين. بدأت نضالي في الرابع عشرة سنة من عمري. ولعليّ كنت مُحضرة نفسيا لكي أخوض معركة لا هوادة فيها ضدّ المُستعمر، كيف لا؟ وقد كنت أعيش الظلم بعينه، عندما كنت أدرس، أذكر أنه لم تكن لنا نفس امتيازات المُعمّرين، كنا ندرس حفاة وشبه عراة ومرضى وجياعا، وكانوا يضعون لنا الدواء للمضاد للقمل في رؤوسنا. رغم أننا كنا نعتني بنظافتنا، وكان أبناء المُعمّرين معنا يسخرون منا، ونحن نبكي...كما رأيت بأمّ عيني كيف أحضر العساكر جثّة جارنا محمد علوان، الذي استشهد في سنة 1957، فقدموه إلى والديه ميتا، رغم أنّ الحياة كانت ترتسم على وجهه، ولم يكن يبدو كأنه ميت. كما كان لنا جار اسمه قندوز الباجي، استشهد أخوه، أما هو فكانت السلطات تأتي باستمرار لتعتقله، ولم يكن العساكر يستهدفونه لوحده، بل كانوا يُحطّمون كلّ شيء في طريقهم، كما لو أنهم إعصار. كلّ هذه الصور لم تكن لتمرّ دون أن ترسخ في ذهني، وتزيدني إصرارا على مُواصلة طريق الكفاح، ولو كانت كلها محفوفة بالمخاطر من البداية إلى النهاية.

أي أنّ الباجي هو من اتّصل بك؟

أجل، في مرّة من المرّات خرج من السجن، وصار يستعين بي كحارسة له، لأبلغه عن حركات البعض. وفي سنة 1958 غيّرنا مقرّ السكن، فاتصل بي محمد فغول، المدعو محمد "البوشي".

كيف تمّ اختيارك لتلك المهام؟

المُحافظ السياسي للمنطقة محمد جبور، المدعو محمد الصغير، هو من أرسله، كما كان هناك مسؤولون مثل محمد حشاد، المدعو "موحا بازار" ودحلوق المدعو "السي منور".

ماذا كانت أولى مهامك؟

كنت أقوم بمهام مُختلفة، منها جلب الأدوية، ونقل الأسلحة والذخائر، وكذا الأحذية، وكلّ ما ينفع المُجاهدين، وكذا الاتّصالات، والمعلومات، التي يُمكن أن نقول أنها العامل الأهمّ للثورة التحريرية. كما كنت أجمع أموال الاشتراكات، إذ أتّصل شهريّا بأشخاص ميسورين، وأطلب منهم أن يدفعوا أموالا، ثمّ طلب مني المسؤولون أن أتكوّن في المستشفى كمُساعدة طبية، وفعلت. وبعدها أمروني أن أتّصل بالمسؤولات عن مُختلف المصالح لكي يمنحوني المفاتيح، أو يُمكّنونني من دخول تلك المصالح في أي وقت، حتى أستعيد بعض الأدوية التي يحتاج إليها المُجاهدون، خاصّة مصلحة الإنعاش، ومصلحة الطب، ومصلحة الأمومة، كلها كانت هامّة. فتعلّمت التطبيب. وفكرت في أنّ مهنتي الجديدة هذه يُمكن أن تنفع الثوّار في الجبال، وحتى في المدينة. خاصّة وأنّ قليلا فقط من الفتيات اللواتي كن يستطعن أن يفعلن ذلك.

كنت سيدتي تجمعين الاشتراكات، وتستعيدين الأدوية، وتُوفّرين الاتصال، كيف كان يتعامل النظام مع الأشخاص الذين لا يقبلون الاشتراك، أو مُساعدة الثوّار، خاصّة وأنّ البعض انتقد صرامة جبهة التحرير في هذا الاتجاه، وسياسة "إما أن تكون معنا أو ضدّنا"؟

لم أكن أعنى بهذا شخصيا، خاصّة وأنّ مُهمتي الأولى كانت الاتصال، وجمع الأموال، وكنا نوزعها على الفقراء وأبناء المجاهدين، والباقي لشراء الأدوية، رغم أنه كانت هناك فعلا تهديدات، من أجل مصالح الثورة. فعندما أعطاني المسؤولون رسائل لرئيسات المصالح الاستشفائية، رفضن. فاضطرّ المسؤولون إلى استعمال التهديد لكي يُوافقن.

هل كان منزلكم يأوي المُجاهدين؟

أجل، بعد ذلك تحوّل بيتنا إلى مخبأ للمجاهدين. يأتون كلّ ليلة لتناول وجبة العشاء. وبعد إنهائها أخرج معهم ونمرّ بين منزل وآخر، إمّا لجمع الاشتراكات أو طبع المناشير أو وضع قوائم المشتركين، وهكذا.

هل كانت أسرتك على علم بهذا؟

لا في البداية كانوا يجهلون طبيعة نشاطي، ولكن بعدها بمُدّة علموا، خاصّة وأنّ المُجاهدين هم من أقنعوا والدي بأن أتكوّن في الطب. وهكذا عرف والدي، وسمح لهم بأن يأتوا للأكل عندنا.

كيف انكشف أمرك؟

اعتاد المسؤولون، وقبل أن يُغادروا منزلنا، أن يقولوا لي ما أفعله في اليوم الموالي، وبعض العمليات التي سيقومون بها، لكن دون أن يذكروا لي أسماء، ولأنني كنت أعمل في المستشفى، أخبروني في مرّة من المرّات عن المُهمّة التي كانوا سيقومون بها، إذ كانوا سيقتلون مُساعدا جزائريا للجيش الفرنسي، فإن لم يمت يُحضرونه إلى المستشفى، وهناك أقوم أنا بإتمام العمل. وفعلا، أطلقوا عليه النار، ولم يمت، وجاؤوا به إلى المُستشفى، وقبل أن أُنهي دوامي على الساعة الخامسة صباحا، قطعت عنه حبال الإنعاش، لكي يموت، ثمّ خرجت. غير أنّ المُمرضة التي استخلفتني تفطّنت إلى ما فعلته، فوشت بي. وفي نفس اليوم قدم العساكر إلى بيتنا للبحث عني، لكنني أخذت احتياطاتي ولم أبت تلك الليلة في منزلنا.

هل التحقت بالجبل؟

لا، بقيت في نفس العمارة، ولكن مُختبئة لدى شرطيّ جزائري يتعامل مع الجيش الفرنسي، يُدعى حميد مواسي كان المُجاهدون قد اتصلوا به من قبل، لكي يُكلفوه بمهام، ويُشارك في دفع الاشتراكات، ولكنه رفض. حتى أنّ المسؤولين أرادوا تصفيته، إلاّ أنني حلت دون ذلك، لأنه كان جارا لنا، ونعرف عائلته، كما أنه، مهما يكن، لم يكن مُعاديا للثورة. غير أنه عاد وصار يتعاون معنا، وكانت البداية بإخفائي في بيته، فكانت الشرطة تبحث عني في كلّ البيوت، إلاّ بيته هو. لهذا أقول أنه قدم للثورة خدمات جليلة، ليس بإخفائي فقط، ولكن حتى بعد ذلك، كما سترى.

بعد أن انكشف أمرك صرت تعملين في السرّية إذا؟

أجل، لم أعد قادرة على التنقل بحرية، بطبيعة الحال، ولكن كنت أخرج لشراء الأدوية. كما كنت أقوم بمهام أخرى، فمثلا، كان على الذي يُريد الالتحاق بالجبل أن يُنفذ عملية لكي يُوافقوا على انخراطه في الجبهة. والحي الذي كنت أسكنه كان مكانا لنقل الأشخاص حديثي التجنيد، وكانت خالتي عاشورة بوداود هي من توفر الاتصال بين القرية والمُجاهدين، وهي أم الشهيد قندوز، وعمة علوان محمد، وكان حديثو التجنيد يختبئون في حيّنا إلى أن يأتيهم الأمر بالالتحاق بالجبال، وكان زوج أختي أحمد ميتارسيا، المدعو السي الزبير، يملك سيارة من نوع 404، يستعملها لنقلهم. وأنا ساهمت في تجنيد الشاب ابراهيم شاقر الذي عمل إلى أن استقلت الجزائر. ومرّة، كان على أحدهم أن يُطلق النار على فرنسي، ثمّ يُعطيني السلاح، أخفيه في القفة التي أحملها، وبها خضر وفواكه. وفي مرّة من المرّات اتصل بي المسؤول، وطلب مني أن أخرج إلى الشُرفة، وأن أُراقب شاحنة الشرطة التي تمرّ، وعندها أطرق ثلاثة مرات، فخرج أربعتهم:محمد الصغير، جبور، محمد بازا، أي حشاد، وسايكي، نزلوا وكمنوا للدورية، وأطلقوا الرصاص، فقتلوا 4 شرطيين منهم. ولكنّ الشعب هو من تلقى الرد العنيف للسلطات الاستعمارية التي مشطت كلّ المنطقة تقريبا، واقتحمت البيوت، وأهانت سُكّانها.

كيف حضّرتم مظاهرات 11 ديسمبر في حجوط؟

كانت الأعلام والشعارات حاضرة، وفي وقت كان يُنادي فيه الناس في عين تموشنت أنّ الجزائر فرنسية، كنا نحن نُنادي بأنّ الجزائر مُسلمة، كانت شعاراتنا مضادة لشعارات ديغول. خرج الجميع، الأطفال، والشيوخ، والنساء، وحتى النساء اللائي كن يعملن في البيوت المقفلة، وكُنّ في الواجهة لاستقبال مدافع الفرنسيين ورصاصهم. وأوّل من خرجن، ومشين في الصفوف الأولى، وكثيرات منهنّ اللائي وقعن شهيدات...الوطن.

هل كان أصحاب البيوت المُغلقة مُنخرطين في العمل النضالي؟

المسؤولين أمروا صاحبات تلك البيوت، بأن يُخرجن العاملات إلى الشارع. وفعلا كانت كثيرات منهنّ مُنخرطات في العمل الثوري، مثل باقي الجزائريين، منهنّ من تكتفي بدفع الاشتراكات،

وغيرها تُساهم بنقل المعلومات عن الزبائن الذين يقصدون تلك الأماكن، وهم من العساكر، والفرنسيين، والمعمرين، وهكذا.

هل ساهمت نساء البيوت المقفلة في النضال في مدينة حجوط فقط، أو في باقي مناطق الوطن؟

أنا عملت في حجوط، وكان بها ثلاثة بيوت مُقفلة، على ما أعلم، ولكنني أحسب أنّ هذا ما وقع في باقي المناطق، وفي القصبة مثلاً، أعرف واحدة منهن كانت مُنخرطة في النظام، وتعمل في نفس الوقت في بيت مقفل.

قلت أنّ الكثير من المناضلين نسيناهم، وتمّ تهميشهم، هل تعنين أنّ الاستقلال سُرق من المُناضلين الحقيقيين؟

كثيرون هم الذين عملوا بإخلاص، ولا أحد تحدّث عنهم، مثل احمد رحالي، المدعو السي خالد، الذي كان مُساعدا صحيّا، كان يعمل مع الدكتور كمال بسطالي. وكذلك محمد بوجمعية، الذين أخرجته السلطات الفرنسية صباحا، والحبل حول رقبته، يجرّونه في الطريق، وسحبوه بسيارة الجيب لمدّة 7 أيام كاملة، وهي صورة لن أنساها أبدا. وأريد أن أسأل لماذا في كلّ مرّة يتحدّثون فيها عن الثورة يُظهرون نفس الأشخاص؟ والأغرب من هذا أنّ كثيرا منهم إما أنهم لم يفعلوا شيئا، وإما أن تاريخهم مشبوه وغامض! كيف لا نتحدث عن فغول محمد الذي عمل مع أوّل محكوم عليه بالإعدام في حجوط سنة 1945، وحكم على فغول بالسجن ثلاثة مرات، وهو كان محرك منطقة المتيجة. وهناك خالد بن يوسف، المدعو سي خالد، هو مع رحالي احمد من عالج سايكي محمد عندما ذهب حميد مواسي مع زوجته الثانية ومع محمد جبور، حيث ارتدى هذا الأخير الحايك الخاص بي، وأحضروه إلى دار مواسي في فيلا الزوجة الثانية، وهناك قام الاثنان بمعالجته. وهناك أيضا أول شهيد في حجوط وهو حسين سيدعلي، ثالث ثلاثة شهداء للأب قويدر، منهم نور الدين، وزبير. أما سيد علي حسين فجاء إلى القرية ليقوم بمهمة، مُرتديا الحايك، وقام أحدهم بالوشاية به، فراحوا يتبعونه من التاسعة صباحا حتى الرابعة مساء، حيث دخل فيلا هلال مصطفى، الذي أعطاه معطفا أسودا، ثمّ مر من فيلته إلى سباطي فاطمة، فسألها عن مخرج، أشارت له لأعلى، وهو كان في الأسفل، وأما العساكر فكانوا مطوقين المنطقة من فوق، وراح يطلق الرصاص،

حيث قتل منهم عددا يفوق العشرة، كان في وضعية جيدة للمراقبة، إلى أن أصابوه، ولو لم يفعلوا ذلك لكانوا فجّروا كل المكان، ثم دخل عند الجارة عائشة بواشري، وطلب منها أن تضمد جراحه فضمدته، فنام، إلى أن وصل العساكر إلى الدار فوجدوه، فقتلوه بالأحجار وهشموا جسده، ووضعوه فوق الصخرة التي في مدخل الحي، وعندما رآه والده في الصباح توفي في لحظة من هول اللحظة.

تحدثت عن الخونة الذين أثروا على سير الثورة، كيف كان يتم التعامل معهم في القرى؟

كثيرون منهم كانوا يملكون سلطة على المناطق، مثل عمر البياع، مثلما كنا نناديه، كان مجاهدا ثم قبضت عليه فرنسا، فصار يعمل معها، حاولوا في مرات كثيرة أن يتخلصوا منه، ولكن لم يستطيعوا، وفي مرة كان هناك مجند في الجيش الفرنسي، جاء في رخصة، ولم يرد العودة وأراد الالتحاق بالمجاهدين في الجبال، فأمروه أن يقتل هذا الخائن، فذهب وراءه، وذبحه بالسكين، ولكن لم يمت، ومع الاستقلال ذبحه المجاهدون. وحتى أنا قبل ذلك، كنت أعرف حورية، زوجته الثانية، وهي صديقة طفولة، أعطاني المسؤولون قنبلة لكي أضعها تحت سريره، ولكنها لم تفتح لي الباب، ذلك أنه يغلق عليها قبل أن يخرج، فهو يأخذ احتياطاته.

كثير من المُجاهدات مُستاءات من حصر دور المرأة في تلك التي تضع القنابل، ما رأيك؟

قلت لك قبل قليل أنّ الدور الهام الذي تمكنت المرأة من تقديمه للثورة الجزائرية هو توفير الاتصالات، لأن المجاهدين كانوا بأمس الحاجة إليها، هذا بالإضافة إلى دور المرأة في المدينة والجبال، حيث كانت طبيبة، وممرضة، وحاملة للسلاح أيضا. ثمّ إن المرأة الريفية هي من عانت أكثر شيء من السُلطات الفرنسية، أمّا في المدينة فكانت الأمور أسهل، حيث كانت المرأة تتمتع ببعض الحرّية، وتستطيع التنقل من مكان لآخر، والدراسة والعمل، دون أن تجبر على وضع الحجاب، أو غطاء على رأسها، ما مكّنها من القيام بمهام عدّة، عكس المرأة الريفية التي كانت تنقلاتها محسوبة، بل لم تكن قادرة حتى على الدراسة بحرية، وأذكر لك خديجة مقراني والتي كانت تعمل معي، ولم تكن تضع غطاء على رأسها، قاموا بإيقافها لهذا السبب، أما أنا التي كنت

مُحجبة فلم يفعلوا نفس الشيء معي، وهذا بفضل الغطاء .

لكن في المدن الكبرى كان هناك التفتيش، والتنقل من محل لآخر كان تحت أنظار السلطات الفرنسية؟

لكن المرأة كانت تتنقل، وقنبلة "الكازينو" التي وضعتها امرأة، لخير دليل على أنّ المرأة كانت ترتاد الملاهي، والأماكن العمومية، مما يُمكنها من العمل بحرية. والمرأة الريفية لم يكن لها شيء من هذا، كما أن دورها كان متنوعا، بين حفظ الاتصال، وإيواء المجاهدين، والتطبيب وغير ذلك.

بعض المجاهدات يعتبن على المسؤولين أن رسخوا مبدأ سُلطة الرجل حتى خلال الثورة إذ لم منحوا المرأة أي مسؤولية سياسية أو عسكرية؟

أجل، بالفعل، المسؤولون خلال الثورة همشوا المرأة، لم تكن رئيسة ولاية، ولا حتى منطقة أو ناحية، ولا محافظة سياسية، مثلا.

وهل كانت قادرة على تولي هذه المناصب؟

أجل، بالتأكيد، وهناك أكثر من امرأة حقّقت مُعجزات بصبرها ووقوفها الند للند مع العدو. الرجل احتكر مناصب المسؤولية خلال الثورة، وبعدها. ولو أنني، شخصيا، لم يكن يهمني حينها إلاّ أن أرى الجزائر مُستقلّة.

لكنك سيدتي واصلت النضال في إطار العمل النقابي بعد الاستقلال؟

كان ذلك بعد أن قدمت للسكن في العاصمة سنة 1963، إذ عملت في الشركة الوطنية الجزائرية لتحويل وتوزيع الغاز "سوناتراك" ولم يكونوا يولوننا الكثير من الاهتمام، رغم كوننا مجاهدات، ولم نكن نقل هذا. وواصلت تربصي في وزارة الصحة لأكون مساعدة طبية، إذ أنّ مسؤولتي سكينة ايت سعادة شجّعتني على هذه الخطوة. ثمّ عملت في الميناء بدء من سنة 1970، مع عُمّال الميناء الذين لهم ماضي ثوري، استشهد منهم 300 رجل، بعد السيارة المُفخّخة التي فجّرتها المُنظمة المُسلحة. أما أنا فصرت أوّل نقابية في الجزائر المستقلة، لم أشغل منصب أمينة عامة لأنني كنت أفتقد إلى الخبرة الكافية، ثم شغلت منصب رئيسة لجنة الشؤون الاجتماعية من سنة 1970 إلى سنة 2001. ولا أخفي عليكم أن أسرة الميناء صارت عائلتي الثانية، تعلمت منهم الكثير.

شغلت، سيدتي، منصب نقابية في وقت حساس، إذ لم تكن ثقافة العمل النقابي مُترسّخة بعد، فكيف استطعتم نيل حقوقكم في عهد الحزب الواحد؟

فعلا، لم يكن الأمر بالهيّن، خاصّة سنة 1977، إذ دخلنا في إضراب خلال عهدة الرئيس الراحل الهواري بومدين، وكان هذا صعبا، خاصّة مع وجود المادة 120، كنا 8 آلاف و500 عامل، في العاصمة فقط، وكنت المرأة الوحيدة بينهم.

كيف كان تعامل السُلطات مع حركتكم؟

كانت هناك اعتقالات بطبيعة الحال، وضغط كبير على العمال، إلاّ أننا واصلنا إضرابنا.

كم استمرّ الإضراب؟

ثمانية أيام.

وماذا كانت مطالبكم؟

طالبنا بحقوق العمال المهضومة، هل تعلم أن عمال الميناء، وخاصة الطبقة الثانية، كانوا، وربما لا يزالون الأكثر تهميشا بين فئات المجتمع! واعلم أننا كنا نضع جثث عمالنا في أكياس بلايستيكية عندما يموتون. فهم يعملون، ويُجهدون أنفسهم كثيرا، ولكن لا ينالون المقابل الذي يستحقونه، لا المادي ولا المعنوي. إنهم محرومون من الكثير من الأشياء، وحتى من رؤية أهاليهم، فالكثير منهم قادمون من مناطق بعيدة، وبفضل إضرابنا، انطلقت مؤسسات أخرى في حملة إضرابات، ونلنا حقوقنا، أو الكثير منها. أنا تعلمت الكثير من هؤلاء، مثل سعيد اوكلي، ومحمد بوعلام، وأدامو ابراهيم، ومحمد شيبان، وسعيد حداد، وميهوب بيضياف، ومقدود، وغيرهم.

سنة 1999 شننت حملة ضدّ إدارة الميناء، ومديرها، لم؟

بعد أن دخلت من الباب الواسع، أخرجني البعض من الباب الضيق، وهذا لأنني كنت أزعجهم، وكنت أرفض تصرفات المدير علي فراح، الذي حول الميناء إلى ملكية خاصّة له.

ما رأيك في العمل النقابي اليوم، والطرق التي ينتهجونها للمُطالبة بحقوقهم؟

كثير من النقابيين اليوم يركضون وراء المصالح الشخصية لهم، وقلة قليلة منهم فقط هم الذين يدافعون فعلا عن حقوق العمال، نحن كنقابيين لم تكن لدينا امتيازات ولا شيء، كنا نعمل من أجل

الواجب الوطني.

هل حاولت الإدارة استمالتك عبر منحك الامتيازات؟

أجل، حاولوا ولم يستطيعوا، حاولوا منحي شقة، وسيارة، ورفضت، فأنا لم أحاول أبدا تحويل العمل النقابي إلى مصدر رزق.

هل ترين أن الاحتجاج عبر الخروج إلى الشارع أنجع طريقة للحصول على حقوق العمال؟

أجل هي طريقة ايجابية بطبيعة الحال، الاحتجاج السلمي من أجل المطالبة بالحقوق.

نشهد اليوم انتشار ظاهرة الهجرة غير الشرعية عبر القوارب، وحتى السفن، فكيف ترين الوضع أنت التي عملت طويلا في ميناء الجزائر؟

أجل، هي ظاهرة استفحلت، فنحن لم نكن نرى الشباب يفرّون بهذه الأعداد خلال السنوات الماضية، واليوم نرى ظاهرة الانتحار حرقا، وهي أشدّ وأقسى، ولا ندري ما يخفي لنا مستقبلنا، أو ما يخفيه لشبابنا الذي حكمه أشخاص ليس لهم ماضي ثوري، ولا حتى علاقة مُشرفة لهم بالثورة.

تنشطين في الإطار الجمعوي لمساندة عائلات ضحايا الإرهاب، وتوظيف الشباب، فلماذا اخترت أن تناضلي في هذين الاتجاهين؟

أولا لأنني ضحية من ضحايا الإرهاب، وهذا لأنه تمّ إيقافي في 23 فيفري 1994 في خميس الخشنة، نقلنا عامل ميناء زميل لنا تعرض لحادث عمل في سيارة للإسعاف إلى بيت أخيه في خميس الخشنة، وكان ابن أخيه هذا يعمل مع الجماعات المسلحة، ولم أكن أعلم، إلى أن أتيت في اليوم الموالي لأستعيده، فهددني ابن أخيه ووضع المسدس على راسي، وكان سيطلق النار، وأمرني بالنزول ففعلت، وعدت لوحدي. كما تعرضت لمحاولة قتل أخرى في فندق انجلترا، بالجزائر العاصمة، كل هذا جعلني أشعر بمعاناة الضحايا، وأحاول اليوم مساعدتهم. أما الشباب فنحن نحاول أن نساعدهم على أن يعملوا، وحصلوا على فرصتهم في العمل، في وقت صرنا نشهد فيه نسبة بطالة مرتفعة.

مرّت بلادنا بـ50 سنة من الاستقلال، فكيف ترينها أنت اليوم؟

أرى بعض المسؤولين عاجزين، أو لا يملكون إرادة لكتابة

تاريخنا الحقيقي، وهذا يؤلمني، خاصة عندما أفكر في أن الأجيال الصاعدة قد لن تتمكن من معرفة تاريخها أبدا.

20

جميلة دريش

أطراف مشبوهة أرادت محو"البيت التاريخي، ولهذه الأسباب لن ننشر مُذكرات الياس"![1]

1 نشر بتاريخ 18 اوت 2012.

في هذا اللقاء الجميل بعائلة دريش تروي لنا السيدة جميلة، أخت الياس دريش الذي توفي في 28 ديسمبر 2001، روت لنا أخته كيفية التحضير لاجتماع 22 بصالومبييه، المدنية حاليا، وتكشف لنا معلومات حصريّة عن الأخ المُجاهد، وتعود بنا إلى نشأته، وتحضيراته للثورة رفقة صديقه، وابن الحي مراد ديدوش. وقد زارت "الجزائر" بيت العائلة التاريخي بـ3 شارع الناظور ببلدية المدنية، بعد أكثر من 60 سنة من عقد الاجتماع، ودخلت الغرفة التي احتضنت مفجري الثورة ومُحرري الوطن، وتحدّثت إلى أبناء البطل الياس، وأخواته، وما قاله لنا طارق ابنه الأصغر، وكذا أخته الصغرى حميدة، لتنقل لكم هذا الحوار الشيق.

نعلم أنّ عائلة دريش توزّعت خلال أتون الثورة التحريرية بين حي القصبة، و"لارودوت" وصالومبيي، فهلّا حدثتنا، سيدتي، عن الأجواء السائدة في الأحياء العاصمية قبيل اندلاع الثورة؟

كانت قاسية، رغم أنني أتذكرها بشيء من الحنين، وكان اضطهاد، وظلم، وتعسف المُستعمر يرافق يومياتنا، إلاّ أنّ عائلتنا انتقلت، كما قدمت، قبل، وخلال الثورة بين بعض الأحياء. فأسرتنا مُكونة من 4 بنات، وهنّ جملية، فاطمة الزهراء، زليخة، وحميدة، وثلاثة أولاد: الياس، ناصر، وحميد. أما الياس أخي فمولود في شهير ابريل من سنة 1928، أمّا أنا في 19ديسمبر 1931، أي أنه يكبرني بثلاث سنوات. في السابق سكنت عائلتنا حي القصبة العتيق، وكنا جيرانا لعلي عمار[1]. فأخي وأختي الكبرى وأنا وُلدنا هناك، ثمّ انتقلت العائلة للسكن في "صالومبييه" لمدة 6 أشهر، ثم اتجهت إلى حي "لارودوت"[2]، وهناك التحقت أنا بالمدرسة، وكذا أخي الذي انخرط من جهته في الكشافة بعد الحرب العالمية الثانية، على ما أذكر، كما كان يدرس النقش. وبعدها بمدّة انتقلنا للعيش في

1 المدعو علي لابوانت (1930 1957).

2 المرادية حاليا.

"صالومبيي"[1] سنة 1953، ومنذ ذلك الحين لا نزال في البيت الذي احتضن الاجتماع التاريخي لمجموعة الـ22.

نعلم أنك كنت الأخت المُقربة من الياس دريش، وأوّل من تفطن لطبيعة عمله مع المُناضلين، فكيف اكتشفت انخراطه في صفوف الحركة الوطنية؟

في الحقيقة كان أخي يعمل في السرية. ولطالما كان كتوما. إلاّ أنني، وبحكم قربي منه، وكذا حُبّي لمعرفة كلّ ما يتعلّق به استطعت أن أكتشف مُبكرا أنه منخرط في العمل المُسلح. ولو أنني لم أكن أعلم أنه يُحضّر للثورة، رفقة إخوانه في النضال، إلاّ أنني اكتشفت أنه مُتمرّد على السلطات الفرنسية.

ما هي الأسباب التي جعلته ينخرط في العمل المسلح؟

في تلك الفترة كان كلّ شاب جزائري "مشروع ثائر" لأنّ السلطات الفرنسية كانت تُعاملنا بمُنتهى القسوة، ولعليّ أذكر لك حادثة وقعت قبل حتى أن نكتشف انخراطه في الحركة الوطنية، وهي أنّ كبار العائلة كانوا يجتمعون في البيت مع جدّي، ويستحضرون مآسي الوطن، وما فعله الاستعمار، وكان إلياس يستمع إليهم، فيقول لهم:"نحن من سنُحرّر الجزائر" فيُجيبه جدي أن لا قدرة له على مُحاربة فرنسا التي عجزوا هم عن طردها، فيصرّ إلياس على موقفه، ويقول:"بل سنفعل"...وفعلا، قاموا بطرد فرنسا.

كيف كانت علاقتك بأخيك؟

كانت علاقة مُميّزة. ذلك أنني كنت أُحاول أن أطّلع على كلّ ما يفعله، ويقوم به، وهو كان يشعر بذلك، ولكنه يعلم أنني لن أبوح بشيء، لهذا لم يكن يعتب علي.

حسنا نعود إلى عائلتكم، كيف اكتشفتم انخراطه في الحركة الوطنية؟

أمي شريفة، رحمها الله، كانت شديدة الحرص عليه، وأنا من جهتي كنت أحبّ أن أطلع على كلّ ما يحدث في البيت، ولهذا اكتشفت مُبكرا التزامه الوطني. وكان أحيانا يُحضر أشياء ليُخفيها في البيت، من وثائق وأسلحة، وحتى مُتفجّرات، أو مُعدّات خاصّة بصناعة القنابل. وقبل أن نكتشف أمره وكنا في حي "لارودوت"

1 المدنية حاليا.

كان إلياس يسهر ليلا، وعندما تسأله أمي يُجيبها أنه كان مع أصدقائه، وهو عادة ما يكون مع مراد ديدوش ابن الحي، وصديقه، وكذا مصطفى مولود، وخالفة دكار، ويوسف دكّار. فصرت أنا وأمي لا ننام ونحن ننتظره ليلا، كنا نقف عند باب الدار، وكان الجار عمي رابح يقول لأمي من النافذة:"خالتي شريفة، الياس رجل، لا تخافي عليه" لا شكّ أنه كان على علم بما يفعله الياس، أو ربما كان يعمل معه. وأحسب أنّ سكان "الارودوت" كانوا السباقين إلى الالتحاق بالنضال، على الأقل في العاصمة. واكتشفت أمي التزام أخي الوطني عندما كانت تُرتب البيت مرّة، فعثرت على سلاح وعلم الوطن، ولكنها لم تتحدّث عن هذا، وبقيت صامتة، إلى أن حكت لعمّتي الكبرى ربيعة، فكانت ردّة فعل هذه الأخيرة أن قالت لها:"ربي معاك يا شريفة أختي". ولكنها فهمت بعد ذلك ما يفعله أخي، وصارت لا تفعل إلا حراسته، وحدث مرّة أن جاء شاب يبحث عنه، وهو السي قدور، معلم "الارودوت" وعندما أعلمته بأنّ الياس غائب، ترك لي علبة مُقفلة، تملكني الفضول ففتحتها، وإذا بي أعثر على منظار مُقرب، جربته فصرت أرى جبال البليدة قريبة مني، ثمّ أعدت ربط العُلبة، وتركتها على الطاولة. وأنا كنت أنتظر خرجوهم من الغرفة لأدخل البيت وأرى ما يُحضرون. ومرّة، وكنا حينها انتقلنا للعيش في صالومبي جاء ذبيح شريف إلى بيتنا، وأحضر كيسا أعطاه لأمي على أن تُسلمه لأخي، قائلا بأنّ فيه طلاء، ولكن أمي شكّت في الأمر ففتحته، ولم تجد طلاء وإنما ماستيك. وعندما عاد أخي سألته، وقالت أنها كانت ستُحرقه، فقال لها أنها إن فعلت لكانت بلكور، وصالومبيه، في خبر كان. وقبل اجتماع 22 وجدت قطعة قماش بها مُسدسات من أنواع مختلفة، وبعد الاستقلال أذكر أني رأيت تلك الأسلحة في مُتحف رياض الفتح.

هل كنتم حينها تعلمون بما يُخطط؟

لا، لم نكن نعي أو نعلم ما هي حدود التزامه أو إذا ما كانت ثورة، ولكننا كنا نعلم أنه يُحارب العدو.

كيف كان الياس يأوي مُجاهدين في منزلكم بـ"الارودوت"؟

كان يحضر ضيوفه، ويطلب من أمّي أن تُحضّر لهم المكان، وكان لدينا سطح المنزل في "الارودوت" تنصب فيه أمي خيمة،

تخرجنا لنبيت فيها، وتترك المكان لهؤلاء الضيوف. إذ أنهم يمرون من حديقة جوان[1] وعندما يُغادرون يستعملون نفس الطريق، إذ يمرّون عبر السطح إلى الحديقة، ويفرون، وفي حي "لارودوت" لم نكن عائلة مُشتبها فيها، بل إنّ الشُرطة لم تكن تُفتّش بيتنا، فمنزل السيد بيسيتي، وهو معمر اسباني، كان يُطلّ على سطح بيتنا، وكان يرى الناس يأتون ويزوروننا، وأننا ننظم سهرات، خاصّة في شهر رمضان، فكان يقول للمفتشين أن لا يقربوا بيتنا، ويصفنا بالنبلاء، الذين لا يمكن أن يكونوا ثوريين. ولهذا كنا بعيدين عن الشبهات.

ماذا كان ردّ العائلة لدى تفطنها لما يُحضره الياس؟

في البداية كان أعمامي، خاصّة، يستغربون أن يُحضر الياس أشخاصا غرباء إلى بيت فيها فتيات عازبات، وكان هذا مُنافيا للأخلاق والعادات، وكانوا يوبخونه، ويعنفونه، ولكنه كان يقول دائما:"لن أترك هذه الطريق التي اخترتها" رغم أنه لم يعلمهم بشيء. إذ كان يحرص على المحافظة على السرّية، رغم الضغوطات.

اتجهتم للسكن في حي "صالومبيي" فكيف اختيرت فيلتكم لاحتضان اجتماع 22؟

مراد ديدوش (1927 1955) هو من فكر في أن تكون فيلتنا مُحتضنة للاجتماع، لأسباب أهمّها كون الياس مُناضلا من الرعيل الأوّل، خاصّة وأنه ينتمي إلى الكشافة الجزائرية، وحزب الشعب الجزائري، والمُنظمة الخاصّة، إضافة إلى جهل السُلطات الفرنسية بانخراطه في العمل الثوري، إلى جانب الموقع الاستراتيجي للحي. فطلب أخي بدوره من أمي أن يُمضوا أياما في "لارودوت" فقالت أنها لن تغادر وستبقى معهم.

كيف تم التحضير له، وكيف كان المُجاهدون يقدمون؟

منذ الساعة الثامنة صباحا بدأت الحركة تدبّ في البيت، إذ كانوا يأتون فرادى، أو مثنى، وكانت هناك سيارة سوداء تقلّهم إلى البيت، ثم تعود وتحضر آخرين، وهكذا. اجتمعوا، وعلى الساعة الواحدة تناولوا وجبة الغذاء، ثم راحوا يُغادرون إلى الساعة الثالثة، أذكر أننا أعطينا كلّ واحد منهم خبزة وبعض الزبدة،

---

1 ديار السعادة حاليا.

والتمر. وأتذكر أنّ زيغوت يوسف كان يقف عند الباب، وعندما سألت أخي عنه، لم يُخبرني من يكون، ولم يُجبني.

هناك من يقول أن الاجتماع التحضيري لم يجمع 22 ولكن 21 مجاهدا، بحكم أنّ الياس دريش لم يكن مسؤولا، ولم ينتخب معهم، ماذا تقولين حول هذا؟

مرزوقي، وعثمان بلوزداد قالا أن لا أحد جرؤ على منحنا بيته في ذلك الوقت إلاّ الياس دريش، وبوضياف قال أنه لا يعرف الياس، ولكن أكد أنه كان حاضرا، أما ما يُقال هنا وهناك فهي مُؤامرة، وفتنة. الغرض منها التشويش فقط، وكلّ هذا لأنّ أخي لم يتحدّث، وحتى الرئيس الحالي بوتفليقة سأله مرّة مازحا:"هل لا زال الناس يختلفون حول عدد 22 من 21" فابتسم أخي!

قبل أن يقبض على الياس جاءت السلطات الفرنسية للبحث عنه، وهناك من يقول أن أحدا من الحي وشى به، ماذا تقولين عن هذا؟

أجل لا شك أنها وشاية، ولكننا لا نعلم من وراءها. عندما اكتشفت السلطات الفرنسية أمره جاؤوا ليقبضوا عليه، وكان بيتنا، ولا يزال محاذيا لبيت عمي. جاءتنا سيدة، وأنا فتحت لها الباب بنفسي، سألتني إن كانت البيت بيت عائلة دريش، قلت نعم، فأخبرتني أنّ العساكر يفتشون البيوت بحثا عنه، فأعلميه، فذهبت من فوري لأقول له، ولكنه لم يهرب. وعلى الساعة الثانية صباحا، جاء العساكر، ولكنهم لم يدخلوا بيتنا، وإنما بيت عمي، لتشابه الأسماء، وأهل بيت عمي لم يخبروهم أنهم مخطئون، بل تركوهم يبحثون، حتى يتمكن الياس من الهرب، وأرسلت زوجة عمي ابنها إلينا ليُخبر الياس بالأمر، فراحت أمي تمزق الوثائق وترميها، وعلى السادسة والنصف خرج أخي ليذهب إلى العمل كما لو أنّ شيئا لم يكن، ومر على شرطي الحراسة، وسلم عليه، فرد عليه السلام دون أن يعلم أنّه الشخص الذي جاء العساكر للبحث عنه، وتمكن أخي من الفرار، وبعد أن تأكدت عمتي من أن الياس نجا، سألت الشرطة عمّن يبحثون فقالوا أنهم يريدون الياس، فأخبرتهم أن بيته في الجهة المقابلة، فذهبوا وسألوا شرطي الحراسة عما إذا كان رأى أحدا، فقال أنّ شابا مرّ من أمامه، ولكن لم يكن يعلم أنه الياس. ولم نره بعدها حتى قبض عليه في عين الدفلى سنة 1956.

كيف تلقيتم خبر اعتقاله؟

أبي خرج صباحا ليشتري جريدة "صدى الجزائر" وكان يُحبّ

إلياس كثيرا، كيف لا؟ وقد تُوفيّ له ولدان اثنان من قبله، التقى عمي في الطريق فأخبره بالأمر، وهو بدوره أخبر زوجته، وكانت أمي في بيت عمي، فأخبرها بالأمر، في البداية لم يقولا لها شيئا، وعندما رأت علامات الحيرة بادية على وجهيهما سألتهما، ما بالكما؟ فأخبرتها زوجة عمي فطومة بأن الياس قبض عليه.

كم حكم عليه؟

حكم عليه ب15 سنة بين السجن والنفي.

ما هي السجون التي وضع فيه، وهل كنتم تزورونه؟

قبض عليه في عين الدفلى، ثمّ وضع في سجن الأصنام، وبعدها أتوا به إلى سجن سركاجي بالعاصمة، إذ قضى سنتين، ثم نقلوه إلى سجن الحراش، ثمّ سجن الالبليدة، ثمّ الأصنام، ثمّ أعادوه إلى سجن سركاجي، وبعدها الحراش مرّة أخرى، ثم سركاجي مرة ثالثة، وفيها أنهى سنوات سجنه الخمسة النافذة، وكانوا سيُطلقونه، فذهبنا لانتظاره، وبقينا عند باب السجن من صباح اليوم إلى المساء، وكنت أطلب من أمي أن نذهب، إذ قطعت الأمل في إمكانية إطلاق سراحه ذلك اليوم، ولكنها أصرت على البقاء، إلى أن أخرجوه في سيارة، أطل من النافذة وقال أنهم سيأخذونه إلى بني مسوس، استغربنا الأمر، ولكن لم تكن باليد حيلة. اتجهنا إلى بني مسوس، ومكث هو هناك 3 أشهر، ثم البرواقية التي بقي فيها سنتين، وفي 1960 كانوا يقتلون المسجونين، ثم أخذوه إلى عين وسارة، وذهبنا إلى هناك لرؤيته كذلك، وتعرض في السجن إلى تسمم، فنقلوه إلى المستشفى، ورأيناه هناك، ثمّ أعادوه إلى سجن عين وسارة، حتى وقف إطلاق النار، وبعدها إطلاق سراح المساجين.

كيف عشتم أحداث الحادي عشر من ديسمبر؟

في الحادي عشر من ديسمبر كنت في بيت خالتي في باب الواد، في المطبخ، لم أكن على علم بما سيحدث، ولكنني رأيت من النافذة رجالا، ونساء، وأطفالا، فارتديت لحافي وخرجت، قلت لأختي صفية، أن تواصل الطبخ، وقلت لها إن لم أعد فإنني شهيدة الوطن. فخرجت، ومشيت مع الحشود التي كانت تردد أن لا اله إلاّ الله، محمدا رسول الله، وأن تحيا الجزائر، فمررنا بمقبرة "القطار"

وهناك كان العساكر في انتظارنا، فبقينا واقفين ننشد الأغاني الوطنية، إلى أن سمعنا صوت الرصاص، من ناحية سجن سركاجي، فجاء مجاهد وقال أن الفرنسيين يرمون الشعب في القبور، ويدفنونهم أحياء، فتفرقنا، وأنا نزلت أدراجا كانت أمامي، فواجهني العساكر، ولكنهم تركوني أمر، وكنا نريد أن نتجه إلى القصبة وساحة الشهداء

هل حاول المسؤولون ردّ الاعتبار إلى البيت التاريخي؟

لم يزر البيت ولا مسؤول، عدا رئيس المجلس الأعلى للدولة علي كافي، والأمين العام للمنظمة الوطنية للمُجاهدين محمد الشريف عباس، هذا الأخير حضر إلى وفاة أخي، ولكنه لم يفعل شيئا بعدها، إلاّ أنّ علي بن فليس كان مقربا من أخي، ويزوره بشكل دائم، هذا بالرغم من أنّ الكثير من الكُتاب، والمُؤرخين، والمُهتمين بالتاريخ والمعالم التاريخية قدموا من أجل رؤية البيت، وحتى من الصين وتركيا، وايران.

هل حاولت السلطات ترميم البيت، أو تحويله إلى متحف؟

قامت السُلطات المحليّة ببعض الإصلاحات،ولكنها تبقى مجرد رتوشات فقط، ثمّ كيف تحرص وزارة الثقافة على ترميم المعالم التاريخية التي تعود إلى سنين غابرة، وقد لا تكون لها علاقة بثقافتنا، ولا تاريخنا، وتصلح وتحيي بعض الأماكن التي لا تحمل رمزية، تنسى البيت الذي احتضن مفجري ثورة الفاتح من نوفمبر 1954، أليس هذا غريبا؟ لولا أنّ هناك نيّة مُبيّتة لمحو تاريخ الجزائر، وتاريخ أخي.

ألم يكن للسلطات نية في هذا الاتجاه ونحن نحيي خمسينية الاستقلال؟

لا، لم يُنظر إلينا خلال الاحتفال بـ50 سنة من الاستقلال، ونحن أحيينا المناسبة بين العائلة، وبعيدا عن الأضواء الكاشفة...والخادعة، حيث شاركنا جمع من أصدقاء أخي سي لياس، رحمة الله عليه، وحضرت أيضا الكشافة الإسلامية الجزائرية.

هل يُمكن أن تتنازلوا عن الفيلا، أو تبيعوها؟

لا، هذا ليس ممكنا، فأخي ترك وصية يدعونا فيها إلى التمسك بها، إلاّ إذا حُوّلت إلى مُتحف تاريخي.

هناك من قال بأنكم اشترطتم مبلغا خياليا من أجل السماح بتصوير فيلم مصطفى بن بولعيد فيها؟

هذا كذب، وغير صحيح، لم يحدث أن منعنا باحثا، أو مُؤرخا من العمل، ولطالما حاولنا أن نكون حاضرين، ومنحهم ما يحتاجون من معلومات.

هل ترك الأخ كتابات عن حياته، أو عن الثورة؟

أجل، ولكنها ليست للنشر.

هل تحتوي على معلومات لم تُقل بعد؟

أجل، فمثلا لا أحد تحدث عمن كان يحرس اجتماع 22، وهما عبد الرحمن يعلى، وذبيح شريف، وكانوا يدرسون مع الياس في مدرسة واحدة.

لماذا رفض نشرها؟

هو كان يكتب لمُجرّد الكتابة، كان يختلي بنفسه، ويكتب، خاصّة وأنه لم يكن يتحدث كثيرا، فكان يحب الكتابة، وترك أوراقا كثيرة، تحتفظ بها العائلة. وهو أوصانا قبل وفاته أن لا نتحدث باسمه، أو باسم الدار.

عُرف عن الرجل التزامه الصمت طيلة فترة ما بعد الاستقلال، فهل صمته كان تعبيرا عن رفضه لما حوله، أو كان فرحا بجزائر ما بعد الاستقلال؟

لقد كان محبا للصمت، وكان يخشى صفة الرياء، لهذا لم يتحدث أبدا عن نضاله، وأوصى أبناءه أن لا يستعملوا اسمه، أو بيته للتفاخر. كان متأكدا بانّ ما فعله عند الله، لا عند البشر. حتى أنّ بعض الناس كانوا يسألون كيف أنه ضحى من أجل الوطن، ولم يعطه الوطن شيئا، فيجيب أنه لم يطمع أبدا في أن ينال جزاءه من عند الأشخاص.

كيف عشت سيدتي فرحة الاستقلال؟

غنينا أناشيد، ورأيت بأم عيني عساكر فرنسيين يتقاتلون ويتباكون، وكان هناك شاب يتجه إلى بيته، فأصبته رصاصة طائشة من عسكري فرنسي فمات...وكان آخر شهيد. وأذكر أنّ هذه الدار أضاءت يوم الاستقلال، وعلقنا الأعلام الجزائرية وكذا العربية في السطح، وقدمت فراشات راحت تطير وتلف حول البيت،حتى أن الجارة سألتني إذا ما كنت رميت شيئا ما، فأجبت أن

لا، وإنما هي الفراشات، والشهداء فرحون بالجزائر.

21

أحمد بنـاي

"هكذا اخترق جواسيس فرنسا صفوفنا"[1]

---

1 نشر بتاريخ 22 أوت 2012.

...هذه شهادة مُجاهد، التحق بجيش التحرير ولمّا يتجاوز السابعة عشر من العمر، كان ذلك أواخر سنة 1956، عايش أصعب فترات الثورة، أنجز عمليات، وساعد العديد من الشبّان المتحمسين للنضال على الالتحاق بصفوف الجبهة...هو ثاني اثنين فجّرا أحداث الحادي عشر من ديسمبر 1960...هو ضابط الولاية الرابعة أحمد بناي، المدعو سي جمال، المولود في 12 فيفري 1939، خصّنا بهذا الحوار الحصري، والذي لم يتحدث فيه عمّا عاشه فحسب، ولكن أزاح الغموض عن بعض الأحداث، وأعاد الاعتبار لشهداء، ودافع عنهم، وعن ذاكرتهم، خاصّة من بعض الدخلاء، يصفهم، والذين يريدون تزوير التاريخ من أجل مصالح ضيّقة، فكانت لنا معه هذه الوقفة الجميلة.

سيدي، أنتم ضابط في جيش التحرير، ثاني اثنين فجرا أحداث الحادي عشر من ديسمبر 1960 بالعاصمة، ولكن قبل ذلك نعلم أنكم التحقتم بالثورة، وبصفوف الثوّار مبكرا، فكيف كان ذلك؟

أجل، لقد حملت السلاح في سنّ السابعة عشر.

ما الذي دفعكم إلى ذلك؟

ما دفعني، هو ما دفع الشعب الجزائري كله للانتفاض، والمقاومة، وهو الاضطهاد المُمارس علينا من طرف فرنسا الاستدمارية، نحن كنا نسكُن ببلدية سحاولة، وتحديدا ببابا علي، وكنت صغيرا أدرس في المسجد، حيث قرأت القران، وحفظت أربعة أحزاب، ثمّ انتقلت إلى المدرسة الفرنسية، درست إلى أن نلت شهادة الابتدائي، وهي أولى الشهادات، ولكن لم يتركوني أواصل الدراسة، ولم أصل إلى تلك المرحلة من التعليم، إلاّ عن طريق الوساطة، حيث كان أولاد المُعمرين وحدهم من لهم الحقّ في الدراسة والتحصيل، أمّا الجزائري فكان يُكلّف بأعمال الفلاحة والزراعة، ومع ذلك فلقد أفادني ما تعلمته وتلك الشهادة الابتدائية في الثورة، فالثورة تحتاج إلى إطارات، لأنّ أغلبية الشعب كان أُميّا، حتى الإطارات الذين كانوا في جيش التحرير، لم يكن كثير

منهم قد تعلموا، يتدربون فقط على استعمال السلاح ويتكوّنون في الميدان، رغم أنه بعد 19 ماي 1956، تعزّز جيش التحرير في الولاية الرابعة بإطارات ذوي كفاءة مُعتبرة، وهم الطلبة المُضربين.

حسنا، كيف اتصلتم بجيش التحرير؟

كنت أعمل مع "سي مراد" كان مسؤول ناحية الساحل، أي الناحية الأولى من المنطقة الثانية، للولاية الرابعة، وكان يُكلفني ببعض المهام منها توزيع المناشير (قصاصات ورقية كانت تُوّزع على المواطنين لنشر خبر، أو دعاية، أو أمر، أو دعوة لإضراب، أو دفع اشتراكات، أو ما شابه) ثمّ تحصّلت على منصب في بنك بالعاصمة، وصرت أُحسن استعمال ماكنة الكتابة، وأتحكم فيها كذلك، ولأنّ السي مراد كان يملك ماكنة مُتنقلة، يصنع بها التقارير، صرت أساعده على الكتابة عليها، وكنت أحاول إقناعه بأن يصلني بالمجاهدين، ولكنه كان يقول لي دائما أنه لم يحن الوقت بعد، وأنني لا أزال صغيرا، وفي يوم من الأيّام قرّرت أن أخطو أولى الخطوات لوحدي، وكنا نسكن في بابا علي، أخذت قطارا إلى البليدة، ثم إلى البرواقية...

...لماذا فكرتم في البرواقية تحديدا؟

كان هناك عمّال في المزرعة التي كان أبي مسؤولا عنها، سألتهم عن المجاهدين، فقالوا لي أنهم يتنقلون في النهار بحرية، وكانت فرنسا لم تتحكم في زمام الأمور بعد في تلك المنطقة، وأخذت منهم كل ما استطعت أن آخذه من معلومات، وحتى الطريق التي يأخذونها إلى البرواقية، ثمّ إلى سوق بوسكن، ثم يدخلون إلى منطقة ولاد زيانة، وفي مرّة من المرّات، كما قلت لك، خرجت من البيت.

هل أخبرت أحدا بالأمر؟

لا، لم أفعل، ولا حتى أسرتي، اتجهت إلى البرواقية، وكان البرد قارسا، ولاحظت أنني لا أشبه سكّان تلك المنطقة، فاشتريت عرّاقية، وهو اللباس الذي كانوا يرتدونه، حتى لا يتفطن أحد لأمري، ولو أنني كنت أحمل أوراق الهويّة معي، وعلى الخامسة صباحا كان عليّ أن ألتحق بالحافلة التي تنقل من البرواقية إلى بوسكن، وهي مسافة تُقدر بحوالي ستّين كيلومترا، رغم أنني كنت أحمل أوراق الهويّة، وكنت أفكر في أنه إذا تمّ سؤال أدعي أنّ لديّ

عائلة في المكان وأتيت إليها زائرا، أو شيئا من هذا، وعندما وصلت إلى بوسكن، كان هناك دركيّان واقفان يُفتشان كلّ من يدخل إلى السّوق، ولكن، ولحسن الحظ، لم يكلماني، ذلك أنني كنت صغيرا، ولم أكن أثير الشُبهات، خاصّة وأنني أخذت كلّ احتياطاتي، ومنها أن أتجنب الحديث بالفرنسية، لأنّ سكّان تلك المنطقة لا يُجيدونها. لا بأس، دخلت إلى السوق، فالتقيت شيخا يبيع دجاجتين صغيرتين، وتشاء الصُدف أن يكون شيخا أعرفه، اسمه بن شتيح، حيث كان يعمل عند جدي وعند أبي في المزرعة، وعندما نظر إلي استغرب، وسألني عن سبب قدومي، فقلت له أنّ لي رسالة عليّ أن أوصلها للمُجاهدين، وأنّ عليه إيصالها إليهم، وطلبت منه أن يُوصلني إليهم.

من أين حصلت على تلك الرسالة؟

لا، لم تكن تلك إلاّ خطّة للاتصال بالمُجاهدين. لم أكن أحمل لا رسالة ولا شيء، قال لي ذلك الشيخ الطيب أنه سيُوصلني إلى مسؤول الدشرة، وهو سي الخلادي، ولكن بعد أن ينتهي العمل في السوق، وقبل ذلك أخذني إلى بيته، أكرموني بالكسكس والبيض، هذا ما كانوا يملكونه، فهم أناس فقراء إلى أقصى حد. انتظرت الليل، وعند المغرب كان علينا أن نتّجه إلى ملجأهم، ففعلنا، وكان ذلك الملجأ عند مسؤول الدشرة السي الخلادي، وعندما وصلنا وجدنا شخصا يخيط بدلات الحرب، يُطلقون عليه اسم عمارة الخياط، أصله من بوفاريك، وعندما سألني من أين أتيت، أجبت بأنني قادم من متيجة، وأني أعرف منطقة بوفاريك، فسألني عن الأحوال هُناك، وفي الحادية عشر ليلا جاء مُجاهدان اثنان، مُحافظ سياسي، ومُساعده، وهما رابح طوطاح، وأحمد قارة.

وكان عليكم حينها أن تقولوا الحقيقة، بما أنكم لم تكونوا تحملون رسالة ولاشي؟

أجل، كان عليّ أن أُصارحهما. في البداية قاما بإخراجي وتفتيشي، فقلت أنني لا أملك رسالة، وأنّ هذا كله مُجرد حيلة لكي أتّصل بهم، ولكني حدثتهم عن مجاهدي الساحل، ومتيجة الذين كنت أعرفهم، من السي عبد الرحمن، وسي مولود، وسي علي البشير، وسي مراد، وهم مسؤولو الساحل ومتيجة...

عذرا، بما أنك كنت على اتصال بهؤلاء، لماذا لم تطلب منهم أن يصلوك بالمُجاهدين، عوض أن تقوم بتلك المُجازفة الخطيرة، وتنتقل لوحدك إليهم؟

كانوا دائما يقولون لي أنني صغير، كما أنّهم لم يُريدوا التخلي على مساعدتي لهم، اعلم أنني، وإن صعدت إلى الجبل في سن السابعة عشر، إلاّ أنني وكما أخبرتك كنت أقوم ببعض المهام منذ سن الخامسة عشر، أو السادسة عشر، وكان من الصعب أن يعثروا على مراهق في تلك السن يكون لهم عونا، ولا يثير الشكوك.

حسنا، وبالنسبة للمحافظ السياسي ومُساعده، ألم يشكا في أمرك عندما علما أنك لا تحمل أيّة رسالة إليهم؟

بلى، قالا لي أنني قُمت بعمل خطير، وأنّ هناك مصاليين يتمركزون في المنطقة، وكان يُمكنهم أن يقتلوني، وشكّوا في البداية في أنني قد أكون جاسوسا لهؤلاء المصاليين. ثمّ ناديا الشيخ وسألاه إن كان يُؤكدّ أنني لست جاسوسا أو خائنا مبعوثا من طرف ما، بل هدداه إن كنت كذلك أن يُحرقوه هو وأولاده، فأكدّ لهما أنني لا يمُكن أن أفعل شيئا مشابها، وأنه يستحيل أن أكون جاسوسا، فهو يعرفني من قبل، ويعرف عائلتي كلها، وأبي، وجدي. فأخبراني أنّهما سيصلانني بمركز القيادة للمنطقة، فبدأنا في السير على الساعة الثانية صباحا، وصلنا إلى دشرة "الكرابيب" بناحية صبّاح قرب البرواقية، حيث التقينا فيها بمسؤول سياسي القسم، وهو شاب اسمه حكيم، فتّشني بدقة، وبحث في أوراقي، وكانت بينها صورة لخالي عثمان، الذي كان في ذلك الوقت في فرنسا، وتحديدا في "غرونوبل" قال لي حكيم أنّ خالي هذا كان يدرس معه في ساحة أوّل ماي، حاليا، ففرحت بذلك، وهو بدوره اطمأن إلي أكثر، وبقيت معهم مدّة قصيرة، ثمّ أعطاني رسالة وبعثني، رفقة اتصال(هكذا كان يُدعى دليل المجاهدين)، بعثني قلت إلى الرائد سي عبد الرحمن، المُلقب بكوموندو عبد الرحمن، كان على رأس فوج مُكوّن من 25 جنديا، كان لديهم سلاح قليل، مُكون أساسا من بنادق صيد، قرأ الرسالة التي كانت معي، وقصّصت عليه كيف التحقت بهم، فقال لي أني سأبقى معهم، وفي الليل جاء دوري للحراسة، ولم أكن قد حرست يوما، فأعطوني البندقية وأمروني بأن أحرس يوميا، بقيت في ذلك الفوج لعدّة أيّام، ثم أعادوني إلى حكيم عبر اتصال دائما، فقال لي حكيم أنه عليّ أن أنجز عملية ما حتى أبدأ الكفاح المُسلح معهم، فقلت أنني مُستعد لذلك، وكيف لا،

وقد أتيت لكي أحارب، فعندما يُقرّر الواحد منّا أن يلتحق بجيش التحرير، لا بدّ أن ينتظر أيّ شيء، إمّا أن يُحارب إلى أن يتحقق النصر، أو أن يستشهد دون ذلك. أخبرني حكيم أنّ هذه العملية هي إلقاء قنبلة يدويّة على مركز الدرك بالبرواقية، فوافقت، وقلت أنه يكفيني أن يُرافقني أحد فقط لكي يُريني الطُرقات التي أسلكها، وكيف أحتمي، وعندما تأكّد حكيم من نيّتي في الجهاد حتى الموت، قال لي أنّ الكوموندو عبد الرحمن جوادي لم يوافق على بقائي، لأنه عليّ أن أنشط في الولاية الرابعة التي أتيت منها، وألاّ أبقى في الولاية السادسة، خاصّة وأنني لم أكن بعد مُطاردا. فذهبت إلى بوسكن، واستقلت الحافلة ومررت بالبويرة، وعدت!

هل أرسلكم للاتّصال بأشخاص مُعيّنين؟

لا، لم يكونوا يعرفون النظام في الولاية الرابعة، فهم من الولاية السادسة، وعندما عدت كان والدي قد حررّ شهادة عن اختفائي لدى مصالح الدرك، فقلت له أن يعود ويسحبها، ويُحرر أخرى كما لو كنت قد هربت إلى وهران، ففعل.

هل أعلمت أهلك بأنك تعمل مع الثوّار؟

لقد كانوا يعلمون، ولكن لم أتحدث عن التفاصيل، كلّ شيء كان سرا، وكان عليّ أن لا أبوح بالأسرار لأيّ كان، حتى لو كان أهلك. فصرت أعمل في الساحل، ومتيجة، وبدأت النضال في الاتصالات، وجمع الاشتراكات، والمساعدة بما أقدر عليه، وحدث أن قُبض على بعض المُناضلين الذين كانوا يعملون معي، فأقرّوا باسمي. فجاءت الشرطة، وألقت علينا القبض على الساعة الرابعة صباحا، أنا وكلّ الشُبّان الذين يسكنون بالمنطقة، أخذونا جميعا إلى ثكنة عسكرية في بابا علي، وبدأوا في تعذيبنا، لحظات لا تسمعُ فيها إلا الصُراخ، وكان أخي الأكبر معي، اعتقلوه هو الآخر، رغم أنه لم يكن مع النظام. ولكن، ولحسن الحظ، كان أبي، كما سبق وقلت لك يسير مزرعة لأحد المُعمرين، وهو الكاتب العام للحكومة الفرنسية في كلّ الجزائر، عندما تمّ اعتقالنا اتصل به أبي، وحدثهم عمّا فعله العساكر بنا ظلما، أو هكذا قال له، وفي نفس الوقت كنت أنا أنتظر دوري لكي يتمّ تعذيبي، إلى أن حضر ابن ذلك المُعمر، واسمه جونو بعد أن أظهر أوراقه طلب أن يُطلق سرا حنا أنا وأخي، لأنه لا علاقة لنا بالمُجاهدين ولا شيء، فكانت الفرصة

مواتية للهرب، فمباشرة بعد أن أطلق سراحي، هربت ولم أعد، فقد كنت أعرف أنّ أحد هؤلاء المناضلين سيُقرّ، بل قال أحد الذين كانوا يدفعون الاشتراكات لي أنني أنا المسؤول، وحُوكمت غيابيا بعشرين سنة سجنا. عندما هربت التحقت بجبل الشريعة، في البداية كنت كاتبا، وحتى خالي الذي كان في فرنسا، جاء، وقمت بوصله بالثوّار، وهو عثمان، الذي صار بعدها مسؤولا معروفا بالسي جعفر، واستشهد في بني مسوس، في 25 نوفمبر 1960، أمّا أنا فكنت أنتقل من مرحلة إلى أخرى، أصبحت مسؤول مُخابرات، ثمّ رئيس قسم، ثمّ من القسم صرت مسؤولا عن الساحل كله.

الساحل وقتها كان منطقة موت، فكيف قبلتم العمل فيه؟

لم أقبل، بل أنا الذي اخترت... المُجاهدون لم يكونوا يُعيّنون مُناضلي الساحل، ولكن يكون ذلك تطوّعا، لأنّ الذي يلتحق به يستشهد فعلا، أقصى ما يُمكن أن يعيشه الذي يلتحق بالساحل ثلاثة أشهر، فرنسا ركّزت قوّاتها في الساحل، لأنّ العاصمة كان صورة الجزائر، فتطوّعت، وصرت مسؤولا عن القسم الأوّل، والذي يمتدّ من خرايسية حتى بئر خادم، وحيدرة إلى عين البنيان. ثمّ إنه كان لديّ عائلة في كل مناطق الساحل تقريبا، وهو الأمر الذي ساعدني على التخفي، ومراوغة العدو، حيث كنت أبيت عندهم.

نعلم أنّكم قضيتم على ملازم حرّاس المنشآت؟

أجل، كان الجميع يشتكي منه، ومن ظلمه، وفي إحدى المرّات، وفي يوم الرابع عشر من جويلية، المُصادف لعيد استقلالهم الوطني، لم يكن هناك حضر التجول، وكانوا عادة ما يمضون تلك الليلة بين الملاهي والحانات، وكان قد رافقني شريف عازم الذي كان مسؤولا مدنيا لدشرة تيقصراين، ولم يكن في ذلك الوقت قد التحق بعد بجيش التحرير، جاءني وقال لي أنه مُطارد، أعطيته مُسدسا، وقلت له أنّه سيُصبح منذ اليوم مُجاهدا، وأن يُرافقني، وكان عندي مسدس رشاش يحوي خزانه أربعين رصاصة، كنت أخفيه تحت ملابسي، فمررنا بجنان سفاري، وذهبنا إلى عين النعجة القديمة، وعندما اقتربنا من المقبرة، وكانت الساعة تشير إلى التاسعة ليلا، رأيت أضواء سيّارة، قال لي رفيقي أنها قد تكون لرجل شعبي مثلنا، ولكني علمت أنها قد تكون دورية تحمل عساكر، وخشيت أن تبدر من مرافقي حركة تجعلهم يشكون في

أمرنا، فأوصيته بأن لا يتحرك، وأن يمشي بشكل عادي، وألاّ يفعل ما يثير الشكوك حولنا، لأنّ الهرب يعني الموت المُحقق، ثم ارتفع شعاع الضوء، حتى صرنا لا نرى شيئا، قبل أن نكتشف أنها كانت شاحنة تحمل ذلك المُلازم رفقة بعض الجنود معه، نادانا بعد أن كان قد تقدّم علينا قليلا، فاتجهنا إليه، وأنا أوصي مرافقي أن لا يتحرك، وأن يفعل مثلما أفعل، ولحسن حظنا فقد بقي صامدا، أمّا أنا فحضّرت رشاشي الذي كان تحت ملابسي، وبقيت على استعداد تام، وبكل برودة دم، وصلنا إلى الشاحنة، وكانت من نوع "رونو" مليئة بالعساكر، فسألني ذلك الملازم عن وجهتي، أخبرته أننا ذاهبان إلى منزلينا، بما أنه ليس هناك حضر تجول، فسألني عن رقم المسكن الذي أقيم فيه، أجبت بأنّه الرقم مائة وخمسة وسبعون، أو شيء من هذا، ولكنّ هذا الرقم لم يكن موجودا، ذلك أنّني كنت قبلها قد صعدت إلى الجبل لأحضر ندوة الناحية، ثمّ عدت، وفي تلك الفترة كانوا قد أحصوا السُكّان من جديد، وأضافوا إلى كلّ رقم حرفا، وأنا أعطيته الرقم دون الحرف، فنظر إلى رفيقه، وقال له أنّ هذا الرقم لا وجود له، كان مطّلعا على كلّ شيء، ثمّ سألني عن اسمي، فلم أجد ما أقوله له، كنت مُطاردا في كلّ مكان، واسمي في كلّ مراكز الشرطة، وعندما صمتت، قال لأصدقائه أنظروا إلى هذا الأحمق لا يعرف حتى اسمه، فوضع رشاشه، وهو ما كنت أنتظره، وكان يريد أن ينزل لضربي، ولكني لم أمهله الفرصة، فباغتته ورفاقه، وأطلقت النار عليهم مرّتين، حتى أفرغت فيهم رشاشي، وذهبت، وفي الصباح علمت أنّ هناك أربعة قتلى والمُلازم معهم، لقد أنقذت المنطقة منه. كانت هذه واحدة من بين عمليات كثيرة كنا نقوم بها، وكذلك كنت عندما أرى شبانا مُستعدين للكفاح أصلهم بالنظام، كنت أرى فيهم صورتي عندما كنت صغيرا، وكنت أحلم بالالتحاق بصفوف المُجاهدين، كنت أكلّفهم بمهمة أولى، ما إن ينجزوها حتى أصلهم بالثوّار...أن يقتل خائنا... أو يرمي قنبلة يديوية في حانة... المهم أن لا نترك العدو يسترجع أنفاسه أبدا.

حسنا إلى متى بقيت تعملون في الساحل؟

من ماي 1958 حتى جانفي 1960، ثمّ انتقلت إلى موزايا، كانت تلك الناحية الثالثة، والتي يطلقون عليها ناحية الصبر

والإيمان، وصرت مسؤولا هناك، وقمنا ببعض العمليات، ولكن بقيت فيها سبعة أشهر، ثمّ اتصل بي الرائد سي محمد بونعامة، بعدما أسّسوا المنطقة السادسة، حيث أنّ النظام كان قد تفكك، بشكل كليّ تقريبا، بعد سبتمبر 1957، كان قد قبض على العربي بن مهيدي، وعلى ياسف سعدي، وعلى غيرهم، فانتهى النظام بالمنطقة الحرّة، لهذا اجتمعت إطارات الولاية الرابعة، وطلبوا من الحكومة المؤقتة في تونس أن يُعاد تنظيم العاصمة، وتأسيس منطقة سادسة بها، تصبح تابعة للولاية الرابعة بحكم الموقع الجغرافي، فأعطونا المُوافقة، وتأسّست المنطقة السادسة، وهي العاصمة، والسّاحل، وقسم من متيجة، واتجهنا إليها، كنا خمسة وعشرين ضابطا، كلنا من أبناء المنطقة، من بيننا السعيد بوراوي الذي لا يزال على قيد الحياة، وكذلك الرائد بوسماحة، والباقي أغلبهم قد استشهد، أنا بقيت مع بوعلام روشاي، المدعو السي الزوبير، دخلنا إلى العاصمة معا، وكانت مهمتنا إعادة تنظيم العاصمة، واستقرّ هو في بلكور، حي"لامارتين" ثم كانت هناك أحداث الحادي عشر من ديسمبر، وكان سي الزوبير هو مسؤول المنطقة، وكنت معه، أي كنا لوحدنا، وحدث أن جاء دوغول إلى عين تموشنت حاملا مشروع الجزائر جزائرية، وتمّ إخراج الجماهير إلى الشوارع في مظاهرات حاشدة لتحيّته، ولم يكن الغرض من مشروعه إلاّ خلق قوّة ثالثة، لكنّ الأقدام السوداء التي كانت هنا في العاصمة لم تستسغ هذه المُبادرة، وأرادت أن تخلق مظاهرات مُضّادة، وكانوا يقطنون في أحياء:ديزلي (بن مهيدي حاليا) وميشلي (مراد ديدوش حاليا) وكان هناك ضابط فرنسي من "لاصاص" في بلكور كان يُحبّ ديغول ويكره الأقدام السوداء، ولكي يُضّادهم أعطى لبعض الشبان علما فرنسيا، وطلب منهم أن يخرجوا إلى الشوارع ويصرخوا تحيا الجزائر، جزائرية ويحيا ديغول، بعض الشبّان البعيدين كلّ البعد عن السياسة، فعلوا ذلك، واتجهوا ليُحرقوا مركز بلكور التجاري، أمّا السي زبير فكان مختبئا عند رجل من جيجل يُدعى السي مختار، رحمه الله، في حي لا مارتين، أمر بعض الشبّان أن يمنعوا الآخرين عن الحرق، وأعطاهم الأموال لكي يشتروا قماشا أخضر، وأحمر، وأبيض، وأن يطلبوا من النساء أن يخطن الأعلام طيلة الليل، للخروج في

مظاهرات في صباح اليوم الموالي، كان هذا ليلة الحادي عشر من ديسمبر.

أي كانت المبادرة من السي الزوبير؟

أجل، هو المُبادر.

ومن موّل المظاهرات؟

لم يموّلها أحد، موّلناها نحن:السي الزوبير، وأنا، كان لدينا بعض الأموال، لقد قلت لك كيف حدث الأمر، أعطى السي الزوبير بعض الأموال للشبّان، وطلب منهم أن يخيطوا أعلاما طيلة الليل. وزّعنا الشبّان من بلكور، من الذين كانوا يعملون معنا، كانوا مناضلين صغارا، وزعناهم على أحياء مثل (لامونتان) وحي محي الدين، والقصبة، وصالومبيي، وغيرها، وأنا بنفسي اتجهت إلى بئر خادم، ففجّرنا المظاهرات بتلك الطريقة، وهناك منا من استشهد!

كيف استشهد السي الزوبير؟

بقينا أنا والسي الزوبير، والسي المختار في شارع "لامارتين" حتى الحادي عشر من شهر جانفي، 1961 كنت قد قلت للسي الزوبير أنّ عليه أن يُغيّر مكانه، خاصّة وأنّ هناك حركى يُمكن أن يُدلوا علي مكانه، وهكذا كنا نعمل، لا نبقى في مكان واحد، ليوم أو اثنين، ونُغيّر مخابئنا، طلب مني أن أتّجه إلى القبّة، وأرأس النظام هناك، فخرجت على الساعة الثانية عشر جاء مراد بوشيشة المدعو (مرزاق الحفاف) ليُرافقني، فأخذني بالسيارة من نوع حصانين، تناولنا وجبة الغذاء في بيته، وشغّلت زوجته المذياع فكان هناك خبر عن اشتباك وقع بين مجاهدين، وعساكر... واستشهد السي الزوبير، وكان معه شخص يسمى خليفة محمد، المدعو بوحنجورة.

وهل كان ذلك نتيجة خيانة؟

أجل، في صباح اليوم المُوالي عنونت الصحف عن عملية البحث عن مسؤولين اثنين، بعدما علمت بمخبئهما، أي أنه كانت هناك خيانة، أمّا السي الزوبير فقلت لك كيف استشهد، وأمّا أنا فكنت قد غادرت المكان قبل ساعات فقط.

صحيح أنكم كنتم إذا ما التحقتم بالثورة تستعدون لكلّ شيء، وحتى الموت، ولكن ماذا عن رفقاء النضال عندما يستشهدون، هل كان ذلك يُؤثر فيكم؟

أجل، بالطبع، ولقد تأثرت كثيرا باستشهاد السي الزوبير، ولو أنني اعتدت، وتعلمت أن أخفي أحاسيسي، لا بدّ أن تكون صلبا، وأن لا يراك الآخرون في لحظة ضعف، خاصّة إن كنت مسؤولا. لكني مع ذلك تأثرت في داخلي، كان خالي قد استشهد في 25 نوفمبر، ثمّ بعدها بأشهر استشهد السي الزوبير، هذا الأخير بقيت أعمل معه منذ سنة 1957.

ومن خلفه؟

خلف السي الزوبير مُجاهد يدعى مختار لخضاري، ويدعى السي مختار بونواظر، وأنا بقيت على رأس العاصمة، وبعد مختار جاء محمد اورمضان (المدعو السي خير الدين) والذي لا يزال على قيد الحياة، كان مسؤول المنطقة السادسة، ولكن وقعت عملية جوسسة، حيث اخترق صفوفنا مُلازم عربي يُدعى أورابح موسى، كان من بين 300 رجل أرسلتهم فرنسا إلى مدغشقر لكي يتدرّبوا على فنون القتال، وفنون الجوسسة كذلك، وأتت بهم لكي توزعهم على مناطق الوطن المُختلفة، وتسرّب إلينا، هؤلاء الجواسيس من المكتب الثاني الفرنسي بالعاصمة، وهو من كشف نظامنا كله، أو كاد، كان ذلك في أكتوبر من سنة 1960، وكانت المفاوضات حينها قد بدأت.

وبتلك الطريقة تمّ القبض عليكم؟

كان ذلك في الرابع من أكتوبر من سنة 1961، في ذلك الوقت كانت الأمور قد اختلطت نوعا ما، المُنظمة المُسلحة السرّية كانت تقتل، وكذلك المكتب الثاني الفرنسي، والمفاوضات كانت قد بدأت، كنت في سيارة 404 اتجهت من الأبيار إلى القبة، وكان محمد راشدي، وهو مناضل، كمنوا لي في غاليلي، أو شارع بوقرة حاليا، وعندما ألقي عليّ القبض عنونت الصحافة في اليوم الموالي، وعلى الصفحة الأولى:"القبض على القاتل الرهيب لجبهة التحرير بالقصبة" ذهبوا بي بداية إلى ثكنة علي خوجة، أورليون سابقا، للاستجواب، وبعدها نقلونا إلى فيلا جاييس، التابعة حينها لحيدرة، تمّ تعذيبنا فيها، كان معي فورة محمد، المدعو عبد السلام من القليعة، وكذلك سي خير الدين، وضعنا في السجن، وصرنا

كالوحوش، اللحية كانت قد طالت، وكذا أظافري، وملابسي مُلطخة بالدماء، في إحدى المرّات جاء رائد فرنسي، اسمه روبار، فتح الباب، وطلب أن يُقابل سي جمال، بهذا اللقب كنت معروفا لدى المُجاهدين، وكذا الفرنسيين، وعندما دخل، خاطبته قائلا:" ما هذه الديمقراطية التي تنادون بها؟ ثم كيف تهينون المساجين بهذه الطريقة؟ في المدرسة الفرنسية علّمونا الرموز الثلاثة:حرية، مساواة، أخوة، فكيف تعاملوننا هكذا؟ عاملوني على أني سجين حرب، لأنني جندي" وكما لو أنني جرحته بعباراتي تلك، طلب من جُنوده أن ينزعوا عنّا تلك الملابس الرثّة، وأن يسمحوا لنا بالاستحمام، وكذلك فعلوا مع من كان معي. ثمّ وفي 24 فيفري 1962 أحضروا لنا لباسنا الذي كان مُلطّخا بالدم، ونزعوا عنا بدلات السجن، فقلت بيني وبين نفسي أنهم سيقتلوننا لا محالة، وكان الذي يأخذونه صباحا يقتلونه لا محالة، خاصّة بعدما وضعوا على رؤوسنا الأقنعة، وأخذوني أنا وعبد السلام ووضعونا في شاحنة، وأتذكّر جيدا، عندما أخذونا سي خير الدين راح يُنشد بأعلى صوته:إلى اللقاء يا إخوان... ثم أخذونا إلى المطار، ووضعونا في طائرة عسكرية، ثمّ ربطونا، قلت لعبد السلام الذي كان أمامي لا شكّ أنهم سيرموننا من الطائرة.

...من الطائرة!

أجل، كانوا يفعلون كلّ شيء، وكثيرون هم الذين تمّ رميهم من طائرات "الهيليكوبتر" خاصّة، ففكّرت أنه كان أحسن لنا لو قتلونا بالرصاص، فصبرنا، وقرأنا القرآن، والشهادتين، ماذا عسانا نفعل؟ ثمّ ارتفعت بنا الطائرة، ولكنهم لم يرمونا منها، وحطّت بورقلة، وجاءت شاحنة التصقت بباب الطائرة، وضعونا في الشاحنة، أبصرت من وراء القناع الذي كان موضوعا على راسي أشجار النخيل، فقلت للذي كان بجنبي أننا في الصحراء، ثمّ تمّ إنزالنا من الشاحنة، فجاء ملازم جوي، نزع عن رأسي القناع، وما إن رآني في تلك الحالة، حتى عاد إلى الوراء خطوات، لكنني قلت له أننا لسنا وحوشا بل آدميين مثلهم، ثم قلت له أنّ جُنوده حجزونا تحت الأرض قبل أن يُحضرونا إلى هنا، فابتسم، وقال:"انتهى كلّ هذا". ذلك أننا كنا في الرابع والعشرين من شهر فيفري، ووقف إطلاق النار كان في التاسع عشر من مارس، ونحن لم نكن نعلم،

وكنا في شهر رمضان، فتم سجننا في البرج الأحمر، والذي يقع في ورقلة، فالتقينا مع مجاهدي الولاية السادسة، وعندما رأونا في تلك الحال، لاقونا ملاقاة جميلة، واستقبلونا أحسن استقبال، وقدّموا لنا الأكل رغم أنهم كانوا صائمين، إلاّ أنهم طلبوا منا أن نأكل. ثمّ مرّ شهر مارس، ثم أفريل تمّ إطلاق سراحنا.

22

احمد عقبان

"هكذا حاول مصاليو"الفاد" التخلّص من "الافلان" للتفاوض مع ديغول"[1]

1 نشر بتاريخ 26 أوت 2012.

نستضيف خلال ثلاث حلقات المُناضل أحمد عقبان، المدعو:"عمي حميمد" المولود في السادس من شهر فيفري 1921، والذي حدّثنا خلال الزيارة التي قادت "الجزائر" إلى بيته بأعالي القبة، عن نضاله في نجم شمال إفريقيا، ومُشاركته في الحرب العالمية الثانية، بعد حملات التجنيد الإجباري التي فرضتها السلطات الفرنسية، وإخفاء خبر مجازر الثامن من ماي 1945 عن المُجندين، قبل أن يعود إلى الوطن، ويُواصل نضاله، وفي هذه الحلقة الأولى يُعطينا معلومات حصريّة عن بداية تنظيم الفدائيين في العاصمة، وخاصة القبة التي كان مسؤولا عنها، إضافة إلى الاعتداءات التي قادها مصاليون، كما يذكر مُضيّفنا، ضدّ المركزيين، وجماعة الـ22 ومُناضلي جبهة التحرير الوطني، كما تحدّث عن منظمة "الفاد" التي حاولت أن تبعد جبهة التحرير الوطني لتكون هي المُفاوض الوحيد، ويعود إلى أهمّ الأحداث التي ميّزت العاصمة، وكيفية تنظيم المناضلين والفدائيين، منذ اندلاع الثورة، إلى سنة 1960 تقريبا، كما حدثتنا عن فترة السجن، وعن إضراب الـ4 أيام، والإضراب المفتوح الذي انتهى في اليوم العاشر، يذكر لنا "السي حميميد" الأسباب، والتحضير لها، ونعيش معهه المحاكمة التي استطاع فيها أن يُموّه عن عمله النضالي بذكاء. ويدقق الرجل في أهم تفاصيل أحداث العاشر، والحادي عشر من ديسمبر 1960 التي غيّرت مجرى تاريخ الجزائر، وأوضح كيف أن مناضلي العاصمة قلبوا الوضع على شعارات:" الجزائر جزائرية" و"الجزائرية فرنسية" ليستبدلوها بـ"الجزائر مُسلمة".

سيدي، أنت ابن القبة، المنطقة التي أنجبت الكثير من المُجاهدين والفدائيين خلال الثورة التحريرية، فهلا حدّثتنا عن فترة الدراسة؟

أنا مولود في سنة 1921، درسنا من سنة 1927 إلى سنة

1933. جمعونا مرّة لكي نُؤدي النشيد الفرنسي، كنت مع زميل لي اسمه مصطفى إينجا، رفضنا آداءه، وعندما سألونا عن السبب، قلنا أننا لسنا فرنسيين لكي نفعل، فقاموا بضربنا. ثمّ خضعت لمُسابقة لدخول مدرسة التكوين، فنجحت من بين 600 مُتسابق، وفي اليوم الذي كان مُقرّرا أن ألتحق فيه بالمعهد، أوقفني شخص عند الباب، سألني إلى أين أنا ذاهب؟ فأجبت بأنني من بين الناجحين في المُسابقة، فقال ليس أنّ عليّ أن أدفع 400 فرنك فرنسي، قلت لا أملكها، وأبي لا يعمل، لكنه لم يتفهم وضعي، فبكيت، وقرّرت العمل، فاتجهت بداية إلى حي "بولينياك" المعدومين سابقا، ورُحت أطرق أبواب المحلات باحثا عن عمل، كنت حينها في سن الثانية عشر ونصف، إلى أن وصلت إلى شخص يصنع الآثاث، سألني ماذا بإمكاني أن أفعل؟ فقلت أنني مُستعد لأفعل أي شيء..أنظف، أرتب، أوزع الأدوات على العُمّال..ثمّ سألني إن كنت أحسن القراءة، قلت نعم، فطلب مني أن أذهب إلى البلدية، لأحضر دفتر العمل، والتحق منذ صباح اليوم الموالي بالعمل على الساعة السابعة صباحا، وكذلك فعلت، وعملت من سنة 1933 إلى 1943 في ذات المكان.

أنت سيدي من بين الشباب الذين عاشوا فترة عودة مصالي الحاج إلى الجزائر، في 1936 فهل حضرت المُؤتمر الذي انعقد في ملعب 20 أوت ببلكور؟

في ذلك اليوم كنت في (الترامواي) ويومها قُتل المفتي كحول، منذ ذلك الوقت تقريبا انطلقنا في النضال، كنا نعمل في السرّية، كنا نجتمع في بعض الأماكن، كالمقاهي، وغابة القبة، ونُكوّن الخلايا. إذ عندما تمّ حلّ نجم شمال إفريقيا، مزّقنا بطاقاتنا، ولكنّ النضال استمر، إذ بقينا نعمل في جريدة الأمة، نُوزّعها، إلى أن أُعتمد حزب الشعب الجزائري سنة 1937، فصرنا نعمل بحرية... أو شبه ذلك.

لدى اندلاع الحرب العالمية الثانية أصدر حزب الشعب تعليمة بعدم تلبية النداء، فكيف كان يتمّ التجنيد؟

فعلا، عندما اندلعت الحرب العالمية الثانية منعنا حزب الشعب من التجند في صفوف الجيش الفرنسي. غير أنّ السُلطات الفرنسية راحت تُتابعنا، وألقت عليّ القبض في أكتوبر من سنة 1943، في جامع اليهود، كما كان يُسمى، فقيّدتنا بحبل، وكنا في جماعة من

الشباب، نقلونا إلى ساحة الشهداء، جمعونا هناك لكي نستقلّ الترامواي إلى البريد المركزي، ومن هناك نقلونا إلى الأنفاق المعزولة بتافورة. أذكر أنّهم جمعوا هناك الكثيرين، وحتى بعض المُصابين. أمضيت هناك 17 يوما لا أنساها أبدا في حياتي، ذلك أنه مكان جهنمي. وبعد ذلك نقلوني إلى الثكنة التاسعة عشر "جيني" ثكنة الهندسة العسكرية في حسين داي، وأجبرونا على ارتداء البدلة العسكرية، لكي ينقلونا إلى جبل الورشنيس، حتى نعمل. وبعدها أعادونا إلى "جيني" وأخبرونا أنه علينا أن نُسافر إلى فرنسا لنُحارب. ولأنني كنت قدّمت ملفا شاملا يحتوي طلب إعالة عائلتي، طلبت أن أقابل العقيد غاري في حسين داي، ففعلت، ودخلت مكتبه، وسألني ما خطبي؟ قلت أنّ لديّ عائلة أعيلها، فعاد وسألني:"وفرنسا من يدافع عنها؟" فسألته بدوري:"وعائلتي من يعيلها من بعدي؟" فلم يفعل سوى أن تمنى لي الموت في الحرب، وانتهت المقابلة... وفعلا، أجبرونا على ارتداء بدل الحرب، واستقلينا القطار مُتجهين إلى وهران، ثمّ ركبنا باخرة كبيرة، وكنا مُقسّمين إلى طبقات:أصحاب البشرة السوداء في الأسفل، ثمّ نحن، ثمّ الايطاليون والألمان المسجونين، ثمّ الفرنسيون. وسارت الباخرة حوالي الثلاث ساعات، ولكنها توقفت وعادت بسبب إنذار، ثمّ عادت وسارت، ونقلتنا إلى مرسيليا، ثمّ "فالداون" وهناك أعطونا عدّة حرب جديدة، ثم نقلونا مباشرة إلى جبهة الحرب في "ديوبريساك" و"مسترشايم" وغيرها.

سيدي، بما أنكم لم تتجنّدوا في الجزائر، ألم تتلقوا تدريبا قبل الخوض في الحرب؟

لا. ولكن عملنا بالأخص كان قطع الويدان بالقوارب، ثم نقوم بالتهيئة، كما كان هناك الطابور المغربي، مجندون متطوعون، يملكون حق السلب، أي أخذ كل ما يعثرون عليه في طريقهم. ونحن كنا في الغابة، وانطلق الرصاص، والمدافع، بيننا من جرح، وآخرون ماتوا، وكان العرب يصرخون أن لا إله إلا الله، محمد رسول الله، أمّا الفرنسيين والأمريكيين فلم يجدوا ما يقولونه، فراحوا يرددون:"نحن أيضا"! أمّا أنا فهربت، وعثرت على واد صغير، سقطت فيه فأُغمي عليّ، ثمّ عدت إلى المخيم، وفي الصباح، ارتديت بدلة أخرى، ولطختها بالتراب والماء، كما لو كنت لم أهرب من المعركة التي لا ناقة لي، ولا جمل فيها. وعندما

التقيت بالرفاق أخبروني أنّ كثيرا من الفرنسيين ماتوا، وبعض المسلمين أيضا. وفي صباح اليوم الموالي قدم مدرع أمريكي، فحكم تلك الثكنة التي كانت تطلق المدافع باتجاهنا، فهرب الألمانيون، وعندما انتهت الحرب في 8 ماي 1945 أخذونا لنرمم الجسور، ذلك أن الفرنسيين كانوا يريدون أن يسلبوا من ألمانيا كل العتاد، والمؤونة، والسلاح، وما يقدرون على حمله. ثمّ وضعونا في مراكز حراسة، وبعدها نقلوني إلى منطقة اسمها "باتسارجيش" حيث قيادة القوات الأعلى للكتيبة، وكان كل من فيها جزائريون، قادمون من كلّ المناطق، قلت لهم أنني صرت مسؤولا، وعلينا أن نضمن الحراسة حتى لا يُعاقبونا، قالوا لي أن لا مُشكل. كنا نضمن الأمن، وأحيانا ندافع عن الألمانيين الذين يشتكون لنا اعتداءات الطابور المغربي، الذي يملك حقّ السلب. وعندما تمّ تسريحي، استقليت القطار من "كايزر سلوتن" إلى مرسيليا، ثمّ ذهبنا إلى "الجيني" وهناك جرّدونا من ثيابنا، وكانت تلك أوّل علامة شكر قدموها لنا على مُحاربتنا في صفوف الجيش الفرنسي.

هل كنتم على اطلاع بأحداث الثامن من ماي 1945 وأنتم هناك؟

لا، كنا نجهل ما وقع، وفي باريس كان هناك الاحتفالات، واستغربنا أنهم سارعوا بحسب المؤونة منا، وتجريدنا من السلاح والرصاص، بحجة أنه لا حاجة لنا للسلاح بما أن الحرب انتهت، نحن لم نفهم هذا التصرف، ولكنهم على الأرجح خشوا أننا إن علمنا بالمجازر التي ارتكبوها في الجزائر، لكنا فجرنا الثورة في ألمانيا أو فرنسا، ذلك أننا كنا قرابة الـ60 ألف جزائري في الجيش الفرنسي الأوّل، بينما لم يتعد عدد الفرنسيين الـ40 ألف. أي أننا كنا نشكل الأغلبية، ولو سمعنا بتلك الأحداث لكنا تمرّدنا، لكنهم نجحوا في التكتم. أما نحن فحصلنا على وثيقة تسريحنا في شهر جانفي من سنة 1946، واستقليت الترامواي، وعدت إلى الوطن، وحينها علمنا بما حدث...

هل عدتم للالتحاق بالنظام؟

أجل، حدث ذلك مباشرة بعد عودتي، إذ انخرطنا في حزب الشعب السري، وكنا نجتمع سرا، إلى أن حان موعد الانتخابات، وكنت من بين الشباب الذين أرسلهم حزب الشعب إلى كامل مناطق الوطن ليحثوا الناس على التصويت، ولكن كان هناك

تضييق كبير علينا، فأنا، مثلا، انطلقت من القبة مع 12 مناضل، وصل نصف عددنا إلى البويرة. وبعدها التحقنا بالمنظمة السرّية، فرغم أنني كنت مريضا، ولم أكن قادرا على الانخراط فيها، إلاّ أنني صرت مسؤولا عن المنظمة المدنية وبالتالي انتقاء المناضلين الذين تتوفر فيهم الكفاءات للالتحاق بالمنظمة.

ما هي تلك الكفاءات التي كنتم على أساسها تختارون المُنخرطين في المنظمة السرية؟

نختار المناضلين الذين نعرفهم، ونعرف انخراطهم في الكفاح المسلح، وإصرارهم على مواصلة النضال، كما نختبر قدرتهم، وكنا نمنح البعض منهم سلاحا، على أساس أنه مشحون، ولا يكون كذلك، ونطلب منه أن يطلق النار على صديق له، نقول أنه خان الجبهة، مثلا، فإن فعل، نعلم أنه قادر على التضحية بأيّ شيء من أجل قضيته. وعندما انكشف أمر المنظمة السرية، وألقي القبض على مئات المُناضلين، أحضر المناضلون كما من الأسلحة، وأخفيناه لدى عائلة يحياوي، وبقي هناك من سنة 1950 إلى سنة 1954، تاريخ اندلاع ثورة أول نوفمبر.

سيدي وقعت صراعات، واشتباك وقتل بين المصاليين والمركزيين في العاصمة، فمن كان الطرف المُبادر بالاعتداء على الآخر؟

قبل أن يخبرونا بما وقع نعود إلى سبب الخلاف، وهو أنّ مصالي الحاج أراد أن يستولي على قيادة الحزب لوحده، وهذا غير معقول، بعد الخلاف بمدة اجتمعنا في قاعة سولفيرينو، في شارع "الالير" وهناك أطلعونا على الوضع، وخلفية الخلاف، نحن، المركزيون، لم نوافق على أن يكون مصالي الحاج رئيسا مدى الحياة، لأنه ليس نبيا، والله مع الجماعة، ولم ينته الاجتماع حتى بدأ الشجار، وبادر ما صار يسمى بالمصاليين بالاعتداء علينا، خاصة وأننا كنا أقلية، ثمّ كونوا جماعات وصاروا يُنظمون اعتداءات علينا، وكنا نحن في القبة مركزا للمركزيين. كان المصاليون ينتقلون في جماعات مكونة من 60 شخصا من ساحة الشهداء، يأتون خصيصا ليعتدوا علينا، حتى أنهم اعتدوا بالسكين على بدر الدين رجيمي، كانوا أشخاصا لا يؤمنون لا بالحرية، ولا بالإسلام، ولا شيء...ليس على لسانهم إلاّ اسم مصالي الحاج. وعندما علم المصاليون بأمر جماعة الـ22 كثفوا من اعتداءاتهم، وضربوا رابح بيطاط، فيما هرب محمد بوضياف، فاتصلت بنا،

نحن مناضلو القبة، جماعة الـ22 لكي ننجدها، فذهب الإخوة عبد السلامي، ومحمد فلاح، وآخرون قصدوا حي "شارت" في شقة تقع فوق مقر فريق مولودية العاصمة، فحطموها، ومنذ ذلك الوقت، وحتى تاريخ الفاتح من نوفمبر 1954 لم يخش الـ22 من المصاليين.

حسنا كيف تلقيتم نبأ تفجير ثورة الفاتح من نوفمبر؟

كان هذا في الفاتح من نوفمبر، فتحنا الجرائد، فاستغربنا الأمر، نحن الذين رافقنا الـ22، ولكن لم يعلمونا بما يخططون، فالسر كان محكما، وفي 6 نوفمبر جاءنا عثمان بلوزداد، وكنت مع محمد داب أمام محل الحاج آكلي، جاء ليجس نبضنا، وأذكر أننا قلنا عوض أن نتقاتل مع المصاليين أولى أن نقاتل فرنسا. ثمّ قبضوا عليه، وعلى بوعجاج، ومرزوقي.

أنتم رافقتم جماعة الـ22 وكنتم توفرون لهم الحماية، فلماذا لم يعلموكم بتاريخ الفاتح من نوفمبر؟

لا، كان هذا سرا، لم يكن أحد يعرفه، إلا ندير قصاب، وهذا الأخير لم يتحدث لأحد، كان هناك مُناضلون حرسوا الـ22 ولكنهم لم يسالوا عن سبب الاجتماع.

الم يتّصلوا بالمصاليين؟

لا، بطبيعة الحال، لأنهم كانوا يقاتلوننا، ولا يمكن أن يقفوا في صف الثورة، اعلم أنه من أصعب الفترات التي عشتها في حياتي هي تلك التي كنا نحارب فيها المصاليين، واستمرت حتى ديسمبر من سنة 1954. أما مصالي فقد وضع ملفا لاعتماد حزبه في شهر ديسمبر من سنة 1954، أسماه الحركة الوطنية الجزائرية، ووافقت فرنسا على الفور على طلبه، لأنها كانت ملمة بالانشقاق الواقع، وتلك الحركة هي التي خلقت لنا أمثال الجنرال بلونيس، رغم أنّ جماعة الـ6 الذين اجتمعوا في فيلا ندير قصاب في 10 أكتوبر 1954. لم يطلبوا الاعتماد من فرنسا، وإنما الانشقاق عنها. وحاول المصاليون أن يقلبوا الوضع في سنة 1961 بعد أن استدعى ديغول مصالي الحاج للتحاور معه، فرفض، ولامه بعض المصاليين القدامى على هذا، وتساءلوا عن سبب رفضه، وقرروا أن يحاربوا جبهة التحرير الوطني، أي أنهم صاروا خائنين مثل خليفة بن عمار، ولمين بلهادي، الذين كانوا مع مصالي في فرنسا،

فجاؤوا تحت إشراف العقيد الفرنسي بوتيه، وراحوا يعتدون علينا، وأسموا حزبهم الجبهة الجزائرية الديمقراطية "الفاد"، وراحوا يغتالون الشخصيات المنتمية لجبهة التحرير الوطني والمعروفة في العاصمة، مثل زبيري، الذي خرج لتوه من المحتشد، وباسطا، وبوطرية، وبن دالي، وكانوا سيقتلون شبشب.

كيف تمّ القضاء على هذه المُنظمة؟

كثير من الناس لا يعرف قصّة "الفاد" واعلم أننا استطعنا تدميرها بالصدفة، ذلك أن حسان باي، وهو ابن الحراش، كان معهم، ثم تراجع، وفكر في أنّ مسيرته النضالية كلها كانت في خدمة الوطن، قبل أن يجد نفسه يتعامل مع الفرنسيين، وأراد أن يعود إلى جبهة التحرير الوطني، فقال له الهاشمي تواتي أن يفعل ذلك ولكن سرّا، ويبقى يحضر اجتماعاتهم لكي ينقل الأخبار للجبهة، وبهذه الطريقة تمكنا من تفكيك الجبهة الجزائرية الديمقراطية، وإلاّ لكانت خطورتها هددت استقلال الجزائر بكلّ تأكيد ولا يعلم النتائج إلاّ الله، ولكن دماء الشهداء دائما لا تذهب هباء.

حسنا، مُباشرة بعد الفاتح من نوفمبر من سنة 1954 ألقت فرنسا القبض على الكثير من قدماء حزب الشعب، خاصّة. كيف تصرّفتم، أنتم مناضلو العاصمة، لتنظيم الفدائيين القدامى والشعب؟

رحنا ننظم، ونتصل بالفدائيين، خاصة بعدما استشهد الكثير من جماعة الـ22، وقبض على الباقي، وأقول لك أنّ الكثير من المركزيين من أبناء القبة كانوا الأوائل الذين التحقوا بالجبال، مثل الإخوة عبد السلامي، ومحمد فلاح، هذا الأخير أصيب في البليدة، برصاصة، فدخل المستشفى، وعالجوه في فرانس فانون، فصار يُعاني من نقص في الذاكرة بنسبة 80 بالمائة، بحسب تقرير الطبيب المُعالج، ولما خضع للمُحاكمة تحصّل على البراءة، وأوّل ما فعل أن جاءني يطلب إذنا بمرور، ولكنني رفضت ذلك أنّ (الآفلان) كان قد أمر أن لا نقبل انضمام الأشخاص الخارجين لتوّهم من السجن، خوفا من أن يكونوا تحت إمرة فرنسا، ولا بد أن يخضعوا لمراقبة 3 أشهر على الأقل، وقلت لفلاح أن عليه أن يرتاح فعلم أنني لا أريد أن أمنحه الإذن، لأنه يعرف القانون، فاتجه لوحده إلى الجبل، ثم أصيب ثانية، ثم ذهب إلى تونس، ليعود

سنة 1960 مع بن محمد، وبولوح، وبن الشريف، أما فلاح وبولوح فقاتلا إلى أن استشهدا، وأمّا بن شريف وبن محمد فرفعا أيديهما. أما أنا ففي 11 ديسمبر 1956 مرضت بالسل بنسبة إيجابي 95 بالمائة، فأخذوني إلى عيادة بوفريزي، وبعد معركة العاصمة صيّرت العيادة نقطة التقاء، خاصّة وأنّ اليهود كانوا يُسيّرون العيادة، ولا يهتمّون بحركتنا ما دمنا لا نؤذيهم، ومحمود عدنان كان مسؤول الأمن، وهو من سهّل لنا الأمور. وبعد معركة الجزائر نهاية 1957 في العاصمة، تحطّم النظام، جاءني مناضلون هاربون، فقمت بجمع شتاتهم، ووضعت لهم رئيسا، عبد الحليم مازوني، وعندما قبض عليه، وقبض على أخي وصهري، أعطيت تعليمات للمناضلين "أن لا يتحدّثوا عن عمي أحمد" لأنني كنت أعرف الجميع، والوحيد القادر على إعادة التنظيم، وهناك من ذهب إلى بلاد القبائل، والعقيد عميروش لم يعلم ماذا يفعل، فهم يحتاجون إلى أكل، ولباس، وشرب، وسقف، قال أنّ عليهم العودة إلى العاصمة، فعاد البعض نهاية 1957.

كيف تمّ القبض عليكم؟

سبق ذلك أحداث كثيرة، منها ما وقع للمنضالين: عبد الرحمن زويوش، الذي كان يقود سيارة بها كلّ من خلفية بوخالفة، وأحمد شيشة، وكان يجلس إلى جانب زويوش في الأمام حراق بن كريتني. كانوا سيمرّون من حاجز أمني في المنطقة المُسماة "التنس" بباش جراح، أوصوا حراق أن يمرّ مشيا على الأقدام، فإذا ما كان هناك حاجز أمني يُواصل طريقه إلى مخبأ بوبصيلة، أما إن لم يكن الحاجز الأمني فيُشعل عود كبريت، ليمرّوا. وفعلا ذهب، وكان هناك الحاجز الأمني، فواصل طريقه دون أن يشعل عود الكبريت ما يعني أن الحاجز الأمني موجود، غير أنّ باقي المُناضلين الذين كانوا في السيارة طلبوا من زويوش أن يسير، فحاول إقناعهم بخطورة أن يفعلوا ذلك، ولكنهم أجبروه، وهم أرادوا أن يشتبكوا مع عناصر الأمن الفرنسي، ففعل زويوش، ومروا من الحاجز، وأطلقوا النار على عناصر الشرطة، ولم يُقبض ولو على واحد منهم، غير أنّ السيارة تعطلت، فتركوها وغادروا. وعندما فتشتها الشرطة بعد الحادثة عثرت على أوراق تثبت أنها ملك لزويوش، رغم أنّ المناضلين في العادة لا

يستعملون سيّارات تحمل أسماءهم إن كانوا ينوون القيام بعملية ما، ولكن تلك العملية لم تكن مُدبّرة. وبعدها اختبأ زويوش عند مُناضلين في سانتوجان (بولوغين حاليا) لكنّ الشرطة الفرنسية عثرت عليه، فقبضوه، وقبضوا على عشرات المُناضلين بعدها، أمّا أنا فكنت في عيادة بوفريزي عندما قبضوا علي إلي، قدموا للقبض علي في 11 ديسمبر 1957، وعندما صعدت في السيارة كان هناك زويوش في حالة يرثى لها، لكنني لم أعرفه في البداية، خاطبني الضابط الفرنسي قال لي:"أنت ذكي، ولكن تنقصك الثقافة" فأجبته:"شكرا على الإطراء، أما بالنسبة للثقافة فأعترف بأنني لست مثقفا، لطالما كنت أسكن في كوخ، ولم يكن لدينا شيء، فكيف تريدني أن أكون مثقفا؟".

هل تمّ تعذيبكم؟

لا، في كل مرة كنت أنجو فيها من التعذيب، لم يضربوني، ولا مرة. أدخلوني إلى قاعة، ودعوت الله أن أبقى شُجاعا، كان هناك 10 أشخاص، نظروا إليّ، ونادوا جنديا، وطلبوا منه أن يُريني قاعة التعذيب. ثمّ نقلوني إلى غرفة فيها سدّة ولوحة مصنوعة من الخشب، وكانت الجرذان من تحت تلتهم الحطب، وبقيت هناك شهرا كاملا، لا أرى الضوء. وبعدها أخرجوني لكي يتمّ استجوابي، فكنت أسمع صوت المُناضلين يتنادون بينهم:"من أنت؟...من أنت؟..." فعلمت أنه قد تمّ القبض على الجميع، أو الكثيرين. عندما وصلت إلى المكتب، استدعى محافظ الشرطة رجل اتصال، كان يزورني في العيادة، سأله:"هل تعرفه؟" وكان يقصدني، فأجابه على الفور:"إنه عمي احمد، رئيس منطقة القبة" فانتظروا مني أن أشرح، فقلت أنّ هذا الرجل أتى إلى العيادة، وعندما رآني تحدّث معي، وسألني إن كنت من القبة، قلت نعم، وتحدّثنا إلى أن أخبرني بأنّ لديه أموال جبهة التحرير، ولا يعلم ماذا يفعل بها، ورغم أنه لا دخل لي بالموضوع، إلاّ أنني خشيت أن يُموّل بها الجناح المُسلح لجبهة التحرير والإرهابيين، فطلبت منه أن يُوزّع تلك الأموال على العائلات الفقيرة، حتى منها من يتواجد أبناؤها في الجبال، قلت كل هذا لكي أتفادى الحديث عن السلاح، فهي أكبر جريمة، وكذلك كنت أوصي المُناضلين، خاصة الشباب منهم، أقول لهم أن يتفادوا الحديث عن العمليات المُسلّحة، ويُمكن أن يُموّهوا برواية قصص

مثل تلك التي اختلقتها خلال الاستجواب. وبعد الاستجواب، تركني هؤلاء مع رجل الاتصال ذلك، وبقي شرطي مُتخفيا ليسترق السمع، فتحدّث إليّ الرجل باللهجة القبائلية، قلت له:"لا تتحدث عن الحديد والرصاص" فخرج الشرطي، وسألني عن الحديث فقلت أنه يشتكي لي من سُوء مُعاملتهم...وفقط". ثم نقلونا إلى الأقبية الثلاثة بالحراش "تروا كاف" وجاء دركيون للبحث عن زويوش، وكان معنا، توعّدوه بالانتقام لزميلهم "بالبو" الذي قتل في حادثة السيّارة، فتدخّلت أنا، وقلت أن لا علاقة له بالحادثة، وأن ليس لهم إلاّ دليل وثائق السيارة، وأخبرتهم أنه قاد السيارة تحت التهديد، كما قلت لهم أنه تمّ القبض عليّ عن طريق الخطأ، وأنني حملت أوسمة قبل أن يحملها هو، في إشارة مني إلى مُشاركتي في الحرب العالمية الثانية، وعندها نادى ذلك الدركي رفاقه، وقال أنّ بين المسجونين رجلا شارك في الحرب العالمية الثانية، فلم يمسّونا بسُوء، ونجوت، ونجا زويوش، ومن كانوا معنا، على الأقل إلى حين. أمّا عبد الحميد بوخالفة فعذّبوه باستعمال الكهرباء، وكادوا يقتلونه، حتى أنهم أتوا به منهكا، وقرأ له زويوش القرآن فارتاح قليلا. وبقينا هناك 45 يوما، منذ القبض علينا، أما في الأقبية الثلاثة فبقينا 15 يوما. قبل أن ينقلونا إلى سركاجي، حيث خضعت لفحوصات طبيّة، والطبيب الذي فحصني نفسه الذي كان يُشرف على علاجي في عيادة بوفريزي، وهو دكتور "لافون" فقرّر أن أبقى في قاعة مرضى السل حتى لا أنقل العدوى بين المسجونين، وكانت القاعة واسعة، ومُحترمة، وبها أسرة، ودواء، ولأنني تعلمت الحقن، وإعطاء الدواء، صرت مشرفا على المرضى، بل المسؤول عنهم وعن القاعة، إلى أن استعاد الجميع عافيتهم، حتى أنّ الصليب الأحمر عندما حضر لرؤية المكان تفاجأ بكون المسجونين في صحة جيدة، وعندما سألوني، أخبرتهم أنه يكفي أن يتركونا لشأننا فنستعيد عافيتنا. وبقينا كذلك إلى أن أحضروا مرّة النقيب الصادق سعيدي، وهو من قُدماء الجيش الفرنسي، إذ قضى فيه 30 سنة، وعندما تمت محاكمته، استجوبه القاضي حول انخراطه في جبهة التحرير، والتحاقه بما يسمونه المُتمردين، رغم أنه أمضى أكثر من نصف قرن في خدمة الجيش الفرنسي، فأجاب أن العظام التي بقت في جسده مستعد لأن يفنيها في خدمة الجزائر، هو أيضا أحضروه إلى

العيادة، فتعرّفت عليه، ورحت أتحدّث إليه حول الثورة، ومصيرها، فوشى بي أحد المرضى، فنقلوني إلى قاعة المسجونين العاديين. وهناك تقرّر أن أصبح ريس لجنة السجن، رفضت في البداية خاصة وأنني مريض، ولكنهم أصروا، فوافقت. ووضعت نظاما خاصا بالسجناء، وكنت أعمل على أن يكون كل شيء عادلا، وأن لا يكون فرق بينهم، غير أنّ البعض أراد أن يفرض قانونه الخاص، ولا يشارك في التنظيف، فتشاجرنا، ولكن الأمور انتهت بخير.

حسنا كنتم في السجن من الفترة 1957 إلى 1960 حيث كانت هناك إضرابات عن الطعام في سجن سركاجي، كيف كان يتم التنظيم لها، والتنسيق بين المساجين، خاصّة وأنه من الصعب بمكان الاتصال بينهم؟

أنا شهدت إضراب الـ4 أيام في سجن سركاجي، ونجح الإضراب، غير أنّ الإدارة قالت أنها سترضخ لطلباتنا إذا ما أوقفنا الإضراب، وقبل أن يفعلوا حذرتهم من أن تكون تلك مناورة، فاليوم الموالي كان مصادفا للفاتح من نوفمبر، وكان يوم عطلة، حيث تحضر العائلات المؤونة، وإن أوقفنا الإضراب سيذكرون أننا فعلنا ذلك لكي نتلقى تلك المؤن، وحذرتهم من مغبة ذلك، فقالوا أن عليّ الرضوخ لأوامر جبهة التحرير، ففعلت، وفي الغد قدم الصليب الأحمر، وفكروا في أننا أوقفنا الإضراب لاستقبال المؤونة، ولكنّ نصر الدين باحة، وعلي مازة قالوا بأنّ العساكر قدموا ورموا بها إلينا دون أن نطلب ذلك. وفي إضراب الـ10 أيام، كان مصطفى فتّال مسؤول السجن، وكان الكثير من المسجونين غير مُوافقين على الإضراب، وضدّ مصطفى فتال. إلاّ أنني قلت أنّ عليهم الرضوخ، ذلك أن الأمر آت من الجبهة، ورفض أوامر الجبهة يُمكن أن يتحوّل إلى فتنة وعصيان نحن في غنى عنهما، وفي اليوم الثامن لم يبق لنا لا ماء ولا سكر، وفي اليوم العاشر جاءت قوّات الشرطة وأخرجتنا من السجون بالقوّة لكسر الإضراب، وهناك تقسّمنا، بين من يدعو إلى مواصلة الإضراب، ومن يدعو إلى إيقافه، فتفطّن أحدهم إلى فكرة، وهي القول بأن الإضراب مُدّته 10 أيام، وها قد نجح، لتفادي الفتنة، رغم أنّ الإضراب كان مفتوحا. وكان هناك إضراب آخر، تصادف مع يوم خروجي من السجن، إذ صدر الحكم بخروجي، وعندما عُدت من المُحاكمة إلى السجن لكي أجمع ملابسي، قالوا لي أنّ عليّ أن

أعلن عن الإضراب، قلت لهم أن يكلّفوا آخر ليفعل، فأنا سأخرج، ولكنهم أصرّوا علي، فقلت لهم أنني سأقابل مصطفى فتال وأخبره، وما إن خرجت حتى التقيت به بالصدفة، وكان مع المحامي، أخبرته بالوضع، وأنّ عليه أن يتولى مسؤولية الإضراب، خاصّة وأنني سأخرج من السجن، وخرجت.

حسنا ماذا عن المُحاكمة التي سبقت خُروجكم من السجن؟

كنا نقف الواحد بعد الآخر أمام محكمة السجن، وجاء دوري، وسألوني عمّا إذا كنت أفضل أن يستجوبوني، أم أن أشرح وضعي لوحدي، فاخترت أن أشرح لوحدي، وقلت أنني كنت مريضا في المستشفى، وجاءني بعض الشباب، خشيت أن يتورّطوا مع الإرهابيين، ولم يسمح لي ضميري أن أتركهم دون أن أنصحهم، فقلت لهم أن يُوزّعوا الأموال على عائلات المُتمردين، أي نفس القصة التي اختلقتها في البداية، وفي نهاية حديثي قلت أنهم إن كانوا ينوون أن يتركوني في السجن لهذا فليفعلوا. وحتى المحامي الذي كان مكلفا بالدفاع عني خليفة كراد، قال لهم أنني مريض، واستحضر ماضيّ في الجيش الفرنسي، ومشاركتي في الحرب العالمية الثانية، فحكموا عليّ بسنتين، وأنا كنت أمضيت سنتين ونصف في السجن، فخرجت، وكان أخي ينتظرني، غير أنّه تقرر نقلي إلى بني مسوس. وخرجت من سركاجي في 13 ماي 1960، ومكثت في بني مسوس 35 يوما، ثم خرجت، وبداية من نهار اليوم الموالي رحت أبحث عن كيفية لاستعادة النشاط.

بعد معركة الجزائر تجمد النشاط في العاصمة إلى سنة 1960 حيث كانت هناك بعض العمليات المُسلحة، فهل كانت تلك العمليات معزولة، أو أنّ العاصمة أسّست لتنظيم قوي؟

بعد قانون ديغول مُنتصف سنة 1960 أطلق الكثير من المُجنّدين الذين شاركوا في الحرب العالمية الثانية، من أنهى مُدّته يخرج، ومن لا يزال يُخفف عنه الحكم، وهكذا. وبهذه الطريقة خرجت أنا، وخرج كلّ من تواتي الهاشمي، وهو صهري، وكذا محمد الربيع، وهم مُناضلون قدامى على إطلاع بالنظام في العاصمة، وبهذا بدأت الأمور تتحسّن، والنشاط يعود تدريجيا. وبدأنا في تنظيم الأحياء، إذ اجتمعت في القبة مع مزرب لعمري، المُلقّب بالسي صالح، ورابح شملال، هذا الأخير كان معي في سجن سركاجي،

فعينته مسؤولا سياسيا في رويسو، وسي صالح مسؤول الفدائيين (رويسو، القبة، حسين داي) وقرّرنا أن نجمع الفدائيين. وأقول لك أنه في تلك الفترة لم تكن ولا شخصية تاريخية واحدة موجودة في العاصمة، لم يكن إلاّ قدامى الفدائيين، ولهذا أرسلنا للولاية الرابعة لكي يُرسلوا ضباط جيش التحرير. وذلك ليكون لمجيئهم وقع بسيكولوجي حسن على المُناضلين والشعب معا، فأرسلوا روشاي بوعلام، السي الزبير، والسي محمد.

كيف تمّ التحضير لمظاهرات الحادي عشر من ديسمبر؟

لا، أبدا، الصدفة، ووعي المُناضلين هو الذي غيّر مجرى التاريخ، فالجنرال ديغول في 9 ديسمبر كان في عين تموشنت، فاحتجّ المُعمرون على سياسته، فعمل على أن يخرج الجزائريون هناك، ويُنادون:"الجزائر جزائرية" فقلب الوضع على المُعمّرين، وأراد أن يفعل نفس الشيء في العاصمة، ولو أنه تلقى تحذيرات من المُعمرين بأنهم سيُحرقون العاصمة إذا ما فعل، فاختار أن يُعيدها في بلكور.

لماذا اختار بلكور بالتحديد؟

لأنه في ذلك الوقت كان بها الكثير من الحركى، وكذا القائد برنارد الذي كان مُتواجدا في بلكور منذ سنة 1956 ويعرفها جيدا، وهو من روّج الدعاية لديغول في بلكور لشعار:"الجزائر جزائرية" وهي السياسة الديغولية التي رمت بالكثيرين في الخطأ، إذ لم تكن إلاّ القوّة الثالثة التي اختلقها ديغول، ولكنّ مُناضلي بلكور غيّروا مجرى المُظاهرة، وحوّلوها لصالحهم، وراحوا يُنادون أنّ:"الجزائر مُسلمة" والجزائر المسلمة هي التي قضت على أطماع ديغول. أمّا في 11 ديسمبر فكان الشعب قد تخلّص من خوفه، وكنت في القبة عندما جاءني المُناضلون يستشيرونني فيما إذا صحّ إطلاق المواطنين، قلت لهم أن ينتظروا 10 دقائق أخرى، ثمّ عادوا، فقلت أن نعم على أنّ يتفادوا مركز القبة لأنّ هناك الكثير من المُعمرين وأنّ الحراسة مُشددة، وبعدها طلبنا ضُباطا من جيش التحرير، فأرسلوا لنا ثلاثة آخرين، وهم أحمد بناي، المعروف بالسي جمال، وعمر اورمضان، المُلقب بالسي خير الدين، والصادق بورقعة. ولكنهم عادوا وألقوا القبض على الكثيرين منا، فبعد أن قبضوا على السي جمال، والسي خير الدين الذي أصيب وبقي فاقدا للوعي، ثمّ

أعطيت أسماء تحت التعذيب، فقبضوا في اليوم الموالي على الكثيرين، منهم تواتي الهاشمي، ومصطفى بلونيش، وأخي الأكبر رشيد عقبان، أمّا تواتي النوي فأرسل لي من يخبرني بأنّ الهاشمي، أخوه، ألقي عليه القبض، ففهمت أنّ عليّ التخفي، ودّعت أمي، وغادرت. اتصلت بمحمد الربيع، الذي كان على رأس القصبة، وأخبرته أنّ هناك حملة توقيفات، وأن لا يعود إلى القبة، وجاءني محمد داب، واتجهنا إلى مزرعة الإخوة سعد الدين، ثمّ مسبكة بوعلام بورويبة. وفي الصباح استيقظت "اللا زبيدة" وهي مُناضلة، لم أكن أعرفها، يُلقبونها في وهران بعائشة البداسية، 2 من أبنائها كانوا مسجونين، قالت لنا أن نستيقظ، وطلبت منا، أنا وزوجها أنها ستسبقنا، فتبعناها، أخذتنا إلى مسكنها في البيت الأحمر "ميزون روج" التي تقطن بها، ولكن في الليل تُغادرها لتنام عند بورويبة، فقالت لي أن أبقى مُختفيا هناك، فبقيت، إلى أن جاء عبد القادر شطوان، المدعو قدور "بومبا" هو ملاكم مُحترف هرب من الشرطة الفرنسية، بعدما ألقوا القبض على مصطفى بلونيش، وقفز من السور، مُتجها نحو سطيف، عند عائلة شتوان، ثمّ عاد إلى العاصمة، وعندها أتى به محمد السعيد هني إلي، ووفّر لنا الاتّصال مع بعض. وبقينا، كما قدّمت لك، في بيت البداسية إلى أن اتصل قدور، الذين كانت له علاقات كثيرة، اتصل بالحاج الزبير في الحراش، ثمّ اتجهنا إلى شخص يُدعى جيجلي في واد اوشايح، وعندما قبضوا على مختار الحاج الزبير، وأبناؤه الأربعة، طلب من زوجته أن تأتي لتنذرنا، فجاءت زوجته بالسيارة، وقالت أن علينا أن نغادر، فلم نسر 500 متر حتى وصلت الشرطة في إثرنا، وألقوا القبض على جيجلي. فأخذنا موح السعيد عند شخص يُقدس المُجاهدين، في "لوتيسمون ميشال" لنختبئ عنده، وفي الليل أحضر موح السعيد مجاهدين آخرين من جيش التحرير، وهما محمد بوسماحة، المُلقب بالبرواقية، والسي صادق، الذي اختفى بعد أن ألقوا القبض على السي جمال، والسي خير الدين. ثمّ جاء الدرك، وراحوا يفتشون الفيلات المجاورة، الواحدة تلو الأخرى، وقف البوراقية، وقال أن ننهض، ونرتدي ملابسنا، حتى إذا ما وصلوا إلينا تكفّل هو بهم، وطلب منا أن نُغادر المكان، فراحوا يقتربون، أمّا الرجل الذي استضافنا فكان فزعا إلى درجة أن كاد يُغمى عليه،

ولكن التفتيش توقف فجأة، فقال لنا البرواقية أنّه علينا أن نختبئ في مكان بعيد عن العاصمة، واقترح أن نتجه إلى ولاية داخلية، ولكن في الداخل لم يكن الأمر أفضل، وطلبنا الخروج إلى تونس. اختبأنا بعد ذلك في ديار الجمعة بالحراش، عند عمار تومازاد، وهو رجل مُرتبط بفرنسية، كان يُهددها إذا ما أفشت السرّ أن يذبحها، وكان ابن أخيها عسكريا فرنسيا، كان يأتي ونحن داخل المنزل، ولكن لم يكشف أمرنا، لكننا لم نطل المكوث، وأمضينا ليلتين عند عنتري بوزار، إلى أن أحضر محمد السعيد الأوراق والأموال، وفعلا، وصلنا فاتجهنا إلى المرسى، وأوصيت قدور الذي ذهب معي أن يحفظ كل المعلومات الموجودة على الأوراق المزورة، ولو أننا استطعنا أن نمر بمعجزة، ذلك أنها كانت تبدو مزورة، ركبنا الباخرة، فاصطدمنا بعميل مخابرات أمنية فرنسي، يعرفني، ويعرف أنني من الجبهة، غير أنه لم يقترب منا، وعندما وصلنا إلى مرسيليا، والتقينا مرة أخرى بنفس العميل، كان مع 6 شرطة مفتشين، اقترب منا، وتحدث إلي، سألني عن مقدمي إلى فرنسا، قلت أنني سائح، لم يصدق، قال أنه يعرفني، ابتسم، وذهب لشأنه. واستقلينا القطار إلى ليون، ثم قطعنا الحدود إلى جونيف بصعوبة، خاصّة وأن الوثائق التي كانت معنا مشبوهة، وكان لدينا عنوان من المفترض أن نقصده ما إن نحل بسويسرا، ولكنه كان مغلقا، فبقينا نمشي أنا وقدور "بوميا" إلى أن التقينا هناك بمحمد بلونيش، فرح بنا، وفرحنا به، واستأجر لنا بيتا، وفي الصباح قدم أخوه مراد بلونيش، وهو بروفيسور، وكذا التقينا بالعقيد السي الصادق دهيلس الذي صار يُسيّر الولاية الرابعة من سويسرا. عرضوا عليّ أن أبقى لمعالجة صدري، لكني رفضت، وفضلت المُغادرة، ثمّ ذهبنا إلى السفارة الجزائرية بروما، وكان هناك الطبيب بولحروف، قدموا لنا تذاكر الطائرة، وأماكن الإقامة، وفي الغد اتجهنا إلى سويسرا، حيث حضروا لنا جوازي سفر تونسيين، فسافرنا إلى تونس، واستطعنا المرور بصعوبة، قابلنا الرئيس بن خدة، وحرمه، وأذكر الملاحظة التي ألقتها حرمه حيث قالت أننا لن نسلم لفرنسا ولو رأس إبرة، في إشارة منها إلى تمسك الجزائر بمطالبها في مفاوضات ايفيان، واقترح علينا المسؤولون هناك أن نعمل معهم، فرفضنا. ثم استدعتنا القيادة العليا، ذهبنا إلى صالح السوفي، حيث حضرنا أوّل هجوم

لجيش التحرير الوطني في مارس 1962 بالمدافع التي زودهم بها فيدال كاسترو، قبل أن تحلق طائرات فرنسا لترد. وقبل وقف إطلاق النار استدعانا العقيد الهواري بومدين، وحاول استمالتنا، ولم يدخلنا حتى إلى مكتبه. ثم سافرنا إلى مرسيليا، ومنها عدنا إلى الجزائر، وتصادف ذلك ليلة القبض على الجنرال ساولون في 20 أفريل 1962.

دخلتم العاصمة في الوقت الذي كانت فيه المُنظمة المُسلحة ترتكب مجازر في حقّ المدنيين، لكنّ فدائيي العاصمة تمكنوا من الرد وقت أعلن فيه وقف إطلاق النار، كيف حدث ذلك؟

أجل، عندما دخلنا العاصمة كانت في حالة حظر تجوال تقريبا، حتى أنّ أصحاب سيارات الأجرة في المطار كانوا يرفضون الدخول إلى العاصمة خوفا من بطشها، ونحن ركبنا مع شخص كان متجها إلى العاصمة، فدخلنا حي المنظر الجميل "جولي في". كان أول رد لجبهة التحرير بعدما جاء القائد عز الدين على رأس العاصمة، إذ نظم 80 هجوما على الحانات، بعد القنبلة التي انفجرت في المرسى. ولكننا فكرنا في أنّ وقف إطلاق النار يعني أن يتوقف الرصاص، ولهذا قررنا أن نرد بطريقتنا، فانتهجنا سياسة الحبل والسكين، كنا نخطف المعمرين، ونذبحهم بالسكين، وفي المساء نسمع صرخات المعمرين:"لم يأت جاك، واختفى بول" وهكذا قتلنا منهم المئات، حتى بدأ المعمرون يفرّون، ويتركون كل شيء وراءهم!

من كنتم تستهدفون؟

كنا نستهدف أولئك الذين كانوا معادين للجزائر، والكثير منهم ارتكب جرائم في حق الجزائريين، ومسؤولي المنظمة المسلحة، مثل معمر بنى حيا، وسينما كتب عليها:"ممنوع على الكلاب والعرب دخولها" كان هذا في سنة 1948، وحينها هددنا كل من يدخلها من العرب أن نقتله، وخلال فترة وقف إطلاق النار تذكر البعض ما كان يفعل هذا المعمر، فاغتالوه بنفس الطريقة...الحبل والسكين.

كيف توقف القتل من الطرفين؟

قائد المنظمة المُسلحة جاك سوزيني قابل شوقي مصطفاي، وقال له أن يتوقف عن الذبح، فرد أن الأمر سهل، وهو بيد

المُنظمة المُسلحة فإذا ما أنهت عملياتها، فنحن سننهي. وفي 1962 استجوبني مختار بوشافة عن سر إعطائي الأمر بعمليات الذبح، أنا كنت في الحي، وسألوني فقلت نعم، ذلك أننا إن لم نردّ على المنظمة السرّية، لكان الشعب انقلب علينا، قلت لهم أنّنا حمينا العاصمة، في وقت غاب فيه أصحاب الخارج، ولم تكن هناك ولا شخصية تاريخية فيها. ثمّ إن القائد عز الدين عندما كان على رأس المنطقة المستقلة أعطى الأمر للهجوم على 80 حانة، وقتلوا 90 معمرا، على الساعة الخامسة مساء، ليلة عيد الأضحى، للرد على قنبلة المرسى، ويستعرض قوة الآفالان.

منعت جبهة التحرير الوطني الغناء وتنظيم الحفلات الماجنة، ولكن بعض مغنيي الشعبي لم يتوقفوا عن آدائها كيف كان رد جبهة التحرير؟

هناك من رضخ لهذا الأمر، وآخرون لم يفعلوا، وحدث أن خرج المدعو بعبوش بعد معركة العاصمة خرج وقال:"كل مولود جديد لن يُولد إلا بـ"التنتانا" ويعني الغناء والطرب، وهذا تكفلت به زوجته التي كانت مساندة للقضية الجزائرية، إذ ضربته مباشرة في ظهره فقتلته. أمّا الحاج محمد العنقى فتوقّف عن الغناء، حسين ذهب إلى تونس، وحاج. وبالنسبة للحاج القروابي فلم يكف عن الغناء وبقي ينظم حفلات في قاعة ابن خلدون من سنة 1959 إلى الاستقلال تقريبا، أو بالأحرى إلى أن كادت الجبهة أن تغتاله في حي لعقيبة بالعاصمة، وكنت حاضرا عندما كان حمداش يستعد لقتله سنة 1962، إذ قيده إلى عمود، لكن أتى من أنقذه في آخر لحظة.

بعد الاستقلال صرتم سيدي رئيس بلدية القبة، من هم الشهداء الذين أعدتم لهم الاعتبار، وأطلقتم أسماءهم على الشوارع والمدارس؟

بعد الاستقلال، صرت رئيس بلدية الدائرة الثامنة، ومنسق فدرالية "الافلان" ولو أن تولي المهمتين لم يكن قانونيا، أما الشهداء الذين أرجعنا لهم الاعتبار هم هؤلاء الذين ضحوا من أجل الوطن، مثل محمد فلاح، محمد الربيع، محمود بوجعطيط، الإخوة عبد السلامي، الإخوة حامية، عبد الحميد خوجة، بدر الدين رجيمي، محفوظ بلخوجة، وبلحداد وغيرهم.

سيدي نحن في خمسينية استقلال الجزائر، ماذا يُمكن أن تقولوه عن الذكرى؟

أقول لك أننا عندما خضنا حربنا فمن أجل الإسلام، وكذلك كان

قرار الفاتح من نوفمبر، وكذا مؤتمر الصومام، قبل أن يأتي مُجاهدو الحدود حاملين معهم بعد الاستقلال شعارات غريبة مثل الاشتراكية والشيوعية والتي لا تمت لا لتقاليد الشعب الجزائري، ولا لدينه بصلة. ولكن كيف ننتظر أن يُمكّن هؤلاء للدّين، وهم الذين فعلوا كل شيء حتى لا ينتصر الدين في 1992؟!

23

المُجاهد عبد العليم مجّاوي

"الدعوة إلى الاندماج كانت خطوة ضرورية قبل العمل المُسلح" [1]

---

1 نشر بتاريخ 30 اوت 2012.

ضيفنا هذا الأسبوع من بين الطلبة الذين فضّلوا ترك الدراسة والالتحاق بالثوّار، ولكن لم يكن هذا هو التحدي الأكبر بالنسبة له، بل أن يتخلى عن طموحاته، ويتخلّص من السلاسل التي قيّدت أفكاره، فكان أن قرر واختار الحريّة طريقا له، وناضل، وسُجن، وعُذب، ولم ينته نضاله باستقلال الجزائر، بل خاض مع الخائضين حرب الحفاظ على السيادة... هو عبد العليم مجاوي، الذي كان جدّه شيخا، ووالده إماما، أمّا هو فمولود في التاسع من شهر جويلية من سنة 1935، بتلمسان في عين الحوت، له كتابان، "هذا البلد هو لنا" صدر سنة 2000 عن دار القصبة يحكي فيه عمّا عاشه في فترة الاستعمار، وعن مُشاركته في الثورة، وكتاب ثاني يحمل عنوان:"العملاق صاحب العينين الزرقاوين" الصادر عن نفس الدار سنة 2007، ويحكي عن فترة الاستقلال، هو الذي كان مُناضلا مع الحزب الاشتراكي" الباكس" وعن الهزّات التي عرفها البلد إلى سنة 1988، وبعد ذلك، ولم تكن شهادات ضيفنا شهادات معمقة، بل يُفسر ما عاشه بنظرة عميقة. استضفنا الرجل، وتحدّثنا معه عن ما عاشه، وعن مُشاركته في الثورة، وهو الذي تأخر في الالتحاق بالطلبة من زملائه في الصعود إلى الجبل، ذلك أنه، قبل أن ينتقل إلى المنطقة الأولى من الولاية الثالثة، هو من كان يُشرف على حصص تربصية تلقى خلالها الطلبة المتطوعين للالتحاق بالجبل تدريبا على تقنيات الإسعاف تمكنهم من الانخراط في سلك مصالح الصحة التابعة للجيش. هذا وحاولنا أن نتصفح معه أهمّ ما حمّله في كتابيه، فكان لنا معه هذا الحوار.

أنتم سيدي من بين المُناضلين الذين التحقوا بالثورة بعد إضراب الطلبة سنة 1956، ولكن ماذا عن بداية نضالكم، وماذا عن عائلتكم الشهيرة التي كان أفرادها من حفظة القرآن؟

عائلة المجاوي عائلة أصلها من تلمسان، ومن أشهر أفرادها عبد القادر المجاوي الذي كان أُستاذا في المدرسة التي أُسّست إبّان الاستعمار، تُدرّس العربية لمُزدوجي اللّغة. وهو من جيل الأساتذة الذين درّسوا ابن باديس، ولو أنه لم يكن أستاذه المُباشر. إلا أنّ العائلة تشتت أفرادها بعد هزيمة الأمير عبد القادر ومنها أجدادي الذين لجأوا إلى جبال "بني وارسوس" بأعالي تلمسان وتمسّكوا بدراسة وتدريس اللغة العربية وحفظ القرآن. فالوالد حفظ القرآن عن أبيه ثم عن شيخ في العطّاف، ثم التحق بالقرويين في فاس. وبعد تخرّجه رجع إلى البلاد وتزوّج، ثم انتقل إلى منطقة عين الحوت بتلمسان، وشارك مع أهلها في تدريس القرآن، والوعظ، والإرشاد. ولقد كنت بكره، حيث وُلدت سنة 1935 في التاسع من جويلية. وعندما بلغت أربع سنوات، رحل بنا والدي إلى "الرمشي" وهناك اشتغل بالتّجارة، وبعدها انضمّ إلى جمعية العلماء المسلمين، وأسّس لها فرعا في نفس المنطقة. رغم الضغوطات التي كانت حينها، حيث أنّ هذه المنطقة بالذات، لم تكن بها أيّ حركة أو حزب سياسي يُمكنه الوقوف في وجه الاستعمار. وأسّس المدرسة المحليّة التي استقبلت أطفالا وبناتا تلقوا فيها تعليما حديثا، وكان الكثير منهم لم يحظ بعد بمقعد في المدرسة الفرنسية، أو كان قد أُقصي منها. وأنا أيضا درست فيها القرآن على يد أبي، الذي أدخلني بعدها في المدرسة الفرنسية، إلى أن تحصّلت على شهادة الطور الابتدائي، ممّا مكّنني من الالتحاق بثانوية "دوسلان" بتلمسان حيث تحصّلت على شهادة "الباكالوريا".

من هم الأساتذة الذين درّسوكم؟

كانوا أساتذة أكفاء، منهم شيوخنا علال، وبن منصور، وقلوش، وآخرون، لقّنونا أُسس العلم، وحضّرونا تحضيرا جيدا للتعليم العالي بالعاصمة، ممّا جعلنا نتفوّق على زملائنا حتى الفرنسيين منهم في الجامعة.

متى وصلتم إلى العاصمة؟

كان ذلك في أكتوبر من سنة 1954، وسجّلت في شعبة الطب.

ألم تكن وقتها مُنتميا إلى حزب سياسي؟

لا. كان شغلي الشاغل طلب العلم...

وما كانت مواقفكم من انطلاق الثورة؟

كنت أميل إلى أفكار جمعية العلماء المُسلمين...

...لكن قبل أن نُواصل حديثنا، قلتم أنّ الوالد كان من بين من أسّس فرعا لجمعية العلماء المُسلمين، وكان مُنضمّا إليها، ألم يكن هناك حديث عن الثورة، المقاومة، الاستقلال، ألم تكونوا تسمعون بكلّ تلك المُصطلحات قبل سنة 1954؟

لا، كان هناك حديث عن كلّ ذلك، ولكن، وبصراحة، قليل من كان يُؤمن بإمكانية الحصول على الاستقلال، ومن كان يُناضل من أجل الحصول عليه كنا ننظر إليه وكأنه مجنون، كان الأمر غريبا ومُستحيلا، أو هكذا كان يبدو لنا، وبماذا نحارب فرنسا ؟ هذا هو السؤال الذي كان يتبادر إلى أذهاننا في كل وقت... فالأفضل أن تتسلح بالعلم خاصة وأنك اخترقت الجدار الذي كان طوق الاستعمار به الجامعة ليمثل حاجزا أمام أمثالك... إلاّ أنه كان هناك من يسعى في السرية والخفاء ليُؤسس للقوّة الوسيلة لنسف لا الجدار الجامعي وحسب بل الجدار الذي تتحصّن به "الجزائر الفرنسية"، جزائر المُعمّرين.

وحتى أنتم لم تكونوا تُؤمنون بفكرة الاستقلال، رغمّ أنّ مصالي الحاج نادى بذلك قبل عشرين سنة من 1954؟

بل حتى بعض أعضاء حزب الشعب لم يكونوا يؤمنون بأن الظروف مواتية لانتزاع الاستقلال.

كيف هذا؟

علمنا بعد زمن أنّ اللجنة المركزية لهذا الحزب وكان الكثير من أعضائها قد عانوا من ويلات االملاحقة والسجن بسبب دفاعهم عن فكرة الاستقلال لم تكن تؤمن بوجود إمكانات للحصول على الاستقلال، صحيح أنّه كان هناك حديث عن التحرر من فرنسا الطاغية، ولكنّ الجميع كان يُفكر في أنّ الظروف لم تهيأ بعد. ففي الوقت الذي وصلت فيه إلى العاصمة للدراسة كانت هناك أزمة كبيرة في حزب مصالي، أو"حزب الاستقلال"، حول مشكل الثورة المسلحة، ونحن في الجمعية كانت أفكارنا مُعتدلة كما كان

يُقال آنذاك.

ما معنى الاعتدال؟

"الاعتدال" مُصطلح أطلقته فرنسا على الوطنيّين الذين كانوا يطالبون بما كان يبدو لهم ممكن نيله من حقوق بالمطالبة السياسية في النطاق الذي كان يفرضه الاستعمار، عكس من كانوا يطالبون بنفس المساواة ولكن في جزائر مفصولة عن فرنسا جزائر يستأصل منها الاستعمار من جذوره. فكانت تسميهم بـ"الراديكاليين"، والكلمة مشتقة من أصلها رسين *racine* أي الجذر.

أي أنّ جمعية العلماء كانت معتدلة في موقفها من الثورة؟

جمعية العلماء، وفرحات عباس،وآخرون، وحتى في حزب مصالي الحاج كان هناك "المعتدل"، و"الراديكالي". ثمّ خرج أصحاب نوفمبر، وقالوا:"لا بدّ من الثورة"، ثم انطلقوا بها فغيروا المعادلة القائمة : "الاعتدال"\"الراديكالية" إذ لم يصبح هناك لا معتدل ولا راديكالي بل اقتنع معظم الناس بإمكانية استئصال الاستعمار. وما الثورة إلا تبيان لذاك الاقتناع بإمكانية استئصال الاستعمار. وغالبا ما يحكم عبثا على من كانوا "معتدلين" في مطالبتهم بحقهم الوطني بأنهم راضون على الوضع الاستعماري. ويمكن أن نطبق على أغلبية مناضلي وأحزاب الحركة الوطنية المثل الشعبي الذي يقول:"أشحال من نغمة في الراس والركايب ما طاقوا".

حسنا وبالعودة إليكم، ماذا فعلتم بعد انطلاق الثورة؟

درست سنة كاملة ونجحت، وكان كلّ تفكيري ينحصر في الدراسة، وقد توسع أفقي الوطني حيث التقيت طلبة جزائريين من كلّ القطر الجزائري... من سطيف، وعنابة، وباتنة، الخ... صحيح أننا كنّا أقليّة، لكننا كنا قادمين من كلّ القطر الجزائري، أمّا السياسة، فلم أكن أُفكر فيها، إلاّ أننا كنا نتتبّع أخبار الثورة، وكان يزداد اهتمامنا بها، مثل أحداث أوت 1955 في شمال قسنطينة، وهي أحداث شبهت ما وقع في ماي 1945، وبدأنا نتأرجح بين التشاؤم والتفاؤل بشأن مصير الثورة والثوّار...ولكن صانعيها صمدوا. أمّا أنا ككل الطلبة فوقع علينا ضغط سياسي كبير، حيث

قبضوا على والدي، رغم أنه لم يكن مُشاركا في اندلاع الثورة، واستأت كثيرا لذلك، وكانوا قد قبضوا على كلّ السياسيين، وحتى "المُعتدلين" منهم، ومنهم أبي.

هل كان هذا الحدث هو ما جعلكم تُفكرون في الالتحاق بالثوّار؟

فكرت في أنّنا ظُلمنا، وهو الأمر الذي دفعني إلى الالتحاق بالثوّار، وأذهب إلى الجبل، كان هذا في شهر ديسمبر من سنة 1955.

ما يعني ترك الدراسة ؟

أجل، كنت أفكر في البداية أنني سأصبح طبيبا، وكان الحديث يتمحور في تلك الفترة حول إصلاحات محتملة تقوم بها فرنسا، قد تكون في فائدتنا نحن المثقفين الجزائريين، أي أن يتمّ اختيار حوالي عشرين ألفا ممّن تمكنوا من التخرج من المدرسة الفرنسية من أصل الثمانية ملايين جزائري، تُعطى لنا الجنسية الفرنسية، ولو أننا كنا نعلم أنّ هذه الجنسية لن تُحوّلنا بأيّ حال من الأحوال إلى مُواطنين فرنسيين...

كنتم تسعون لنيل الجنسية الفرنسية ؟

لا بل كنت أحلم بذلك فقط. وكان أبي يدفعني لكي أخرج من البؤس والذل، ذلك أنّ الاستعمار كان يمنح بعض القيمة للطبيب. وكانت هذه الأفكار وهذه الأمنيات أغلالا في رقبتي تقودني وتجعلني أركض وراء ذاك الحلم. ففي ذلك الظرف مزّقت الثورة تلك الأغلال وحرّرتني منها، ففكّرت في أن أكون مع الأحرار، وأنّ دراستي ليست شيئا أمام الاستقلال، الذي أصبحنا نُؤمن به. فرهاني الأكبر لم يكن الانقطاع عن الدراسة وما كنت قد أجنيه منها من مكانة في المجتمع الاستعماري أكثر مما كان التخلص من تلك القيود التي كانت تأسرني، وفي النهاية لم أضح بموقع مجتمعي مرموق ولكن اخترت التحرر... وأصبحت رجلا حرا.

لكن، سيدي، كيف كنتم تسعون إلى نيل الجنسية الفرنسية، والتي تعتبرونها امتيازا، ووالدكم كان يُشجعكم على هذه الخطوة، وهو الذي كان مُنضمّا إلى جمعية العلماء المسلمين التي قال مُؤسسها الشيخ عبد الحميد بن باديس يوما: شعب الجزائر مسلم، وإلى العروبة ينتسب..أليس في هذا نوع من التناقض؟

طموحي في أن أحصل على الجنسية الفرنسية كان طموحا

طبيعيا، ذلك أنه ناتج عن رغبة في النجاح، وفي الحصول على امتيازات، وهذا لا علاقة له بحب فرنسا. قال الشيخ بن باديس إنّ شعب الجزائر مسلم والى العروبة ينتسب، ومع هذا ذهب إلى فرنسا، للمُطالبة بحقوق منها فصل الدين عن الدولة، إصلاحات يقابلها اعتراف بانضمام بلدنا لفرنسا، وكان هذا مطلب الأحزاب والجمعيات "المعتدلة". وفي ذلك الوقت قال له مصالي هذا غير مقبول، لأن قبولنا بالانضمام إلى فرنسا يعني الموافقة على احتلال بلادنا، احتلال فُرض علينا بالقوّة. ومع ذلك لا نستطيع أن نقول أنّ الشيخ بن باديس كان يريد أن يُصبح فرنسيا.

أي أنكم، جمعية العلماء المسلمين، كنتم اندماجيين؟!

كنا نحاول الخروج من الضغط وضيق الذرع من الحياة، تماما مثل الذي يُريد أن يقطع البحر، لا يفعل ذلك حبا في فرنسا، أو كرها لبلده، ولكن توقا لحياة أفضل، هذا فقط، هكذا كانت سياسة فرنسا، تُغريك بأشياء، ولكنك لا تنالها أبدا. وأقول لك أنّ والدي لم يرتد أبدا الزيّ الفرنسي، ولم يتحدّث أبدا بالفرنسية. وتتكلم الناس اليوم عن "الاندماجيين" كما لو كانوا خونة، لكنني أقول لك أنّ من كان يدافع عن "الاندماج" في تلك المرحلة كان رجلا صنديدا، يتجرّأ أن يُطالب فرنسا بأن تعطيه حقا لم يكن يُمارسه إلاّ الفرنسيون، مثل الأمير خالد، الذي لم يكن ليتمّ نفيه من الجزائر، لولا أنه طالب بـ"الاندماج"؟ والحقيقة أن شباب الاستقلال الذي لم يعش تحت ظل الاستعمار لا يستطيع أن يتصور نظامه الجائر، فيحكم وهو يتنعم بالاستقلال وما يتيحه له من إمكانات بحكم قاس وغير مشروع على سياسيين تجرءوا على المطالبة بحق الجزائري في وطنه حسب الإمكانات التي انتزعوها بنضالهم مهما كانت ضئيلة. وقد كانوا حلقة في سلسلة النضالات المطلبية التي لم تنقطع أبدا. ومعلوم أنه ما ضاع حق وراءه طالب. وبنضالاتهم المتواصلة وإن كانت "اندماجية" ساهموا في أن لا يضيع حقنا في الاستقلال حتى ولو طالت المطالبة به ويئس الكثير من نيله.

لكنّ الأمير خالد طالب بالاستقلال، وليس بالاندماج؟

لا، لم يكن مُمكنا في ذلك الوقت أن يفعل ذلك. صحيح أن كل فئات الشعب كانت تريد أن تفلت من قبضة الاستعمار، ولكن كان يبدو الأمر بعيد المنال، إذ لم تكن هناك إمكانيات، بل لم يكن أحد

يتصوّر ذلك، الحديث عن حقوق مهضومة لم يكن واردا بالنسبة للجزائريين، أمّا "الاندماجيون" فقد كانوا في تلك الظروف رجالا صناديد، ولا يُمكن تشويه صورتهم، لأنّ غيرهم لم يكن يتحدث إطلاقا، الأمير خالد يكون قد فكّر في الاستقلال، لكن ما كان له أن يصرح بشيء كهذا، فمُجرد مطالبته بالمُساواة فقط جعلت الحكم الاستعماري ينفيه، فماذا لو طالب بالاستقلال؟

مناداة ابن باديس بالعروبة والإسلام ألم يكن طرحا لفكرة الاستقلال، بشكل أو بآخر؟

نعم كان نضاله من أجل عروبة وإسلام الجزائر طرحا لفكرة الاستقلال وهذه كانت قراءة السلطات الفرنسية الاستعمارية لما كان يقوله، ولهذا كانت تخشى مواقفه. وتكمن عبقريته في التعامل مع النظام الاستعماري بالاعتماد على عنصري عروبة وإسلام الجزائر الذين كان النظام يقرهما لتبرير مقولته أن الإنسان الجزائري لا يمكن له أن يرقى إلى المواطنة في "الجزائر الفرنسية" بسبب عروبته وإسلامه. فساهم بن باديس بنضاله "الاندماجي" في توطئة الطريق المؤدية إلى الاستقلال حيث استطاع أن يفرض تنظيم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في المسرح السياسي الاستعماري خارقا بإقامتها الجدار الذي تحصنت به "الجزائر الفرنسية"، وفاتحا الفرصة لفئات المجتمع الجزائري التي التفت حوله وجمعيته للتحرك الشرعي من أجل اعتراف بحقها في الوطن الجزائري الفرنسي والدفاع فيه عن شخصيتها الحضارية والثقافية. وكان هذا المسعى بمثابة استثمار أتى بنتائج محققه تتمثل فى الإصلاح الديني وفتح مدارس لأبناء الشعب علمتهم وأخرجتهم من الجهل الذي سلطه الاستعمار عليهم. إلا أن هذا المحصول كان مُفيدا ففتح له نوفمبر آفاقا رحبة ليصبح نواة ثورة في الإسلام في الدولة الديمقراطية والاجتماعية التي انطلق في تأسيسها في إطار المبادئ الإسلامية العربية. بهذا المعنى نستطيع القول بأن بن باديس مهد للثورة كما جاء في سؤالك. إلا أنه بفعل الظروف القاسية المحرجة التي كان ينشط فيها ما كان له أن يفكر في أن الاستقلال ممكن. ففكر في تحرير الإسلام الجزائري من قبضة السلطات الاستعمارية وذلك بالمطالبة بالاندماج في إطار القانون الفرنسي العام الذي ينص على فصل

الدين عن الدولة، فقام بالمبادرة الشهيرة التي نتجت عن المؤتمر الإسلامي. فعارضه في ذلك مصالي الحاج مبرزا له خطأ المبادرة السياسي في نقطتين جوهريتين : أولاهما أن الإسلام في الجزائر لا يمكن له أن يتحرر إلا في وطن يكون قد تحرر هو نفسه، وثانيهما أن الاندماج في القانون الفرنسي العام يعني الاعتراف بمشروعية الاحتلال الذي فرض على بلدنا قسرا وهذا ليس من حق أي كان سوى الشعب. وتتالت الأحداث والنضالات لتؤكد سداد موقف مصالي وحزبه...

وكذلك الحال بالنسبة لفرحات عباس، الذي عندما تقرأ كتابه "ليل الاستعمار" يشرح لك فيه كلّ الجهود التي بذلها لكي يفضح وعود فرنسا الكاذبة، لأنّ الفرنسيين كانوا يدّعون أنّهم سيمنحوننا حقوقا مثل تلك التي يتمتعون هم بها، ولكنهم لا يفعلون أبدا، ولهذا نصح فرحات عبّاس شباب الاستقلال بكتابة التاريخ تاريخ كل النضالات التي سبقت نوفمبر العظيم وألاّ نترك المؤرخين الفرنسيين يكتبون تاريخنا، لأنّهم إن فعلوا، فسيؤولونه بما يخدم مصالح دولتهم، وسيُحرّفونه.

وهو ما نعيشه اليوم؟

أجل، لأننا لم نتحكم في تاريخنا بعد، وكلّ شخص يحكي روايته الخاصّة به، وليست هناك كتابة جادّة للتاريخ، حتى أنّ البعض مثلا صار يُشكك في "الاندماجيين"، وينسى مُساهمتهم البطولية، وهم الذين أوصلوا، أو ساهموا في أن يصل الشعب إلى أن صار يُدافع عن الاستقلال. فكرة الاستقلال أتى بها مصالي الحاج، ودافع عنها، إلى أن اقتنع الناس بها، بعد تجربة مريرة، وخيبة أمل. وكان قد كوّن حزب نجم شمال إفريقيا، ثمّ حزب الشعب، وأقول هنا أنه كان من الخطورة آنذاك أن تلتحق بالحزب، وأن تصبح مُناضلا.

أي أنه علينا أن نتحدّث عن كلّ شيء؟

نعم، على شرط أن نتقيد بأخلاقيات واقتناع: فالأخلاقيات هي أخلاقيات علم التاريخ وكتابته، وهذا يعني أن نتناول مواقف الرجال (والنساء) وتسلسل الأحداث دون أن نقف عندها وقفة القاضي، نجرم فلانا ونثني على فلان، لأن التاريخ قد حكم وحسم. بل علينا أن نبحث لمحاولة فهم سلوك من وقف تلك المواقف، كيف

برزت في فكرهم ثم في ساحة النضال السياسي وكيف أثرت في الوضع، وأن نبني بحثنا على فرضيات ومعطيات ننطلق منها للتدليل المنطقي على صحة ما ظهر لنا أن استنتجناه من بحثنا. وأما الاقتناع الذي لا بد أن نتحلى به هو أن تاريخنا مُشرق وليس فيه ما يُخجل. علينا أن نحكي كلّ شيء، ولكن يجب أن نؤوّل الأحداث، فالتاريخ مادة حسّاسة، لا بد أن نعرف كيف نتعامل معها. فتاريخنا نتيجة نضالات مختلفة ومتسلسلة، الناجحة منها والخافقة، السديدة منها والخاطئة، وكثيرا ما كانت المبادرات الفاشلة تجارب فتحت الطريق للنجاح. ولا يحق لنا أن ننظر لرجالاتنا التاريخيين بنظرة واقعنا اليوم ونحكم عليهم (هذا فالح وهذا طالح) بيد أنهم كانوا يواجهون مشاكل وقت تخلص شعبنا اليوم من مصاعبه المستعصية بفضل نضالاتهم بقسط أو بآخر. وهنا أروي لك مثلا، في جهتنا، جهة الرمشي، لم يكونوا يُسموننا باديسيين، بل أطلقوا علينا لقب بلايسيين، نسبة إلى ابليس.

من كان يطلق عليكم هذا الاسم؟

الحكم الاستعماري عن طريق عملاء له في زاوية سيدي بن عمر، وزاوية درقاوة، ومسؤوليها الذين كانوا تحت إمرة فرنسا، كانوا ضدّ جمعية العلماء، ويُحاولون بكلّ الطرق عزلها عن الشعب، فسموا أصحابها بلايسيين، وكان أحدهم قد أمرته دوائر الحكم الاستعماري بقتل الشيخ البشير الإبراهيمي بالسكين، وكادت هذه المُؤامرة أن تنفذ لو لم يتغير برنامج الشيخ، إذ أنه لم يأت، ومرّت سنوات انضمّ نفس الشخص إلى جمعية العلماء المسلمين، وقصّ علينا الحادثة، إذًا، جاء هذا النعت حتى من أناس بسطاء قبل أن يأتي وقت الوعي فأصبحت أغلبيتهم تناضل في صفوف جبهة الحرير وجيشها. وعندما انطلقت الثورة، كان هناك فوج من الثوّار، دخلوا قرية ليرتاحوا فيها، فطلب رئيس الفوج قهوة، فقال أحد الجنود أنه لا يشرب قهوة، بل يشرب شايا، وهي عادة الدرقاويين، لا يشربون القهوة أبدا، يقولون أنّ القهوة تُسوّد القلب، فنظر إليه رئيس الفوج وكان من أنصار جمعية العلماء، وسأله إن كان درقاويا، فأجاب نعم، فأمر بأن يُحضروا له إبريق قهوة، ويشربه قسرا، كان هذا ظلما حقيقيا، وهي حادثة وقعت، يُمكن أن نرويها، لتبيان حالة المُجتمع، لكن لا للتشهير بهؤلاء، ولا برئيس

الفوج الذي فعل ذلك، ولا غيره، خاصة وأنه ربما لا يزال حيا، أو أولاده أحياء... كانت ثورتنا نظيفة وشريفة، لم تكن من فعل عصابة أشرار، وإن تخلّلتها وقائع مُؤسفة، وحتى درامية لا بدّ من روايتها والتمعن في مجريات وقوعها لتكون عبرة لجيل اليوم حتى يُمعن في قسوة النضال الذي برزت فيه تناقضات أدت إلى صراعات خطيرة حول أحسن خطة نضالية. إذ كان همّ الفاعلين جميعهم في إنجاح الثورة...

قد نتحفظ عن ذكر تلك الأسماء كما تفضلتم، ولكن هناك وقائع من التاريخ، بل هي التاريخ الذي يجب أن نعرفه، خاصّة وأنّ التاريخ ليس ملكا لمن صنعه، بل للأجيال التي تأتي من بعد، ولهذا وجب عليكم، أنتم صنّاع الثورة، أن تُدّونوه، وتدونوا تلك الفترة كما عشتموها؟

أنت مُحقّ في هذا، ولكن وقائع مثل التي ذكرتها لك، وأخرى كثيرة، هي وقائع حسّاسة، فمثلا في كتابي الثاني أحكي عن مسؤول في الجيش، اسمه صالح نزّار، رحمه الله، كان قبل أن يلتحق بالثوّار في جيش فرنسا، في إحدى الثكنات العسكرية بباتنة. وعندما ذهب إلى الولاية الأولى اختلف مع بعض المجاهدين، فقُبض عليه، فوجده عميروش في تلك الحال عند زيارته للولاية الأولى، وسأل عن أمره، فقيل له أنهم سيُحاكمونه بسبب خلاف وقع بينه، وبينهم، فطلب عميروش أن يأخذه معه، فأنقذه من موت مُحقق. والتقينا صالح نزار هذا في الجيش، وقصّ علينا هذه الحكاية.

وأدرجتموها في القصّة التي سمّيتموها "العمل العربي"...

أجل، العبارة التي جعلته يلتحق بالثورة.

هلا عدنا إليها؟

وقع ذلك في إحدى الثكنات العسكرية، بباتنة، كان المسؤول عليها مُلازم فرنسي مُتخرّج من المدرسة العليا لضبّاط فرنسا، وصالح نزار كان مُساعدا له، وفي إحدى جولات التفتيش رأى المسؤول جنودا جزائريين تابعين له وكانوا يحرسون، فقال لهم أنه عوض المكوث جميعهم مكتوفي الأيدي، فليُبادر بعضهم ببناء سور صغير، علّه يحميهم إذا ما حدث شيء، ففعلوا، وبنوا السور، ومرّ ذلك المسؤول بعد يومين، ورأى السور، ولكنّه لم يُعجبه، ودفعه برجله فتهدم، فقال أنّ هذا "عمل عربي" ما يعني أنّ العمل العربي عادة ما يكون رديئا، فاستاء صالح نزّار الذي كان برفقته،

من هذه العبارة، واعتبرها إهانة، بل جعلته يُقرّر أن ينتقم من ذلك المسؤول، ويُريه كيف يكون "العمل العربي"! فاتّصل بالثوّار، وقال لهم أنّه مستعد لمُساعدتهم في الهجوم على الثكنة والاستيلاء على كلّ السلاح الموجود فيها، والقضاء على مسؤوليها، ففعل، واستولى الثوّار على الثكنة، فقال صالح نزّار لذلك المسؤول:"هل رأيت كيف يكون العمل العربي؟"

قصّة جميلة ومُعبرة ولا شكّ أن الثورة تحتوي على الكثير منها، ولكن تشعب بنا الحديث، فهلا عدنا إلى سنة 1955، كنتم خلالها لم تلتحقوا بالثورة بعد، وقلتم، حتى في كتابكم، أنّه كان عليكم أن تتخلّصوا ليس من سطوة الاستعمار فقط، ولكن قبل ذلك من الأغلال التي كانت تقيّد تفكيركم، ماذا قصدتم بذلك؟

قبل الإجابة عن سُؤالك هذا دعنا نستخلص الدرس من حكاية صالح نزّار، رحمه الله. لو وقفنا موقف القاضي لحكمنا على المسؤولين الأوراسيين الذين عاملوه بهذه المعاملة بأنهم مجرمون. وأما موقف الباحث من هذه الواقعة المؤسفة فينطلق من حقائق ثابتة وهي أن عميروش رحمه الله الذي كان باتصال بالأوراس ومسؤوليه لم يحكم عليهم بأنهم يفسدون الثورة بل كان دائما يزور منطقتهم ليساعدهم علي تخطي صعابهم وحل مشاكلهم والنزاعات القائمة بينهم كما كان يفعل قبله الشهيد بن بولعيد، مما جعل أن كانت هذه الولاية التاريخية معقلا حصينا للثورة، وهذه حقيقة ثابتة أيضا. ثم يسعى الباحث في ضوء هذه الحقائق لفهم ما أصبح تاريخ المنطقة ولا للحكم على فلان أو فلتان...

وأرجع إلى سؤالك. ففي ما يخصني لم يكن رهانيّ الأصعب التضحيّة بالدراسة، ولكن التخلّص من تلك الأفكار والأوهام التي كانت تجعلني دائما عن طريق النجاح في الدراسة ألهط وراء امتيازات، ولكن دائما في إطار محدود، هو ما تمنحه لنا فرنسا، فليس من الصعب أن تترك كلّ شيء وراءك، وكلّ طموحاتك، والأفق الذي كنت تحلم به في لحظة، كان ذلك التخلص هو أصعب شيء.

فكيف كان الاتصال بالثوّار؟

في البداية كنت مُتصلا بالدكتور محمد الصغير نقاش، والذي بفضله يُوجد اليوم ما يُسمى بالطب المجّاني، فهو أوّل من أسّس للطب المجاني، لقد كان صديقي، كان يُساعد الطلبة مثلي في

الدراسة والتكوين، وأنا تكونت على يديه قبل أن ألتحق بالجامعة، ونحن لم نكن نعلم أنّ ما كنا نتعلمه سينفعُ الثورة، ولكن هو كان يُحضّر لذلك، وعندما انطلقت الثورة، قال للمسؤولين في جبهة التحرير أنّ هناك شبّانا قادرين على المُساعدة بما يملكون من معارف في الإسعاف والطب، ولو أنهم لم ينالوا شهاداتهم بعد، ولكنهم قادرون على الإسعافات الأوّلية، على الأقل، وكان يُؤيدني ويُشجّعني على الدراسة، وفعلا ما إن قرّرت ترك الدراسة، والالتحاق بالثوّار، حيث ذهبت إليه، وصارحته بذلك، فطلب مني أن أتمهّل وأنه سيتكفل بالأمر، ولكنه طلب مني أن أبدأ السنة الدراسية بشكل عادي، وكنت أدرس مع يوسف الخطيب، الذي صار بعد ذلك العقيد حسان، فقرّرنا أن نلتحق بالجبل كلينا في وقت واحد، ثمّ ربطنا الدكتور النقاش بالنظام في العاصمة، فأسّسنا خلية تحت قيادة نفيسة حمود، التي كانت متّصلة برمضان عبان (ولو أنني لم أكن أعلم بالأمر آنذاك) وكانت مسؤولتنا، وكان الشبّان الذين قرروا الالتحاق بالجيش يقومون بتربّص عندنا، يتعلمون الأساسيات في خمسة عشر يوما، وعندما ينتهون، نصلهم بالثوّار في الجبل، وفي هذا الجو الاندفاعي للطلبة ارتأت قيادة الثورة استغلال الفرصة سياسيا لإقناع الرأي العام العالمي بأنّ الشعب كله، وحتى المُثقفين منهم، مُلتف حول الثورة. فنادت بإضراب الطلبة عن الدراسة، مُرتكزة على الشبّان الذين كانوا قد التحقوا بصفوف الثورة، وكنا نحن المنخرطين في جبهة التحرير مُتحمّسين لفكرة الإضراب ودافعنا عليها، وتنظمنا في جمعيتين عامتين، تناظرنا مع الأشخاص الذين كانوا ضدّ الإضراب لكي نُقنعهم بأفكارنا، وكان إضرابا سياسيا، يُظهر أنّ الطبقة المثقفة قاطعت فرنسا، ولم نتمكن من فعل هذا إلاّ بعد أن كوّنا الإتّحاد الوطني للطلبة المسلمين الجزائريين سنة من قبل، لأنه قبل هذا كنا عندما ندخل إلى الجامعة نندمج بشكل مُباشر في الجمعية العامّة لطلاّب العاصمة، وكذلك بالنسبة لباقي المُدن الفرنسية الجامعية الأخرى، باريس، ليون، مارسيليا، وغيرها، وكانت تلك الجمعيات تنتمي إلى الإتّحاد الوطني للطلاب الفرنسيين، إلى أن أسّس الجزائريون المُناضلون الذين كانوا في النظام السياسي، وخاصّة قدامى حزب الشعب، أسسوا منظمة اسمها جمعية الطلبة

المسلمين لشمال إفريقيا، كان مسؤولوها في باريس، أمّا في الجزائر فقليلون من انضموا إليها، خاصّة بعد الأزمة التي وقعت في الحزب، فمن بين الطلبة من هرب، وآخر انضمّ إلى حزب آخر، وفي سنة 1955، تحصّلت تونس والمغرب على الاستقلال، وأسّس الطلبة التونسيون، والطلبة المغاربة جمعيات طلابية خاصّة بهم، وبقينا نحن مُنتمين إلى تلك الجمعية العامّة الفرنسية، وأتحدث هنا، في ما يخص الطلبة الجزائريين، عن السياسيين المنتمين إلى حزب الشعب، مثل عبد السلام بلعيد، ولمين خان، وصالِح بن قبي وغيرهم.

هل كنتم معهم لدى التأسيس؟

بالنسبة لي لم أكن في تلك الفترة معهم، كانوا هم الذين قرّروا تأسيس جمعية خاصّة بالجزائريين وكانت في البداية الجمعية العامّة للطلاب الجزائريين في باريس، وكان الشيوعيون مُسيطرين عليها، مثل أحمد إنال، رحمه الله، ومحمد حربي، أمّا المُناضلين فقالوا أنه يجب أن نعطي هذا الإتّحاد الطابع الإسلامي، فتأسّس الإتّحاد العام للطلبة المُسلمين الجزائريين، ولكن وقع حوله خلاف حول الميم، الذي يدلّ على الانتماء الحضاري، أي المُسلمين، كان للبعض، من نصارى ويهود جزائريين في فرنسا، وبعثيين في الشرق العربي، اعتراض عليه، ولكن الإسلام لم يكن ليُفرّقنا عن إخواننا مهما كانت عقيدتهم، ولكن على فرنسا، أي بوضعنا لحرف الميم فنحن ننعزل عن فرنسا، واحتدم النقاش الذي شارك فيه كلّ من عبد السلام بلعيد ورضا مالك، بين تيار يميل لذلك الطابع الحضاري، وآخر معارض له، واتفقت الآراء على بقاء الميم، كما اتفقت على أن يكون هناك إضراب.

رغم أنّ البعض كان يقول بأنّ الدفع بالشباب المثقف إلى الجبال، والاستشهاد، سيكون خسارة بالنسبة للجزائر التي تحتاج تلك القدرات مُستقبلا؟

هذا صحيح، ولكن للسياسة حقها، فمن خلال هذا العمل الطلابي أثبتنا، كما أسلفت، مساندة المثقفين للثوّار، كما أنّ قيادة الثورة كانت مُهتمة بالمُشكل، حيث أنّ المسؤولين في الجبهة، مثل عميروش، كانوا يدفعون بالشبان لمُواصلة دراستهم، وكثير من هؤلاء الشبان الذين انفصلوا عن المدرسة الفرنسية، تكفّل بهم الإتحاد العام للطلبة الجزائريين الذي أرسلهم للدراسة في الخارج.

وبعد الإضراب كنتم من بين الذين التحقوا بالثوّار؟

لم أصعد إلى الجبل إلاّ بعد أن تكفّلنا بالطلبة الذين تربّصوا على أيدينا وعندما انتهى التربّص كان عليّ أن ألتحق بالجبل، وكان ذلك في أوت 1956 وكان السي حسان سبقني واتجه إلى الولاية الرابعة، أمّا أنا فتوجهت إلى الولاية الثالثة، وكان قد سبقني أصدقاء لي، وعملت في صفوف السلك الطبي للجبهة، لقد تم استقبالنا جيدا، عملت في المنطقة الأولى من الولاية الثالثة، وهي تقع بين وادي الصومام وسطيف والبرج والبيبان وعلى حدود بجاية، ونحن أوّل من أدخلنا الطبّ إلى بعض المناطق والقرى، لم يكونوا قد شاهدوا طبيبا من قبل في أيام الاستعمار، كنا في السلك الطبي، وكان يُتابعنا العدو، حتى أنه عندما تمّ القبض علينا، أرانا الجنرال المسؤول عن العملية كلّ تحركاتنا على خارطة مُعلقة على جدار مكتبه وكيف كانوا يُتابعوننا، وغالبا ما كنا مُنعزلين عن الجيش، وكان تواجدنا حيث يتواجد الجرحى أو المرضى ولم يكن هناك من يُدافع عنا من جيش التحرير.

من كان مسؤولكم المباشر؟

السي حميمي، كان رئيس المنطقة الأولى للولاية الثالثة، ونحن كنّا في السلك الطبي، وكان مسؤولنا المباشر، يرحمه الله، سي احمد بودربة، كان معي في الجزائر، وفي تنظيم العاصمة، وكان من عائلة برجوازية في العاصمة، وهو الذي كان مسؤولا، وقُبض عليه معي.

فمتى تمّ القبض عليكم؟

كان ذلك في أواخر فيفري 1957، نقلوني من ثكنة إلى ثكنة، وبعد أشهر طويلة تمّ سجني في سجن اقبو، وبعدها حكمت علي المحكمة العسكرية بخمس سنوات سجن، كان ذلك سنة 1958، في بجاية حيث نقلوني إلى "لامباز" حتى سنة 1961، خرجت من السجن فذهبت إلى فرنسا لأكمل دراستي، مكثت شهرا في "غرونوبل" ثم ذهبت إلى "بروكسل" فأعدت فيها سنتي الأولى في الطب، ثم عدت إلى الوطن قي أوت 1962.

ماذا عن الفترة التي قضيتموها في السجن، ألم يكن هناك اتصال بينكم وبين النظام؟

أجل، كان هناك تنظيم للجبهة في السجن، وكان لنا اتّصال مع

النظام خارج السجن، والأشخاص المُعوّزين تصلهم مُساعدات من خارج السجن، أنا، مثلا، كنت طالبا عندما اندلعت الثورة، طالب أنتمي لجبهة التحرير، وعندما دخلت السجن، صرت سجين أنتمي لجبهة التحرير، فدائما أنتمي إلى جبهة التحرير، نحن كنا في سجن أقبو، وحتى الحرّاس، بعضهم كانوا يعملون معنا، جندناهم في صفوفنا أو لمساعدة كفاحنا.

كلّ هذا وأشياء أخرى نطّلع عليها في كتابكم الأوّل:"هذا الوطن لنا" لكن من تُخاطبون في هذا الكتاب؟

أنا كتبته للشبّان، خاصّة هؤلاء الذين يقولون لي أنّه في الفترة التي عشناها كان كلّ شيء واضحا بالنسبة لنا.

بمعنى؟

بمعنى أنّنا كنا نعرف عدوّنا الذي كان واضحا لنا عكس ما هم عليه شبان اليوم.

أي أن شباب اليوم لا يعرفون كيف ولا من يُحاربون؟

أجل، هذا ما يرونه، ولكن أقول أنه في وقتنا أيضا لم يكن الأمر بتلك البساطة، صحيح أنّ عدونا كان واضحا، لكن كنا أعداء أنفسنا، بالنسبة لي مثلا، أنا الذي كنت أريد أن أصبح طبيبا، وأرتقي اجتماعيا، كيف لي أن أتخلص من تلك الفكرة بسهولة، لأنّ طموحي لم يكن يتوافق وفكرة الاستقلال، وأردت أن أكتب هذا لكي يعرف الشبّان ماذا كان عليه الاستعمار، أوّل ما بدأت به الحديث عن الاستعمار، تحدثت عن عائلتي، وعن الجو الذي كنت أعيشه، وأنا شاب صغير، تحدثت عن الفترة التي كنت فيها صغيرا في عين الحوت، ثمّ رحلنا إلى الرمشي، ثمّ التحقت بتلمسان لأُكمل دراستي في الثانوية، وتحصّلت على الباكالوريا، والفصل الثاني تحدّثت فيه عن السنين التي أمضيتها في ثانوية دوسلان[1] كيف كان فيها التعامل مع أصدقائي، وبيننا وبين المعلمين، الذين ذكرت مثواهم وفضلهم علينا، وفي فصل ثالث تحدّثت عن "سنين الضوء" لأنّ انطلاق الثورة هي بمثابة ضوء ظهر لينيرنا وينير البلاد، فتحدثت عن الدكتور نقاش، ونفيسة حمود، ثم عن الفترة

1 ابن خلدون حاليا.

التي قضيتها في الجيش ثم في السجن، في لامباز.

ولكن لم تتحدّثوا عن تجربتكم فقط، ولكن حاولتم شرح ما وقع في تلك المرحلة من تاريخنا؟

أجل، أردت أن أبحث فيما وقع، وأستنتج أمورا، لعلّ الشباب يستفيدون منها، لكي يعلموا أنّ الطريق لم تكن بتلك السهولة التي يتوقعونها، كانت هناك ثورة، وسنوات الضوء، كما قلت، ولكنها كانت كلها مليئة بالعراقيل، والصعوبات، والمشاكل.

تحدثتم عن تلك المشاكل ولكنكم تجنبتم ذكر بعض الأسماء؟

أنا تحدّثت عما عشته، حتى لو أنني تجنبت ذكر أسماء لكي لا أحرج أصحابها إن كانوا على قيد الحياة، أو أسيء إلى أبنائهم أو عائلاتهم، مثل قصّة الدرقاوي التي حدّثتك عنها، ولكن المُشكل لم يكن في الشخص ذاته، ولكن في الحادثة، وفيما نفهمه منها. أمّا ما لم أعشه فلا أستطيع التطرّق إليه. أنا تحدثت بنظرة ظرفية، أي ما عشته في ذلك الوقت. لم أتعرض للشخصيات التي قابلتها بأسمائها.

لماذا؟

لأنهم أشخاص لا يزالون على قيد الحياة، من الأخلاقيات أن لا أتعرض لتلك الشخصيات، وحتى الذين ماتوا تحدثت عن البعض منهم، ورغم جهدي ألا أحرج أحدا هناك من استاء من أولادهم من ما قلته أو لم أقله عنهم.

ألاّ تظنون أنّ ذلك يمكن أن يجعل كتابكم وثيقة ناقصة؟

بالنسبة لي، هي وثيقة وافية، أنا لست مؤرخا، وليست لي النيّة في كتابة التاريخ، هذا الكتاب هو استجواب لذاكرتي، على حسب الظروف، ولا أبحث حتى عمّن كان مخطئا، أو أكون قاضيا بين تلك الشخصيات التاريخية.

لكن عندما يعود المؤرخون إلى كتابكم يوما ما، لن يعثروا إلاّ على حوادث بدون الأسماء، تماما مثلما وقع غداة الاستقلال، عندما أُريد للتاريخ أن يُكتب دون أسماء، الأمر الذي تسبب بعدها في ظهور ما يُسمى بالمُجاهدين المزيّفين، والآن ما نشهده من طعن في شخصيات ثورية، ألاّ تظنون أنكم تُكررون نفس الخطأ؟

لا، والحقيقة أن الأفكار والمواقف يدافع عنها ويوقفها أشخاص، ولكن مدة حياتها تتعدى بكثير مدة حياة الأشخاص الفانين وتبقى خلفهم الأفكار والمواقف... فمثلا رجالات نوفمبر

سرعان ما استشهد أغلبهم أو همشهم مسار الثورة، إلا أن روح نوفمبر لم تندثر وبقيت نافذة إلى حد أنه في الظروف المتوترة التي طبعت الاستقلال وقف، في سبيل المثال، النوفمبري بوضياف ضد بومدين وعارضه طوال عهدته. ولما استشهد بومدين وأبنه الشعب أيما تأبين استغفر بوضياف واعترف له بوفائه لروح نوفمبر التي لم يحسن هو التمسك بها في فجر الاستقلال. وكذلك الحال بالنسبة للتيار الفاسد سياسيا الذي انهزم باندلاع الثورة المسلحة. فإنه واكب المسيرة الثورية واسترد البعض من أنفاسه إثر الضربات القاسية التي وجهها دوغول بعد استيلائه على السلطة، إلا أن هذا التيار لم يجد منفذا للتسلط إلا بعد استشهاد بومدين، فاجتهد لإرجاع البلاد لتبعية المستعمر اقتصاديا وسياسيا وإيديولوجيا إلى أن سمح بازدواجية الجنسية... مما أدخل البلاد في دوامة أزمة عنيفة كادت أن تعصف بكيان البلاد.

وفي ما يخص نفيسة حمود أشرت في الكتاب فقط إلى اسمها، لأنها كانت حية، الآن توفت، ويمكن كتابة اسمها كاملا (اسم وكنية)، ولكن هناك أشياء وحساسيات يُمكن أن أتطرّق لها، ولكن من شانها أن تسيء إلى الأبناء أو باقي أفراد العائلة لهذه الشخصية أو تلك، هذا ما أردت تجنبه، عندما تحدثت عن ذلك الذي أراد أن يقتل الشيخ البشير الإبراهيمي، التقيت منذ أسبوع فقط بابنته وقالت لي أنها تألمت لما كتبته عن والدها، لأنّ التاريخ، وكما قلت لك، مادة حساسة، لا بدّ أن نحملها بقفازات، وليس من السهل أن نتعامل معها، ويجب أن أشير إلى أنّ ما تتناقله الصحف من صراعات بين المجاهدين، لا يُعبّر عن التاريخ، تلك أشياء تافهة، نحن لا بدّ أن نترفع عن كلّ ذلك، وعندما أتحدث عن أشخاص شاركوا مثلي في الثورة، وحتى، وإن كنت لا أتفق معهم في الرأي فهذا لا ينفي أنهم قدموا ما كانوا مقتنعين به، وحتى الذين لم يُشاركوا في الثورة، وكانت لديهم الإمكانيات، ولم يحدث لهم ما وقع للذين شاركوا، فهذه المسؤولية صعبة، ولا بدّ من تقديرها، ولتعلم أن الذي شارك في الثورة كان بإمكانه أن لا يفعل، ويبقى مطمئن البال، ولكني لست قاضيا أحكم على هذا أو ذاك، المهم أنّ الثورة نجحت، أظنّ أنّ تاريخنا، ومهما حدث فيه من أخطاء، ليس لدينا ما نخجل منه، أو نطعن في ثورتنا، مثلما أراد فعله بعض المؤرخين، مثل جيلبار

مينييه، بكتابه : "الحياة الداخلية للأفلان" كتاب نشره ليُسيء إلى جبهة التحرير وجيش التحرير، فوصف مجتمعنا والآليات التي استحدثتها ليتحرر من قبضة الاستعمار أو صافا وحكم عليه بأحكام استشراقية عنصرية كالتي فندها ادوارد سعيد في كتابه:"الاستشراق". ويروح ادعاؤه إلى أن مجتمعنا الغارق في إسلامه غير قادر على مواكبة العصر الحديث وأن جيش التحرير ما هو إلا جحافل قرو وسطية جاءت لتحطم ما استحدثته الجزائر الفرنسية من حضارة وتقدم عصري مما يوحي أن الحرب التي أقامتها بلاده على شعبنا ما هي رغم شراستها إلا رد فعل للمحافظة على تلك المكاسب وتفادي تفكيكها.

فالمحيط الذي نحن فيه صعب، منع الاستعمار شعبنا طيلة أكثر من قرن وثلاثين سنة من دراسة وتدريس التاريخ والبحث فيه، وعلى جامعتنا الوطنية أن تستخرج مؤرخين أكفاء للدفاع عن تاريخ مقاومتنا وتحررنا المجيد وللتفحص بموضوعية في المشاكل العويصة التي تخللت مسيرته.

ولكن هناك أيضا مجاهدون يطعنون في بعضهم البعض؟

الشيء وارد حقا، إلا أن المشاكل التي يتطاعن عليها مجاهدون حسمها التاريخ بعد بتتويج ثورتنا بالاستقلال، ولم يبق لجيل اليوم إلا التمعن بهدوء فيها لاستخلاص العبر من الانتصار الباهر حتى يتواصل الكفاح لصيانة استقلال بلادنا. ولا أن يتقمصها ويعيد لها نفسا جديدا للتخاصم بعد أن أصبحت تاريخا.

والموضوع له سوابق فيما أظن في تاريخنا العربي الإسلامي في ما سماه البعض "الفتنة الكبرى" التي قامت بين سيدنا علي ومعاوية حول مشاكل سياسية كانت تهم تسيير الدولة الإسلامية، فتنة حسمها انتصار الإسلام وانتشاره عبر العالم. فهذه الفتنة إما أن تستحدثها وتستجدها فتحارب أخاك المسلم بعد تكفيره وإما أن تقتدي بالسلف الصالح مثل الأمير عبد القادر وجمال الدين الأفغاني اللذين أحسنا معاملة الناس منطلقين من نور الإسلام وخدمة له.

وأما بالنسبة للثورة فإنّ أكبر مشكل بقي عالقا، ولم يفصل فيه حتى جاء نوفمبر، هو الخلاف الذي كان دائرا حول نوع الاستقلال الذي كان على الحركة الوطنية أن تُحارب من أجله. فنوفمبر كان

شيئا جديدا في الحركة، إذ كان قفزة نوعية، فتحت مجالا سياسيا جديدا، خارجا عن المجال الفرنسي في حين أن الأحزاب كانت تطالب بأن تعترف بها فرنسا. نوفمبر فتح مجالا آخر، والمطالبة تعدّت فرنسا وتجاوزتها.

عذرا سيدي، ولكن لماذا تتحدثون عن نوفمبر، ولا تستبدلونها باللجنة الثورية للوحدة والعمل التي فجرته؟

عندما يتمخض الحليب، وقبل أن يتحوّل إلى زبدة، يكون بين الزبدة والحليب، كذلك اللجنة الثورية للوحدة والعمل، لم تكن قد تحولت إلى زبدة بعد، أما نوفمبر فكان الزبدة.

ومن خلق نوفمبر؟

الحركة الوطنية من البداية، من "الشباب الجزائري" المنادي بالاندماج الكلي وحتى الحضاري منه، إلى خالد، إلى مصالي وأحزابه المتتالية، إلى جمعية العلماء، إلى فرحات عباس وبيانه، وغيرهم، كلّ هؤلاء كان لهم دورهم وقسطهم في مخاض الثورة، كل هذه القوى بنضالاتها المتضافرة المتصارعة كان لها ضلع في بروز نوفمبر.

وحوّلوا معه المجال السياسي، مثلما تفضلتم؟

أجل، الأمر الذي كان لبّ الصراع في الحركة الوطنية. فجاء نوفمبر ليفتح مجالا سياسيا وطنيا وليقاطع "الفساد السياسي"

وما هو هذا الفساد السياسي؟

هو الاعتقاد بإمكانية إصلاح الاستعمار لفائدة الشعب الجزائري والبقاء في تبعية فرنسا، والطمع فيما يمكن أن تقدمه لك.

أي المُطالبة بالاندماج؟

لا، ها أنت ذا ترجع إلى مسألة "الاندماج" وهذا يدل على أنك لم تقتنع بما شرحته في هذا المجال أو لم تفهمه. فالمطالبة بالاندماج كانت في أول الأمر دفاعا عن النفس الجزائرية حتى لا تطمس. وكان هناك من طرف السلطات الاستعمارية محاولة متذبذبة للتجاوب مع هذا المطلب، مما شجع الأحزاب الوطنية، جمعية العلماء وفرحات عباس وغيرها من الحركات، ما عدا حركة مصالي الحاج، للضغط على الحكام المتذبذبين في وعودهم وإيصال الكذاب إلى باب داره. ولذلك لا بدّ أن لا ننتقص من

النضال "الاندماجي"، كما قلت. وكان مصالي الحاج يؤكدّ على أنّ فرنسا لن تقبل بتلك المطالب مهما كانت تافهة، ولكنها لو قبلت فسيعني أننا نعترف بأنّ الجزائر تابعة لفرنسا، الشيء الذي لم نعترف به أبدا ولا يحل لأي أحد أن يعترف به بدون موافقة الشعب. أمّا الفساد السياسي فكان قد برز وتطور في إطار التنظيم الاستقلالي، أي مناضلي حزب الشعب، مع تبني الحزب سياسة المُشاركة في الانتخابات، تلك السياسة التي ساهمت في فضح نوايا فرنسا التي لم تتقبّل الأمر، فسجنت نوابا وقتلت آخرين... وأمّا الذين نجحوا من النواب فكانوا يعملون في إطار بلدية العاصمة، ورئيسها جاك شوفاليي الذي دافع على فكرة قال إمكانية التعامل والتعاون مع أشخاص نصف ثوّار بدل العملاء "البني وي وي" الذين كانت تتعامل معهم دون سواهم الإدارة الاستعمارية، فقال مصالي أنّ التعامل مع شوفاليي فساد سياسي، فأرادت اللجنة المركزية عزله، مدافعة عن مسعاها قائلة أن هذا أقصى ما نستطيع نيله في الظروف الراهنة، وكانت كذلك المنظمة السرية تخالف ذلك الطرح، وزعزع كلّ هذا الاختلاف الحزب، أمّا مصالي الحاج فأراد أن ينفصل عن هؤلاء جميعا، وأسّس حزبه الخاص، وحضر مؤتمره مُمثلون عن بلقاسم كريم الذي كان ينتظر مثله مثل بن بولعيد من مصالي أن يدخل في الحركة المسلحة، فلم يفعل، قائلا إنه لا بد أوّلا من التحضير لذلك، أي أنه بقي في إطار "المجال السياسي الفرنسي" مُطالبا باعتراف فرنسا له، وقال رجال نوفمبر لا بدّ من الانفصال عن فرنسا، وقالوا لا بد من تأسيس جبهة نخرج فيها من "مجال فرنسا" ونجمع كلّ من يُريد أن يُشارك فيها، هذه القطيعة التي وقعت والتي لم يفهمها لا المصاليون ولا المركزيون هي التي أحدثت الخلل، إذ أن مصالي اعتبر هذه المبادرة خُطّة من المركزيين، لتكسير مسعاه لتجديد الحزب، وله شيء من الحق في هذا، وفكّر في أنهم عندما ينتفضون ستُلقي فرنسا القبض على كلّ المُناضلين، وهو ما حدث فعلا، فمثلا لم يكن أبي مصاليا، ولكن أُلقي القبض عليه. وما لم يفهمه مصالي، حسب رأيي، هو ذلك الشرخ الذي وقع، وهولا يزال في "المجال السياسي لفرنسا" في الوقت الذي بعث نوفمبر مجالا سياسيا آخر، أمّا اللجنة المركزية فكان رجالها يحسبون أن

الثوّار سيخسرون، ولكن عندما نجح هؤلاء آمنوا بما يقومون به، ولكن في فكرهم بقوا في نفس "المجال السياسي الفرنسي" ومنهم لحلول حسين، رغم كونه رجلا عظيما، حين قال لا بد من تأسيس حزب يتحدث باسم جبهة التحرير تعترف به فرنسا، أي أنه بقي ينتظر الاعتراف الفرنسي، وبالتالي بقي في "المجال السياسي الفرنسي"... وهذا منبع كلّ الخلافات التي طُرحت ووقعت، ولا بدّ أن لا نُشكك في أنّ الجميع كان يُريد الاستقلال. لا يجب التُشكيك في أيّ شخص، إذ أننا لا نستطيع أن ندخل في فكر الأشخاص، فللمشاكل التي وقعت جذور عميقة.

هل من كلمة أخيرة سيدي؟

أقول لك فقط، أن ثورتنا عظيمة، وأنه لا بدّ لنا أن نترفّع عن بعض الأمور السطحية التي لا تفعل سوى أن تُقويّ أعداءنا علينا.

24

المناضلة فطيمة الهاشمي "مخيخة"

"الحركى كانوا سيقتلونني لأنني دفنت شهيدا"![1]

---

1 نشر بتاريخ 2 سبتمبر 2012.

نتحدّث في هذه الوقفة المعبرة والمؤثرة المفعمة بذكريات الجهاد والنضال مع المُناضلة فطيمة الهاشمي، المعروفة باسم "مخيخة" في حوار يُعتبر بحقّ تأريخا لجهاد منطقة بوبراك التابعة للناحية الثالثة، المنطقة الرابعة، الولاية الثالثة. كيف لا؟ وقد انخرط أكثر أفراد عائلتها رجالا ونساء في صفوف الجهاد، ومنذ الساعات الأولى لاندلاع الثورة التحريرية. إذ تروي لنا محدثتنا التي استضافت "الجزائر" في بيتها بمدينة الرغاية، كيفية مُساندة سكان قرية حوش بالي (دوار ولاد سمير) والمناطق المجاورة لها للمُجاهدين، وأهمّ الأعمال التي كانت تُسند لهم، وما عاشته، وعائلتها، وأمّها خدوجة شلال المعروفة لدى المجاهدين "بخالتي تماني" التي كانت تتجاوز الـ70 سنة. تستحضر بذاكرة قويّة وتأثر شديد كيفية تعامل الحركى مع السُكّان. كما أزاحت المُتحدثة بصراحة الستار عن بعض الأحداث التي بقيت غامضة، واستحضرت ذكرياتها مع مُجاهدي المنطقة، جنودا وضبّاطا وكذا ابن عمّها القيادي الكبير في الحركة الوطنية الشهيد الهاشمي حمود، وما تتذكّره عن الجنرال بلونيس الذي كان يُرافقه، ليُعلّمها الأناشيد الوطنية قبل الثورة. كلّ هذه المعلومات التاريخية الثمينة جدا التي أمدّتنا بها المناضلة الحاجة مخيخة حصريا، تطالعونها في هذا الحوار الشيّق.

سيدتي المُجاهدة فطيمة الهاشمي، بداية عرّفينا عن مكان ميلادك وبداية عملك في الثورة؟

اسمي فطيمة الهاشمي (وأدعى مخيخة)، وُلدت ونشأت في قرية حوش بالي التابعة لعرش أولاد سمير ببلدية برج منايل من عائلة ميسورة ومحافظة ومتعلمة، وكان عندنا جامع في القرية نتعلم فيه القرآن واللغة العربية بتمويل وإشراف من عائلتنا أبا عن جد،

اسمه احمد الوناس وقد كان وكيلا لزاوية سيدي عمر الشريف، إلى أن مات سنة 1943 وعمري آنذاك 14 سنة، ولذلك فإخواني جميعا وكذلك أبناء عمي مُتعلّمون، ويملكون أراضي يعيشون فيها ومنها. درست العربية وحفظت جزءا من القرآن الكريم بجامع العائلة وعلى يدي شيخها محمد المحفوظ مثل جميع إخواني وأبناء عُمومتي، وفتحت عيني على الأناشيد الوطنية التي كنا نحفظها ونُنشدها باستمرار في المناسبات العائلية، وعندما بدأت الثورة كنا شبه مُهيكلين ومُهيئين لها نفسيا وماديا، وكأننا انتقلنا بعد اندلاعها من الحماس النظري إلى التطبيق العملي!

بصفتك مجاهدة تنتمين إلى عائلة تضم العديد من المجاهدين الأحياء والشهداء... حدّثنا عن أقاربك من المجاهدين والمجاهدات؟

لقد كان أخي الشقيق محمد الشريف، وكذلك أخي عمر الأكبر منه مُنخرطين في حزب الشعب الجزائري في سنوات النضال السياسي قبل اندلاع الثورة المباركة، وعندما اندلعت في الفاتح من نوفمبر 1954 كان محمد الشريف من الأوائل المشاركين فيها، وقد تولى مسؤولية جمع الأموال والتوعية والاتّصال خاصّة وأنه كان يُحسن اللغة العربية، ثمّ اعتقلوه ونجا من الموت بأعجوبة تحت التعذيب على يدي الحركى في مركز كاب جناد الذي يُشرف عليه الخائن الكبير "الروجي"، ولكن في الأخير أطلقوا سراحه في حالة يرثى لها (بين الموت والحياة) ربما ليكون عبرة للثوار الآخرين، ونظرًا لحالته السيئة جدا، رخّص له المسؤولون عليه في النظام بالذهاب إلى فرنسا ليُواصل عمله مع الثورة هناك، حيث بقي حتى بدت بشائر الاستقلال. أمّا أنا وأمي وزوجة أخي، وكذلك صفيّة بنت أخي الأكبر (محمد الربيع) وزوجها حمود الصالح (مجاهد شهيد) وأخوها المرسلي الهاشمي أيضا كان مجندا في الجيش الفرنسي، وفرّ بسلاحه من ثكنة الرويبة إلى صفوف الثورة ببوبراك بواسطة أخته صفية التي نظّمت له الاتصال مع المجاهدين، وأذكر أنّ لهذه المسبلة الشجاعة، رحمها الله، قصّة طويلة مع عذابات العسكر وشنائعهم حيث جرّدوها مرة من ثيابها أمام أبيها (أخي) وأمها رحمهم الله جميعا، ولديّ أيضا أختان اثنتان تكبرانني سنا هما فاطمة الزهراء (مجاهدة وزوجة شهيد) وهو الوناس شلال من سيدي داود، وابنتها الكبرى عتيقة (مجاهدة

وزوجة شهيد) وكان منزلها مركزا هاما للثورة في ذراع بن خدة حتى الاستقلال، وأختي الثانية هي باية الهاشمي زوجة شهيد كذلك، وأم مجاهد،كانت تعمل هنا في العاصمة قبل استشهاد زوجها وبعده، وعندي اثنان من أبناء عمي هما الهاشمي العربي، وأخوه الأكبر الهاشمي حمود، وهو مناضل قديم في حزب الشعب الجزائري منذ سنة 1944 وقد تعرّض كثيرا للسجن والتعذيب قبل اندلاع الثورة والتحاقه بصفوفها هنا بالعاصمة، وكان يملك مخبزة في حي بوفريزي فوق باب الوادي (كغطاء مهني للنشاط سياسي) وقد كانت تلك المخبزة مركزا كبيرا لقادة الثورة كما تحدث عن ذلك المجاهد عمر بوداود في مذكراته. وكذلك بن يوسف بن خدة الذي كان حمود من أقرب مُساعديه، إلى أن أُلقي عليه القبض أيام الإضراب التاريخي في أوائل سنة 1957 واستشهد تحت التعذيب في فيلا سوزيني الرهيبة دون أن يبوح بأي سر عن الثورة وخاصّة مكان اختباء القادة الكبار من أعضاء لجنة التنسيق والتنفيذ (CCE) من أمثال كريم، وبن مهيدي، وعبان، ودحلب الذين كان يتعامل معهم يوميا كضابط اتصال مساعد لبن خدة الذي يذكره في هذا الخصوص بإعجاب كبير في كتابه "جذور أوّل نوفمبر" وكذلك "شهادات ومواقف" وقد أكّد كل هذه الشهادات المجاهد الكبير إبراهيم الشرقي الذي كان معه في فيلا سوزيني ساعة استشهاده،كما يذكر ذلك وهو ما يزال على قيد الحياة وقد أكدت ذلك أيضا المجاهدة الكبيرة نسيمة حبلال التي عذبت معه في نفس الفيلا، وذكرت كيفية استشهاده البطولي وهي ما تزال على قيد الحياة!

بعد مُغادرة أخيك إلى فرنسا، بقيتم في القرية تؤوون المجاهدين مثلما كنتم قبل ذهاب أخيك... حدثينا عما تذكرين من تلك الأيام بالنسبة لمواصلة العمل مع المجاهدين، وماذا يكون قد وقع لكم جراء ذلك الصمود؟

بالفعل لقد بقينا نتكفل بالمجاهدين ونتعامل معهم مثلما كان الأمر قبل ذهاب أخي، فكان المجاهدون يأتون عادة من غابة بوبراك في المساء مع المغرب يأكلون ويتزوّدون بكلّ ما هو مُتاح من أكل ولباس ويذهبون مع الصباح قبل طلوع الشمس. ونحضّر لهم المواد الغذائية المطلوبة، وكانت أمي (المدعوة خالتي تماني) تذهب إلى مطحنة علي اسماعيل بأمر من المجاهدين أذكر منهم

أحمد علال وسي موح الزروق لتأتي بكل ما يلزم للثوار من طحين وملابس وعلب سردين وأحذية من دكانه بأولاد بوسعدة (في غزروان)، إلى أن اكتشف أمره فاضطر تحت التهديد بالقتل إلى الالتحاق بالمركز العسكري بأولاد عيسى مع كل أفراد عائلته. وأذكر مرة أن العسكر قد أتوا في إحدى دورياتهم إلى القرية فمزقوا لنا كلّ المناسج التي كنا ننسج فيها بكيفية تقليدية البرانيس والقشاشيب للمجاهدين، ولم يتركوا منها ولو واحدا. كما أذكر مرّة أنّ المجاهدين قد تركوا عندي مبلغا كبيرا من المال يُقدّر بثلاثة ملايين في ذلك الوقت (بما يقدر اليوم بأكثر من مليار سنتيم) وأذكر أنني وضعته (عندما حضر العسكر) في مكان تحت التبن مُخصص للغائط ورميت فوقه فضلات حيوانية وبشرية لتنفير العسكر برائحتها الكريهة، ولقد انطلت عليهم الحيلة، حيث فتشوا كل المنازل والإسطبلات دون أن يدخلوا إلى المكان الذي خبأت فيه أموال الثورة المباركة!

ما دور علي اسماعيل هذا، هل كان مجرد تاجر أم انه مناضل، وكيف أصبحت علاقة أمك (خالتي تماني) به بعد أن التحق بمركز الجيش الفرنسي بأولاد عيسى؟

لقد كان منذ بداية الثورة مُناضلا وقد سُجن وعُذب في سجن كورتيس ببرج منايل مثل أخي محمد الشريف، وبعد أن أطلقوا سراحه وضعوه تحت أعينهم كمصيدة للذين يتعاملون معه من المناضلين إلى أن وقع في قبضتهم كما ذكرت، والدليل على ذلك أنّ أمي واصلت الذهاب إليه في المركز المحاط بالأسلاك الشائكة في أولاد عيسى، ولكنه كان حذرا ومُتحفظا منها وأخبرتني أنه قال لها في آخر مرّة زارته فيها "احذري جيدا منهم يا خالتي خدوجة" (وكان يقصد الحركى الآخرين) فسيعذبونك إن عرفوا حقيقتك (وكانت هي تتجاوز السبعين سنة) فقالت له أنهم مثل أولادي، وتوقفت عن الاتصال به بعد أن أصبح له مُتجر في المركز يزوّد منه العسكر الفرنسي بالسلع الاستهلاكية، وتوقف عن التعامل معنا حتى الاستقلال، حيث فرّ إلى فرنسا وللأمانة فإنه رغم أنه يعرف حقيقتنا بالنسبة للعمل مع المجاهدين، إلا أنه لم يخبر عنا، ولم يلحقنا من طرفه أي أذى، ولكنه توقف كما قلت عن العمل مع الثورة بعد التحاقه بمعسكر العدو في مركز أولاد عيسى، الذي كان يعج بالحركى والخونة ومئات العساكر الفرنسيين الذين يعيشون داخل

حراسة مشددة محاط بالأسلاك الشائكة ومع ذلك كان يدخل إليها المجاهدون ويخرجون ويأكلون ويشربون في سرية تامة وفي غفلة من العسكر حتى الاستقلال، ويشهد على ذلك المجاهد أحمد علال أطال الله في عمره!

بالنسبة للحركى الذين كانوا في المنطقة، سيدتي، كيف كانوا يتصرّفون مع الأهالي؟

بالنسبة لي أتذكر الحركي عمر حمود، الذي كان يعمل عسكريا في صفوف العدو، غير أنه لم يكن يُؤذي النساء، وكان يقول دائما:"بالي في الرجال، أمّا النسا فهنّ وليات" ويعني أنه لا يهتمّ بما تفعله النساء، لأنّهن ضعيفات ومغلوبات على أمرهنّ، من الرجال الذين هم المذنبون والمسؤولون وحدهم، بحسبه، ولهذا يعمل على مُحاربتهم، حتى أنه كان يفصل في القرية بين النساء والرجال عندما يكون هناك تفتيش. كما كان هناك حركي يُدعى الروجي، وهذا الأخير توعّد مرّة بأنه سيقتلني، وذلك على أثر اشتباك وقع بين المجاهدين والعسكر بالقرب من قريتنا، وقد استشهد على اثر المعركة أحد المجاهدين من أولاد بن شعبان نسيت اسمه، وبقيّت جثته في الغابة مُلقاة على الأرض، ثلاثة أيام، ولم يكن هناك رجال ليقوموا بدفنه، فخرجت، وكان معنا رجل مريض عقليا من أبناء عمي اسمه سي حمدان، وأخذت ابنة أخي صفية، وذهبنا الثلاثة لكي ندفنه، فحفرت له قبرًا، ووضعت شاهدا عند رأسه، فبقي رأسه مرفوعا،كما لو أنّه كان يقول لنا بأنه فخور باستشهاده، وعندما وصل الخبر إلى الحركي الكبير المدعو"الروجي" في كاب جناد قال للناس كما أخبروني :"أه، والله مخيخة أصبحت رجلا" في إشارة إلى جرأة العمل الذي قمت به بدفني للمجاهد الشهيد، وتوعّدني بالعقاب الشديد أن يفتكّ بي كما أخبروني حيث قال:"إنها كما دفنته، فسأدفنها حيّة"، فقالت له زوجة ابن عمي التي كانت حاضرة في ذلك اللقاء بأنني (يعني أنا) أقدمت على ما أقدمت عليه، بسبب بقاء شكله مروعا للأطفال والرعاة الخائفين. ولم يرد أحد أن يدفنه فزعا من منظره المخيف. فسكت الخبيث متظاهرا بتصديقها، وقد كان يعرف كلّ أفراد عائلتنا. ولم يأت لينفذ وعده فيَ حتى غادرنا القرية نهائيا بعد ذلك لتصبح منطقة مُحرّمة مثل غابة بوبراك!!

كيف كان يتعامل المُجاهدون مع هؤلاء الحركى والخونة؟

كانوا يُعاقبونهم، وأذكر مرّة أحضر فيها المجاهدون شخصين مُتهمين بالعمالة لفرنسا، أحدهما كان خائنا، والآخر هو الشيخ عاشور (وهو طالب قرآن) ولقد عذّبهما المجاهدون بالمناجل الساخنة، في بيتنا، وأذكر أنّ أمي لم تستطع، أو بالأحرى لم ترد تحمية المناجل، فقمت أنا بذلك، غير أنّ الشيخ عاشور اتضح أنه لم يكن خائنا، والذي كان معه هو الخائن بالفعل، وهو الذي ورّط الشيخ عاشور معه، وأخشى أن يُعاقبني الله على أنني شاركت في عملية تعذيب الشيخ عاشور...وأطلب من الله أن يُسامحني على ذلك. ولقد كانت هناك أيضا أخطاء أخرى عشتها في الثورة أذكر منها على سبيل المثال ما حدث لامرأة، اتهمها ابن زوجها (ربيبها) بأنها خائنة، وعلمت أنّ عقوبتها قد تكون الإعدام لو ثبتت التهمة عليها، فجاء بها المجاهدون إلى بيتنا وكانت تبكي، فقلت لها إن كانت بريئة بالفعل فإنها ستعود إلى بيتها لا محالة لأن الثورة عادلة، وتجد ابنها إن شاء الله كما تركته، وإذا ما حدث لها أمر ما (لا سمح الله)، فقد وعدتها بأني سأحفظ لها ابنها حتى تعود إنشاء الله، بل قلت لها أنني حتى ولو أدى بي الأمر إلى أن استشهد معه فسأفعل، وذهبت الأم وتركت الرضيع الذي ظلّ يبكي دون انقطاع، فمنحته صدري بكل عفوية دون شعور مني، رغم أنني كنت قد فطمت ابنتي (من زوجي الأوّل) قبل ذلك بأكثر من ست سنوات، ومع ذلك فبمجرد أن وضعت حلمة ثديي في فمه حتى تفجّر الحليب غزيراً مني بقدرة الله تعالى وإلى الآن لا اعرف هذا السر ولم أجد له تفسيرا، ولقد كانت لحظات لا أنساها طوال حياتي وهي شبه مُعجزة، تدخل في كرامات الثورة والمجاهدين، فظلّ الطفل يرضع مني إلى أن عادت أمه بعد أسبوع سليمة معافاة، فوجدته أحسن مما تركته في غاية الصحة والروعة والجمال، حتى خُيّل إليّ في تلك اللحظة من اللقاء أنها لم تصدق بأنه هو ابنها الذي تركته في عهدتي.

من هم المجاهدون الذين كانوا يأتون إلى منزلكم وتذكرين أسماءهم؟

أتذكر أسماء الكثيرين منهم، وخاصّة الضبّاط والمسؤولين الذين تعاملت معهم لعدّة سنوات إلى أن استشهدوا وبعضهم ما يزال على قيد الحياة. أذكر المجاهد الكبير والقديم المحفوظ الشامبيط (المدعو بودماغ) وهو كان في الجبل قبل اندلاع الثورة وقد تزوّج في

الجبل وأعرف زوجته خالتي الزهرة وأبناءه جميعا محمد وحورية وفاطمة وقد ألقي عليه القبض في حدود سنة 1958 في بني ثور فوق بغلية، واستشهد تحت التعذيب، فقد قلعوا عينه وقطعوا يده وتركوه في غابة بوبراك، بعد أن فشلوا في الحصول على أيّ سرّ منه عن مخابئ المجاهدين، وهذا حسب رواية المُجاهدين الذين عثروا عليه في الغابة على تلك الحالة التي تعبر عن وحشية فرنسا المجرمة التي كانت تدعي أنها أتت لتحضرنا!!.وأذكر من المسؤولين علي المدني من أولاد علي وأخوه حمود، وكذلك الربيع قارة، وكذلك أعرف أحمد علال وهو من ساحل بوبراك (ما يزال على قيد الحياة) وقد اشتبك هو ورفاقه مرّة بالقرب من بيتنا في القرية، ولقد سترهم الله فلم يُصب منهم أحد بأذى. وأذكر أيضا أحمد سالم وقد كان يسير دائما مع أحمد علال، وأذكر عبد القادر قاسي، وقد كان هذا المجاهد بطلا شجاعا عندما القي عليه القبض مجروحا، فلم يعترف بأنه يعرفنا! واذكر سي موح الزروق، وسي مصطفى، وسي منور وموح بوبراك، وسي أحمد المحفوظ وموح جمعه والسي رضوان، والسعيد إيفليس وكان يتحدث العربية بلكنته القبائلية، وآخرون نسيت أسماءهم رحم الله الشهداء منهم وأمد في عمر الذين ما يزالون على قيد الحياة ومتعهم بالصحة والعافية!.

ماذا تذكرين بصفة خاصّة عن ابن عمك المناضل الكبير الهاشمي حمود؟

لقد كان هو في سن أختي باية التي تكبرني بخمس سنوات، وأذكر أنه كان يأتي قبل الثورة مع موح رابح بلونيس الذي كان متزوجا بإحدى بنات عمي ولها بنتان معه وقد تزوج عليها فيما بعد وأذكر أنّ حمود كان يحضر لي الأناشيد الوطنية ويطلب مني أن احفظها عن ظهر قلب وألقنها لرفيقاتي الأخريات، وكنت أفعل ذلك بكل حماسة، وخاصّة في الأعراس والولائم حيث كنا ننشدها بصفة جماعية، وكان يفرح بنا حمود كثيرا رحمه الله وكذلك شيخنا سي موح المحفوظ الذي تزوّج أختي باية فيما بعد. وكان صديقا وأستاذا لحمود، وقد استشهد هو كذلك في الجزائر العاصمة بعد استشهاد حمود بسنتين تقريبا، رحم الله الجميع. ورغم الخوف من التنكيل بنا من طرف الجيش الفرنسي والحركى فقد كنا ننسى كل ذلك بفضل الحماسة التي كان يبثها في نفوسنا حمود مما جعلنا نقوم بكل المهام التي يطلبها منا لخدمة الثورة والوطن بكل سعادة

سواء هنا في العاصمة أو هناك في القرية، واعترف أننا لم نكن نعرف الخوف أبدا ومن حسن حظي أنني لم أسجن ولم أعذب من طرفهم كما وقع لصفية ولأختي فاطمة الزهرة وبناتها وهذا كله من لطف الله بي، ربما من أجل ألاّ أتخلى عن عملي في الثورة من البداية إلى النهاية والحمد لله.

موح رابح بلونيس أو من صار يعرف فيما بعد بالجنرال بلونيس، هل كان يأتي إلى قريتكم مع ابن عمك سي حمود، قبل اندلاع الثورة أم بعدها كذلك؟

لا، نحن كنا نرى بلونيس قبل الثورة، كان مع ابن عمي الهاشمي حمود منخرطين في حزب الشعب، وكان متزوجا مع ابنة عمي، ولهما ابنتان، ولكنه تزوج من إمرة أخرى سنة 1952، وقيل لنا أنه خان القضية الوطنية، وصار يتعامل مع الفرنسيين، ونحن لم نفهم السبب. في ذلك الوقت ولكن ما نعلمه أنه مات في معركة ضد الجيش الفرنسي سنة 1958 بعد أن استعملوه ضد الثورة، ثم خانوه، وغدروا به كعادتهم دائما!.

هل بقيتم في نفس القرية حتى انتهت الثورة!؟

لا، بعد أن اشتد الخناق علينا وعلى المجاهدين في غضون سنة 1959، فر معظم أبناء القرية وبقيت انا وابنة أخي صفية (زوجة شهيد) فلم نشأ أن نغادر بسرعة ودون إعلام النظام خوفا من أن يأتي المجاهدون إلى بيتنا فيكمن لهم العساكر فيقتلونهم على حين غرة وفي الوقت الذي كانت أمي قد غادرت مع أحفادها وزوجة أخي محمد الشريف إلى حوش علال بموافقة المجاهدين، ففكرت ذات ليلة أن أذهب مع صفية، ابنة أختي، إلى الغابة رافعة بين يدي منديلا أبيض لكي يراني المجاهدون وهذا الذي حصل بالفعل حيث أنهم مجرد أن رأوني عرفوني فقدموا إلي وسألوني عن الأمر فقلت لهم بأننا بقينا لوحدنا في البيت وأن القرية صارت خالية تماما وأن السكان قد غادروها جميعا ولن يعودوا وأخبرتهم أن لا يذهبوا إلى قريتنا مخافة أن يقعوا في الكمين الذي قد ينصبه العسكر لهم فتفهموا الأمر وطلب مني المجاهد الربيع قارة رحمه الله أن أذهب معه وكان يرافقه مجاهد أخر لا أعرف اسمه فذهبنا معهما إلى قرية الغراف بناحية برج منايل، أنا والطفل محفوظ ابن الشهيد وأمه صفية فتركنا المجاهدان هناك،وفي اليوم التالي ذهبنا صباحا إلى

دار أختي باية الساكنة في قرية سيدي أمحمد ببلدية باب الزوار حاليا حيث وجدنا بالمناسبة أن زوجها كان قد استشهد في تلك الأيام، فسكنا عندها في نفس البيت مع أولادها الصغار ومن هناك أجرينا الاتصال مع المجاهدين الذين كنا نتعامل معهم في بوبراك وكذلك مع مجاهدي سيدي علي بوناب في مركز كاف النور في ذراع بن خدة الذي كانت تشرف عليه أختي الكبرى فاطمة الزهراء (زوجة شهيد) وابنتها الكبرى عتيقة (زوجة شهيد) التي أصبحت مجاهدة فيما بعد وأخواتها الثلاث وبقيت أعمل معهم حتى الاستقلال، وأذكر مرةً أن المحفوظ ابن أختي باية (الذي كان مسبلا وأصبح جنديا فيما بعد) قد أحضر كمية من الأدوية متعلقة بالجراحة ولم يتمكن هو من أخذها لأنه كان مبحوثا عنه، فأخذتها أنا من بيت أختي هنا في باب الزوار إلى المجاهدين في بوبراك، وأذكر أن رائحة الأدوية وخاصة منها مُنظف اسمه "لاتير" كان ذا رائحة قوية جدا، تشم من بعيد، فوضعت كل تلك الأدوية في آنية من الألمنيوم مُخصصة للحليب، وأخذت معي عائشة ابنة أخي عمر وكانت في سنّ الثماني سنوات على أنها ابنتي، وأفرغت عليها قارورة عطر قوية الرائحة فطغت على رائحة الأدوية، فهكذا سترني الله من التفتيش في الحافلة من العاصمة إلى برج منايل وكذلك في الحواجز الأمنية حتى أوصلتها بحفظ الله تعالى إلى مقر المجاهدين في ساحل بوبراك وعدت بسلام إلى بيت أختي باية رحمها الله، وأحمد الله الذي أطال في عمري حتى أعيش لأحتفل مع الشعب الجزائري بالذكرى الخمسين للاستقلال الوطني وأحدثهم عن طريق "جريدة الجزائر"، عن الثمن الباهظ الذي دفعناه مع كل الشهداء والشرفاء الأوفياء من أجل تحرير هذا الوطن العزيز الذي نتركه أمانة غالية جدا في أعناق المسؤولين عنه أمام الله وأمام التاريخ الذي لا يرحم الخونة والمتخاذلين والمنافقين أبدا!!.

25

محمد بولعراس

"هكذا زرع غي موليه مكاتب "الاصاص" لإجهاض الثورة"[1]

1 نشر بتاريخ 4 سبتمبر 2012.

نستضيف في لقائنا التاريخي هذا الأسبوع المجاهد الحاج محمد بولعراس، ابن منطقة برّحال، الذي انخرط في النضال صغيرا، وفي حوارنا هذا يُحدثنا الرجل عن منطقة الشرق الجزائري، وكيفية التحضير للثورة، وعن الفرق الإدارية المُختصّة، أي مكاتب "الاصاص"، والعمل الذي قامت به لإجهاض الثورة التحريرية، وغيرها من الحقائق التاريخية الهامّة.

كيف التحقتم بالعمل النضالي سيدي؟

أنا مولود في سنة 1940، ببلدية بن عزوز بولاية سكيكدة. انتقلنا في سنة 1949 للسكن في منطقة برّحال، التي تقع بين الخوالد، وطبيقة. تربّيت لدى عمّتي، حيث كان جيرانها مُنخرطين في الحركة الوطنية، على غرار مطاعي السبتي، عمارة خوالدي، واحمد كادروني، وبوزيان بوطرفة، ومحمد ولد النقيب الميلود، كما يُدعى، والذي كان المسؤول عن المنطقة (ولا يزال على قيد الحياة). حفظت القرآن الكريم، وتعلّمت اللغة العربية، والكتابة. عندما اندلعت الثورة كان سني 14 سنة، كان الوطنيون يُكوّنون الشعب وينظمونه، كما كانت لهم مهام مثل جمع الاشتراكات. واندلعت الثورة، وكلفني المناضلون ببعض الأعمال البسيطة. وفي بداية سنة 1955 راحت فرنسا تنصب المُحتشدات، وقبضت على السياسيين من قُدامى المنخرطين في الحركة الوطنية، مثل عمارة خوالدي، ومطاعي السبتي، وغيرهم.

ماذا عن عمليات التفتيش التي كانت تقوم بها فرنسا؟

فرنسا كانت تستند على الحركي لكي تدخل البيوت. فنحن لم يطأ الفرنسيون بيتنا أبدا، ولكن كانوا يُرسلون الحركى، خاصة بعد سنة 1956 حيث كوّن غي موليي الذي كان رئيسا للجمهورية الرابعة الذي كوّن الفرق الإدارية المختصّة "الاصاص" تحت شعار:"محمد يجيب محمد، ومحمد يقتل محمد".

ما هي الوسائل التي كانت تستعملها تلك المكاتب للتقرّب من الشعب؟

كان ظاهر هذه المكاتب تقديم خدمات للشعب، ومُساعدة المُحتاج، وتوفير مناصب عمل للبطالين. ولكنها في حقيقة الأمر كانت تستميل هؤلاء لكي تُوظفهم لخدمة مصالحها.

كيف كان ردّ المُناضلين على هذه السياسة؟

منذ البداية كانت هناك توصيات في هذا الاتجاه، قالوا لنا:"احذروا من أن يستميلوكم" كما أوصونا أن نراقب الأشخاص الذين يترددون على مكاتب "لاصاص".

بالنسبة للأشخاص الذين كانوا يتّصلون بـ"لاصاص" هل يدفعهم الفقر، أو الطمع، أو أنّ بعضهم كانت لديهم قابلية للعمل مع فرنسا؟

هو الطمع في أغلب الأحيان، يُعطونهم خدمات، وربما أموالا، ثمّ يطلبون منهم بالمقابل معلومات عن الثورة، والثوّار.

كم كان عدد مراكز "لاصاص" في منطقتكم؟

في برّحال كان هناك مركز واحد، يُشرف على برحال، واد لعنب، بن عزوز، واد ازياد، ومكتب آخر في الشرفة، وهي بعيدة نسبيا، تتبع حاليا لولاية قالمة.

كيف التحقتم بجيش التحرير الوطني؟

أبديت رغبتي في الالتحاق بجيش التحرير الوطني في حديثي مع المسؤول السي ساسي، الذي كان يأتي إلى بيتنا، ويجمع الاشتراك، وينقل الدواء، من عند محمد دحدوح. قُلت للسي الساسي أنني أريد أن أتجنّد، وأذهب إلى الجبل[1] وقصصت له ما وقع لي مع أشخاص صاروا مُتعاونين مع "لاصاص" أرادوا أن يجندوني للعمل مع السُلطات الفرنسية، فقال لي السي الساسي أنّ السلاح غير مُتوفّر، وبعد قُرابة الشهر عُدت والتقيت به، فكرّرت طلبي، فقال لي حضّر نفسك، ففرحت، و انتقلت إلى الجبل. وعندما وصلنا جمعونا في مكان اسمه جبل دباغ، أمام حمام الصالحين. كنا 75 مُجندا جديدا، وكان كلّ من أحمد هبهوب، وعبد الله مرّاحة، وأحمد بن جابوري مسؤولين عنا. غير أنّ العسكريين في المنطقة الثانية للولاية الثانية أخبرونا أنّنا نعاني نقصا في العتاد الحربي. كما قاموا بتوعيتنا، إذ أعلمونا بالمخاطر التي يُمكن أن تعترضنا.

ما هي أولى المهام التي كُلفتم بها بعد صعودكم إلى الجبل؟

مرّة كنا مُكلّفين بإحضار السلاح من تونس، وتمّ تعيين عبد الله حمادي مسؤولا، وتُرافقنا فصيلة حماية. وفي مساء الغد، نادونا

---

[1] Le maquis

مرّة أخرى، رددنا النشيد الوطني، وودّعونا، وكنا مجموعتين، أولى اشتبكت في منطقة دباغ في البداية، وقد علمنا بعدها أن بعضهم قد استشهدوا، وزرقين أصيب. أما نحن فحُوصرنا، وراحت القوات الفرنسية تتبعنا أينما حللنا.

هل وصلتم إلى تونس؟

أجل بعد أن اشتبكنا أكثر من مرة مع القوات الفرنسية التي كانت في إثرنا. إلى أن وصلنا إلى مدينة بوحجّار، نصبنا مخيما في بوحجّار، ثمّ وصلنا إلى حيث كانت تتواجد كتيبة الولاية الثالثة التي يُشرف عليها السعيد محمدي، الملقب بالعقيد ناصر، وكانت هناك كتيبة جيجل يُشرف عليها بودفة، مثلما كان يُشرف على عزابة علي منجلي، وعلى شطيبي، حمو بابوري، والسعيد محمدي على الولاية الثالثة. ونحن من عزابة بقينا مع علي فلفلي، أي بوحجة. وأنا التقيت بوطرفة، وبابوري، من برّحال، وبقينا ننتظر أمرا بالخروج من الأراضي التونسية، وأذكر حضور اللجنة الطبيّة، منها الآنسة جانين بلخوجة، وجاء الدكتور هدام أيضا، عالجوا المرضى منا. وبعدها خطب فينا علي منجلي، قال أنّ مُهمتنا صعبة، والبرنامج المُسطّر من طرف جبهة التحرير تغيّر، ذلك أننا سنخوض معركة ضد السلطات الفرنسية التي تنوي انجاز خط شال. وذكر منجلي أيضا أننا لا بد أن نتمرن على استعمال السلاح. كانت وقع كلماته بمثابة الصدمة، بل إنّ منا من بكى لأنه لن يعود إلى الجزائر. غير أننا احترمنا قرار الجبهة.

كيف كنتم تستقبلون الضُبّاط الفارّين من فرنسا، والذين التحقوا بجيش التحرير الوطني؟

في المخيم الذي كنا مرابطين فيه أذكر مقدم عبد الغني، والعربي بلخير، ومختار كركب، وسليمان اوفمان، كانوا فارّين من فرنسا، أو صانا المسؤولون أن لا نتحدّث إليهم إلاّ إذا تحدثوا إلينا هم!

أي أنكم لم تكونوا تثقون فيهم؟

لا أدري، أنا لم أخشهم. ربما المسؤولون كانوا يحتاطون منهم.

هل واصلتم التدرّب؟

أجل، بقينا نتدرب لستة أشهر، وبعد تأسيس الحكومة المُؤقتة نقلونا إلى مخيم واد مليس، بعد أن كنا في غارديماو، كان يُشرف

على هذا المخيم احمد قادري، وازدادت التدريبات صرامة. ثمّ عينت مجموعة، وكنت من بينها، لكي يتمّ نقلها، وصلنا في البداية إلى غرديماو، التي كان يُشرف عليها الرائد ايدير، والعقيد سي ناصر، وعلي منجلي، وكانت المحطة الثانية هي قرن حلفاية بولاية الكاف، وهي بمُحاذاة الونزة، حيث التقيت بعبد الله بوترعة، ومختار كركب، وسليمان اوفمان. وتم اختيارنا لكي نُشكل أوّل وآخر كتيبة مُستقلة مُدرّبة تدريبا عسكريا.

من كان يُشرف على التدريب؟

الهادي قميقم، ومحمد بوغان، وعمار بن سمرة، ومحمد بتشين، وعمار بن جامة، أذكر أنّ عددهم كان ثمانية، يُشرفون على ثمانية أقسام، كلّ واحد يتكون من 30 فردا، تدرّبنا من جانفي حتى بداية جويلية، أي ستة أشهر، ومنا من ذهب إلى واد ملال لكي يتعلّموا التطبيب، وكان يُشرف على واد ملال عبد المجيد علاهم، وهي مدرسة لتكوين الإطارات، انتقل إليها ثمانية مُجاهدين، واحد من كل قسم. وعندما أنهينا المهمة تم نقلنا إلى المنطقة التي يُشرف عليها عبد الرحمن بن سالم. في البداية دخلنا إلى وشتاتة، حيث كان الشاذلي بن جديد يُشرف على كتيبة، والشافعي يُشرف على أخرى. كنا في فيلق، وبمحاذاتنا بن سالم ثم شابو. في 14 جويلية 1959 وقع هجوم على مركز عين الزانة، من طرف فيلق سليمان اوفمان، وعبد الرحمن بن سالم، وعبد القادر شابو. ثمّ نقلونا من وشتاتة، إلى أم الطبول في الحدود التونسة بمُحاذاة ولاية الطارف، في منطقة باب بحر، وكان خط شال يمرّ من البحر إلى أم الطبول إلى رمل السوق، إلى عين كرمة، ثمّ بوحجار، عين الزانة، الساقية، بوسردوك، الونزة.

في تلك الفترة، أي نهاية 1958 إلى ما بعد سنة 1960 كانت هناك صعوبات في التموين بالسلاح، وحتى أنتم ذكرتم أنكم كنتم ستعودون حاملين السلاح، ولكن البرنامج تغير، هل كانت هناك مُحاولات لتموين الداخل؟

لم يكن ذلك مُمكنا. أذكر أنه في شهر أكتوبر من سنة 1959 جاء بلقاسم كريم، نائب رئيس الحكومة المؤقتة، ووزير الدفاع، وجاء الرائد ايدير، وعبد الرحمن بن سالم. سبب حضوره حصار الولاية الثالثة، التي كانت بحاجة ماسّة إلى السلاح. قال بلقاسم كريم أنه لا بد من تكوين جماعة من المُتطوّعين، تتوفّر فيهم

الشروط الآتية:أن يكون على دراية بالطريق، ويكون في حالة صحيّة جيدة، ويكون مُلتزما، لكي تنتقل إلى الولاية الثالثة، فتطوّع الكثيرون. وأشرف على هذه المجموعة احمد بن شريف، وتم تحضيرهم للمُهمة، وأعطوهم مبلغ 4 إلى 5 ملايين للشخص الواحد، وذخيرة مضاعفة لكل واحد منهم.

هلا حدثتنا عن العمليات العسكرية التي كان جيش التحرير الوطني يقوم بها على الحدود الجزائرية التونسية؟

هناك من يريد أن يقلل من دور جيش الحدود، ولكن أقول لك أنّ العمليات العسكرية التي قام بها كانت مهمة، وقد كلفت فرنسا خسائر كثيرة. منذ سنة 1960 صرنا مُدعّمين بمدافع روسية، كثرت عمليات القصف. كما صرنا نقوم بمعارك كبرى على الحدود التونسية، دون العمليات والمناوشات، أنا كنت مُكلفا بتفجير البنغلور. كنا نخوض المعارك يوميا. نقلونا بعدها إلى باب بحر، بقينا فيها إلى شهر مارس من سنة 1962، خلال وقف إطلاق النار، نقلونا إلى واد ملاق لاستقبال الزعماء الخمسة، ولم يأت إلاّ رابح بيطاط، وايت احمد، وبن بلة، وحتى بلقاسم كريم تغيب. ثم ربضنا على الحدود.

في أكتوبر 1961 فرنسا قصفت بنزرت، كيف تعاملتم مع الوضع سيدي، خاصّة وأنّ البعض يقول أنّ سكانها هم الذين حموا أنفسهم، في الوقت الذي لم يفعل فيه جيش التحرير شيئا؟

هذا غير صحيح، إنّ جيش التحرير الوطني هو الذي حماها، وهناك من ما يزال على قيد الحياة من المجاهدين، ويمكن أن يؤكد لك أنه لولا جيش التحرير الوطني لاستعمرت فرنسا تونس مرة ثانية، وبومدين هو من أرسل الجيش لحمايتها.

سيدي كنتم على الحدود الشرقية عندما وقعت حادثة علي حنبلي، هل أخذ سلاح الجيش الجزائري لكي يفر إلى فرنسا، أم أنّ قرار الجبهة بمحاسبته هو الذي عجل بذهابه إلى فرنسا؟

فرنسا حاصرت علي حنبلي في الونزة، جمع جيشه وذهب إلى مخزن جيش التحرير، فأخذ كل المؤونة، وهو إجراء مُخالف للقانون، بطبيعة الحال، وهو ما جعل السعيد محمدي يستدعيه، فعلم حنبلي أنهم ينوون محاكمته، وربما تصفيته، وكان يملك 3 أو4 كتائب، فقال لجيشه أنّ الجبهة تريد قتله، وأن من يريد أن يرافقه يفعل، والذي يريد أن يبقى فهو حر، فذهب إلى فرنسا،

واستسلم، وقبل ذلك أخذ معه الرجل الذي جاء يتفاوض معه كرهينة، وهو بن جامع عمار، هذا الأخير عندما أطلقه حنبلي ليعود إلى الجيش، فعل، ثمّ اغتيل في ظُروف غامضة.

من اغتال علي حنبلي؟

على حد علمي، فرنسا هي التي اغتالته.

26

حسين زهوان

"سذاجة عميروش حوّلته لآلة في يد "ليجيه" لقتل مئات المُناضلين المُخلصين!"[1]

1 نشر بتاريخ 8 سبتمبر 2012.

تحدّثنا في لقائنا التاريخي اليوم مع المجاهد حُسين زهوان الذي كشف لنا سرّ التقرير الذي حمله إلى الحكومة المؤقتة مُتهما فيه عميروش بكونه المتسبب الأوّل في اغتيال العديد من المُناضلين المخلصين بعد عملية "الابلويت" الشهيرة التي خطّط لها الضابط بمصلحة الاستعلامات والاستغلال التابعة للجيش الفرنسية "بول آلان ليجي" وقال أنّ العقيد عميروش لم يتحل بالحكمة الكافية التي تُمكّنه من تقصّي الحقائق لتفادي "المذبحة" التي وقعت، إلاّ أنه رفض نظرية معاداة عميروش للطبقة المثقفة. كما وصف المُتحدّث المركزيين بالبرجوازيين، وعاد إلى قضيّة الضُبّاط الأحرار وتمرّدهم على محند اولحاج، والموقف الذي اتخذه مُحدّثنا لحل الأزمة، وننتهي إلى وقف إطلاق النار، والعمليات التي قامت بها المنظمة المُسلّحة السرية ضدّ المدنيين في مُحاولة يائسة للحفاظ على جزائر فرنسية، ثمّ ما يسمى بـ"صدام الولايات" حيث أسس ضيفنا رفقة بعض المجاهدين لجنة الوحدة والإنقاذ الوطني لإصلاح الوضع. كلّ هذا يحدثنا عنه حسين زهوان في هذا الحوار الشيّق...

سيدي، نعلم أنكم، مُناضلو جيلكم، تأثرتم بالجو الذي تلى الحرب العالمية الثانية، والحركات التحررية في العالم، ما هي الأفكار التي كانت سائدة في تلك المرحلة؟

عائلتي كانت مُتأثّرة تاريخيا وثقافيا بالضغط الاستعماري. فبعد التوغّل الفرنسي في بلاد القبائل، تعرّضت العائلة إلى قمع شديد. انتزعوا منا أراضيها في آيت خليفة بذراع بن خدة، على بعد حوالي 8 كيلومترات من مدينة تيزي وزو، و80 كيلومترا من العاصمة، فرحلت العائلة واستقرّت في القليعة. والدي كان صغيرا، وكان محظوظا أن تلقى دروسه مع أبناء المُعمّرين، ثمّ توفيّ الجدّ ودفن في مدينة القليعة، أمّا الجدّة فحزنت وعادت إلى بلاد القبائل، ونحن نشأنا في الجو الذي تزامن، كما قدّمت، مع الحرب العالمية الثانية، فكانت مرحلة تاريخية زلزالية.

هل واصلتم دراستكم؟

أنا دخلت المدرسة، ولكن بعد مدّة كان هناك إجراء تجنيد المُدرّسين في صفوف الجيش الفرنسي. توقّفنا إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية. أي أنّ دراستنا تجمّدت لمدّة 4 سنوات، غير أنّ والدي كان على معرفة بمُدرّس من أصل جزائري يحمل اسم مترف، قمعوه في عهد فيشي، وبعد نهاية الحرب عاد إلى التعليم، وكان على معرفة بوالدي، وكان رجلا يساريا شيوعيا، كل وجوده كان يرتكز على كره الاستعمار. وأنا الذي ضيّعت 4 سنوات من الدراسة، ساعدني هذا الرجل المعلم الذي سهل لي العودة والالتحاق بمقاعد الدراسة إن كنت أُحسن فكّ الحروف على الأقل، فعلّمنيها والدي، إذ كان يُلقنني دروسا مسائية، فقبلني المُعلم مترف وساعدني، حيث جعلني أقضي الدراسة الابتدائية في أربع سنوات فقط. وفي سنّ المُراهقة كان الجو مُفعما بالنضال والقومية والوطنية، وكنا نُغني الأناشيد الوطنية. كما كانت عائلتنا مُقرّبة من عائلة بلقاسم كريم، حيث أنّ أرملة عمّي ارتبطت برجل من عائلتهم، وأخت كريم ارتبطت بواحد من عائلتنا، وحتى أنا درست مع أخيه رابح. أما هو فكان مُنفيا، إذ كان محكوما عليه غيابيا بالإعدام، وأقول لك أنّ عائلة كريم هي أولى العائلات التي دخلت نساؤها إلى السجن. وكنت ألتقي بكريم دائما، وأراه عندما يأتي للاختباء في منزلنا، فأثر شخصه فيّ. ولما أنهيت دراستي الثانوية بتيزي وزو، قدمت إلى العاصمة، ومنها انخرطت في فرع حركة انتصار الحريات الديمقراطية في "العقيبة" ببلكور سنة 1953. ومن هناك رحنا نُناضل بما نقدر عليه، وشكّلنا بفرع بلكور خليّة للتدريب العسكري مع مُناضلين معروفين، منهم محمد حماداش، وآخرون. كنا نجتمع في المدنيّة بـ"وادي المرأة المُتوحشة" وكان هناك شخص يُدعى يزيد، كان يُدربنا على كيفية استعمال الأسلحة.

خلال الأزمة التي وقعت بين المصاليين والمركزيين اخترتم أن تقفوا إلى جانب مصالي الحاج، لماذا؟

كنا نميل إلى مصالي الحاج عاطفيا، لأنّ المركزيين كانوا يُمثّلون البرجوازية، ولو ن البرجوازية كان مصلطح نستعمله مجازا، ولا يمثل البرجوازية بمفهومه الحقيقي. ورغم أننا كنا نُناضل في العاصمة، إلاّ أننا كنا مُرتبطين بمنطقة القبائل، بحكم

القرابة بيننا وبلقاسم كريم. وكان كريم يزورنا، خاصّة وأنّ أخي كان يدير مقهى في بلكور، بلوزداد حاليا، وهو ما جعلنا نبتعد عن صراع مصالي الحاج مع اللجنة المركزية، لأنه صدام بدون جدوى، وصرنا مُتأثرين بأصحاب الفكر الثوري، خاصّة وأنّ الشعوب في آسيا تحرّرت، مثل أندونيسيا والهند، والصين، وحتى المغرب وتونس أطلقا ثورتيهما، وبقيت الجزائر. عندما جاء كريم إلى العاصمة زارنا في بلكور، وبدأ الحديث عن الأزمة، تبادلنا الآراء، ثمّ غادر وبعد ساعات عاد إلى المقهى، ربت على كتفي وقال:"الأزمة لا شيء، وسنبني جيش التحرير الوطني" قال لي هذا في 8 ماي سنة 1954، تذكرت هذا لأنه كان مُصادفا لذكرى مجازر 8 ماي، إضافة إلى انتصار الجيش الفيتنامي في ديان بيان فو، كان الفرنسيون في حداد، ونكسوا العلم.

لماذا قال لكم هذا في ذلك التوقيت بالذات السابق لتحديد موعد تفجير الثورة؟

علمت السبب بعد تلك الحادثة، إذ أنّ بلقاسم كريم قدم في ذلك اليوم للاتصال باللجنة الثورية للوحدة والعمل الذين كانوا يُحضرون للثورة، بعد أن ربط بينهم مصطفى بن بولعيد. هذا الأخير قال أنه لا يُفجّر ثورة يغيب عنها من حمل السلاح منذ سنة 1947، وكان يقصد بلاد القبائل. وتمّ الاتصال بين الطرفين بعد حادثة وقعت لمناضل من منطقة القبائل، أرسلته الحركة الوطنية لمنطقة الأوراس لكي يختفي فيها، واسمه اعراب اعمر، وظلّ مختبئا عن الأعين لمدّة، غير أنه انهار معنويا، وسعى لأن يُسلّم نفسه إلى السُلطات الفرنسية، واتّصل بالمسؤول الإداري الفرنسي، فوافق على أن يعفو عليه على أن يُثبت حُسن نيّته في تسليم نفسه، وذلك بانجاز عملية في صالح فرنسا، فقتل أحد زملائه، ويُدعى زناتي، وقطع له أصبعه، كدليل على حسن نيته تجاه السلطات الفرنسية، غير أنّ المسؤول الإداري الفرنسي، الذي كان يعلم أنّ اعراب من منطقة سيدعلي بوناب وهو دوار كريم بلقاسم، قال له أنّ هذا لا يكفي، ودعاه لأن يُنجز عملا آخر، وهو القبض على اوعمران وبلقاسم كريم حيّين، أو يقتلهما. فغادر اعراب الأوراس فجأة، ودون سابق إنذار، وهو ما جعل بن بولعيد يشكّ في أمره، ويُرسل تحذيرا إلى المُناضلين قائلا أنّ شُكوكا تحوم حول الرجل بشأن مقتل المناضل زناتي، ولو أنه لا دلائل ملموسة. وبعد

الحادثة بأيّام قلائل قدم اعراب إلى بلكور، والتقى باوعمران صدفة الذي كان على اطّلاع بتحذير بن بولعيد، فمشى الاثنان، مع مُناضلين آخرين، وهما محمد حمداش، وموحيز، ومرّوا ببلكور وحديقة التجارب، إلى أن وصلوا إلى غابة وادي المرأة المُتوحّشة، فهجم اوعمران على الرجل، ولكنّه استطاع أن يستدرك الوضع، ويتحكّم في اوعمران الذي نادى على صاحبيه، فقدما، وحينها فرّ واعراب، فأطلق عليه اوعمران رصاصة فأصابه بها في ظهره فسقط في الوادي، وعندما سمع حارس الغابة ضجيجا حاول أن يطلع على ما حدث، غير أنه رأى المُسدّس في يد اوعمران فاختبأ، ولكن اعراب لم يمت. هذه الحادثة هي سبب الاتصال بين بن بولعيد في الأوراس وبين بلاد القبائل. ولأعود إلى ما سبق لقائي بكريم، فهو عندما قدم إلى العاصمة التقى ببوضياف، وببيطاط، وديدوش في شارع ميلوز، عند شخص يُسمى مراد بوقشورة، هذا الأخير كان يملك محلا لصنع الجلود، وهو خرّاز، ولدينا شهادة مكتوبة بخط يد بيطاط، يتحدّث فيها عن اللقاء، وكريم عندما عاد من الاجتماع قدم إلى المقهى، وقال أنهم سيُؤسسون جيش التحرير الوطني، وكان مُتحمّسا. أي أنّ القرار كان قد اتخذ لتفجير الثورة، أمّا تاريخ الفاتح من نوفمبر فقد حُدد في وقت لاحق.

هل استعدتم الاتصال بكريم بعد تفجير الثورة؟

أجل، بعد أن اعتقلوا شقيقي احمد في الثامن من شهر نوفمبر رحنا نحن نهتم بالتنظيم. أنا استعدت الاتصال مع بلقاسم كريم أواخر شهر نوفمبر، إذ جاء إلى العاصمة في مُهمّة تنظيمية، في لقائي الأوّل معه بعد عودته، أذكر أنه كان رفقة رابح بيطاط، وعمر اوعمران في بلكور. ثمّ التقينا مع كريم ومُناضلين آخرين، من بينهم ايت علجت لحلو من المرادية، وبشير مغربة، عملنا في الاتصال، ولكن في شهر ماي ألقوا عليّ القبض، وضعونا في سجن سركاجي، ثمّ وهران، ثمّ الأصنام، حُكم عليّ بأربع سنوات، ثمّ سنتين، ثمّ خرجت في شهر جويلية سنة 1957. وعندما خرجت من السجن كنت مُتعبا. كما حدث أن اصطدمت بحرّاس السجن، فتصارعت معهم، فاعتقلوني مرّة ثانية، لأقضي 35 يوما أخرى في الزنزانة، وبعد مدّة من خروجي من السجن التحقت بالجبل في الولاية الثالثة. كان من المفروض أن أرافق العقيد السعيد محمدي

إلى تونس، ولكنني لم أكن قادرا على مُواصلة الطريق، فقد كنت مُرهقا كثيرا، وضعيفا جسديا، فعُدت. وعملت كمُكلف بالصحافة، إذ كان هناك قرار إنشاء جهاز إعلامي، كنت أحضر لنشرة، وبرنامج دعائي، ثمّ التقيت بالعقيد عميروش في بداية سنة 1958، وعيّنني كمُحافظ سياسي.

أنتم سيدي أدنتم قرار العقيد عميروش بتصفية عدد من المشبوهين بتسللهم، فيما يُسمى بعملية "لابلويت" فهل تحسبون أنّه كانت أمام عميروش خيارات أخرى؟

فعلا، كنت الوحيد الذي ندّد بما فعله العقيد عميروش، حتى أنني أنجزت تقريرا مفصلا عن الوضع، وسلّمته لبلقاسم كريم شخصيا. وأحسب أنّ المسؤولية كاملة تُلقى على عاتقه.

لكن، لماذا تُلقون عليه المسؤولية، وقد فعل ما فعل لإنقاذ الثورة مما كان يُمكن أن يلحق بها من ضرر قد يُجهضها إن صحّ أنّ المُشتبه فيهم فعلا كانوا خونة، أو عُملاء مُتسّللين لصفوفها؟

عميروش في رأيي قد انجرّ بغباء في عملية وهميّة خادعة، وقتل أشخاصا أبرياء، وصار لعبة في أيدي الضُبّاط الفرنسيين.

لكنه كان في حرب، وفي وضعية صعبة، ذلك أنه لم تكن هناك مُحاكمات، أو وقت للبثّ في حقيقة هؤلاء المُشتبه فيهم؟

في كلّ الأحوال لا يُمكن أن نتّهم شخصا بدون أدلّة. فالقانون يقضي بأننا لكي نتهم شخصا فلا بدّ من تقديم أدلة قاطعة ومقنعة.

لكن كانت هناك شُبهات تحوم حول بعض المُجاهدين، وهي التي ظلّلت قادة الولاية الثالثة وعلى رأسهم العقيد عميروش، أي أنّ قرار عميروش لم يكن من لا شيء...

هل يُعقل، مثلا، أن نقتل مُثقفا ترك عائلته، وقاتل، وأُصيب، وحُكم عليه بالإعدام، وكاد يستشهد،... فنأتي ونقتله بتُهمة غير مُؤسّسة، فقط لأنّ اسمه ذُكر على لسان شخص تحت التعذيب، أو تسرّب اسمه هنا أو هناك. إنّ العملية نظّمتها فرنسا لكي تُشوّش على قادة الولاية الثالثة. عميروش لم يقم بهذا عمدا، ولكنّ قلّة ذكائه جعلته يتحوّل إلى لُعبة في يد ضابط فرنسي اسمه "ليجي". ما لم تستطع أن تفعله فرنسا بالقوّة فعلته بواسطة عميروش. تماما مثلما شوّش هتلر على ستالين الذي صفى نُخبة من ضُبّاط الجيش السوفياتي، وعندما حاول هذا مع بريطانيا لم ينجح!

سيدي، أنتم تذكرون أنّ هتلر استطاع التشويش على روسيا، وهي دولة قويّة، وتقارنون بما حدث فيها، وكذا ما حدث مع انجلترا بالوضعية الصعبة الذي كان

فيها عميروش، إذ لم يكن قادرا لا على التحقيق، ولا إخضاع المشتبه فيهم إلى محاكمة، فلا الوقت، ولا الظروف كانت في صالحه؟

إذا كان عميروش غبيّا فهذا شأنه. لا تحاولوا أن تخُفوا الحقيقة، أنا لا أقول أنه فعل ذلك عمدا، ولكنه بغباوته، تحوّل إلى لُعبة في يد "ليجيه" ومصالح المُخابرات الفرنسية. "الابلويت" نجحت أكثر مما كان يتوقعه الفرنسيون.

قلتم أنكم كنتم الوحيد الذي انتقد عميروش في ذلك الوقت، هل أدنتم أيضا القادة الآخرين على غرار النقيب أحسن محيوز؟

محيوز عبارة عن آلة تعذيب لا غير. كان تحت مسؤولية عميروش. كان مثله مثل عميروش يقول أنه قادر على معرفة الخونة من خلال النظر إلى أعينهم! هل هذا كلام إنسان عاقل؟ يقتل المثقفين، ويقول أنه قادر على تمييزهم عن غيرهم من خلال نظراتهم! في سنة 1964 في مؤتمر جبهة التحرير الوطني في سينما إفريقيا، كنت مُمثل وفد العاصمة، وفي تدخلي الأخير طلبت من المنصّة بإعادة الاعتبار للأشخاص الذين استشهدوا ضحيّة لحُمق عميروش في عملية "الابلويت" فطأطأ الجميع رؤوسهم، ومحيوز كان حاضرا في القاعة، وبعد الجلسة تشكلت اللجان في قصر الحكومة، عيّنا من يُمثلنا في اللجنة السياسية التي تعقد اجتماعها في قصر الحكومة لتحضر اللوائح التي تقدم للتصويت في اللجنة العامة، وقبل بداية الأشغال دخل محيوز، وأراد التدخل، بن بلة قال له أن لا وقت لدينا، فطرق محيوز قضية "الابلويت" وأنه يريد أن يدافع عن ذكرى عميروش، قال له بلن بلة أن لديه 5 دقائق، فقال محيوز أنّ المؤامرة كانت موجودة فعلا، والمسؤول الأوّل كان مصطفى لاليام، زوج نفيسة حمود، وكان طبيب الولاية الثالثة، ثمّ قُبض عليه في برج بوعريريج في 27 نوفمبر 1957، وكان رفقة زوجته، وماتت ريموند بيشار، وقبض على دانيال مين، يوم التحقت أنا بالجبهة. اتهم محيوز مصطفى وزوجته المخلصين وكذا ريموند الفرنسية التي أقسمت أن لا تقبض عليها السلطات الفرنسية حيّة، وفعلا، قُتلت بكرامة. ثمّ أضاف محيوز، أنني، ويقصدني، كنت مُشاركا في عملية "الابلويت" استنادا إلى شهادة شخص اسمه محي الدين اكاشوش، وهو ساعاتي ابن القصبة كان يُفخخ القنابل، وذهب إلى الولاية الثالثة، وكان الشخص الأوّل الذي

التقيته في مقرّ قيادة الناحية الثانية للولاية الثالثة في مكان مُسمى ايغلفان في بني زمنزر، تحدّثت إليه عن العاصمة، وأحوالها، وغير ذلك. ثمّ تحت التعذيب ذكر اسمي، ربما لأنه تذكّر ذلك اللقاء بيننا، فالأشخاص تحت التعذيب يُمكن أن يهذوا بأيّ شيء. مثلما فعلوا مع مصطفى لااليام. وهذا غباء!

هل ندم عميروش على ما فعله؟

أجل قبل استشهاده بمدّة، لكنّ الوقت كان مُتأخرا. هناك بعض المشتبه بهم الذين تعرضوا للتعذيب، ومع ثبوت براءتهم فإنّ عميروش لم يكن قادرا على ا طلاق سراحهم.

ولكنّ المناورة انتقلت إلى الولاية الرابعة، وخلّفت خسائر بها، فهل ينطبق ما قلتموه عن قادة الولاية الثالثة على قادة الولاية الرابعة؟

انتقلت المناورة إلى الولاية الرابعة، وانتقل معها المُعذب السي محيوز، ولكن أوقفها السي محمد[1] ولم تُحدث ما أحدثته في الولاية الثالثة. فالسي محمد لم يقع في الفخ. أمّا عميروش فكان يهذي، لم يكن طبيعيا، ويتحدّث عن هؤلاء الأشخاص بشكل غريب، ولم يستطع التحكم في الوضع، ومُشكلته أنه لم يكن قادرا على العودة التراجع، أقول لك أنهم عذبوا أشخاصا إلى درجة تشويههم، ومنهم من ثبتت براءتهم ولكن عميروش لم يُطلق سراحهم، لو اعترف أنه أخطأ لكان انتحر، لأنّ النُخبة التي قُتلت لا يُمكن تعويضها، كانوا مُثقفين، وضُبّاطا، وشُجعانا، وكانوا تحت النيران، والقصف... اتُهموا مجانا بالخيانة.

التقرير الذي رفعتموه إلى الحكومة المؤقتة لتنتقدوا تصرف العقيد عميروش مع الوضع في عملية لابلويت، هل كان يحتوي على أرقام حول عدد الأشخاص المُشتبه فيهم والذين تمّت تصفيتهم؟

في التقرير كتبت أنّ الرجل الذكي والناضج لا يمُكن أن يقع في حيلة مُماثلة، هذا لا يعقل! أنا قدّرت أنّ العدد هو 2500 ولو أنّ الرقم غير دقيق.

كيف كان ردّ الحكومة المؤقتة على التقرير؟

كانوا خجلين، وتفاجأوا لأنّ عليهم شيئا من المسؤولية فيما

---

1 قائد الولاية الرابعة محمد بوقرة.

حدث، ذلك أنهم شجّعوا عميروش على ما فعله، مثل بوالصوف وكريم وبن طوبال، بل إنهم عندما انطلقت العملية أرسلوا لعميروش رسالة شكر وتشجيع.

هل تظنون بأن عميروش كان ضدّ الطبقة المثقفة، مثلما اتهمه البعض؟

لا، لم يكن ضدّ المثقفين، بالعكس، فقد كان يُشجّع بروز المُثقفين، وهو ما علمته في لقائيّ الأوّل معه. إذ كنا في غابة سيد علي بوناب، لم أكن أعرفه، جاء ليتفقّد الأوضاع، صلى بنا الشيخ الصدّيق، لأن الصلاة كانت إجبارية، أو تكاد. ورُحنا نتناقش، فلاحظ أنّ لهجتي تختلف عن غيري، وكنت أتحدّث العربية والفرنسية، وكنت مُلمّا بأمور السياسة، وبعدها حضرنا اجتماعا في مكان يُسمى آيت بوعبو، ترأس عميروش الاجتماع، وبقي منصب المُحافظ السياسي شاغرا، فأشار إليّ أن أتكفل بالمنصب، رغم أنني لم أكن قد التحقت بالجبل إلاّ منذ أربعة أشهر فقط، فكان الحاضرون مُتردّدين بشأن الأقدمية، فمُشكلة عميروش ليس لأنه كان مُعاديا للمُثقفين، ولكنه لم يتحلّ بالذكاء اللازم لكي يكشف مناورة "ليجيه"، فذهب المثقفون ضحية وقوعه في هذا الفخ المنصوب له بدهاء ومكر فائقين. كان ساذجا...هذا فقط!

تحدّثتم سيدي قبل قليل عن الطبيبة نفيسة حمود، وكذا دانيال مين، وريموند بيشار، لكن مسؤولي الولاية الثالثة منعوا التحاق النساء بالجبال، لماذا؟

منذ البداية كانت هناك نساء مجاهدات في الولاية الثالثة، لكن في أواخر سنة 1959 كان هناك مخطط شال الذي شكّل ضغطا كبيرا على جيش التحرير، فتفكّكنا إلى وحدات صغيرة، وصرنا مُضطّرين إلى أن نعيش تحت الأرض وفي المغارات، والمُجاهدات أصبحنّ غير قادرات على العيش في القرى مُنعزلات عن الرجال، ولهذا فإنه في الضرورة، وربما تحت القصف، تجد المرأة نفسها أحيانا مُجبرة على البقاء في المغارات مع رجل مُجاهد غريب عنها، ما جعل قيادة الولاية الثالثة تتّخذ قرارا بإبعاد النساء. أنا أرسلت مُجاهدات للعاصمة لكي يعملنّ هناك، حتى لا يعشن ذلك الوضع، خاصّة وأننا محافظون، والثورة كانت صارمة في هذه المسألة، وعقوبة من تثبت ضده تهمة في هذا الشأن هي الإعدام المحتوم.

كنتم في بداية سنة 1959 مُحافظا سياسيا، كيف تلقّيتم نبأ استشهاد العقيد عميروش، وكيف أطلعتم الجنود على الخبر؟

بلقاسم كريم استدعى العقيد عميروش ليلتحق بتونس. وقبلها أن يغادر اتخذ عميروش التدابير اللازمة، إذ شكّل قيادة الولاية، ثمّ ذهب. أنا كنت مع الكوموندوس في ضواحي آيت منصور في تيزي وزو. أشعلت الراديو، فسمعت الخبر، بقيت دون حراك لمدّة، أفكر في كيفية إخبار الجنود، وفي الغد صدر بيان، تلته تعليقات حول ظروف اغتياله.

سيدي، بعد استشهاد العقيد عميروش، وتولي محند اولحاج قيادة الولاية التاريخية الثالثة ظهر ما يُسمى بأزمة الضُبّاط الأحرار الذين كانوا يعترضون على سياسته، ما حقيقة الخلاف بين الطرفين؟

ما حدث كان نتيجة الضغط على الولاية الثالثة، والحصار الشديد، بعد أن أُنجز مُخطط شال، وصلنا إلى حدّ صار فيه الوضع في الولاية كارثيا، وشعر الضُبّاط بأنّ المسؤولين في الخارج تخلوا عن الولاية الثالثة، خاصّة وأنّ كلّ القوّات الفرنسية راحت تضغط على هذه الولاية، لأنها في وقت ما حملت عبء الثورة، وتقع في مكان استراتيجي، وهو ما جعل فرنسا تُحاول إجهاض الثورة بها. فراح بعض الضُباط يحتجون على موقف محند اولحاج الذي كان قائد الولاية. اتهموه بعدم القدرة على التحلي بالمسؤولية، وخاصّة، عدم العمل على شرح الوضع كما هو للحكومة المؤقتة، حتى أنه كان سيُراسل الحكومة المؤقتة، فطلب من ضابط الصف أن يُرسل رسالة مضمونها:"كلّ شيء يسير على ما يرام" رغم أنّ الحصار كان على أشده، ولكن ضابط الصف رفض أن يُرسل الرسالة، فتحجج اولحاج بأنه لم يرد أن يثير قلق الحكومة المؤقتة. مثل هذه المواقف وصفها بعض الضُبّاط بالمُتخاذلة، مما جعلهم يستنكرون سُلطة اولحاج، وازداد استنكارهم للامبالاة الحكومة المؤقتة، التي بحسبهم تخلّت عن الولاية الثالثة كُليا.

لكن سيدي، تتّهمون الحكومة المؤقتة بأنها لم تكن تبالي بما يقع في الولاية الثالثة، رغم أنها حاولت مدّها بالمال والسلاح، حتى أنه في تلك الفترة التي كانت فيه الولاية الثالثة مُحاصرة، اجتمع وزير الدفاع، ونائب رئيس الحكومة بلقاسم كريم بجيش الحدود وشكّل كتيبة من مُتطوّعين لكي يعبروا الحدود، ويكون أعضاؤها مُحمّلين بمتاع مُضاعف ومال، ولكنها لم تتمكّن من المرور، ذلك أنّ الحدود كانت

مُؤمنة بخطي شال وموريس، كما كانت هناك مجهودات مبذولة من طرف القادة في هذا الاتجاه؟

عدم القدرة في حدّ ذاتها هي تُهمة، أن لا تكون قادرا على إيصال المال أو السلاح يُعتبر هذا عجزا!

لكن ليس تهاونا على ا لأقل؟

إن كانوا عاجزين على تمرير السلاح، فقد كانت هناك ألف طريقة لتمرير الأموال، كانت هناك قنوات يمكن أن يستعملوها، لكنهم لم يكونوا مُنظّمين، وكانوا يتصارعون فيما بينهم، كان ينقصنا ردّ فعل ايجابي. الوحيد الذي بادر برد فعل هو العقيد صالح زعموم الذي خلق مُشكلا للقوّات الفرنسية، إذ أطلق قوات الولاية الرابعة التي هاجمت المتيجة، ونظم الهجومات المنفردة، وعقد أميار العاصمة المُستعمرين اجتماعا خاصّا للتفكير في الوضع الذي خلقه صالح، ولو فعل باقي القادة ما فعله صالح لكانت الكفة رُجّحت لصالح المُجاهدين.

نعود إلى تمرّد الضُبّاط الأحرار على قائد الولاية الثالثة محند اولحاج، نعلم أنكم سيدي كنتم وسيط صُلح، كيف هذا، وموقفكم مُساند للضباط الأحرار؟

هذا لأنني قلت أنّ الخلاف يعني الانهيار الكامل. أنا لم أساند الضُبّاط الأحرار، ولم أكن معهم. كنت في "سيد علي بوناب" وهم كانوا في "اكفادو" لدى انفجار الوضع. جاؤوا وطلبوا أن ينتقل مُمثل عنا إلى المكان، فذهبت. وصلت إلى "اكفادو" وكان بها الوضع سيئا. كانوا يبيتون في العراء وتحت الأشجار، منهم علاوة، وعبد القادر اوقابي، وصادق فراني، ومقران ايت مهدي، وغيرهم من الضبّاط الأحرار. كانوا جد مُستائين من الوضع، فقلت لهم أننا بخلافنا هذا لا نفعل سوى أن نمنح فرصا لنجاح العدو في إجهاض ثورتنا. ثمّ طلبت أن نصل إلى اتفاق يجمع الطرفين، واستطعت أن أُقنع جماعة لكي يقبلوا اللقاء مع محند اولحاج، ثمّ ذهبنا إلى منطقة "ايت يجر" أين يتواجد محند اولحاج، فبدأ اللقاء بشجار، بطبيعة الحال، وتقاذف للتُهم، إلى أن وصلنا في النهاية إلى إجماع على تهدئة الوضع، والتفكير في مؤتمر ولائي، حدث هذا في شهر سبتمبر 1959، ثمّ عدت إلى "سيدعلي بوناب" لكنّ الوضع عاد وتأزّم مرة أخرى. وقدّمت تقريرا عن صعوبة الوضع في الولاية، أوصلتها إلى بلقاسم كريم عن طريق ايطاليا عبر أفراد

من العائلة، وعبرها أيضا أرسل لي لكي التحق به، فدخلت العاصمة، بمُساعدة بعض المُناضلين، ومسؤول شرطة جزائري اسمه قارة من المرسى. وصلت إلى ايطاليا. اتصلت بذات العائلة المشتركة بيني وكريم، وهي التي شرحت لي كيفية الذهاب إلى روما لدى مكتب البعثة الجزائرية التي كان به الطيب بوالحروف، هذا الأخير الذي اتصل بكريم فأكد له أنه استدعاني فعلا. ثمّ ذهبت إلى السفارة الليبية وساعدني الليبيون بجواز سفر ليبي مزور، ودخلت إلى ليبيا والتقيت ببلقاسم كريم في فندق "مرحبا" بطرابلس، عاد من اجتماع في الدار البيضاء. وصادف وصولي ولقائي به انفجار قضية "الاليزي" وتحدثت مع بلقاسم كريم عنها فانفجر غضبا، وقال أنه على الجندي أن يُحارب حتى النهاية. واعتبرها خيانة.

أي أنه لم يتفهم وضع المجاهدين في الداخل؟

أسوأ من هذا، ولكن أقول أنّ صالح زعموم ومن معه لم يُفكروا في أنه لا يُمكن التفاوض وهم في حالة ضعف، كان عملهم تصرف استسلامي، فما هي القوّة التي كانوا يُشكلونها لكي يتفاوضوا مع ديغول؟ كان مُخطئا، هي ليست خيانة، ولكنه ضعف، وانهيار معنوي، هذا تفسيري. نحن كنا نُقاتل حتى نموت، وبعض المجاهدين كانوا يُطلقون النار، حتى إذا ما نفد الرصاص لديهم، واصلوا المعركة أحيانا بقذف العدو بالأحجار، إلى أن يسقطوا شهداء، هذا ما يجب أن يحدث دون أن يستسلموا.

هل بقيتم في طرابلس؟

لا، طلب مني بلقاسم كريم أن التحق به في القاهرة، حيث كان يتواجد مكتب وزارة الخارجية، وفي الغد التحقت به، وحرّرت تقريرا عن الوضع، والتقيت هناك مبروك بلعربي، وعبد المالك بن حبيلس، ومحمد حربي، وتوفيق بوعتورة، وعبد العزيز زرداني، مبروك بلحسين، كانوا كلهم هناك. قدّمت تقريري، واشتغلت شهرين في الوزارة، ثمّ التحقت بقيادة الأركان على الحدود الجزائرية التونسية، في غار الدماء في ديسمبر سنة 1960، كان هناك بومدين، وعلي منجلي، وقايد احمد وزرقيني وسليمان اوفمان، ومصطفى بلّوصيف الذي كان حينها كاتبا، حضرت الأزمة بين قيادة الأركان والحكومة المؤقتة، أمّا أنا فبقيت في

غرديماو حتى نهاية سنة 1961.

ماذا كانت مُهمتكم في غرديماو[1]؟

كنت في البداية أنتظر أن أصل إلى "غرديماو" فيستدعوني، ويسألونني عن الوضع، ولكنني ارتديت البدلة وبقيت بمحفظة الكتب التي كانت تُرافقني دون عمل. راسلت قيادة الأركان بلهجة شديدة طالبا أن يشرحوا لي الوضع المتدهور، فاستدعاني علي منجلي. وصلت إلى مقرّ قيادة الأركان، كنت سأجلس فمنعني. سألني إن كنت صاحب الرسالة قلت نعم. سألني عن سرّ احتجاجي، فقلت أنني عرضت واقعا، فقال أنه على علم بكلّ شيء، ولا يحتاج إلى أمثالي لكي يملوا عليه ما يفعل! ثمّ بقيت أُدرّس الجنود الذين كانوا مُتعطّشين للعلم، وحتى منهم كبار السن، إلى أواخر سنة 1961. وعندما خضعت مرّة لفحص الدكتور عبد الوهاب قال أن عليّ أن أخضع لعملية على أنفي، فذهبت إلى تونس، وأجريت العملية، وحدث هذا بالموازاة مع تغيّر الحكومة، حيث صار بن خدة هو رئيس الوزراء، وكريم انتقل من القاهرة إلى تونس، فلم أحبذ العودة إلى الحدود. ثمّ قطعت سريا سويسرا، وألمانيا، وبلجيكا، ومرسيليا، وكانت مفاوضات إيفيان قد تقدّمت، فوصلت إلى العاصمة مع وقف إطلاق النار في 19 مارس 1962. وصلت إلى بلكور، حيث كانت المنظمة المسلحة السرّية قد أعلنت الحرب على الجزائر والشعب معا...

---

1 مدينة تونسية حدودية اسمها الأ صلي غار الدماء.

27

عواوش قوشيش

"هذا ما فعله بيجار والمظليّون في مدينة مليانة"[1]

1 نشر بتاريخ 15 سبتمبر 2012.

الفقر، الاضطهاد، المعاناة، المقاومة، هي كانت عناوين لما عاشته خالتي عواوش قوشيش، التي استضافت "الجزائر" في بيتها، وحدّثتنا عما عاشته قبل وخلال فترة الاستعمار، هي المولودة في 27 فيفري سنة 1936 بالعناصر بمليانة، المنطقة التي أنجبت مثل باقي مناطق الوطن ثوارا، وأبطالا تاريخيين، على غرار علي عمّار المعروف بعلي "لابوانت" الذي ذكرت لنا تفاصيل هامّة من حياته، بحكم أنه أخ لزوجها المُناضل محمد عبد الوارث بالرضاعة. كما تحدّثت خالتي عواوش عمّا فعله المظليّون في مدينة مليانة، إذ انتهجوا سياسة الأرض المحروقة، وقتلوا، وأجرموا، وعذبوا، واعتقلوا، وحوّلوا حياة السُكّان إلى جحيم، كما استرجعت الخالة أسماء لمُناضلي المنطقة عامة، والشهداء منهم خاصّة. كلّ هذا قد استحضرته مُضيفتنا بكثير من الدقّة، قبل أن تتحسّر على عصر نعيشه.. "عنوانه الزيف".

ساهم الفقر، والاضطهاد الذي عانى منه سُكّان القرى في انخراطهم بقوّة في صفوف الحركة الوطنية، وفي العمل المُسلّح، هلاّ حدثتنا بداية عن الحالة الاجتماعية والاقتصادية للجزائريين التي كانت سائدة في مليانة التي تنحدرين منها بعد الحرب العالمية الثانية؟

فعلا كانت حالة مُزرية تلك التي عشناها نحن الجزائريين رغم أننا في وطننا، وكنا نسكن في العناصر بمليانة، ووالدي كان يعمل في الميناء، وكنا فقراء، حتى أنني بدأت الدراسة في سنّ العاشرة، وكنت أمشي حافية القدمين من العناصر إلى المدينة لمدّة ثلاث سنوات. وكانت كلّ عائلة تتحصّل على وصل يمنحها الحقّ في كمّية مُحدّدة من القُماش، أحسب أنها متر واحد لكلّ عائلة. ولهذا لم يكن الجميع قادرين على ارتداء الملابس، وخاصّة بعد الحرب العالمية الثانية سنة 1945 وازداد الوضع تدهورا عندما اندلعت حرب الهند الصينية.

كم عدد أفراد أسرتك؟

لديّ خمس أخوات وثلاثة إخوة. ولو أنّ اثنين من إخوتي وُلدا

بعد ذلك التاريخ الذي حدّثتك عنه. وبقينا نعيش في فقر مُدقع لمدّة، حتى أنني أذكر أوّل يوم ارتديت فيه حذاء، وكان ذلك بعد أن منحتنا المُعلّمة وصلا أنا وأخي لكي نذهب إلى صاحب محل، وكان يهوديا اسمه سنترنينو، فيمنحنا أحذية، فرافقنا أبي عنده، وفعلا تحصّلت على حذاء، وكان هذا سنة 1950. ونفس الحالة المزرية جعلتني أبيع البيض الذي تضعه الدجاجات التي كان يُربيها والدي لكي أشتري الملابس، كنت أشتري الصوف وأخيطه، لكي أساعد أبي، كما اشتريت لنفسي أشياء، ولو أنني لم أشف حتى الآن من الألم الذي سببته لي المعاناة التي عشتها، خاصّة قبل ذلك التاريخ....

كانت عائلتك تأوي المُجاهدين بعد اندلاع ثورة التحرير، فهلا حدثتنا بداية عن انخراط إخوتك في النضال؟

لديّ ثلاثة إخوة، الأكبر، وهو عبد القادر كان مُناضلا، ويقوم بمهام، وكان ذلك حال جميع سكان المنطقة تقريبا، كلّ واحد منهم كان يقوم بمُهمّة ما، إلاّ من اختار أن يخون القضية الوطنية فذلك شأن آخر، وأخي عبد القادر كان يعمل في الميناء، ولديّ أخ آخر اسمه أحمد، مولود في سنة 1948، ويوسف المولود في سنة 1953. هؤلاء كانوا صغارا وكنت أقوم برعايتهم.

ما الذي تغير في المنطقة بعد اندلاع الثورة؟

ازداد حضور العساكر، الذين كانوا يقدمون بشكل مُستمر، ويقومون بعمليات تفتيش عادة ما تسبق اعتقالات، وتهديدات، وأحيانا ضرب، وقتل، واضطهاد في حق المدنيين العزل، حتى أنهم اعتقلوا أخي الأكبر عبد القادر مرّتين، وضعوه في سجن مليانة، وأصبح مستهدفا من السلطات الفرنسية بعد كلّ عملية يقوم بها المُجاهدون، ففي المرّة الأولى التي اعتقلوه فيها سنة 1958، كانوا قد قتلوا حارسا في مقصورة شرطة، فجاء العساكر، وراحوا يُطلقون النار بدون تمييز وبشكل عشوائي، واعتقلوا أخي، الذي مكث في الزنزانة مدّة، ولدى إطلاق سراحه عمل في السوق لمدّة ثمانية أيام فقط، لكي يعودوا ويعتقلوه، ويُعذبوه، وأطلقوه في حالة يُرثى لها، ولا يزال حتى الآن يعاني من آثار التعذيب. أمّا والدي بن عيشة قوشيش، فاعتقلوه هو أيضا في سنة 1958 تقريبا، عذبوه، وضربوه. ومرّة جاء العساكر يبحثون عن ابن عمّتي

بوعلام تاكريست، كان قد ذهب إلى الجبل، ولكنهم لم يسألوني عنه، بل عن اسم آخر، وهو محمد آكلي، فقلت أنني لا أعرفه، وفعلا لم أكن أعرفه، فوضع البندقية على بطني، وهدّدني بأنه سيقتلني إن لم أتحدث، فبقيت صامتة، إلى أن سحبها وذهب مع باقي العساكر. كما قدموا مرّة بعد حادثة اغتيال حرس بلدي، (شانبيط) في الحي، جاء الدركيون، وهدّد أحدهم أخي الكبير بالقتل، ثمّ فتّشوا البيت فلم يعثروا على أحد.كلها حوادث وقعت بين سنة 1958 و1961، وخاصّة في الفترة التي كان فيها المظليون يُسيطرون على الوضع في مليانة. أما بعد سنة 1961 فلم يعد هناك لا مجاهدين، ولا عسكر، ولا شيء، خاصّة بعدما استشهد رُوّاد الوطنية في المنطقة.

متى بدأتم تؤوون المُجاهدين في بيتكم؟

عمّتي خيرة، زوجة تاكريست، كانت تؤوي المجاهدين هي كذلك، ونحن في البداية كنا نحرس بيتها المجاور لبيتنا، ومرّة كنت في البيت، غفوت قليلا، واستيقظت على صوت العساكر مرعوبة، طلب مني أحدهم أن لا أخاف، فنزلت، وكان بهو البيت مليئا بالمظليين، وكان العقيد بيجار على رأس المظليين، أختي فكّرت في أمر المجاهدين الذين كانوا عند عمّتي، اختفت، واتجهت إلى عمّتي، وطلبت منها أن تُوقظهم، فخرجوا، وتمكنوا من الفرار، واختبأوا في بيت شاغر، ليس بعيدا عنا.

هل كنتم تعرفون بيجار من قبل؟

كنا نسمع باسمه، لكننا لم نكن نعرفه، المظليين عندما دخلوا إلى مليانة حاصروها، وأحكموا قبضتهم على مداخلها ومخارجها، وصاروا يُحرقون الحدائق، وكلّ ما يُمكنه أن يُساعد المُجاهدين على الاختباء.

من هم المُجاهدون الذين كانوا يختبئون في بيت عمتك؟

أذكر منهم أسماء كنت أعرفها في ذلك الوقت، وأخرى سمعتها على لسانها، منهم صادق بطل، وكذا احمد مركوسي، وبن عيشة واسمه عبد القادر، ولا يزال على قيد الحياة، ويسكن في عين السلطان، وآخرون لا أذكر أسماءهم.

زوجك أيضا مُناضل، وكان يعمل في العاصمة؟

زوجي كان في سرفانتيز مع بوشنافة، ودحمان ناصر، وغيرهم، اسمه عبد الوارث محمد، والده قال له اقتلوني أنا ولا تقتلوا ابني، كان متجها إلى عمله فضربوه، كان يعمل في مُؤسسة القطار. أما عبد الوارث الجيلالي كان مؤذن مسجد الأكحل، وكان يسرق الأسلحة من عند المعمرين الإسبان في محطة القطار، ويعطيها لمجاهدين، وأحيانا عبر عمّتي التي كانت تأويهم في مليانة. كما أنه كان مؤذن المسجد الأكحل، والوحيد الذي تحدى الاستعمار، وأذن في مسجد لكحل، في وقت مُنع فيه الآذان.

وبالنسبة لهؤلاء الذين كانوا يختبئون عندكم؟

كان هناك المجذوب، ومحجوب، ومركوسي أيضا، وبن عيشة، وغيرهم، بقينا نأويهم إلى سنة 1961 تقريبا، حيث استشهدوا كلهم تقريبا، فمركوسي، والمجذوب استشهدا قريبا من بيتنا، ثم استشهد محجوب وبن عيشة في خميس مليانة، وحتى السي لخضر، وأحسب أنه من المدية كان يأتي إلى مليانة، ويختبئ عندنا، وأذكر أيضا ملياني بن تاباق، الذي استشهد أيضا قبل الاستقلال!

أنتم من العناصر، القرية التي وُلد فيها الشهيد علي عمّار، هل كنتم تعرفون عائلتهم؟

علي عمار، أو علي "لابوانت" رضع مع زوجي، أي أنه أخوه من الرضاعة، وهو مولود في سنة 1932 وليس في سنة 1930 كما يذكرون، أمه اسمها فاطمة، بقيت في مليانة عندما دخل هو إلى العاصمة في سن التاسعة، وأم زوجي هي التي أرضعته عندما كان صغيرا، لم يرضع من أمه في البداية.

كيف تلقيتم نبأ وقف إطلاق النار؟

أنا سمعته في الراديو، ذلك أني كنت أطلع على كلّ الأحداث التي تقع عبر الراديو، حتى أنني في مُظاهرات 11 ديسمبر 1960 كنت أوّل من خرج حاملا العلم الجزائري، وعندما سمعت خبر وقف إطلاق النار، رُحت أطرق على أبواب الجيران، وأُخبرهم بأننا أحرار، وأننا استقلينا.

كيف ترين الجزائر بعد 50 سنة من الاستقلال؟

أرى الجزائر ضبابية، كلّ شيء مُزيف، وحتى أبسط الأمور، ما نعيشه، وما نراه يوميا، والأشخاص المزيفين بعضهم يدعي أنه جاهد،

وحتى ما نستهلكه، كله مُزيّف، والحالة الصحيّة مُتدهورة، والقطاع المسؤول عن الصحّة مُهمل، وعدم منح فرص للشباب الذي يجب أن نسلمه المشعل

28

زبيدة عميرات

"الابلويت أغرقت الجزائر وهكذا حضّرنا وقف إطلاق النار"[1]

1 نشر بتاريخ 20 سبتمبر 2012.

تحاور في هذا العدد المُناضلة والمجاهدة زبيدة عميرات، التي تُحدّثنا في هذه الوقفة عن دراستها، هي التي تلقت دروسا على يد الشيخ الطيب العقبي، وشيوخ جمعية العُلماء المُسلمين، وما عاشته قبل التحاقها بالجبل سنة 1958، وعن المسؤولين، وكيفية التحضير لوقف إطلاق النار، كما استحضرنا معها نضال زوجها سليمان عميرات، في هذا الحوار الشيّق.

نعلم سيدتي أنك درست في المدرسة الحُرّة، وأيضا في المدرسة الفرنسية، من هم أبرز المُعلمين الذين درست على أيديهم؟

كلّ عائلتي كانت مُنخرطة في جمعية العُلماء المسلمين، أمّا أنا فوُلدت في الأبيار بالعاصمة، ونشأت في حيدرة، ومنذ حداثة سننا كنا نستمع لعبارات مُضادّة للوجود الفرنسي في الجزائر. وحدث هذا في مُختلف المراحل من حياتي. بداية بانتقالي لتلقي دروس في المدارس الحرّة، وعادة ما يكون ذلك يومي الخميس والأحد. بالتزامن مع دراستي في المدرسة الفرنسية. وكنت أدرس عند الشيخ الطيب العقبي، والبشير الإبراهيمي، الذي كان مسؤولا، ويُحضّر ندوات من حين لآخر. كنا مُختلطين بنات وأولاد. كما علّمنا الشيخ شريف الكشافة. ومن بين المواد التي كنا ندرسها، واختفت في أيامنا هذه مادّة التحضّر[1] وكانت مُهمّة، حتى أنّ الشيخ الطيب العقبي كان يُعملّنا حتى كيفية مُصافحة الغير، ويقول دائما:"اعتبروا أنفسكم جنود الغد" وكنا نفرح بهذه العبارات كثيرا. كما كنا نُحضّر مسرحيات ملتزمة، أي نقدم عبرها قضيّة، خاصّة في قاعة الأطلس بباب الواد[2]، وكان الشيوخ يأتون لتشجيعنا، كما كانوا يُعلّموننا الأخوّة، والصراحة، وكانت دُروسا نتلقاها في بيوتنا وفي المدرسة. وبعد الباكالوريا، درست في جامعة الجزائر.

هلاّ حدثتنا سيدتي عن سرّ انخراط جميع أفراد عائلتك في النضال؟

---

1 *La civilisation*

2 *Salle majestic*

كنا 6 بنات، و4 ذكور، الأكبر هو بوعلام، الملقب بسي احمد الدزيري، واستشهد جيلالي دزيري، الملقب بالسي جلول في الجبل وكان قد ذهب بداية سنة 1956، والأصغر هو محمد، ويلقبونه بمصطفى دزيري، هو شهيد أيضا، ذهب هو وبوعلام في سنة 1957. أنا وأختي فتيحة كنا نعمل مع المجاهدين في نقل الملابس والأسلحة، وكان هناك شخص ينقلنا، وأحيانا نذهب لوحدنا، بسيارة أخي، نضع كلّ ما نحمله في السلال، ونُخفيه بوضع الحلوى فوقها، أو الورود، وهكذا. أختي كانت تعمل في محافظة الشرطة، وتدرس في نفس الوقت، فكانت تسرق رخص السياقة، والبطاقات الرمادية، لكي يستعملها المجاهدون، منهم عبد النور، وعبد القادر، اللذان عملا معي، إضافة إلى مسؤولنا عبد الحميد طاطا. أمّا أختي الصغيرة آمال فكانت تدرس، ولكنها تناضل في نفس الوقت مع مدير المدرسة، الذي كان منخرطا في جمعية العلماء، ويناضل، اسمه سي عبد الكريم. علّمها العمل على الآلة الطابعة، وكان هناك شاب يعمل معهم، ألقي القبض عليه، فوشى بهم، قبضوا على الشيخ عبد الكريم، لم يتفوه بشيء، فقتلوه، أما أختي آمال، فبحثوا عنها، وكان هذا في سنة 1960. إذ أن ذلك الشاب ذكر أنّ عائلتنا مُناضلة، وأفرادها مُنخرطون في العمل الثوري، كما قبضوا على شخص آخر وشى بي أنا كذلك، وهو رجل اتصال، فكانت الأدلة ضدّ عائلتنا كلها تُديننا، لم يكن يُمكن البقاء، قلت لأبي أنني سأتصل بالمُجاهدين، وأتجه إلى الجبل، فقال أنه كأب يخاف أن أصاب بمكروه، ولكن كمناضل قال أنه يوافقني، وأكّد على شيء واحد، وهو مُحافظتي على شرفي... أكد على هذا ثلاث مرّات.

في أيّ سنة حدث هذا؟

أنا اتجهت إلى الأربعاء وسيدي موسى سنة 1958، وكنت أقوم بعمل بسيكولوجي، نتحدّث إلى العائلات، ونُحاول توعيتهم بمهامنا، كنت أعمل مع عبد الحميد طاطا، مسؤول المنطقة، ورافقت مسؤولين منهم عبد القادر بلخوجة المُلقب ببراقي، وعبد النور بن سماعيل. أمّا طاطا، الذي كان أكبرنا، فكان يحترمنا ويُعاملنا كأبنائه.

الكثير من المُعمّرين الأوروبيين، وحتى منهم الفرنسيين آمنوا بعدالة القضية الجزائرية، فهلا حدثتنا عنهم سيدتي؟

أجل، فمثلا، كان هناك زميلة لي درست معي، كان والدها قنصل ألماني، ذكر لابنته أنه يتعاطف مع الجزائريين وقضيتهم، أخبرتني بذلك، فقلت للمسؤولين، فأرادوا الاتصال به لكي يُوفّر لهم سلاحا، أو وثائق، اتجهنا إليه أنا وبراقي، وعبد النور، وشخص آخر، قابلناه، فأعطانا مُوافقته، لكنّ الشخص الرابع الذي كان معنا وشى بنا، فطردت السُلطات الفرنسية القنصل من الجزائر. كما اتّصلنا بيهودي كان يُوفّر لنا الأحذية والملابس، كان يعمل مع أخي الجيلالي.

كيف عشتم أحداث الحادي عشر من ديسمبر؟

من يقول أنها كانت أحداثا عفوية، وأنّ الشعب انتفض لوحده، فهو مخطئ، ذلك أنّ الأوامر جاءتنا لنبدأ المظاهرات، وبقيت النساء تخيط الأعلام طيلة الليل، لم تكن مظاهرات عادية، كلّ الشعب انتفض، وأثبتوا أنهم ليسوا مجموعة مُتمردين فقط، كما كانت تروج لذلك الأبواق المأجورة لفرنسا في الداخل والخارج.

كيف عشتم وقف إطلاق النار؟

كانت لحظة جميلة، غير أنّ سعادتنا كانت ممتزجة بالحزن والأسى على عبد الحميد طاطا، مسؤول المنطقة الأولى، الذي كان ينتظر الاستقلال، ذلك أنه منذ سنة 1945 وهو في الجبل، ولكنه استشهد في 22 فيفري في روفيقو، ولم يشهد وقف إطلاق النار، كان مثل والدنا، وكان يُعاملنا مثل أبنائه. وحتى نحن كدنا أن نستشهد قبل وقف إطلاق النار، إذ أننا التقينا بعد أن قدم مسؤول من تونس لكي نحضر لعملية وقف إطلاق النار، والتقينا في دار حارس بلدي (شانبيط) وهناك من وشى بنا، وقال للعساكر أنّ هناك أشخاصا مجتمعين في ذات الدار، فمنذ سنة 1958 غرقت الجزائر في عملية "لابلويت"، وراحوا يطرقون لباب، وكنا بالداخل، ولكن صمتنا، وسمعناهم يقولون أن لا أحد في الدار، فرحلوا. وبعد وقف إطلاق النار تلقينا أوامر بأن لا نقوم بأيّة عملية، حتى أنني أذكر أنّ مُجاهدا حاول أن يقتل فرنسيا دون أن يتلقى تعليمات أو شيء، وكان المجاهدون سيحكمون عليه بالإعدام، غير أنّ الضحية لم تمت، وهو ما شفع له عندهم. ثمّ

التقى ممثلون من الجيش الفرنسي، مع ممثلين من الجيش الجزائري لكي يتفقوا على التنسيق لحفظ الأمن في الجزائر، ومنهم عبد القادر براقي، عبد النور، وحضرت أنا اللقاء، وكلّ منطقة، تقريبا، كانت مُمثلة، وكان هناك عبد الرحمن شرقو، والهاشمي شريف، وعندما كانوا سيُغادرون نظر إليّ مسؤول الجيش الفرنسي وقال:"الآن نفهم لماذا نالت الجزائر استقلالها، كلّ الشعب شارك في الحرب". ثمّ أفرغنا الثكنات، التي حوّلناها إلى مراكز اجتماعية للدراسة، وتعليم اللغات والحرف، وكنت مُفتشة هذه المراكز، وبعدها وقعت حرب الولايات فانسحبت، لم أرد أن أشارك في حرب بين الإخوة.

زوجك سليمان عميرات مجاهد أيضا سيدتي، هلا حدثتنا عنه؟

كان مجاهدا التحق بالولاية الثالثة في سن السابعة عشر، والضابط عبد الرحمن ميرة هو الذي أرسله إلى فرنسا لينظم المهاجرين في فدرالية فرنسا، فخلق مجموعات الصدام[1] وقبض عليه في فرنسا، وأحضروه إلى الجزائر وكانوا سيدفنونه حيا، فأنقذته زوجة الرائد التي راحت تصرخ، فقاموا بسجنه، فهرب، وجاء إلى الحراش، إذ حضر أوراقه وسافر إلى فرنسا، ولكنهم أ لقوا عليه القبض من جديد.

كيف تلقيتم خبر وفاته؟

كان يوما صعبا، عندما كان يقرأ الفاتحة على قبر الرئيس الراحل محمد بوضياف، قبل أن يسقط فيلتقطه ابنه الذي كان بجانبه، وعندما حملوه إلى مستشفى عين النعجة، اتصل بي ابني، وقال أنّه متعب قليلا، ولكنني فكّرت في أنّ الأمر قد يكون أسوأ. أما ابنتي ليندة، والتي كانت طبيبة، فقد شاركت في عملية إسعافه، إذ ارتدت مئزرها، ودخلت غرفة الإنعاش، غير أن القدر شاء أن يرحل عنا، تغمده الله برحمته، لكن أحسب أنه قام بواجبه على أكمل وجه، وضحى بحياته في سبيل الوطن.

هل لقي الاعتراف الذي كان يستحقه؟

من طرف الجزائريين أجل... بعد وفاته قدم أناس لتعزيتنا،

---

1 *Groupe de choc*

وكانوا يعدون بالآلاف، وهي أكبر مكافأة، وأسمى اعتراف بتضحيته.

تُشرفين سيدتي على جمعية خيرية، ما هي أهدافها، ولماذا جاءت الفكرة بتأسيسها؟

هي جمعية أسّستها مع أصدقاء المرحوم زوجي في الثورة سنة 2000، والهدف متنوع، من ذلك تدريس التاريخ، حيث ندعو دائما الأشخاص الذين عايشوا مرحلة من الثورة ليحدثونا عنها، وكذلك فعلنا مع عدة أحداث تاريخية، ويحضر مُهتمّون بالتاريخ، والعلم، وكذا طلبة، وتلاميذ ممن يتطلعون لمعرفة مراحل من تاريخهم. ولكن ليس هذا فقط ما نفعله، بل إننا نهتم بالثقافة، وكذلك مُساعدة الشباب، وهو ما فعلناه مع بعض التلاميذ الذين فشلوا في دراستهم، حيث نكون بعضهم ليعود إلى أقسام الثانوية، ومن ثمة يحصل على شهادته النهائية، ومنهم من نكونهم في بعض الحرف، إذ نعمل على أن يلتحقوا بمدارس، ومراكز تكوين. كما لجمعيتنا شقّ خيري، بحيث نجمع صدقات، وتبرعات ونوزعها على مستحقيها من الفقراء... أن أرى الجزائر كما حلمت بها هي معركتي اليوم.

29

عتيقة بوضياف

"الأناشيد الوطنية نشرت الوعي غذّت فكرة الاستقلال"[1]

---

1 نشر بتاريخ 3 اكتوبر 2012.

استضافت المُناضلة السيدة عتيقة بوضياف"الجزائر" في هذه الوقفة الجميلة،وتحدثت إليها عن انخراط عائلتها بن رزوان، وكذا عائلتي زبيري وبوضياف في الكفاح ضدّ المُستعمر، واصفة العمل النضالي بالعدوى التي كانت تنتقل بين الأسر والأحياء، وتزرع في الشبان، والنساء والأطفال، وتغذيها تلك الأناشيد التي تُردد في الأعراس، والملتقيات العائلية، وحفلات الختان، بحيث تنشد لنا مُضيفتنا البعض منها، وهي التي تحفظ عشرات المقاطع حول الجهاد، والدين، والعلم، والقومية، ووحدة الأمّة، وطغيان الفكر الاستعماري ...كلها مواضيع تناولناها في الحديث الشيّق الحصري الذي نترككم تقرأونه...

نشأت سيدتي في حي القصبة، حيث سكنت عائلة بن رزوان التي رحّلها المُستعمر من أراضيها، فهلا حدّثتنا عن هذا؟

فعلا، نشأت في هذا الحي العتيق، وأنا مولودة في 13 مارس من سنة 1936 . أسرتنا مُكوّنة من 7 بنات، و3 ذكور، وقدمنا بعد أن تُوفي جدّي الذي كان "قايد" بمنطقة الرزاونية في دلس، حيث كانت لهم أراضي زراعية شاسعة، ولكي تستولي فرنسا على أراضيه قامت بتسميمه، ففي سنة قحط مرّت بها المنطقة ضمن جدي فلاحيه بالأموال، فعجزت فرنسا على الاستيلاء على أراضيه بطريقة مُباشرة، فكان أن سمّمته بعد خروجه من عند الحاكم فاستشهد. وعلى إثر تلك الحادثة الأليمة قدم والدي وإخوته إلى العاصمة. أمّا والدي فكان تاجرا، واشترى وإخوته منزلا هنا، وهو الذي صار يُسمى بدار رابح برزوان، ويقع في مقطع "2 تيك" وتُسمى اليوم زنقة بن فارس، وهي تتوسّط القصبة، وعائلة بن رزوان هي العائلة الوحيدة التي تحمل هذا الاسم في الجزائر، وكل من يحمله ينتمي إليها.

حسنا، نعلم أنّ أخاك الأكبر محي الدين برزوان، أو السي جعفر، كما كان يُلقب، تبنى القضية الوطنية مُبكرا، فماذا تذكرين عنه؟

هو مولود في 21 مارس 1925، ودرس القرآن في مدرسة الشبيبة التي أشرف عليها الشيخ الطيب العقبي، وحاز على "شهادة

الدراسة الأولى" إذ كان يدرس مع عبد الرحمن عزيز. ثمّ التحق بالجبل في تابلاط سنة 1956 بحسب المعلومات التي وصلتنا، رغم أنها كانت قليلة، فالأقوال كانت تتضارب بشأن استشهاده إلى الاستقلال، وقبلها أُصيب، فعالجه يوسف الخطيب الذي كان مسؤول المُمرّضين، ثمّ استشهد محي الدين نهاية سنة 1956. وحتى المؤرخ "ايف كوريار" ذكره، لدى حديثه عن اجتماع كان سيعقد بين زبير بوعجاج ومحي الدين ومناضلين آخرين. غير أنّني أحسب أنه لم يلق الاعتبار الذي يستحقه، مثل كثير من المناضلين الذين كافحوا، واستشهد بعضهم دون حتى أن يُذكر اسمه...ولكنهم أحياء عند الله يُرزقون.

تربط بينكم وبين عائلة زبيري وعائلة بوضياف قرابة دم وكفاح، فكيف كانت عدوى النضال تنتقل بين أفراد العائلات الثلاث؟

بالفعل، العائلات الثلاث تجمع بينها قرابة الدم، ولعلّ هذا ساعد في تفشي عدوى النضال، كما ذكرت، خاصّة وأنّ التجنيد في البداية كان يتمّ بين الأقارب، والأصدقاء وأبناء الحي، إذ انخرط أخي الأكبر محي الدين الذي حدثتك عنه، وأبناء عمومتي، وكذا أبناء الأخوال في الأربعينيات من القرن الماضي في الكفاح. كما أنجبت عائلة زبيري مُناضلين مثل عُمار زبيري، أبوه زبيري، وأمه بن رزوان، أي أنه ابن عمتي وابن خالتي في نفس الوقت، وكان يُلقب بعبد السلام، ويذكره بن يوسف بن خدة في كتابه:"أصول الفاتح من نوفمبر" عندما يُحصي إطارات المُنظمة السرّية، ومنهم عُمار الذي كان مع محمد بوقرة، وهو الذي استشهد في الصحراء بعد أن تطوّع للجهاد هناك. أمّا محمد زبيري، أخ عمار، فكان مُنخرطا في حزب الشعب. ويذكر بن خدة محمد زبيري عندما يتحدّث عن المُناضلين الذين يُطلب منهم أن لا يفرّوا في حالة القبض عليهم، تجنبا لانتقام فرنسا، ويذكر حالة محمد زبيري، الذي كان أمين ضبط، ويذكر آخرين مثل زيغوت يوسف، وبوقرة. والإخوة الأربعة من عائلة زبيري مُناضلون أيضا، أي محمد، وعمار، وعلي، ومختار. وكانت العائلة تسكن حي "تولون" بالقصبة. وأنجبت عائلة بوضياف، الطيب بوضياف، ومحمود بوضياف، كان مسؤولا إلى جانب أخيه محبوبي بوضياف الذي كان مُناضلا في القصبة، وعيسى كشيدة، وكذا

الرئيس الراحل وأحد مفجري ثورة الفاتح من نوفمبر محمد بوضياف، المُلقب بالسي اللطيب الوطني، هذا الأخير الذي تربطه وعائلة بوضياف من القصبة علاقة عائلية أيضا، ومحبوبي بوضياف هو الذي قدم رابح بيطاط للمُناضلين. أمّا عائلة بن كانون فهم أبناء أخوال لعائلة بن رزوان، هم كانوا يسكنون القصبة أيضا، في حي "راندون" المُسمى اليوم حي "عمارة". والدة الحاج محمد بن كانون من عائلة بن رزوان، ونفس الشيء بالنسبة لعائلة مغيرف المشهورة في القصبة أيضا تربطنا معهم علاقات عائلية. وهناك شارع في حي القصبة يحمل اسمي الشهيدين محي الدين بن رزوان وسعيد بن رزوان (ابن محمد بن رزوان) والاثنان أبناء عمومة.

كانت الاجتماعات تُعقد في بيوت القصبة، هل كان بيتكم يحتضن مثل تلك الاجتماعات، ومن كان يُوفّر الحراسة للمُجتمعين؟

أجل، أصبح بيتنا مقرا لاجتماعات المُناضلين بعد سنة 1945 وربما بداية من سنة 1947 تقريبا، كان هناك مُناضلون يأتون، ويجتمعون، وكان المُناضلون الذين يعملون في الإدارة الفرنسية أو حتى الشرطة الفرنسية، هم من يُوفّرون لهم الحراسة، مثل أبناء خالي: محمد زبيري، وهو أمين ضبط، وقتلته المنظمة المسلحة السرّية سنة 1961. ومختار زبيري، الذي كان قاضيا، إضافة إلى علي زبيري، وعمار زبيري الذي استشهد في الجبل، هؤلاء كلهم كانوا ضمن صفوف المُناضلين، إضافة إلى آخرين كثيرين.

قبيل الاستقلال انتقلتم للسكن في مدينة باتنة، لماذا؟

كان محمود قد سبق في الرحيل إلى مدينة باتنة، وصار مُدير مراكز التكوين المهني، ثمّ لحق به أبي بعد أن وشوا به، إذ كان خياطا، وعندما أتت الشرطة لتقبض عليه، لاحظوا يديه الدقيقتين، فقالوا أنه لا يُمكن أن يكون من "الفلاقة" فأمره المُجاهدون أن يُغادر، فذهب إلى باتنة أشهرا قبل الاستقلال.

كيف كانت الأناشيد الوطنية تحفظ وتنشد وتلقى في وقت كانت فيه فرنسا تُحاصر كلّ فكرة تدعو إلى التحرّر؟

ما أذكره أننا كنا نستمع إلى الأناشيد يوميا، ونُلقيها أيضا. في البيت كنت أرددها في حياتي اليومية، وحتى عندما أدخل إلى المطبخ، كما كان المُجتمعون من المُناضلين في بيتنا يُردّدونها،

باستمرار، وكان يتمّ استغلال حفلات الختان والزواج ليفعلوا، وتكون تلك المُناسبات أيضا فرصة لكي يجتمع المُناضلون، إذ أنهم أحيانا يحتفلون فقط ليختلقوا فُرصة للاجتماع، ونشط حفل زواجي حسن الحسني وحضره مُناضلون اجتمعوا فيما بينهم.

ما هي المواضيع التي كانت تتناولها تلك الأناشيد؟

كانت تدعو إلى النضال، ومُحاربة العدو، وتوعية الناس بحقيقة الاستعمار، إضافة إلى دعوتها لمكارم الأخلاق والتربية التي أوصانا بها ديننا الحنيف، وحتى أخي كتب البعض منها.

أي أنّ فكرة النضال والجهاد كانت مُرتبطة بالدعوة إلى استرجاع مبادئ ديننا؟

أجل، وهذا ما نُلاحظه في الكثير من الأناشيد التي تذمّ الاستعمار لأنه حرمنا من ديننا، ومن أداء فرائضنا ومن السجود، تماما مثلما حرمنا من حريتنا.

هلا ذكرت لنا مقاطع من أناشيد تحثّ على النضال، وتُمجّد الجهاد؟

جزائرنا افخري بوجود *** واجني ثمار كفاح السنين
حيي انتفاضة شعب أبي *** وحيي رجالا له مُخلصين
وحيي إرادة شعب أراد *** وحيي شباب العلا الطالعين
فمجدا إلى شهداء الفداء *** ومجدا لأبطالنا الظافرين
فحيوا معي جندنا وافخروا *** بضباطه القادة الباسلين
وحيوا شبابا لهم همة *** ليعمل في طالع العاملين
فيا نهضة الجيل يا زهرة *** ويا أمل أمة الفاتحين

هل كانت بعض تلك الأناشيد تحمل رسائل سياسية؟

بالطبع، فالهدف الأول كان توعية الناس، مثلما هو الحال في أنشودة تتحدث عن الاستقلال التام، وتنبذ التجنيس، والاندماج، وغيرها من الأفكار التي راجت في وقت ما، والتي تبعدنا عن هدفنا الأول وهو الاستقلال:

ليحيى حزب الشعب الغالي *** ولتحيى شمال إفريقيا
ولتحيى الجزائر مثل الهلال *** ولتحيى فيها العربية

فأنت في الكون دار الخلود *** غرامك صار لنا دينا
فانا حولك مثل الأسود *** لسان هواك يُناجينا
سنرعى حقك مثل الأسود *** ولو قبضوا بتراقينا
فأذكى فيها معاني الفدى *** نخوض الكون مع الخائضين
ولا نرتد ولو بالردى *** ونعلي الصرخة بالصارخين

وماذا عن فكرة تأصيل مبادئ الإسلام الذي لا يتحقّق إلاّ بتحرير الوطن؟

في تتمة الأنشودة السابقة هناك حديث عن الإسلام، إن نصفه بالتاج:

رضينا بالإسلام تاجا *** كفى الجهال تدليس
فكل من يبغي اعوجاجا *** رجمناه كإبليس
خلقنا بحكم الهوى إخوة *** فتبت يدا كل من فرّق
نريد حياة لنا حرّة *** كفانا من حياة الشقا
خلقنا لهذا الورى سادة *** ونجم الهدى عندنا أشرق
بلادي يمينا مقدسة *** سنرعى عهدك طول البقى
ألا في سبيل الهدى سعينا *** ألا في سبيل العلى والجهاد
ليسطع نور السما نجمنا *** ويلقي الروعة في كل وادي
وها هو ذا احمد يحذو بنا *** وها هو جبريل فينا يُنادي

كما أنّ هناك أنشودة كتبها محي الدين بن رزوان فيها تضرع لله أن ينصرنا على العدو، إضافة إلى ما تحمله من دعوة إلى القومية، وكذا استعادة اللغة العربية التي حاول المستعمر طمسها:

نحن شبان الجزائر *** نحن أبناء الأسود
نحن أبطال نرقي *** شعبنا رغم الجحود
ديننا يأبى الدنايا *** شرعنا يأبى الركود
كيف يرضى العيش مُسلم *** تحت إلقاء الجمود

لغة العرب أميتت *** لبست ثوب الحداد
لغة الدين أميتت *** ربحت سوق الكساد
فرق الدين وشتت *** أين ميراث الجدود
بثبات وبسالة *** وعن الدين نذود
بددوا سحب الجهالة *** وأفيقوا من سبات
حاربوا داء البطالة *** واستعدوا للممات
قد سطا الغرب علينا *** سطوة الطاغي الكنود
ومن الملك سلبنا *** ربنا أين الوعود
عذبونا قهرونا *** منعونا من السجود
ربنا فاسمع إلينا *** أيها الرب المعبود
عجل النصر مبينا *** يا رحيما يا ودود.

30

حورية رامل

"فرنسا عذّبتني وأنا حامل وهكذا تفكّك النظام في المنطقة المستقلة"[1]

---

[1] نشر بتاريخ 21 أكتوبر 2012.

ضيفتنا في هذه الوقفة من إحياء الذاكرة الوطنية الثورية هي المُناضلة المعروفة حورية رامل، زوجة حاجي عصمان، التي التحقت بالفدائيين وهي في حداثة سنها، كُلّفت بنقل الأسلحة، والمراسلات. وأثناء إضراب الثمانية أيام، قامت باستنفار النسوة، وكثفت من نشاطها. بدأ اسمها يتكرّر على اثر التوقيفات والاستجوابات الكثيرة، فراحت المصالح الفرنسية تبحث عنها، واضطرّت أن تختبئ عند أسرة زوجها في شارع "راندون" بالقصبة حيث تمّ توقيفها، ونقلها إلى عدّة مراكز تعذيب، ورغم أنها كانت حاملا، إلاّ أنها تحمّلت، وبقيت في السجن إلى سنة 1962، وتُحدّثنا في هذه الوقفة عن ما ميّز المنطقة المستقلة، عن العمليات، وحملة الاعتقالات، وكذا عن زوجها المناضل الكبير...

سيدتي، التحقت بصفوف المُناضلين في سنّ المُراهقة، فكيف تمّ الاتّصال بك؟

وُلدت في منطقة السي مصطفى، أو"هيوسيون فيليبيه" سابقا، في ولاية بومرداس، وعشت مع أبي الذي شارك في الحرب العالمية الأولى. جهدت والدتي في تربيتي في المزارع الاستعمارية التي كانت تكثر في هذه المنطقة التي تزخر بزراعة العنب والكروم. ولم يكن لي الحظ في التمدرس. ثمّ انتقلنا للعيش في الجزائر العاصمة. كنت في سنّ الخامسة عشر عندما جاءتني مجموعة من الرجال واقترحوا عليّ أن أنظم للثورة.كنت يتيمة الأب، كانت حالتنا مُزرية، أعيش مع شقيقي الذي يبيع السمك في الميناء، وأمي التي تشتغل كمُنظفة في الأحياء الأوروبية، كنت أميّة ولم يسبق لي أن غادرت القصبة، ولكني وافقت على الانضمام لجبهة التحرير الوطني.

ماذا كانت مهامك؟

بحسب طبيعة المُهمّة المُوكلة إلي. بعد أن يُنفذ مجاهد مُهمته، مثلا، كنت أسترد منه سلاحه وأخفيه في ثنايا ملابسي لآخذه لمجاهد آخر. ثمّ صرت المرأة الأولى كعضو مُؤسّس لمنطقة الجزائر العاصمة مع بن مرابط، وخليل، وعبد الرحمن كرباجي، هذا

الأخير قائد الجهة الأولى لمنطقة الجزائر العاصمة، والذي سقط شهيدا، وخلفه حاجي عثمان، المدعو رامل، وكان شابا إسكافيّا من أصل تُركي، الذي، وعندما قرّر أن يتزوّجني، لم أكن أعلّم شيئا عن معنى الزواج. عندما أخذ رامل زمام الأمور، صرت أنقل الأسلحة والمُراسلات. أثناء إضراب الثمانية أيام، قمت باستنفار النسوة، وكثفت من نشاطي. وبعد حملة التوقيفات والاستجوابات وكذا التقسيم التخطيطي الذي حدث في المدينة، اضطررت أن أختبئ عند أسرة زوجي في شارع راندون، زنقة بوعقاشة حاليا.

كيف تمّ القبض عليك؟

سنة 1957 تم القبض عليّ من طرف القبعات الحمر، وأنا حامل في شهري الأوّل بعد أن وشى بي خائن رآني أساعد السي مراد. قبض عليّ في منزل والدة زوجي، وأخذوني مُباشرة إلى مركز التعذيب في جامع كتشاوة، وهو عبارة عن منزل مُتكوّن من طابقين، مُزخرف على الطراز المغربي، لم يكن يحتوي إلاّ على قاعة للتعذيب، فيما كان السجّانون يجهلون أنني حرم رامل الشهير، الذي كان يُحاول إنقاذي دون جدوى، وباشروا تعذيبي وإهانتي وضربي واستعمال طريقة الإغراق، وهذا بهدف التحصل على اعتراف ما في أقصر وقت مُمكن، ومن ثمّة التوصل إلى رأس الشبكة، أو هكذا فكروا.

ماذا كانت الوسائل التي استعملوها في تعذيبك؟

تعرّضت لأبشع أنواع التعذيب، التقيت هناك بفتيحة بوحيرد وكانت تتعرّض لعذاب الحوض المليء بالبراز والبول. أمّا أنا فقد علّقوني فوق الحوض وأغاصوا رأسي في داخله، وكان عذابا يوميا دون توقف. لقد علّقوني في خشبة فوق الحوض، وأخذوا في إغراق رأسي في الماء، كان تعذيبهم وحشيا ومُطوّلا. فقدت القدرة على المشي فقد أصابني التعذيب بالشلل، ومن ثمّة رآني طبيب كان يعمل في ستشفى مايو، لم يسمحوا له أن يفحصني إلاّ داخل الحجرة، كنت وقتها حاملا في شهري الثاني، لكنني أخفيت الأمر لكي لا يكتشفوا أنني مُتزوجة، وبالتالي يُحاولون الوصول إلى زوجي. وبقيت أنكر التهم المنسوبة إلي ولم أعترف بشيء، ورغم أنّ التعذيب أنهكني إلاّ أنني لم أفقد جنيني. وبقيت مدّة 3 أشهر بين مختلف قاعات التعذيب: المركز، كازينو الكورنيش، ثكنة أورليان.

إذ أنني عندما نُقلت إلى ثكنة أورليان لم أكن قد تلقّيت العلاج اللازم، حيث اكتشفوا أنني زوجة رامل، وهذا بسبب اعترافات عليلو، الفدائي الذي كان يعمل مع ياسف سعدي في المنطقة المستقلة، والذي قبض عليه ولم يستطع مقاومة العذاب فأقرّ بعدّة أسماء. وُضعت لمدة تفوق الشهر في زنزانة مُنفردة تحت حراسة مُشدّدة، وبقيت طريحة الفراش وألمي يزداد. بعد أن انكشفت هويّتي، أخذوني إلى مقرّ الشُرطة المركزي، حيث تلقيت استجوابا عنيفا، وتعرّفت على الظروف التي كان يُعانيها بعض السُجناء، فقد كانوا يُلقون بهم في مخابئ داخل أنفاق العمارة وسط المياه القذرة، استجوبوني حول نشاطي ضمن السلك الذي يهتمّ بالتفجيرات، لم أتحدّث عن أحد من رفاقي، ادّعيت أني أمية، وأنني كنت أزور أم زوجي التي وجدوني عندها لكي أتعلم عندها الخياطة. لم أستطع أن أنكر صلتي الزوجية برامل، ولكني أخفيت أمر حملي، وبعد التحريات والشهادات، شدّدوا الرقابة وكثفوا الاستجوابات معي، مما زاد حالتي الصحيّة سوء، وجعلني ذلك أفقد وعيي، بفضل الله لم أفقد جنيني، ولكن رقابة الدركيين تشدّدت من حولي. بعد سلسلة طويلة من الاستجوابات وحصص التعذيب، وبعد نقلي بين زنزانات مختلفة، أعادوني إلى المركز، ووجدت نفسي في الحجرة الأولى التي بدأ فيها تعذيبي فور إلقاء القبض علي. في هذه المرحلة لم أستطع أن أتحمّل بسبب حالتي الصحيّة المُتدهورة. ولكني تمكنت من أن أنجب دون تعقيدات. وفي سجن برباروس، لقيت العناية في المرقد رقم 1، حيث تكفلت بي أخوات أخريات.

استشهد رامل وأنت في السجن، كيف علمت بالأمر؟

علمت باستشهاد زوجي في "بئرطرارية" كنت طريحة، عندما دخل عليّ ذوي القبعات الحمراء، وأروني صورة لزوجي، وأخبروني بموته، وأثنوا على شجاعته، وقد كان بينهم من كان يشعر بنوع من الشفقة إزاء معاناتي الجسدية والمعنوية.

متى تمّ إطلاق سراحك؟

أطلق سراحي في سنة 1962... أم وحيدة وأرملة، تمكنت من العمل في المستشفى، ثمّ تحوّلت إلى مُساعدة طبيّة، وفي الوقت الذي راح فيه الجميع يركض وراء مصالح شخصية ضيّقة، لم نحصل نحن إلاّ على ماهية ضئيلة وبعض الدعوات الاحتفالية

الرسمية.

ماذا يمكن أن تقوليه عن زوجك الشهيد حاجي عثمان؟

لا يُمكن أن تحتكره ذاكرتي، وإنما ذاكرة الجزائر كلها، لأنه حارب وناضل من أجل هذا الوطن، بل ولم تكن له حياة عادية مثل باقي الأشخاص، لقد كان قائدا في منطقة الجزائر العاصمة، وتوفي في 26 أوت 1957 أثناء القتال إلى جانب سي مراد، بعد أن حاصرتهم قوات العقيد بيجار في أحد أزقة القصبة، لقد رفض رامل وهو الذي حلول أن يغتال ماسو لمرتين متتاليتين أن يسلم نفسه، واختار ميتة بطولية، تتماشى مع مبادئه الوطنية. موقفه هذا الشجاع سيُخلده التاريخ من دون شك... -

31

صليحة سقاي

"المصاليون كانوا يُخيفوننا أكثر من اليد الحمراء في الشرق الفرنسي"![1]

---

1 نشر بتاريخ 24 أكتوبر 2012.

تتحدّث إلينا المُجاهدة صليحة سقاي في هذا الحوار عمّا عاشته خلال ثورة التحرير، وتذكّرت في وقفة تاريخية جميلة ثلاثة مراحل هامّة في نضالها، بداية بالمرحلة التي أمضتها في مدينة قسنطينة، واتصالها بالمناضلين، والمهام التي كُلّفت بها، قبل أن تضطر للسفر إلى فرنسا، والعمل في الاتصالات، وتتحدّث عن مرورها بتونس، التي حققت فيها حلم ارتداء بدلة العسكري. وكشفت المتحدثة بكثير من التأثر عن حقائق مثيرة تتعلق بطريقة الاتصال بين المناضلين...

هلا حدثتنا عن المنطقة التي كنتم تعيشون فيها، وعن المرحلة التي تلت أحداث الثامن من ماي 1945؟

منذ حداثة سني كنت أستمع إلى ما تقوله أمي عن المستعمر...بأنه اغتصب أرضنا، ومحا ثقافتنا، كما سمعت الكثير عن مجازر الـ8 ماي 1945، وأعلم أنّ الاضطهاد وصل حد اقتلاع أثداء النسوة في المدن التي شهدت أكبر قدر من الإجرام، ونقلوها إلى منطقتنا، حيث أعطوها لكلاب المعمر "مازيا" تلتهمها على مرأى من السُكّان ليرهبوا، ولا يُقدموا على التمرّد، كلّ هذا، وحوادث أخرى جعلت بذرة التمرّد تنمو في داخلي، ولو أنني في البداية لم أعثر على طريقة لألتحق بهؤلاء... مُحرري الوطن. فأنا مولودة في السابع من نوفمبر سنة 1940 في مدينة شلغوم العيد، أنا من أسرة مُتكوّنة من تسعة أبناء، وواصلت الدراسة إلى أن حزت على شهادة التعليم الابتدائي، وهي المرحلة التي كنت سألتحق فيها بالثانوية، ولكن منعوني، أنا بنت "الانديجان" من مُواصلة الدراسة، وهذا زاد من حقدي على المُستعمر، وأصررت على الدراسة، وحاول أخي مُساعدتي إذ نقلني إلى مدينة قسنطينة علّ الحظ يُسعفني هناك، ويتم قبولي، ولكن لا شيء تغيّر، فاستسلمت للأمر الواقع ورحت أبحث عن عمل مُحترم، فعملت كخياطة لمدّة، ثمّ تعلمت الرقن على الآلة الراقنة، وحصلت على شهادة، ثمّ بحثت عن عمل، وكنت قاصرة، فاشتغلت في مكتب لحماية حقوق المؤلفين، عند السيد "بيرلون" ويعمل معي رجل يُدعى الطاهر مالكي، كنت أرتاح إليه، ذلك أنه كان رجلا مُحترما،

وأب عائلة.

قلت أنك حلمت بالالتحاق بالمجاهدين، فهل جعلتك هذه الفكرة تُحاولين العثور على اتصال؟

لم يكن هذا سهلا، كانت الأمور صعبة، والسرّية تامّة، فحتى إخوتي كانوا يُناضلون دون أن أعلم، أو أشعر بشيء. وبقيت أسكن فترة مع أخي، إلى ما بعد سنة 1956 حيث وشى شخص بأخي الكبير عيسى سقاي الذي كان في قسنطينة، وأخي الآخر خدير سقاي الذي كان يسكن في شلغوم العيد، وعمل ككهربائي في عنابة، وشى بهما حركي وهو من رافق الكابتن ميشو إلى بيتنا وعندما سألوا أمي، قالت أنهما ليسا موجودين، فأخرج العساكر أمي وإخوتي إلى الشارع، وأغلقوا البيت بالمفاتيح، فانتقلوا للسكن في قسنطينة أيضا بشارع انجلترا في دار بنزرتي، والتحقت بهم، وتركت بيت أخي وزوجته. وكان بالقرب منا مكتب "لاصاص" وخمارة، وكنا نجلس في زاوية البيت البعيدة عن الباب لنتمكّن من الاستماع إلى الراديو، وأحاديث عيسى مسعودي.

من أوّل من مهد لك طريق النضال؟

ذلك الحماس الذي كان بداخلي كنت أظهره للسيد مالكي الذي كان يعمل معي، لم أكن أعلم أنه مُناضل، ولكنني شككت قليلاً في بعض تصرّفاته، إذ كان يأتيه من حين لآخر ضيوف ينزوي بهم، ويُحدّثهم بعيدا عني، ولأنني كنت أرتاح له صارحته برغبتي في العمل مع الثوّار، والالتحاق بهم في الجبل، وبعد كلّ عملية فدائية، كنت أزداد تمسّكا بتلك الفكرة، وإصرارا على تحقيقها، ولم أُخف ذلك الحماس عن السيد مالكي، بل أُكرر على مسامعه دائما أنني على أهبة واستعداد دائمين للمُساهمة في تحرير وطني.

ماذا كانت ردّة فعله؟

كان في البداية يتظاهر بردعي عن الحديث في السياسة، والثورة، ويقول أنّ ذلك خطر، بل كان يُردد دائما:"هل تريدين أن تخلقي لنا مشاكل؟" فلم أكن آبه، وأستمرّ في الحديث عن

الثورة، خاصّة بعد أن أقرأ عن حدث أو عملية ثورية على الجريدة. وكان في نفس الوقت يختبرني، إذ يسألني عن عائلتي، والمدينة التي أتيت منها، وإخوتي، وغير ذلك إلى أن قال لي يوما:"ربما سنحتاج إليك" استغربت في البداية، ولم أفهم ما يقصد، فقال لي أنّ الإخوة هم من يحتاجون إلي، ففرحت كثيرا، لكنه قال أنّ عليّ أن أدفع الاشتراك فقط، فأبديت استعدادي لأن أدفع كلّ أجرتي، قال لا داعي لهذا، فقط 50 فرنكا تكفي!

ماذا كانت مهامك الأولى سيّدتي؟

بعد مدّة ناداني، وقال أنّ عليّ أن أتكتم على ما سيقوله لي، فلا أمي، ولا إخوتي، ولا أحد يجب أن يعلم بما سأقوم به، قلت نعم، فأحضر لي رسائل عليها ختم "جبهة التحرير الوطني" ورسم العلم الجزائري، وقال لي أنّ عليّ أن أُحرر رسائل التهديد للأشخاص الذين لا يدفعون الاشتراك، فطلبت مفاتيح المكتب من السيد "بيرلون" لكي أستطيع العمل ساعات إضافية أخرى، فوافق، ورحت أعمل، وأرقن الرسائل، وكان عندما يدخل أُخفي كلّ شيء، كما لو كنت أعمل بشكل عادي، كما كنت أخفي من حين لآخر بعض الأغراض، مثل الأدوية، والحبر، والضمادات، وأحيانا أسلحة موضوعة بعناية في قطع من القماش، كنت أخفيها في البيت، واستمرّ الأمر كذلك. ثمّ صاروا يُكلفونني بأن أنقل أشياء من مكان لآخر، يُرسلونني إلى نساء مناضلات، وأذكر اللا بيزة، أم فاطمة الزهراء، زوجة بوجريو، أي السي مسعود قسنطيني، ولو أنني لم ألتق بها أبدا وجها لوجه، ولم أكن أعرف هويتها قبل الاستقلال، كنت أستمع إلى زوجة الطاهر مالكي تتحدّث عنهم، وأنا كنت ألتقي بهنّ مُلحفات فقط. و مرّة قدمت مجموعة من الفدائيين إلى بيت مالكي الذي كان بمُحاذاة المكتب، وهم حملاوي، عمار قيقايا، رواق، احمد بن شعبان، وفضيلة سعدان، ولو أنني لم أطّلع في ذلك الوقت على هويّتهم الحقيقية، ولم أعلم إلاّ بعدها، جاؤوا مدججين بالسلاح، واجتمعوا في بيت مالكي، أنا كنت أحرس، ومن سوء الحظ جاء المُفتشون، الذين

يضطلعون على "بطاقة المُراقبة"[1]، وعندما أتوا وكان المُجاهدون في البيت الثانية، أنا خفت كثيرا، مرّوا من المكتب، ولحقت بهم، وفكّرت حينها في كلّ الاحتمالات، فالنافذة في تلك البيت مُرتفعة عن سطح الأرض، ولا يُمكن أن يقفزوا منها، فأشرت إلى زهية زوجة مالكي التي كانت حاملا أن ترتمي على الأرض، ولحسن الحظ لم يكن معهم حركي ليترجم لهم ما قلته لها، ففعلت، فقلت لهم أنهم أرهبوها، ورُحت أتظاهر بإسعافها، فاعتذروا منا، طلبوا البطاقة، فأطلعتهم عليها، وغادروا. وفي مرّة ثانية اجتمعت في المكتب مجموعة الفدائيين نفسها. وواصلنا العمل على نفس الوتيرة... جمع الأموال، الاتصالات، المناشير، وغير ذلك. أختي الكبيرة فاطمة كانت تخفي ما احضره، أنا لم أطلعها على طبيعة عملي، ولكن فهمت ما أفعل، خاصّة وأنني كنت أحيانا أنام بملابسي. وأحيانا كنت أحضر أشياء كبيرة الحجم، فنحفر في الحديقة ونضع تلك الأشياء، ونعود، وهكذا. ومرّة اعتقلوا مالكي، وأخذوه إلى "حي امزيان" حيث كانوا يُعذّبون الناس، ثمّ انقطع الاتّصال لأنّ مالكي هو الذي كان يُوفّر لي الاتصال، وكنت معه على اتصال ببيزة وابنتها فاطمة الزهراء، ولم أكن أراهما إلاّ مُلحّفات، ولم أر وجوههن إلاّ بعد الاستقلال.

بعد القبض على مالكي ألم يتم تتبّعك من طرف المُفتشين؟

بلى، بعد مدّة صار المفتشون يُراقبونني، ومرّة قدموا إلى المكتب، وجاء السيد "برلون" وقال أنّ أشخاصا يُريدون رؤيتي، فرافقتهم إلى مكتب "لاصاص" عند الضابط "لو بلون"[2] سألني:"هل تعملين مع الفلاقة؟" قلت لا. لعبت دور البريئة، والمُحبّة للحياة، والمسرح، وغير ذلك. سألني إن كنت مُستعدّة

1 هي عبارة عن بطاقة توضع في البيوت الجزائرية تحمل أسماء ساكنيها، فإذا عثر العساكر على فرد أجنبي في البيت لا يوجد اسمه على البطاقة تتعرّض العائلة كلها للمساءلة، وإذا استقبلت عائلة ضيفا جديدا عليها أن تُصرّح به فورا.

2 *M^r le blanc*

للعمل معهم، قلت نعم شريطة أن يدفعوا لي أكثر ممّا آخذ في مكتب السيد "بيرلون" ثمّ أخذوني في سيارة إسعاف، سألتهم:"أين تأخذونني؟" لم يجبني أحد، وكرّرتها، ولم يجيبوا، فرُحت أبكي، وقلت أنني أريد العودة إلى أمي وبيتي، ثمّ واصلنا طريقنا إلى أن وصلنا إلى ثكنة في "سان شارل" لم أكن أعلم وقتها أين تقع، كانت هناك ممرّضتان اثنتان حاولتا تعزيتي والتخفيف عني، وطلبتا مني أن لا أبكي، وأنني سأعمل في التطبيب مثلهما، فبدا لي الأمر غريبا..مُناضلة تُطبب الفرنسيين! لم يكن هذا مطروحا، حتى لو اضطرني الأمر للموت، وأمضيت ساعات النهار أبكي وأصرخ، وأطرق على باب الغرفة التي وضعوني فيها....يوم كان صعبا في حياتي... لم يكن عملي، فقد بقيت أفكر وأبكي لساعات، ثمّ قدمت سيارتان عسكريتان تتوسّطهما سيارة إسعاف، ووضعوني والطبيبتين في سيارة الإسعاف تلك، إلى أن وصلنا إلى مُحتشد، حيث رأينا الشعب في وضعية كارثية، بين مصابين، ومرضى، وأنا لليوم أتساءل لماذا أخذوني إلى هناك! إن كانوا فعلوا ليختبروني، أو بيّتوا أمرا آخر، أحضروا لي امرأة، طلب مني أحدهم أن أحقنها، قلت لا أحسن الحقن لأنني كاتبة، كرّر مُحدثي طلبه، فقلت أنني لا أحسن التطبيب، إلى أن جاء آخر قال له أن يتركني، ويُحضر أخرى تُعوّضني، ثم أحضروا رجلا مصابا وينزف دما، رأيت منظر الدم فأُغمي علي. استيقظت في سيارة الإسعاف التي كانت ستصل إلى مكتب الضابط "لوبلون" حيث أصررت على أنني كاتبة، ولن أتعاون معهم، فتركوني، وعُدت إلى بيتي، وبعد أيام اتصل بي الملقب بـ"بوجمعة البوليسي" وهو شرطي يعمل مع فرنسا، غير أنّ حقيقته هي عمله مع جبهة التحرير الوطني، قال أن عليّ أن أغادر، فكّرت في أنه سيُرسلني إلى الجبل ففرحت، ولكنه سألني إن كانت لي عائلة في فرنسا، قلت نعم، اثنين من أخوالي، وأختي وزوجها، قال أنّ عليّ السفر إلى فرنسا، لكنني كنت قاصرًا، لم تكن لديّ حتى بطاقة تعريف، وأخي الكهربائي كان محافظا، ولم يكن ليوافق على أمر مثل هذا، سألني بوجمعة إن كانت أمي حيّة، قلت نعم، قال أنه سيصطحبني وأمي إلى

القاضي لتُمضي لي الوكالة، وهكذا فعلنا، إذ قلت لأمي أنني أحتاج إلى تلك الورقة بسُرعة، فصنع لي بوجمعة بطاقة التعريف، وبقي مُشكل أخي المُحافظ الذي رفض سفري، وكتبت لخالي لكي يرسل لأمي في طلبي، ففعل، ولهذا اقتنع أخي ولكن بصُعوبة، قصصت شعري، وسافرت...

هل أبلغوك بنوع المُهمّة التي كان عليك تنفيذها؟

لا، أعطوني رسالة، وعندما وصلت أقمت عند خالي ساعو بن عجيبة، الذي كان لديه اجتماع مع الإخوان، وبعد أيام جاء شخص مثلما كان مُتفّقا عليه من قبل، أعطيته ورقة كان قد منحنيها بوجمعة، قال لي أنّ مُهمّتي ستكون وصل الاتصالات مع المُناضلين، وبعد قرابة الأسبوع بدأت، عملت في كلّ شرق فرنسا تقريبا..بلفور، نانسي، كولمار، ميلوز، مانتس، ستراسبوغ، سوشو، وتقريبا كلّ مُدن شرق فرنسا. فكنت أتنقل في القطار، أُحضر حقيبة فيها أموال، وأخرى فيها سلاح، ووثائق ومناشير، وهكذا، وفي المساء كنت أعود إلى بيت خالي في الأيام الأولى، وكنت أعمل مرّة في الشهر في باريس، آخذ الأموال وأُحضر السلاح، أستقلّ القطار، وألتقي بأشخاص ينتظرونني في المحطّة، إمّا أن يأخذوني إلى عائلة من العائلات، أو يُعطونني العنوان، وأذهب لوحدي، خالي وزوجته لم يكونا يعلمان بما أفعل، بل أقول أنني أبحث عن العمل.

كنت في الشرق الفرنسي، حيث كان يتواجد كثير من المصاليين فهل اصطدمت بهم؟

لقد كنا نخشاهم أكثر من الفرنسيين، خاصّة في ميلوز التي كان بها الكثير منهم، غير أنني لم أصطدم بهم، ولو أنني كنت أتمنى أن أقع في يد الفرنسيين الذين كانوا يعتقلون، ويسجنون، وربما يُعذبونني، أمّا المصاليون فكانوا يلجأون مُباشرة إلى القتل والتنكيل.

من تذكرين من المسؤولين في شرق فرنسا؟

كان هناك آيت وازو، المدعو سي رشيد، وبشير، والسي مسعود، واسمه الحقيقي محمد الصغير، والسي بوزيد، وغيرهم.

هلاّ حدثتنا سيدتي عن الطريقة التي كان يتم بها الاتصال في فرنسا؟

كما قلت في العادة كنت أحمل السلاح، أو المال، أو الوثائق، والمناشير، وأنقلها من مكان إلى آخر، وكنت أتعرّض لمُضايقات، ولكنني كنت أبدو صغيرة السن، فتمكّنت في مرّات كثيرة من الإفلات من مصالح الشرطة، ومرّة حملت حقيبة فيها سلاح، وذهبت إلى شخص مُناضل مُسمى عمار يلس في "ستراسبورغ" تركت لديه الحقيبة، ثمّ فكّرت في أن أزور أختي عائشة، وكانت مُناضلة أيضا، أمضيت الليل عندها، وكان لديّ مُسدس ووثائق، أختي أخفت ذلك كله بعناية، ولحسن الحظ فعلت، فعلى الساعة الثانية صباحا، جاءت الشرطة اعتقلت زوج أختي عثمان حبيب، وكان مُشرفا على خلية، وكان مُناضلا هو أيضا، واعتقلوا كثيرين من الحي، أخذوني إلى الحي الإداري، ووضعوني في نفق. حيث كان هناك سبعة أشخاص لاستجوابي، سألوني إن كنت أعمل مع "الفلاقة" قلت لا، قالوا بلا، قلت أنني قضيت الليلة عند أختي وفقط، وأنني أقرأ الجرائد فقط، وحاولوا ترهيبي وهددوني، قالوا أنني في كلّ وقت أتنقل في القطار، أجبت بأنني أبحث عن عمل. ثمّ أحضر لي صورة لي، قلت لست أنا. وبقيت إلى الصباح، وأطلقوا سراحي، فغادرت، ثمّ تلقيت تعليمات أن لا أبيت في ستراسبورغ مرّة أخرى. ومرة كنت في ميلوز، أحمل 11 مليون فرنك فرنسي لأنقلها إلى بلفور، ولكن كان هناك قطار ذاهب لبلفور، وآخر إلى سويسرا، فاستقلّيت الثاني، وعندما تفطنت لذلك، تملكّني الخوف، خشيت أن أُضيّع المال، وأنّ يحسب المُناضلون أني هربت، أو شيء من هذا، فرحت أبكي، وعندما وصلت إلى "بال" لم أشأ أن أنزل، فقلت للدركي أنني فرنسية، ويجب علي أن أعود، وأهلي ينتظرونني، وقد لا يصدقونني، فدلني على قطار آخر مُتجها إلى بلفور لأستقلّه، ففعلت، وعندما وصلت لعند لويزة حنيش، كانت وزوجها نائمين، أمضيت الليلة في العمارة...إلى الصباح. ثمّ قدما، وجاء المناضلون الذين غادروا بعد أن تأخرت كثيرا، لأنهم حسبوا أنه تمّ إيقافي، ولكنهم بقوا على اتصال بلويزة، وعندما علموا أنني عدت حضروا وأخذوا أموالهم. وأذكر أنني كنت ليلة

عند نفس السيدة أي لويزة حنيش، وكانت تخيط الأعلام، ورحت أُساعدها، وقدمت الشُرطة، واعتقلوا كلّ الحي، وراحوا يستجوبوننا، أمّا زوجات المُعتقلين فبقوا يحتجّون ويُطالبون بإطلاق سراح أزواجهن، وبقوا مُعتصمين أمام المعتقل إلى الليل، فأُحرجت السُلطات الفرنسية، خاصّة عندما حضرت الصحافة، وراحت تصور المعتصمين، فأطلقوا سراحنا، ولكن أخذوا معلوماتنا، وكان من المنتظر أن تتم مُلاحقة المشتبهين منا، ومنهم أنا، وفعلا كانت هناك اعتقالات بداية من تلك الليلة، ولهذا فإن زوج لويزة قام بتهريبي، إذ وضعني في شاحنة التبريد التي كان يحمل فيها اللحم، ونقلني إلى محطة القطار فعدت إلى ستراسبورغ، وعندما وصلت قال لي أخ أنّ عليّ أن لا أبقى هناك، فذهبت، وبعدها علمت أنهم اعتقلوا لويزة وزوجها مرّة أُخرى، ونفوهما إلى قالمة بالجزائر بعد قرابة السنة من السجن. أنا في تراسبورغ اتصلت بأخي، عيسى سقاي، أخذني إلى الزوجين هايتس، كانا شيوعيين يعملان معنا، هما صُحفيان من الالزاس، أخفوني، وجاءني اتّصال يحتوي أمرا بالذهاب إلى ألمانيا، إذ أعطوني ورقة مكتوب عليها "فندق 32" من ستراسبورغ، الى سارغومين، ثمّ ساربروغ، ثمّ بون، حيث من المُفترض أن ألتقي هناك بالإخوان وأُعطيهم الورقة، وهكذا فعلت. لكنني عندما وصلت لبون لم أعثر على أحد، كنت أذهب لكلّ من أراه يُشبه الجزائريين، وبقيت حتى الثانية صباحا في نفس المكان، فرأيت رجلا، فاتجهت إليه، أعطيته الورقة، فقال أنها كلمة سرّ ألغيت، قال لي أنه هو أيضا فقد الاتّصال بعد أن ضربه المصاليون فأصابوه، وخرج من المستشفى، وبحثنا في الفنادق كانت مليئة كُلّها، ثمّ عرض عليّ بعد تردد أن أبيت عنده في بيته، فرفضت لكونه غريب عني، فمشى قليلا، ولأنه فهم سبب رفضي لم يستطع أن يتركني هكذا، وعاد وعرض عليّ الأمر، وقال أنني يُمكن أن أواجه خطر اليد الحمراء، والمصاليين، وشرطة الأخلاق، إن أمضيت الليلة في الطريق، وقال أنني مثل أخته، ولا خوف عليّ، فوافقت مترددة، ولأنه لم يكن لدي خيار آخر، وفعلا عاملني مثل أخته، وبقيت طول الليل

جالسة فوق الكرسي وأحسن مُعاملتي، ثمّ نصحني أن أذهب إلى سفارة المغرب، وهكذا فعلت في صباح اليوم الموالي، وبصعوبة استطعت أن أتحدّث إلى المسؤول وأقصّ عليه ما حدث، هذا الأخير قال لي أن أذهب إلى محطّة القطار من العاشرة والنصف إلى الحادية عشر، حيث يكون الإخوان هناك، فذهبت إليهم، فرأيت ثلاثة جزائريين قادمين، فاتجهت إليهم، وحدثتهم، أعطيتهم الورقة، فاعتنوا بي، وجاء إخوان آخرون، وأخذونا إلى فندق ومطعم سرّي، بقيت أسبوعا معهم، قبل أن يُحضروا لنا جوازات السفر، وأعطوني رسالة لكي أنقلها إلى الطيب بوالحروف في ايطاليا، كنا سبعة، وكانت معي باية الهاشمي، وكان علينا أن نذهب بعدها إلى الحدود التونسية الجزائرية، بقينا في فندق "كومودور" لأيام، ثمّ ذهبنا إلى الإخوة الطلبة، عملت معهم حوالي الشهر، ثمّ نُقلت إلى المكتب العسكري، وبعدها إلى الكاف، ولبست لباس الجُندية، وفرحت بتلك البدلة كثيرا، ثمّ انتقلنا إلى دشرة المجاهد، حيث كان السي اسماعيل حاجة مسؤولا سياسيا، وماما زليخة بوقادوم مسؤولة عن المجاهدات، تربصت في التمريض، وكنا ننتقل لنعالج المجاهدين المصابين واللاجئين أيضا كنا نعتني بهم، وصرنا نُوفر لهم المُرافقة الاجتماعية، ونلعب دور المُعلمة، والسياسيّة، وكلها أدوار كنا نقوم بها، خاصّة بعدما التحقت بنا كل من صليحة جفّال، وجميلة جفال، وغيرهما من النسوة اللائي كان دورهن هاما على الحدود مثلما كان الحال في الداخل. وكانت الوفود تأتينا من ألمانيا الديمقراطية، والفيتنام ويوغوسلافيا، وكنا ننتقل عند بومدين، واحمد قايد، وفرحات، هؤلاء كانوا في القيادة العُليا، ولكنهم كانوا يزوروننا رُفقة الوفود.

نعلم سيدتي أنك ارتبطت في الحدود التونسية الجزائرية، كيف تم ذلك؟

حدث هذا بعد وقف إطلاق النار، التقيت بالأخ خوجة مجذوب الذي كان مُحافظا سياسيا، ارتبط بي بعد وقف إطلاق النار، في البداية رفضت لأنني لم أكن أفكر إلاّ في الدراسة، وكانت معي ماما زليخة بوقادوم، مسؤولتنا في دشرة المجاهد، وأخريات مثل نجية، وفاطمة، وماما الزهرة،

وفجرية، وفضة، وعمر بولحبال، ومحمد بوطمين، احضروا أخي الذي عبر الحدود، وتحدّث إلي الضابط بوقادوم، وحاول إقناعي بهذا الزواج وكانت تبدو لي فكرة الزواج خارج بيتي وأهلي غير عادية، وتزوّجنا في قرية جبّار عمر، عندما فتحوا خط شال وموريس، وكان هناك مصابون، أحضروا أخي خدير الذي كان في قسنطينة، أحضروه إلى دشرة المُجاهد، أنا لم أكن أعرف عنوانه، ولكن استطاع مجاهدون أن يعثروا عليه، أحضروا لي لباس عرس، وكذلك فعلوا مع الطقم الذي ارتداه زوجي. وحضر موسى حساني، بوطمين، هشماوي، وعمر بولحبال، واحمد عرفي، وبوحارة، ومبروك عبدة، وعمي صالح "نهرو" ومجاهدين آخرين.

كيف عشتم إعلان وقف إطلاق النار؟

كنت فرحة لا تضاهيها فرحة، كنا نتساءل فيما بيننا إن كان الخبر حقيقيا أم لا، كان يوم نصر حقيقي.

ماذا يُمكن أن تقوليه بمُناسبة ذكرى الفاتح من نوفمبر 1954 الذي يُصادف سنة الذكرى الخمسين لاستقلال الجزائر؟

أتمنى أن نكون في مقدمة الدول، التي تتمتع بثروات باطنية، وطبيعية، وحتى بشرية هائلة، ولكن لا توجد إرادة سياسية حقّة، ولكن أفرح عندما أرى الطلبة في المدارس والجامعات جزائريين كلهم، والأطباء في المستشفيات جزائريون، وهذا بفضل الله والشهداء والمجاهدين، ولا بد على الشباب أن يفهموا قيمة هذه الأرض، وهذا التحرر، وتضحية الشهداء. فهذه البلاد غالية علي، أرضها مسقية بدماء الشهداء، رسالتي إلى الشباب أن لا يفرطوا في شبر منها، هي وطنهم وأمهم، وأتمنى أن تعلو بين الأمم، و ترفرف أعلامها، والمجد والخلود لشهدائنا الأبرار.

32

فاطمة الزهراء سليمي

"بيجار حاول القبض عليّ في مظاهرات ديسمبر وعُملاء فرنسا أغرقوا العاصمة" [1]

1 نشر بتاريخ 3 نوفمبر 2012.

نستضيف في حلقتنا هذه المجاهدة فاطمة الزهراء سليمي، التي تقدم لنا شهادتها المميزة عما عاشته في بيت ناضل فيه الوالد حتى استشهد وتشرّد الإخوة المناضلون بعد أن طاردتهم السُلطات الفرنسية، أما خالتي الزهراء التي استضافت "الجزائر" في بيتها، فقد قصّت علينا كيف تحمّلت المرأة عبء الثورة حتى وهي في بيتها في حيّ شعبي بالقصبة، إذ بدأت بإخفاء الأسلحة، والوثائق التي يحضرها والدها المجاهد محمد سليمي، قبل أن تتحوّل إلى عنصر اتّصال بين المُجاهدين والمُناضلين، وتحدثت لنا عن الأناشيد الثورية التي ألفت الكثير منها، وكيف أنها ساهمت في رفع معنويات المناضلين، وحتى المجاهدين الذين كانوا يُردّدونها في الجبال...

وُلدت سيدتي ونشأت في حي القصبة العتيق، وتحديدا في شارع لا غروناد التي انحدر منها الكثير من المُناضلين حضّروا وصنعوا ثورة التحرير، ومنهم الوالد والأخوين، فهلا حدّثتنا بداية عن الأجواء التي كانت تُميّز هذا الحي الشعبي قبل تاريخ 1 نوفمبر 1954؟

أستطيع أن أقول لك أنّ أبناء الحي كانوا كلهم مُناضلين، بل ومُناضلو الساعة الأولى. لا أذكر اسما أو عائلة إلاّ وتربطها ذاكرتي بحدث تاريخيّ هام، أو مسيرة نضالية، كيف لا؟ وكان يسكن فيها كلّ من الطيب كمشان الذي كان فدائيا، وكذا عمر اوزقان، وعائلة بلحفاف، وجميلة بوحيرد، ودار بن مبروك، وبن كانون، ونام فيها كثير من المُناضلين، من اوعمران، إلى العربي بن مهيدي، وياسف سعدي، والحاج سي علي قماط الذي كان يملك محلا لبيع الحليب، وهو من الأوائل الذين لبوا نداء الفاتح من نوفمبر، وكانت مُهمّته ربط الاتصال، وعمل مع أخي وأبي. وكان على اتصال مع بوجمعة سويداني، وبن رمضان، وغيرهم. كلّ هؤلاء كانوا يسكنون في نفس الحي، فصار النضال متوارثا بين أبنائه. ولا أنسى ما فعلته فرنسا بنا، كنت صغيرة وأتذكر مجازر فرنسا، فالدركيون يقبضون على الجزائري يضربونه ضربا

مُبرحا، مشاهد كهذه لا تُنسى، أنا كنت صغيرة، ولكن لا يُمكن أن أنسى.

كنت بلغت سنّ التاسعة خلال أحداث الثامن من ماي 1945، فماذا تذكرين عنها؟

أذكر أنني شهدت المُظاهرات في القصبة، كنت في حي "كاتون" القريب من مسجد "جامع ليهود" سمعت شعارات، وصيحات، فاتجهت نحو الصوت الذي كان مُدويّا. ورأيت أخي الأكبر يوسف، رحمه الله، والذي يكبرني بثلاث سنوات، وكان مع عمار باسطا اللذين كانا مع جماعة من الشبان يحملون لافتات كتب عليها بالأحمر الذي يرمز للدم أن يحيى حزب الشعب، وتسقط فرنسا. ثمّ راح الجمع يتفرّق، وأعطاني أخي العلم الذي كان يحمله وطلب مني أن أعطيه لـ"ماما" أي جدتي، فركضت نحوها وكانت واقفة عند عتبة الباب، وحتى أمي كانت هناك، وسألتاني عن الأمر فأخبرتهما بما رأيته، وأنّ أخي بين الجموع المتظاهرة، وأعطيت العلم لجدتي فأخفته، وبعد قليل جاء الحرس المتنقل لكي يفتش بيتنا، سألونا أين الشباب الفار، أجابت أن لا يوجد أحد، ففتشوا قليلا، ولما لم يعثروا على شيء، غادروا. أمّا هؤلاء الشباب فتفرقوا، وفروا متجهين نحو حي باب الواد، لأنّ شارع ديزلي (العربي بن مهيدي حاليا) لم يكن يسكنه إلاّ المُعمّرون، فلم تقبض الشرطة، على حدّ علمي، على واحد منهم حينها.

لعل الأنشودة سيدتي احتلت حيزا كبيرا من اهتمامك، وجزء لا يتجزأ من نضالك، ولكن نعلم أنك كنت أيضا تربطين الاتّصال، وتخفين السلاح خلال أتّون الثورة، ربما ورثت ذلك عن الوالد والإخوة الذين كانوا بدورهم مُناضلين، فهلا حدّثتنا بداية عنهم؟

أجل، أسرتي الصغيرة كانت مناضلة، وبما أننا تحدّثنا عن مجازر الثامن من ماي 1945 فإنّ والدي قام بمجهودات فيما يخصّ التكفل بأبناء الضحايا، خاصّة اليتامى الذين استشهد آباؤهم، تكفل بهم الوطنيون، ومنهم والدي الذي كان يملك ورشة خياطة، وجاءت إليه نساء طلبن منه إعانات، فنصحهن أن يتعلّمن الخياطة، وطلب من أمي أن تُعلمهن لكي يعتمدن على أنفسهن، ولا يكنّ بحاجة إلى التسوّل. خاصّة وأنّ أغلبية الشعب كان فقيرا، وغير قادر على التصدّق.

لك اهتمام خاص بالأنشودة، التي تُعتبر نوعا من التعبئة المعنوية للمناضلين، وكذا التعريف بالقضيّة الوطنية، فأين كانت تُلقى، وكيف كانت فرنسا تتعامل معها؟

بالنسبة لي بدأ اهتمامي بالأنشودة منذ صغري، لا أدري من ورّثنيها، ولكن أعلم أنني كنت أستمع في البداية إلى تلك الأناشيد، وكنا نرددها في كل زاوية من البيت، وحتى أبي الذي كان يستقبل المناضلين، كان يردد معهم الأناشيد، وكنا نحن، النساء، نسمعها، وكنت أهتز، ويقشعر بدني لها، ثمّ بدأت أكتب، وبقيت الأنشودة الوطنية مُرافقتي في النضال وبعدها. أمّا المُلتقيات العائلية فلم تكن تخلو من أجواء وطنية، حيث تتخلل الوصلات الغنائية أناشيد عن الوطن...

من كان يُدرج هذه الأناشيد في الملتقيات العائلية؟

بالنسبة للأعراس التي يحضرها الرجال، فكان الكشافة يقومون بدور جبار في هذا المجال، إذ كانوا يُقحمون تلك الأناشيد، وفي كلّ المناسبات.حفلات الزواج والختان، وغيرها. وكان هناك أشخاص يحرسون العرس من الفرنسيين، ولكن خاصّة من العملاء الذين يندّسون بيننا أحيانا. ولعلّ الكشافة قامت بدور جبّار في نشر تلك الأناشيد عبر الحركة الكشفية. فأفواج الكشافة كانت تحرص على أن تكون الأناشيد حاضرة دائما، خاصّة في الأعراس. وبالنسبة للنساء، فكانت الكشافات اللائي يدرسن في المدارس الحرّة مثل الشبيبة، الخاصّة بالفتيات، والرشاد المُختلطة، كنّ ينقلن تلك الأناشيد. وحاولت فرنسا ما استطاعت أن تُحارب الأنشودة الوطنية ولكنها فشلت، لأنّ الأغنية الوطنية كانت قد تغلغلت في العائلة الجزائرية، وصار الكبير والصغير يحفظها.

أين درست سيدتي؟

درست في مدرسة حرة بالقصبة، وكانت المُعلمات بها مناضلات، مثلما هو الحال مع أغلب سكان القصبة، حيث ساهم كل واحد منهم بالقليل أو الكثير في الثورة، إلاّ بعض العملاء المعروفين. ودرست اللغة العربية والقرآن الكريم لدى الشيخ محمد العيد بوحنة، وكنت، وأنا صغيرة، أحسبه عمي لأنه كان صديقا حميما لوالدي، ولم أعلم بذلك إلا بعد سنوات. ولهذا كان يُدرّسني بشكل خاص، ويعلمني الفقه، ويحكي لي عن غزوات المسلمين،

وكنت أحب الاستماع إليه. أخذت عنه الكثير من ذلك حبّ الدين والقرآن، وكنت إلى جانب ذلك أدرس في المدرسة الفرنسية، إلاّ أنّ أمي مرضت، فتوقفت عن الذهاب، وكنت سأعيد السنة، لولا أنني قررت أن أتوقف نهائيا، فتعلم اللغة العربية كان كافيا.

كان بيتكم مأوى للمُناضلين والسلاح أيضا، فكيف كان يتمّ إخفاؤه؟

كان أبي يُحضر السلاح، والقنابل اليدوية، وكذا الأدوات التي تصنع بها القنابل، ويُعطيها لي، ولكن لا يسأل أبدا عن مكان إخفائها، وأنا كنت أضعها في درج سرّي في بيتي. كما كان لدينا بئر لا نستعمله، كنت أشد إليه أكياسا فيها وثائق وأسلحة، بحيث تكون داخل البئر، ومشدودة إلى حافته. وسألتني أمي مرّة عنها، فقلت أنني أستعملها لنشر الغسيل.

والدك محمد سليمي كان مُناضلا قبل وبعد ثورة التحرير، كيف كان احتكاكك به؟

والدي كان مُناضلا في حزب الشعب وكان مع مصالي الحاج. وكان أيضا رجل دين علوي (من الزاوية العلوية الشهيرة) وكان مقرّهم في "سان فانسون دي بول". وكان خياطا مُكلفا بالاتّصال وتجنيد الناس في القصبة التي تربى فيها. وكان المناضلون يزورونه في البيت، وفي الورشة التي يملكها أيضا. إذ كان يأتيه ذبيح شريف، وعيسى كشيدة الذي كان خياطا بدوره، إضافة إلى حسين بوطبة، والعربي بن مهيدي، ومحمد بوضياف، وغيرهم. وقبل الثورة كان على صلة وثيقة بمصالي الحاج، وصديقا لمحمد مزغنة، وكان يزوره الصادق ريحاني، وحمادة، وعمي محمد بن صيام، وآخرون. كان أبي ينسق معهم جميعهم. بل وكان أيضا مُتّصلا بمناضلين من سوق أهراس، وتبسة، الذين كانوا يقدمون إلى هنا، وحتى العربي التبسي اختبأ في بيتنا عندما كان مُطاردا. ولأنّ أبي كان تاجرا فقد كان يُموّل أيضا المُناضلين، وحتى هؤلاء المُتواجدين على الحدود التونسية، ومرّة أرسل النظام رشيد فقراش إلى قسنطينة، ومنها إلى تبسة، واجتاز الحدود إلى تونس، وعندما عاد قبضوا عليه، ولكنه لم يش بأحد. فصار أبي يذهب إلى تبسة، واتصل بشريط، ومولوه. وكان يذهب مرتين خلال الشهر، ولكنه كان مسؤولا هنا، فصار الذهاب والإياب يستعصي عليه، وصار

المُجاهدون يأتونه إلى هنا. فصار ينسق أيضا مع مناضلي تبسة من الولاية الأولى، وجيجل. ثمّ وقع حادث لبرجب وشريط اللذين كانا معا على الحدود التونسية، ورآهم شرطي مُسلحين وكان سيشي بهم فقتلوه، ولكي لا يُثيروا الشُبهات أطلقوا النار على كلب، وعندما جاء الحرس المتنقل، سألوهم عن الطلقة فقالوا أنهم قتلوا الكلب الذي كان سيهجم عليهم، فصدقوهما، ولكنهم رأوا جثة الشرطي فعادوا واعتقلوهم ونقلوهم إلى سجن بربروس بالعاصمة، فعذبوهم ولكن، ولحسن الحظ، لم يُقرّوا بشيء. وعندها اتصل المجاهدون بأبي وطلبوا منه أن يوفر لهما محاميا، فكلف ثلاثة محامين بالدفاع عنهما، منهم وقواق الذي كان مُناضلا مع أبي، ومحامي آخر يهودي صديق أبي، ومحامي ثالث فرنسي، فتم إطلاق سراحهما بعد أشهر. وجاؤوا إلى بيتنا ورأيتهم بنفسي، وكانوا في حالة يُرثى لها، ولكن شريط، مثلا، كان وجهه مُضيئا، كما لو أنّ نورا ينبعث منه.

شهدت سنة 1957 الكثير من الأحداث خاصّة في العاصمة، بداية بإضراب الثمانية أيام، ثمّ حملة الاعتقالات، وتفكيك شبكة المناضلين في المنطقة المُستقلة، كيف عشتم تلك الفترة؟

أجل، لم نسلم من حملة فرنسا تلك، حيث اعتقل أبي وعذب بعد إضراب الثمانية أيام، إذ أنّ هناك من وشى به. ولكن أخي الأكبر يوسف، كان أوّل من تعرض للتهديد سنة 1955، فسافر، وقبض عليه في فرنسا. فمرّة كان لديه اجتماع مع رابح بيطاط، في مقهى "النوي" بسوسطارة، ورأى عميلا في المكان، ثمّ لاحظ وجود شرطيّين أمام سوق "لالير"، وكان العميل برُفقتهما، فتفطّن إلى أنه مُستهدف، فجاء إلى البيت، ولم يمكث إلاّ دقائق، حمل فيها بعض أغراضه، وخرج ناويا السفر على متن أوّل سفينة، وفعلا ذهب إلى الميناء، وسافر في باخرة مُتّجهة إلى مرسيليا، وبعدها ألقوا القبض على رابح بيطاط، ولم يقبضوا عليه. وبقي في باريس يعمل في ملهى ليلي، كمغني، وكان يؤدي النوع الشرقي، ويشبه كثيرا المغني المصري محمد شكوكو، فصاروا يُلقبونه بشكوكو. وكان يُناضل في نفس الوقت مع فدرالية فرنسا، مع الفنان ميسوم، وكذا والد المغنية وردة الجزائرية. وكانوا يعرفون مناضلا كان يأتي إليهم، تمّ القبض عليه، فخشي والد وردة أن يشي بهم، فاتجه إلى المغرب، وأخي بقي فقبض عليه في سنة 1956. وكان أخي قد

ارتبط بفتاة أصلها من ايطاليا، تسمى ران، قبل أن تسمي نفسها مهدية، وعندما كان يسافر ليقوم بعملية ما، كان يترك ابنه نصر الدين لدى الفنانة وردة. ثمّ اعتقل أخي الأصغر مصطفى، بسبب قتله لدركي فرنسي، هو كان يقوم بنقل القنابل من شخص لآخر، وكان أخي مع أصدقائه محمد شاوشي، ورشيد، وكان هناك دركي فرنسي رأى عريسا فأطلق عليه كلبه، فقال أخي لأصدقائه أنه سينتقم لذلك العريس. وراح يحضر نفسه من أجل قتل الدركي. وفعلا، بعد أيام حمل سكينين، واتجه إلى الدركي الذي كان رفقة كلبه، رمى سكينه على الكلب فأصيب، ورمى السكين الثانية على الدركي، الذي سقط أرضا، فأجهز أخي عليه.

وكيف تمّ اعتقال والدك؟

قبضوا عليه بعد عشرة أيام من إضراب جانفي 1957، قاموا بتعذيبه، أخذوه إلى معتقل عين وسارة، وبقي أشهرا قليلة، وصادف ذلك شهر رمضان، وأطلقوه فقط لكي يكون مصيدتهم للقبض على مُناضلين آخرين، حيث راحوا يُراقبون من يزوره.

هل فتشوا البيت؟

أجل.

وهل عثروا على شيء؟

لا، ولا حتى إبرة، أو لباس مجاهد، أنا من كان يهتم بهذا، وكنت احتاط كل الاحتياط، إذ عندما يغادر المناضلون بيتنا، أعيد ترتيب كلّ شيء، حتى لا يعثروا على أيّ شيء يُديننا.

هل نجحت خطة فرنسا، أو قبضوا على مناضلين آخرين زاروا والدك؟

أول من زار والدي كان الطيب كمشان صهر عبد الغني مرصالي، ثم عادوا واعتقلوا أبي، ونقلوه للتعذيب في فيلا "سيزيني" ثم في فيلا بـ"السكالة" ثمّ "الاكورنيش" وبعدها نقلوه إلى سركاجي، وهناك أعدموه.

بعد أحداث 1957 انقطع الاتصال في العاصمة، وتفكّكت المنطقة المستقلة، فكيف واصلت النضال؟

أجل بعد تلك الأحداث قبض على الرجال، وبقي النساء، وبعد استشهاد أبي، وبعد تفكك النظام في العاصمة كما قدّمت، بقيت أعمل مع مُجاهدي الولايات الأخرى، كانوا يأتون وأوفر لهم

الاتصال، وكذا الأدوية، إذ كنت أعمل مع مُناضلي عزازقة في الولاية الثالثة الذين كانوا أصدقاء أبي، وكانوا خيّاطين، ويزورون ورشة أبي في حي "روندون"بقرب سوق "لالير" كما كنت مُتّصلة بالولاية الأولى، المنطقة الأولى أي عين ولمان، إذ كان هناك رشيدي لخضر الذي يدرس في بلكور ويعرف أبي، وطلب مني أن أرسل لهم الألبسة والأدوية.

كيف كان يتم الاتصال بينكم؟

طبيعة بيوت القصبة أنها مُتلاصقة فيما بينها، وحتى الأزقّة، وهو ما مكّنني من تفادي الخروج من باب بيتنا، إذ كنت عندما اتصل بالمناضلين أمرّ أحيانا من دار حسن قندريش، الذي كان مُناضلا، قبل أن يعمل مع فرنسا، وكانت زوجته تزورني باستمرار، وكان هناك بيت بن كانون، وحمام فضيلة مسلي، كما كنت أنتقل أحيانا من حي "لاغروناد" إلى حي إسماعيل بودربالة. وهكذا كنت أتفادى أن أخرج من البيت حتى لا يتفطن لي أحد من الجيران، وخاصّة العملاء منهم.

كيف كنتم تتفادون عملاء فرنسا؟

كان ذلك صعبا، لكن ساعدني الموقع الاستراتيجي لبيتنا، والاحتياطات التي كنت أقوم بها، إضافة إلى أنّ المُجاهدين لم يكونوا يرونني مباشرة، كلّ هذا جعلني أتفادى الاعتقال، أو أن يشي بي أحد، مثلا. وهؤلاء العملاء أغلبهم كانوا مُناضلين، ثمّ قبض عليهم، وتحت التعذيب صاروا يعملون مع فرنسا، وآخرون فعلوا ذلك من أجل بعض الامتيازات وهكذا. وكنا نحتاط لهم كثيرا.

كيف انتقلت إلى التدريس؟

بعد استشهاد والدي، صرت تحت الرقابة الجبرية، ولم يكن لدي الحق في الخروج، وكنت أمضي على ورقة حضور، ثم قدمت طلبا للحاكم العام للعاصمة، لدى المكتب العربي، لكي يسمحوا لي بتدريس القرآن، فأعطوني الإذن. وفعلت ذلك حتى أدرس، وأستطيع تمرير الرسائل الوطنية للفتية الصغار، وصرت أدرس في بيتنا، في الطابق السفلي، وأربط الاتصال مع المناضلين أيضا، وقمت بالتدريس أكثر من سنة، وحتى أبناء بوضياف درسوا عندي. وتمّ استدعائي مرة إلى المكتب العربي بقصر الحكومة،

ذهبت إليهم، فسألني ماذا أدرس،أجبت أنني أعلم القرآن للأطفال، فقال لي أنه كان عليّ الالتزام بتدريس القرآن لا الأناشيد الوطنية، وقرّر توقيفي عن التعليم، وكان ذلك سنة 1960.

أعلام كثيرة تلك التي خاطتها الجزائريات لتظهر في مظاهرات 11 ديسمبر، كيف عشت الحدث؟

انتفضت "صالومبييه"[1] ثم بلكور[2] أما في حي "روندون" فكان هناك الرقيب بلقاسم، وإخوته كلهم عملاء لفرنسا، تلقوا أوامر بأن يخرجوا بشعارات "الجزائر جزائرية" فخرج مناضلو القصبة وضربوهم، وراحوا يُنادون أنّ الجزائر مستقلة، وأن يحيا فرحات عباس.

هل تلقيت أمرا بالخروج أو صنع الأعلام قبلها؟

أجل، جاءتني امرأة لا أعرفها، كانت ترتدي لحافا، وقالت لي أن مظاهرات ستقوم في اليوم الموالي، وأنه عليّ أن أخيط أعلاما، وقالت إنه أرسلها مصطفى الحفاف الذي كان ينشط في القبة، فرفضت، وقلت لها إنه بإمكانها أن تشتري أعلاما إن احتاجت لها.

لماذا رفضت؟

لأنني لم أكن أعرفها، وخشيت أن تكون عميلة، جاءت من أجل الإيقاع بي، لكنني كنت أصنع أعلاما في السر، وأوزعها بطريقتي. وأخرج في المظاهرات، وقد قبضوا علي، وأخذوني إلى ما كنا نطلق عليه "دار البياعين" في ساحة الشهداء، بحي "اميل موبا" وهو مركز يعذبون فيه المناضلين والمشكوك فيهم. فأمروني أن أستلقي ففعلت، وكان هناك طبيب يمسك بعصا رقيقة، فضربني بها على أطرافي فلم أحركها، فقال أن النتيجة سلبية، وأطلقوا سراحي، وكانوا يفعلون هذا الاختبار لكي يتعرفوا على المناضل الذي عادة ما يكون كثير الحركة، والتنقل، وهذا ما يجعل أطرافه تتحرّك مع أوّل ضربة، ولو كانت خفيفة. وكان المناضل عبد المجيد ياكر قد علمني كيف أتعامل مع هذا الاختبار، وأتذكر كلماته جيدا عندما أتاني وقال لي أنّهم عاجلا أم آجلا سيقبضون

---

[1] المدنية حاليا.

[2] بلوزداد حاليا.

علينا، ولا بد أن نستعد لهذه اللحظة. وعلمني كيف أتعامل مع ذلك الاختبار، بأن أشد عضلاتي حتى لا أتحرّك ولا أُحرك أطرافي.

33

حسين سنوسي

"بومدين استبعد المُجاهدين الثوريين وهكذا فرّ بوتفليقة من جيش التحرير!" [1]

1- نشر بتاريخ 5 نوفمبر 2012.

استضفنا في هذا العدد مُجاهدا تدرّج في النضال من الحركة الكشفية، ثمّ الحركة الوطنية، قبل أن يلتحق بجيش التحرير في الولاية الخامسة. وكان من بين أفواج الطلبة الذين قرّرت لجنة التنسيق والتنفيذ إرسالهم ليتكوّنوا، فالتحق بكلية الطيران بمصر. حدّثنا الرجل المولود بتاريخ 2 فبراير 1935 بتلمسان عن عمليات تكوين المناضلين. وعن القواعد الخلفية على الحدود. كما كشف لنا أسرارا عمّا حدث على الحدود الجزائرية. بداية بالصعوبة في إيصال السلاح، والحلول التقنية التي فكّر فيها عبد الحفيظ بوالصوف، ثمّ ما أسماه ضيفنا بسوء التفاهم الذي طبع العلاقات بين قيادة الأركان والحكومة المؤقتة. وقصّة ما أُسمي بالضبّاط الفرنسيين. واستعانة العقيد هواري بومدين بهؤلاء "النظاميين" من أجل استبعاد المجاهدين الثوريين، كما أسماهم. وعملية تسريب عملاء فرنسيين في جيش التحرير. وعما أشيع من تمرّد عبد العزيز بوتفليقة، ثم الحكم عليه بالإعدام. تفاصيل مُثيرة من مرحلة هامة مرّت بها الجزائر حدّثنا عنها حسين سنوسي أو"العقيد سنوسي" في هذا الحوار.

كنتم من بين المُناضلين الذين شكّلوا قواعد ثورة التحرير الخلفية. وشاركتم في إضراب الطلبة في 19 ماي 1956. ولكن كيف تمّ التحاقكم بجبهة التحرير؟

كنت في الحركة الكشفية. ثمّ انخرطنا في الحركة الوطنية. ولما اندلعت الثورة لم أكن بلغت العشرين من العمر. أصبحنا نعمل على تحسيس الطلبة بضرورة الالتحاق بجيش التحرير، إلى أن تقرّر إضراب الطلبة سنة 1956.

أين كنتم تدرسون حينها؟

درست لمُدّة سنة في الجزائر العاصمة. ثمّ عُدت إلى تلمسان، وصرت أُنسق ما بين تلمسان والجزائر، قبل أن أُسجن. وعندما خرجت التحقت مُباشرة بجيش التحرير.

خلال الإضراب كنتم تُنسقون بين الوسط والغرب. فكيف سبقت العاصمة الولايات الأخرى في الإضراب؟

عندما صدر الأمر بالإضراب هنا في الجزائر لم يكن لدينا الجرائد والتلفزيون. لتنتقل المعلومات بالسهولة التي تنتقل بها اليوم. فكان من الطبيعي أن يُضرب الطلبة هنا قبل المناطق الأخرى.

كان هناك خلاف فيما إذا كانت الثورة ستستفيد من هؤلاء الطلبة، وتلاميذ الثانويات خاصّة في الجبال أو بعد حُصولهم على الشهادة النهائية...

أظنّ أنّ التحاق الطلبة والمُثقفين بالجبال أفاد الثورة كثيرا. بحيث ساهموا كثيرا في تأطير الولايات في الداخل، لأنّهم كانوا مُتعلمين. وكان منهم من يملك خبرة عسكريّة لا بأس بها. خاصّة وأننا كنا نتدرّب مدنيا بالموازاة مع دراستنا. ولكن القوّات الاستعمارية كانت تستهدف بصفة خاصّة هؤلاء العناصر. وأستطيع أن أقول لك أنّه بالتحاق الأطباء والمُثقفين بالجبال قفزت الثورة قفزة نوعية إلى الأحسن. ولكنّ الاستعمار فعل كلّ شيء ليقضي على هؤلاء الذين صاروا ألد أعدائه، بما فيها عمليات تسريب المعلومات المُضادّة مثل عملية "الابلويت" التي كانت تستهدفهم.

وقبض عليكم حينها بسبب الإضراب؟

بسبب الإضراب فعلا، ولكن أيضا نشاطُنا السياسي، أو النضالي. حيث كنا نشتغل في خلايا سرّية. لم نكن فدائيين، وإنما كنا نشارك بما نقدر عليه. ثمّ التحقنا بجيش التحرير في الولاية الخامسة، بنواحي تلمسان. وفي سنة 1958 سافرت مع أفواج الشباب الجزائريين الذين تكوّنوا.

هل كان سفرا اضطراريا أو استراتيجيا؟

قرّرت لجنة التنسيق والتنفيذ في سنة 1958 أن تستفيد من خبرة وتكوين هؤلاء الشباب. خاصّة من لم تكن الحاجة ماسّة إليهم في الداخل. كما أنّ الكثيرين منهم استشهدوا وهي خسارة كبيرة. وفكرت اللجنة أيضا في أنّ الثورة ستطول. ولهذا وجب استغلال كلّ الطاقات البشرية الجزائرية للاستفادة منها مُستقبلا. إنّ النزيف الذي وقع في تلك الكفاءات في الأشهر الأولى من التحاقهم بالجبال جعل اللجنة تُقرّر الاستفادة منهم، وكذا تكوينهم.

ماذا كان نوع التكوين الذي تلقيتموه؟

بالنسبة لي درست بمصر، والتحقت فيها بكليّة الطيران، وتدرّبنا بشكل سرّي. إذ كنا نُحضّر أنفسنا للمُشاركة في الثورة، وخاصّة عمليات إنزال الأسلحة. وكنا سنفعل من خلال عملية سطّرها عبد الحفيظ بوالصوف بشكل دقيق، قبل أن يكون هناك وقف إطلاق النار...

قبل، هذا متى تخرجتم من كلية الطيران هذه؟

تخرّجت من كليّة الطيران سنة 1959 وكنا 5 طلبة. وهي أوّل دفعة لضبّاط طيارين. وتخرج من حلب، بسوريا ستة آخرون. والتحق بنا 4 فارون من الجيش الفرنسي، وكانت هذه هي النواة الأولى للمُتخرجين في اختصاص الطيران. وكان هناك بطبيعة الحال طلبة آخرون في اختصاصات مثل البحرية، والمشاة، والمظليين.

تحدّثتم عن التكوين، كيف كان يتم؟ وإلى أيّ مدى كان مُهما؟

أقول لك أنّ الثورة قامت بعمل جبّار في تكوين الإطارات. وعدد الذين تكوّنوا خلال الخمس سنوات الأخيرة من الثورة، أكبر ممّا كوّنته فرنسا خلال 132 سنة. ففي ميدان الطيران كنا 48 ضابطا طيارا، وهناك 50 آخرون بين فني ومُهندس. وهذا العدد كان أكبر من العدد الذي كوّنته تونس والمغرب المُستقلتين.

اتهم البعض الولاية الخامسة بتأخرها في الالتحاق بالثورة لدى اندلاعها، بم تردّون؟

هذا لأنّ الولاية الخامسة لم تنل حصّتها من السلاح خلال الأشهر الأولى من الثورة مثلما كان الحال مع باقي نواحي الوطن. فقبل اندلاع الثورة، كانت هناك كميّة من السلاح في الأوراس، وهي من مخلفات الحرب العالمية الثانية. أحضرها من تونس مصطفى بن بولعيد، وأخفاها هناك. وهي الكميّة التي كانوا سيُفجّرون بها الثورة في أوّل نوفمبر 1954. كانت هناك 600 قطعة سلاح، تمّ تقسيمها على 6 مناطق، لكلّ واحدة 60 قطعة، ولكن العربي بن مهيدي الذي كان على رأس المنطقة الخامسة، كان قد تلقى وعدا من المغاربة بأن يبيعوه سلاحا مهما قادما من الريف. فتخلى عن حصّته في السلاح المُوزّع بين المناطق (التي أصبحت ولايات فيما بعد) وفي النهاية لم يحصل على تلك الشحنة التي كان ينتظرها. فلم يكن يملك ما يُواجه به المُستعمر، إلاّ 5 بنادق، وعلى الأكثر 5 مسدسات وبعض القنابل

اليدوية. ومع هذا كان سيهجم بها على بعض مراكز الدرك والشرطة الفرنسيين، ولم يستطيعوا. وبقي الحال كذلك إلى أن وصلت باخرة "دينا" التي تحمل 160 طنا من السلاح كان سيُقسّم بين الجزائريين والمغاربة، وعلى متنها شاب قادم من الشرق اسمه الهواري بومدين.

مع من كانت تتمّ صفقات السلاح هذه؟

في البداية كنا نتعامل مع مهربي السلاح.

ألم يكن هذا خطيرا؟

لم يكن حينها من المُمكن التعامل مع جهات رسمية، وبلدان، لأنه لم يتمّ الاعتراف أصلا ببلد اسمها الجزائر. أمّا باخرة "دينا" مثلا، فقد قدمت في مارس من سنة 1955. ولم نكن نملك حينها حتى حكومة مُؤقتة. ولم يكن هناك من حلّ إلاّ التعامل مع المُهربين.

هل توقّف التعامل مع المُهربين بعد تكوّن الحُكومة المؤقتة؟

توقفنا عن التعامل مع المُهربين لأنّ فرنسا ضيّقت علينا. بعد أن قدمت باخرة "دينا" شكلت نظاما استخباراتيا وحراسة على الشواطئ والحدود، لكي لا يصل السلاح. ووصلوا إلى خلايا المهربين وقاموا بتهديدهم، حتى لا يتعاملوا معنا. وصفوا الكثيرين منهم. واتفقت مع آخرين على أن يبيعونا السلاح على أن يُبلغوها عن مكان الشحن، لتقبض علينا. وكان المسؤول عن السلاح كلّ من اوعمران، ومحمود الشريف، واحمد مهساس، وبن بلة، وبوضياف. وبفضل استخباراتها تمكنت فرنسا من القبض على 7 بواخر من بين 10 منهم "لاتوس" و"سلوفينيا" و"ليتشي". وفي اجتماع مجلس الثورة الجزائري تعرّضوا إلى قضية السلاح، وتمّ تكليف عبد الحفيظ بوالصوف بمُهمّة التزويد بالسلاح، لأنه معروف بالتنظيم والسرّية. فأعاد النظام كله، وأصبح لا يشتري السلاح من المُهربين، إلاّ قليلا منهم، وإنما من عند الدول، خاصّة منها تلك التي اعترفت نسبيا بالجزائر، مثل تشيكيسلوفاكيا وروسيا وبعض الدول العربية. وبذلك صار يشتري سلاحا مضمون مصدره، وهو من يتكفل بنقله. ومنذ تولي عبد الحفيظ بوالصوف هذه المهمة لم يُقبض ولا على باخرة.

كيف كان يتمّ التزود بالسلاح؟

كانت لدينا شبكة بريّة قويّة، كان الشحن يتمّ في "السلوم" التي تقع في مصر الغربية. وكانوا يُخزّنون السلاح في ليبيا وتونس. حتى أننا أصبحنا نزوّد الحركات التحررية الأخرى في إفريقيا بالسلاح!

قلتم أنّ القواعد البرّية كانت قويّة، ولكن هل بقيت كذلك بعدما ضغطت فرنسا على الحدود وكوّنت ما يسمى بمشروع السدود؟

فعلا، لقد عرقلتنا كثيرا تلك السدود. في البداية حسب المسؤولون أنّ الأمر هين، وأنه بإمكاننا تخطّيها. ولكنّ تركيبة السدّ كانت خطيرة. واستعملت فيها الكهرباء، والمدفعيات، وحراسة مُشدّدة. فأصبح أمر إيصال السلاح إلى الداخل قضيّة مُعقدة فعلا. وصار المجاهد الواحد يحمل معه ثلاث بندقيات ومأونة، ثمّ يصلون إلى الحدود مرهقين، وإذا ما نجوا من الكهرباء يمرون بمنطقة خالية تماما، وهناك يوجد حراسة مشددة بالطائرات، وغيرها. وهنا جاء التفكير في كيفية التغلّب على تلك الحدود. وكذا إنزال السلاح بالطائرات، فذهبنا نحن لتلقي تدريبات في العراق. وكنا 5 طياري نقل، 3 مُقاتلات، و3 رادارات. دون أن نعلم نوع المُهمة التي ستُوكل إلينا. وبدأنا التدريبات فعلا. وبعدها ذهبنا إلى تونس. جمعنا عبد الحفيظ بوالصوف، وراح يُحدّثنا عن الطيران. وأنا استغربت إحاطته بعلم الطيران، وعندما سألت بعدها الأمين العام للجنة عن سرّ تعلم "السي مبروك"[1] الطيران، أخبرني أنه يُطالع الكتب. وطلب منا بوالصوف أن نرسم قاعدة جويّة بسيطة، ولكن تدخل أحدنا وقال له أننا طيارون ولسنا مهندسين، والقاعدة الجويّة تحتاج إلى مُهندسين. فضحك السي مبروك وأجاب مُتسائلا:"وهل تحسبونني أنا أو بلقاسم كريم درسنا أو تخرجنا من المعاهد؟" وطلب أن نرسم قاعدة جوّية تكون بسيطة، وزوّدنا بكتب ووعدنا أنه إن كان هناك عجز، فسيُحاول الاتّصال بخبراء لمُساعدتنا. ونحن بدأنا في العمل والرسم، رغم أننا كنا نجهل حينها ماذا كانت الخطة. وأنا شخصيا لم أعلم إلاّ بعد الاستقلال عن طريق دحو ولد قابلية[2] الذي كان مُكلفا بملفنا. وأخبرني أنّ بوالصوف كان يُريد صنع قاعدة جويّة في الصحراء

---

1 الاسم الثوري لعبد الحفيظ بوالصوف.

2 مدير الاستخبارات العسكرية.

الليبية. ولكن عندما ذهب المسؤولون الجزائريون إلى الاتحاد السوفياتي، والذي كان قد اعترف بالجزائر بصفة شبه رسمية. عرضوا عليهم فكرة القاعدة الجوّية لحل مشكل السدود البرية، فنصحونا أن لا نفعل. وبالمقابل أخبرونا أنّ طائرات "الهيليكوبتر" التي لا تحتاج إلى قواعد هي الحل. فجاءنا سعيد آيت مسعودان، وهو ضابط فار من الجيش الفرنسي، وله كفاءة كبيرة، كان مسؤولا عن سلك الطيران. أخبرنا أنه يحتاج إلى طيارين متطوعين. فكنت من بينهم، وشكلنا بذلك مجموعة من 5 طيارين وذهبنا للتدرّب في الاتحاد السوفييتي.

هل كنتم على علم بنوع المُهمّة؟

لا، بوالصوف اتفق مع الاتحاد السوفييتي على كلّ شيء. أمّا نحن، فلم نكن على علم. كان كل شيء يتمّ في السرّية. وحتى أنا شككت في أمر المهمة، وعندما سألت المسؤول لم يخبرني.

ماذا كان نوع التدريب؟

كان تدريبنا تدريبا تقنيا ودقيقا. كنا نتدرّب في الليل، إلى أن صرنا مُحترفين، ونطير في الليل على ارتفاع منخفض، وندرس الخريطة جيدا. وفي النهاية أعطونا شهادة. كنا سنُحضر حقائبنا لكي نعود. كنا في "قريزيا" التي تقع في آسيا، ثمّ كان وقف إطلاق النار. وبعدها ذهبنا إلى القاهرة، بقينا فيها مدّة، إلى أن مرّت أزمة 1962 ثمّ دخلنا في سبتمبر من نفس السنة.

تحدّثتم عن تزويد الثورة بالسلاح عبر الحدود، وعن تكوين المُناضلين، فهلا انتقلنا للحديث عن القواعد الخلفية للثورة، خاصّة على حدود البلدان المُتاخمة للجزائر؟

لا تُوجد ثورة أو مُقاومة تنجح دون أن يكون لها قواعد خلفية تستند عليها. بل يُمكن لتلك القواعد أن تُحدد مصير المُقاومة، إمّا بالفشل، أو النجاح. مثل فرنسا التي لم تكن لها قواعد عندما احتلتها ألمانيا. فكانت النتيجة أن مُقاومتها كانت ضعيفة. وبالعكس من ذلك فالفيتنام اعتمدت كثيرا على القواعد الخلفية. ومسؤولونا فكّروا كذلك في القواعد الخلفية. بعضها قريبة مثل تونس والمغرب، أو بعيدة في مصر. ومثلا خلال سنة 1960 ضعفت الثورة في الداخل، ولكنّ القواعد الخلفية سندتها. فكان هناك التجنيد، والفيالق القوية، والتزويد بالأسلحة، وقاموا بعمليات دقيقة. وأستطيع أن أقول لك أنّ القواعد الخلفية غيّرت موازين القوى. وبعد أن كانت

فرنسا تتلقى الضربات من الداخل صارت الحدود هي التي تشكل الخطر الأكبر على العدو. حيث كان هناك جيش ونظام وتكوين وإطارات، وحتى الأسلحة كانت مُتطوّرة. كما أصبحت هذه القواعد تلعب دورا مُهما على المستوى العالمي والدبلوماسي. وجعلت فرنسا تنعزل شيئا فشيئا، وباختصار أعطت نفسا جديدا للثورة.

ما هي المهام الرئيسية التي فكّر المسؤولون أنّ القواعد الخلفية ستقوم بها؟

بصفة عامة، مُهمة القواعد الخلفية توفير شبكات في التنظيم. فالتنظيم في الداخل يخضع لحالات خاصّة، من حيث أنّ الاستعمار يُسيطر على الوضع، ويصعب النشاط والتحرك. وهناك أيضا شبكة التجنيد، بحيث يتصلون بالشباب والأشخاص الذين يملكون رغبة في الالتحاق بالثورة. ثم هناك مراكز التكوين. إضافة إلى هياكل الدعم التقني واللوجيستيكي، مثل الاتصال والاستخبارات والتسليح والتموين. وكلّ هذه مهام أساسية تقوم بها القواعد الخليفة.

بما أنكم كنتم في الولاية الخامسة المُتاخمة للمغرب على حدود ألف كيلومتر، هلا حدثتمونا عن قواعد الثورة الخلفية في المنطقة الغربية؟

كانت البداية مع محمد بوضياف، الذي فكر للتحضير للثورة انطلاقا من المغرب. وكان قائد المنطقة العربي بن مهيدي، وعبد الحفيظ بوالصوف مساعدا له. وفكر الاثنان في تنظيم القواعد الخلفية. وأوّل فوج تكوّن هو فوج الاتصالات، من حوالي 26 شابا، تكوّنوا في فترة قصيرة، في كيفية استعمال اللاسلكي. وتشكلت منهم جماعات تم إرسالها إلى 8 مناطق من الولاية الخامسة. وكانت المرّة الأولى التي يتمّ فيها إرسال خبير لا سلكي إلى كلّ منطقة. ثمّ تكوّن فوج تصليح اللاسلكي، وبعدها تكوّن نظام الاتصالات عبر الرسائل، وهم أشخاص مُختصّون في هذا النوع من العمل، يُوصلون الوثائق من مكان لآخر، وهي أوّل مصلحة تكوّنت بعد فوج اللاسلكي. وفي ديسمبر 1956 تكوّنت الإذاعة. فقبل ذلك التاريخ كانت هناك إذاعة في تونس، والمغرب، وفي مصر. ولكن كان هناك إطارات فرنسية في تلك البلدان، وكانوا يُعرقلون عملنا. ولهذا شكّلنا محطّة إذاعية في المغرب كوّنها عبد الحفيظ بوالصوف، وبوسائل بسيطة أيضا. إذ كان هناك جهاز لاسلكي للبحرية، غيّرناه وحوّلناه إلى جهاز إذاعي، بقدرة 400 واط. وكان

الفرنسيون يشوشون علينا. ثمّ نضطر إلى تغيير التردد. إلى أن تحسّنت الأمور في سنة 1959، وأصبحت إذاعة قويّة ومُحترمة بقدرة 500 واط. وفي سنة 1956 تكوّنت في القواعد الخلفية بالمغرب أوّل جماعة للمُراقبين. يدخلون إلى الجزائر في جولات، ثم يُحررون تقارير. كان هناك 26 شخصا، منهم 9 نساء، وهذا الفوج الذي كان الأوّل من نوعه تكون معه رئيس الجمهورية الحالي عبد العزيز بوتفليقة، ليُصبح مُفتشا. أمّا في جويلية 1957 فقد تكوّنت المدرسة الوطنية للإطارات بوجدة. كان فيها 70 شابا تكونوا لمدّة 6 أشهر. وكان بها الشق السياسي، الاقتصادي، الإداري، والعسكري. وكان يُشرف على التكوين المدني خليفة لعروسي. هذا فيما يخصّ التكوين. أمّا هياكل الدعم، فأوّل خلية تكونت سنة 1956، كانت مصلحة الاستخبارات والاتصال. بعد هذه السنة قرّرت لجنة التنسيق والتنفيذ أن يكون لكلّ ولاية ثلاثة مُساعدين: السياسي، والعسكري، والاستخباراتي. وعبد الحفيظ بوالصوف كان وراء هذه القرارات الهامّة. فخليّة الاتصال والمعلومات التي كوّنها كانت مُهمتها جمع معلومات حول العدو، وكلّ الأشياء التي تهمّ القادة في الجيش. وكذا معرفة مكان العدو، وفي نفس الوقت لديهم خلية اتصال مع الشعب لكي يتحصّلوا على معلومات أكثر. وفي نفس الوقت فكّروا في مصلحة مُضادّة للمعلومات، لأننا كنا نحتاج إلى معلومات. وأيضا نحتاج إلى حماية ثورتنا، ونطّلع على نوايا العدو فتكوّنت إدارة التوثيق والمعلومات، والتي تتشكّل من ثلاث مصالح: مصلحة العمليات، ومُهمتها التصنت على كلّ ما يمكن أن يُفيد أو يُضرّ بالثورة. وحتى فرنسا لم تكن تعلم أننا نحلّ شفرتهم. كانت مصالحها تتبادل المعلومات. ونحن كنا نُحوّل كلّ شيء إلى تقارير وندرسها. وأمّا المصلحة الثانية هي مصلحة البحث، وكانت خلاياها موجودة في كلّ مكان، بما فيه رئاسة الجمهورية الفرنسية. ولكن أبدا لم نعط أسماء المُتعاونين معنا منهم. وحتى بعض المصالح الأمنية تعاونت معنا. وكانوا يُعطوننا معلومات عن الفرنسيين. وهناك مصلحة الاستغلال فيها 200 إطارا يشتغلون ليل نهار في السرّية[1]. كانوا يطّلعون على

1 اسم المصلحة قاعدة مراد ديدوش، مقرّها في مدينة العزيزية القريبة من عاصمة ليبيا طرابلس.

المعلومات والتقارير التي تأتينا من عملائنا في فرنسا، والمجلات والكتب، وتدرس كلّ ذلك قبل تُحوّله إلى تقارير ومعلومات مُنظمة، تُرسل إمّا إلى الحكومة المُؤقتة، أو قيادة الجيش، أو مجلس الثورة. وكانت لهذه الخليّة قاعدة كبيرة، ادعينا أنها قاعدة يستريح فيها الجنود وفيها التموين. ومن مزايا هذه القاعدة أنها ساهمت إلى حدّ بعيد في تحضير ملفات مفاوضات ايفيان. إذ كانت هناك معلومات كانت فرنسا تجهل أننا نعلمها. عندما ذهب المفاوضون إلى ايفيان كانوا يعلمون ما يُخطط له العدو وما هي النقاط التي سيُناقشها. وفيما يتعلّق بثالث مصلحة فكانت إدارة اليقظة والمعلومات المُضادّة[1]. وهي مُختصّة في وقاية الثورة من جواسيس فرنسا. فمصالحنا في التسليح والاستخبارات كانت مُغلقة تماما، ذلك أن السي مبروك، أو عبد الحفيظ بوالصوف كان يعمل في السرية التامّة، وكان مُتفطنا للجواسيس الفرنسيين، الذين كانوا يملكون شبكات قويّة. هذه المصلحة كانت تلعب دور الوقاية، وأوقفت كثيرًا من الجواسيس الذين حكم عليه بالإعدام. وضموا لها الإدارة اللوجيستية للتسليح[2] قبل الانتقال بعدها إلى مرحلة مُهمّة، وهي تصنيع السلاح. حيث أحضرنا عمالا مُختصين من أوروبا.

متى بدأت عملية تصنيع السلاح؟

كان هذا في بداية سنة 1960. تمّ إنجاز مصانع سرّية في المغرب، وفعلا صنعنا رشاشات، وذخيرة، وقنابل يدوية. واشترينا الآلات من أوروبا. واستنجدنا بعُمّال جزائريين كانوا يعملون في المصانع الفرنسية. وكذا خبراء أجانب خاصّة من الألمانيين. وكنا مُحافظين إلى أبعد الحدود على السرّية. فعلى سبيل المثال تفطّن محافظ مغربي إلى وجود ورشة لصنع السلاح داخل مزرعة. ووصل إلينا علمه بالأمر، فأعطيت الأوامر لكي يتمّ تفكيك كلّ الآلات. فأحضروا الزيت والأحذية بدلا من السلاح. وقُدم الوالي لكي يزور المزرعة، وراح يبحث في كلّ مكان، وعندما لم يعثر على شيء، عاد أدراجه.

---

1 آخر المسؤولين عنه كان عبد الرحمن بروان.

2 حدث هذا بعد التعديل الوزاري، وصار عبد الحفيظ بوالصوف مسؤولا عنها.

تكوّن في نفس الفترة شباب في الصناعة الحربية؟

كان ذلك بعدما تشكلت الحكومة الثانية، ووقع تعديل وزاري تشكلت على إثره اللجنة الوزارية للحرب. ففيما كان بلقاسم كريم يُشرف على وزارة الحرب في الحكومة الأولى، أصبح كلّ من بن طوبال، وبلقاسم كريم، وبوالصوف مسؤولين على اللجنة الوزارية للحرب، المُكوّنة من ثلاث وزارات: وزارة الخارجية التي يُشرف عليها بلقاسم كريم، ووزارة الداخلية التي يرأسها بن طوبال، وأمّا بوالصوف فقد صار مُنظم وزارة التسليح "المالغ". هذه اللجنة كان يُشرف عليها إطارات عبد الحفيظ بوالصوف، وهذا الأخير كان المُحرك الرئيسي الذي يُسيّرها. ومن ثمّة صار مُكلفا بالبعثات العسكرية، حيث لعب دورا كبيرا عندما أقحم شبابا في الكليات، وبدأ تكوينهم في بعض الميادين، ومنها الصناعة الحربية. وتكوّن أيضا طلبة في الميدان الذري.

تعرّض الطلبة الذين تكونوا في الميدان الذري إلى حادث مميت. البعض يقول أنه حادثة اغتيال، فماذا تقولون حول الموضوع؟

أجل، كان ذلك في "تشكسلوفاكيا" وتمّ اغتيالهم بشكل دنيء. إذ أنهم لدى عودتهم من العاصمة (براغ) إلى المغرب في عطلة، انفجرت الطائرة التي كانت تقودهم. وهو فعل إجرامي بكل المقاييس، إذ كانوا ثلاثة إطارات مُمتازين، وأقول لك أيضا أنّ أوّل الإطارات الجزائرية في مجال النفط تكوّنوا خلال الثورة التحريرية.

في تلك الفترة اتهم الكثيرون أصحاب الخارج، والقيادات التي كانت على الحدود بأنها كانت تتصارع من أجل السلطة والمناصب، على حساب المصلحة العليا للوطن، واتهموا بأنهم كانوا يعيشون من أموال الاشتراكات، وغير ذلك، أنتم كنتم في الخارج، بم تردّون؟

إذا كنت سأردّ على هذه الاتهامات فليس لأدافع على أحد، فما كان يحدث من صراعات بين القيادات لم نكن على علم به، ولم نكن لنتدخل فيه. لهذا سأحدّثك من منطلق الحياد التام. نحن لما انخرطنا في العمل الجهادي فليس لكي نتحصل على امتيازات. كانت الثورة مرادفا للموت والاستشهاد، لا للحياة الرغدة. ولولا هذا لما أحجم أحد على الانضمام لصفوف الثوار. كنا نعلم أننا سنموت. بل كان أوفرنا حظا لا يعيش أكثر من سنة أو سنتين. لهذا

فإنّ الفكرة الوحيدة التي كانت تدور في أذهاننا، إمّا الاستقلال أو الاستشهاد. ومنذ بداية الثورة إلى نهايتها، ونحن نعمل تحت أوامر المسؤولين، ولم نتدخل أبدا في أيّ صراع من الصراعات، صحيح أنني كنت أحترم بعض المجاهدين، بل أقول لك يا مصطفى أنّني أكاد أقدس البعض منهم. وهذا لما رأيته فيهم من خصال حميدة، وتضحيات نادرة المثال. على غرار العقيد لطفي الذي عرفته جيدا، وكان زميلي في المدرسة. وأشهد أنه كان من بين أحسن القادة في الثورة التحريرية. وصاحب مستوى عالي. وهناك آخرون لم أعرفهم. ولكنني سمعت أنهم كانوا أبطالا بأتم معنى الكلمة، مثل العربي بن مهيدي، ومصطفى بن بولعيد. وأقول لك أيضا أنّ عبد الحفيظ بوالصوف كان عبقريا. خاصّة وأنني عرفته عن قرب. ورغم هذا لم أكن لأتدخل في صراعه مع رمضان عبان، مثلا!

فكيف تفسرون الاتهامات المتبادلة بين أصحاب الخارج، وأصحاب الداخل، وكذلك الصراع حول كرسي السلطة الذي كاد يقودنا إلى حرب أهلية؟

كلّ ما في الأمر أنه وفي وقت من الأوقات كانت الولايات في الداخل تحتاج إلى دعم. وكان من الصعوبة بمكان تموينها بالعدّة والسلاح مثلما تطرقنا لهذا من قبل. وخاصّة في الولايات الداخلية مثل الولاية الرابعة. ولهذا وقع ما أسميه بسوء فهم. أو على الأقل بدا كذلك. حيث اتّهم أصحاب الداخل أصحاب الخارج بالتقصير. وقد يكون الأمر مفهوما إذا ما نظرنا إلى ما كان يعيشه المُجاهدون من حصار وقلة مؤونة في الداخل. وأنا عشت في الخارج، ورأيت أيضا كيف كان وزراء الحكومة المؤقتة يشتغلون في القاهرة بدون هوادة، ولهذا فكلّ ما قيل، والاتهامات التي تحدّثت عنها ليست إلاّ كلاما فارغا.

لكن مُجاهدين انتقلوا بين الداخل والخارج، وذكروا أنّ قيادات الخارج كانوا يعيشون في ترف، وبذخ كبيرين؟

أقول لك أنّ الضغط الذي كان على كليهما أنتج تبادلا لاتهامات، قلت وأكرر، أن لا معنى لها. رمضان عبان، مثلا، كان يفكر في أن أصحاب الخارج لا يُؤدون واجبهم على أكمل وجه. ونفس الشيء بالنسبة لأصحاب الخارج الذين كانوا يملكون فكرة سيئة على من كان في الداخل. من مثل أنهم لا يقومون بعمليات كافية

لضرب استقرار الاستعمار. كلّ هذه أمور نسبية. ولكنّ المشكل لم يكن بين الداخل والخارج، بل بين الحكومة المؤقتة وقيادة الأركان. فمع تقدّم المفاوضات، كان الاستقلال يلوح في الأفق، وبدأ الطمع في السلطة، وأقول لك أنّ قرارات مجلس الثورة كانت تُحترم، وكانت هناك ديمقراطية كبيرة، إذ كانوا يتصارعون من أجل كسب الأصوات.

إذا كان بينهم جو من الديمقراطية، فلماذا وصل الوضع إلى مستوى الصراع، على غرار ما حدث في مؤتمر طرابلس؟

لأنه كانت هناك حساسيات بين الأشخاص، وكذا الطمع لتولي السلطة. منجلي الذي كان عضوا في قيادة الأركان لم يكن على وفاق مع بن طوبال، وبومدين طلب من عبد الحفيظ بوالصوف أن يضع تحت تصرّفه وسائل دعم اللاسلكي والاستخبارات، ولكنه رفض. والحكومة المؤقتة كانت تفكر في أنّ قيادة الأركان كانت تُقصّر في إرسال السلاح. وسأحكي لك ما قاله لي عبد الحفيظ بوالصوف بنفسه، إذ قصّ عليّ كيف أنه ذهب إلى مجلس الثورة، وتم اتهامه بالتقصير في إدخال السلاح. فعزم أن يُصحح الأوضاع. وعندما غادر مجلس الثورة قام بمجهود جبّار من أجل تصليح الأوضاع، ووفر، كما قال، سلاحا كثيرا وقويا. وكانت تصله تقارير مُفصلة عما يقوم به أعضاء الحكومة المؤقتة، فاتجه إليهم بعد ذلك بسنة تقريبا، وأنا كنت معه، في الحدود التونسية، مع مجموعة من الطيارين، رأيت بوالصوف، وكريم، وبن طوبال، ومحمود الشريف، اجتمع بهم، وفي حدود الساعة الثانية عشر خرجوا من الاجتماع وهم غاضبون. رغم أنه كان من المفروض أن يتناولوا وجبة الغذاء معا. وبعدها علمنا أنّ بوالصوف خاطبهم بلهجة شديدة، مُذكرا إياهم بأنه منذ سنة هو يجمع السلاح، فيما لم تقم الحكومة المؤقتة بأي مجهود يُذكر في هذا المجال. ومن تلك الحادثة انطلقت شرارة الحقد...أو زادت.

حسنا، هناك من اتهم هواري بومدين بأنه أقحم ضباطا فرنسيين مشبوهين في صفوف المجاهدين. وأكثر من ذلك قلّدهم مسؤوليات، وفضلهم على باقي المجاهدين. وكان في كلّ مرّة يُسأل فيها حول الموضوع، يجيب بأنه لن يفعل سوى الاستفادة من خبرتهم، ولكن حدث أن صاروا على رأس الجيش؟

هذا حديث فارغ. الضبّاط الفرنسيين لم يُذنبوا في شيء.

الالتحاق بجيش التحرير، والهروب من صفوف فرنسا بدأ سنة 1955. وكان من بين الضبّاط الفارّين من الجيش الفرنسي من أصبح بطلا حقيقيا. بل كثيرون الذين ساهموا بقدر كبير في الثورة، وبعضهم استشهد. وأذكر على سبيل المثال لا الحصر عبد الله العرباوي، الذي كان يُقاتل في الهند الصينية. وقام بمعركة ضخمة في الورشنيس. وبقي تدفق الضبّاط الفرنسيين في جيش التحرير مُستمرا.

ولكن هناك من يتحدّث عن تسريب فرنسا لعملاء لها بين المجاهدين، خاصّة في السنتين الأخيرتين من الثورة؟

لا. كان هناك ضبّاط التحقوا بجيش التحرير، ولكن كما قلت لك هؤلاء أيضا حاربوا، وكونوا، واستشهد بعضهم. قد تكون فرنسا فعلت ما تقول. وكانت هناك محاولات تسريب، هذا صحيح، ولكنّ مصلحة اليقظة قبضت على أغلبهم.

حسنا، هل صار بومدين يفضل "الضبّاط الفارين من الجيش الفرنسي" على ضباط جيش التحرير الأصلاء وهو منهم؟

بومدين كان يُحاول أن يلعب على الوترين معا، بين الضبّاط الفرنسيين، وغيرهم.

لماذا؟

لأنّ الضبّاط الفرنسيين كانوا نظاميين أكثر ممّن أحاط بهم نفسه من رجال ثوريين.

ماذا تقصدون بـ"ثوريين" أو ما الذي يُميّز هؤلاء "الثوريين"؟

الثوريون يعترفون بالنظام مرة، ولا يعترفون به مرات أخرى.

بمعنى أنه أبعد الثوريين خوفا من انقلاب مُحتمل؟

أجل، كان يفضل هؤلاء الضباط حتى عليّ أنا شخصيا، رغم أنني متخرج من كلية، وربما أكثرهم كفاءة.

وهل تقبلتم هذا؟

لم أتقبله، ولكن لم يكن الذنب ذنب هؤلاء الضباط. لأنهم التحقوا بجيش التحرير من أجل العمل الثوري، وكانوا ينتظرون الأوامر فقط، مثل غيرهم. لهذا يجب أن لا يكون حكمنا عليهم قاسيا. بومدين هو المخطئ، وهو من خلق ذلك التمييز.

تحدّثتم قبل قليل عن خليفة لعروسي، هل صحيح ما أشيع عن أنه هو من حرم عبد العزيز بوتفليقة من دخول وزارة التسليح "المالغ" ما جعل الرئيس الحالي يصفي حساباته مع ابنه فيما يعرف بقضية "الخليفة"؟

بوتفليقة التحق بالثورة، وكان شابا، تدرّب لكي يصير مراقبا. دخل الجزائر، وبقي في السكرتارية بالولاية الخامسة إلى الاستقلال.

هل صحيح أنّ الجبهة حكمت على عبد العزيز بوتفليقة بالإعدام، فقام بومدين بتهريبه إلى مالي، ومن ثمة صار يُطلق عليه لقب "عبد القادر المالي"؟

هذه إشاعة، لم يحكم على بوتفليقة بالإعدام. لأنه لم تتمّ مُحاكمته أصلا. صحيح أنّ بومدين هربه إلى المالي لأنه كان يعطف عليه، ولكن أن نقول بأنّ الجبهة حكمت عليه بالإعدام فهذا لا أساس له من الصحة.

هل كان الحُكم الطبيعي على مُرتكب خطأ مثل الذي أقدم عليه عبد العزيز بوتفليقة هو الإعدام؟

نستطيع أن نقول أنّ بوتفليقة أخطأ، ترك مسؤوليته وهرب. وكان من المفروض أن يُعاقب، ولكنه لم يُعاقب، هذا صحيح. وبالتالي لم يصدر في حقه حكم بالإعدام.

هلا سمعنا منكم قصة هذا الهروب؟

بوتفليقة كان ضابطا مسؤولا في المغرب. وفي البداية كانت لدينا قيادة غربية وأخرى شرقية، وكانت الجهتان ستتوحدان. ففكّر بوتفليقة في أنه سيكون على رأس القيادة الغربية، ولكنهم اختاروا شريف بلقاسم، فغضب وترك مسؤولياته، وذهب إلى سويسرا بدون رخصة. وكان هذا ممنوعا، ومنافيا لانضباط الثورة. وكان بوتفليقة مدلعا، وعندما عاد خشي بومدين الذي كان يعطف عليه أن تتمّ مُحاكمته، فأرسله إلى المالي، فلم يحاكم. وبالتالي لم يصدر في حقه لا حكم بالإعدام ولا حكم آخر.

34

محمد زمالي

"بلونيس أراد أن يُجندني في صفوفه وهكذا ردّ عليه مُناضلو القصبة"[1]

1 نشر بتاريخ 10 نوفمبر 2012.

ضيفنا لعدد اليوم المناضل والمجاهد محمد زمالي المولود سنة 1934، والده ناضل في الحركة الوطنية، وكان عضوا في جمعية العلماء المسلمين، أمّا هو فقد نشأ في حي "لاغروناد" أو زنقة بوعقاشة حاليا، ودخل الكشافة الإسلامية سنة 1939 إلى سنة 1945 والتحق بمدرسة الرشاد، ومدرسة الشيخ العربي التبسي بشارع بلوزداد، يحدثنا في هذه الوقفة عن دور الكشافة الإسلامية في تجنيد المناضلين، وعن الاتصالات التي سبقت الفاتح من نوفمبر، وكذا أهم الأماكن التي كانت تعتبر نقاط التقاء المناضلين، خاصة بعد انقطاع الاتصالات بينهم، من مقاهي، وبيوت، ومحلات لمناضلين مخلصين. كما عرّج للحديث عن أحداث الحادي عشر من ديسمبر 1960 في القصبة. كلّ هذه التفاصيل تطلعون عليها في هذا الحوار الشيّق...

سيدي، أنتم من بين المُناضلين الذين التحقوا بالحركة الوطنية عبر الكشافة الإسلامية، فهل حدّثتمونا بداية عن دور الكشافة في التجنيد والتوعية؟

أجل أنا كنت في فوج القطب المعروف، وكان يترأس الفدرالية حينها محفوظ قدّاش، وكان هناك كلّ من الآغا عمر، الذي كان مُتّصلا مع بوجمعة سويداني، وكذا جلول ملايكة الذي كان في كشافة البليدة، وتعرّفت داخل الكشافة أيضا على علي قماط، وعمار بن تومي، وصالح الوانشي، كنت أراهم في الاجتماعات، إضافة إلى احتكاكنا بأعضاء من الكشافة الكاثوليكية مثل بيار شولي.

إذا أوّل من اتصل بكم من الحركة الوطنية داخل بيت الكشافة؟

بالطبع، فعلي قماط الذي حدّثتك عنه هو الذي اتّصل بي لكي التحق بالحركة الوطنية، وهو رجل معروف في القصبة، كان بائعا للحليب، ويضمن الاتّصال بين المُجاهدين، والمُناضلين، هذا بالإضافة إلى علي مولاي الذي كان رجل اتصال لياسف سعدي في المنطقة المُستقلّة، وعلي مولاي مرّ بالكشافة ثمّ الحركة الوطنية أيضا، وأذكر أيضا رباح لخضر الذي لعب دورا مُهمّا في تيسير الاتصالات بين المناضلين.

من تذكرون من العناصر الكشفية التي صارت من بين القادة في جبهة وجيش التحرير الوطنيين؟

هؤلاء كانوا من بين الكشافة الكبار، الذين كنا نلتقي بهم من حين لآخر، ولو أنني نادرا ما كنت أتحدّث إليهم، مثل بن بولعيد، وشيحاني، ومختار باجي، وعباس لغرور، والزبير بوعجاج، ومرزوقي، والياس دريش الذي كان مسؤول فوج الأمير خالد في بلكور. كما كان الكثير منهم يأتون إلى القصبة، للاتصال أو الاختباء، إذ كان علي قماط تاجرا، ومحمد سليمي خياطا، وهما اللذان كانا على اتصال بحسين بوطبة وبعيسى كشيدة، هذا الأخير كان يقصده المناضلون الكبار أمثال بيطاط، وبوضياف، وبن مهيدي، وبن بولعيد، وخراز الطيب الذي كان في الكشافة وعضوا في القطب بالقصبة، وكان على اتصال دائم ببن مهيدي، وبن بولعيد، حتى أنني التقيت مرة بخرّاز وكان مع بن مهيدي، ولكنني لم أعرف حينها أنّ ذلك الشخص هو بن مهيدي.

ماذا كانت العمليات الأولى التي نفّذتموها بعد التحاقكم بالحركة الوطنية؟

كنا نبيع جريدة "الجزائر الحرة" من سنة 1950 إلى سنة 1954 كلّ واحد منا كان يحصل على 5 أو 10 نسخ ليبيعها في الأحياء الشعبية التي يسكن فيها الجزائريون، أو نُوصلها بأيدينا إلى المُساندين للقضية الوطنية، وأذكر هنا شخصا كان مُكلفا بتوزيع الجرائد في بلكور، ويُدعى "باماكو"، كما كنا نحضر اجتماعات الحركة في شارع "شارتر" حيث كانت هناك قهوة عبابسة، وبالمحاذاة منها مركز يجتمع فيه الوطنيون.

انقسمت الحركة الوطنية بعدها إلى مصاليين ومركزيين، هل اتصل بكم الطرفان؟

أنا كنت محظوظا لأنني كنت على اتصال بالأشخاص الذين كانوا يعرفون بوضياف، هذا الأخير كان جارا لنا من قبل أن يُسافر إلى فرنسا سنة 1952، ورباح لخضر، وعلي قماط، وبن سليمان يوسف، ورشيد فقراش كانوا أعضاء في اللجنة الثورية للوحدة والعمل، هؤلاء كانوا متصلين ببوضياف، بطبيعة الحال. ودعوني قبل الثورة، ومُباشرة قبيل اندلاعها عادوا ليتصلوا بنا، فاتصلوا بعباس المدني، ولكنهم لم يعثروا علي لأنني كنت في البليدة، عباس المدني التحق بفوج بلكور، وتم القبض عليه في 17 نوفمبر 1954 وأنا عادوا واتصلوا بي بعد اندلاع الثورة، فأعطيتهم الخناجر،

والقبعات، وبدلات الكشافة. ولهذا تم القبض عليّ في المرة الأولى سنة 1954 إذ طلبوا مني أن أحضر لباس الكشافة والخناجر، فعذبوني لأيام في بلكور، ثمّ أطلقوا سراحي...

أي أنّ الجميع كان يتسابق على تجنيد المُناضلين القدامى؟

لعب الحظ دورا كبيرا في هذه القضية، فأكثر من التحق بالمصاليين، والذين صاروا يحاربون جبهة التحرير الوطني، التحقوا عن جهل، وحتى لو أنني كنت أعرف مناضلا مخلصا، وطلب مني الالتحاق به قبل الثورة، لكنت فعلت، حتى يتبين لي أنه مصالي. ولهذا قلت أنني كنت محظوظا لأنّ الذين كنت أعرفهم كانوا على اتصال بجماعة اللجنة الثورية للوحدة والعمل، في ذلك الوقت لم يكن هناك وقت طويل للتفكير أو الاستعلام، إمّا أن تقول:"نعم أو لا". بلونيس عرفته قبل الثورة، وعندما خرجت من السجن أرسل لي جماعة قالوا لي إنهم كوّنوا جيشا ويُحاربون به فرنسا، وطلبوا مني الالتحاق بهم، قلت أني تعبت. ولهذا فإنّ بوضياف، مثلا، عندما طلب من مهري، ولمين دباغين، والعربي دماغ العتروس، ومولود قاسم نايت بلقاسم، في سنة 1954 طلب منهم أن يلتحقوا بالحركة فرفضوا، (تصريح محمد بوضياف ظهر في الجريدة رقم 15 نوفمبر 1974) كلّ هذه أمور تحدث، بالنسبة إليهم كان الأمر غامضا، وربما تساءلوا من هؤلاء الذين سيُفجّرون الثورة، وأغلبهم من الشبان؟

هل اتصل بلونيس بجميع المناضلين؟

أجل، بعض المناضلين، خاصّة القدامى منهم.

وهل التحقوا بجيشه؟

الأغلبية رفضوا، أو لم يعطوه جوابا، بعض الأشخاص قالوا نعم، ولكنهم لم يلتحقوا به.

ماذا كانت أولى مهامكم بعد تفجير ثورة الفاتح من نوفمبر 1954؟

كانت مهامي تركيب الأسلحة، وقطع المتفجرات، وإمداد المجاهدين بالمعلومات، خاصّة وأن أغلبية العمليات سنة 1955 أنجزت ضدّ الجزائريين الذين يعملون مع فرنسا، كما كنا نقوم بالدعاية في المقاهي والحمامات، وبعدها التحقت سنة 1955 بالثكنة العسكرية لـ"شامانوفر" ساحة أول ماي حاليا، كان معنا

علي خوجة، وكنت مُكلفا بتجنيد المناضلين، فكنت اتصل بالمجندين، وأيضا الملتزمين في الجيش الفرنسي، وأطلب منهم الالتحاق بالثورة.

هل عملتم في الثكنة خصيصا لتجنيد المناضلين؟

لا، دخلت لأعمل، وبعد ثلاثة أشهر اتصل بي لخضر رباح ورشيد فكراس كلفني بهذه المهمة.

كيف سُمح لكم بالعمل في ثكنة عسكرية في وقت أمرت فيه جبهة التحرير بمقاطعة الإدارة الفرنسية؟

لا، لم يكن هناك مقاطعة للإدارة الفرنسية في الوقت الذي التحقت بالثكنة العسكرية بداية سنة 1955.

كيف كانت إجابات المجندين، والملتزمين في صفوف الجيش الفرنسي الذين اتصلتم بهم لإقناعهم بالالتحاق بجبهة التحرير الوطني؟

كلها ايجابية، لم يرفضوا تلبية نداء الوطن، فصاروا يمدوننا بالمعلومات، ففي رويبة، مثلا، كانت الشاحنات العسكرية تخرج في عمليات تمشيطية في باليسترو، الأخضرية حاليا، أو تيزي وزو، أو تابلاط، أو البليدة، كنا نحذر المجاهدين هناك، وهم يتكفلون بالباقي. وجندت أكثر من 30 رجل في "شامانوفر" فقط، منهم اثنان لا يزالون على قيد الحياة، وهما مويسي، وآخر.

كيف تمّ القبض عليكم للمرّة الثانية سيدي؟

حدث ذلك في 14 ديسمبر 1956، وكنا مجتمعين عند بن شعبان، وآووس محمد العربي من بئرمرادرايس في بلكور في 28 شارع سرفانتاز، وجاءت الشرطة واشتبكت معنا فوقع منا 4 قتلى، و5 مصابين، أذكر أنّ الكهرباء انقطعت، ولم يبق إلاّ صوت أغنية في الراديو...يا ليالي ملاح، يا ليالي ملاح...ابتسمت، رآني الجندي، فضربني..

مع من أوقفوكم سيدي؟

كنا حوالي 12 شخصا في الاجتماع، وأوقفوني مع علاوة حملي، مناصر مناصرية، وحميد كيلالي، الذي لا يزال على قيد الحياة، نقلونا إلى ثكنة بني مسوس، ثمّ أخذوني إلى " بوارسون" بالأبيار، ثمّ فيلا "سكالة" وبعدها إلى عمارة 92 علي خوجة في الأبيار، ثمّ أطلقوا سراحي بعدما أصررت أن لا علاقة لي لا

بمناضلين، ولا شيء، وأنني كنت أشرب قهوة فقط.

هل عاودتم ربط الاتصال بعدما أطلقوا سراحكم؟

أجل أعدت الاتصال بلخضر رباح، وكُلفت بنفس المهام، لكن في 15 جوان من سنة 1957 أوقفوني مرة ثالثة، بعد أن أقرّ مُناضل تحت التعذيب أنني أحضرت له القفة وفيها قنبلة عادية، وأخرى يدوية في حي "ميدي" لدى محل الخياط محمد سليمي، كما قبضوا في نفس الوقت على شاوشي، ومصطفى سليمي، من بين 17 شخصا آخر. أمّا أنا فقلت أنني لم أستلم القفة، فأحضروا المناضل ليُقابلني فأنكرت، وقلت أنه هو من وضعها وهو من أخذها، ولا علاقة لي. فأخذوني إلى فيلا بوارسون، فأقرّ بي شخص آخر لا أعرفه، قال أنني "محمد الوهراني" وكان هذا هو اللقب الذي يدعونني به فعلا، وعندما أحضروه لي، أنكرت معرفتي به، وقلت أنني قادم من مدينة سطيف، فعاد وذكر أنه لا يعرفني، ثمّ نقلوني إلى محتشد "الألزاك" ثم محتشد بقرب الحدود السويسرية، وكنا 600 شخصا، وبقينا نكسر الأحجار. إذ كنت مُحاكما بتهمة عدم التحاقي بالتجنيد سنة 1954، وكذا تهرّبي من دفع مصاريف مدرسة حسين داي التي حظيت بفرصة الدراسة بها لمدّة 18 شهرا، لأنّ عمي حارب إلى جانب الجيش الفرنسي في الهند الصينية. ثمّ حاولت الهرب في نوفمبر من سنة 1959 فقبضوا عليّ في الحدود، ونقلوني إلى الجزائر في سجن "داميات" قرب المدية ثمّ أطلقوا سراحي مع المساجين الذين عفا عنهم الجنرال ديغول سنة 1960، وبقت شهرين قبل أن يتّصل بي شخص اسمه محمد المدعو"الشاوي" من تابلاط، واتصل بي أيضا بن سعيد محمد، هذا الأخير قلت له أنني تعبت ولن أعمل، ثمّ جاءني مدور ايدير، المدعو عمّار، ولا يزال على قيد الحياة، وكان على اتصال مع جماعة عزازقة، عملت معه شهرين اثنين، وكنت أجمع الاشتراكات، والأدوية، وبعد أقلّ من ثلاثة أشهر جاءني رشيدي من بلكور، وكان يعمل مع المنطقة الأولى للولاية الأولى، تحت قيادة الرائد محمد جار الله، الذي لا يزال هو الآخر على قيد الحياة. ارتحت له لأنه كان يعمل من قبل، ففعلت نفس الشيء، صرت مسؤول قسم، تحت إمرتي 120 مُناضلا.

ركزّ المُناضلون في مدينة الجزائر، وفي القصبة تحديدا على الأماكن الشعبية التي تحوّلت إلى نقاط التقاء، واتصال بينهم، من بيوت، ومقاهي، وحتى قاعات حلاقة، وحمامات، فهلا ذكرت لنا البعض منها؟

أجل، أنا، مثلا، عندما كنت أجمع القنابل، أو قطعا منها أعطيها لرباح لخضر في الطريق المسدود "كاتون" أو لدى علي قماط في حي "الاغروناد". وهناك نقطة اتصال في حي "مجموعة تان" الشهير بمحاذاة تريولي حاليا، حيث كان بيت مغني الشعبي الحاج محمد العنقى، وكذا في دار عمار بوكاص بحي تومبكتور، و5 طريق "سارازان" هو بيت المدعو سيدعلي وله مخرجان، وشارع ميدي، وشارع راندون، علي لابوانت حاليا، كلها أحياء كان بها الكثير من المناضلين الذين يوفرون الاتصال، وفي حمام محاذي لحي بوتان لبن عميرة، وفي آخر ذات الشارع كانت هناك عائلة بوفجي، وآخرون..

كيف عشتم أحداث الحادي عشر من ديسمبر 1960 في القصبة سيدي؟

قبل ذلك كان الجنرال ديغول قد قدم إلى الجزائر، وبدأ جولته من غرب الجزائر بمدينة عين تموشنت، استقبله الفرنسيون الموالون له ولسياسته، والكتلة الثالثة، المتكونة من الجزائريين العملاء بلعبة جديدة، تحمل شعار:"الجزائر جزائرية" وكان الرد الشعبي الذي يؤمن بالثورة قويا من خلال المظاهرات التي عمّت الكثير من مدن القطر الجزائري. بداية المظاهرات في العاصمة كانت في حي بلوزداد (بلكور سابقا). أنا كنت مسؤول قسم متكون من مائة مناضل منتشرين في كل أحياء العاصمة، اتصلت بالإخوان المسؤولين في المنطقة السادسة التابعة للولاية الرابعة، للاستفسار عن المظاهرات والمشاركة فيها، وكان منهم بن سعيد محمد، مسؤول قسم وحاليا محافظ شرطة متقاعد، وعلى قيد الحياة، ومحمد الشاوي، وهو اسم مستعار، وكان تاجرا في ساحة الشهداء، والتقيت بالصدفة بن سليمان يوسف مناضل أول نوفمبر ورفيق لخضر رباح قبل اندلاع الثورة. بعد اتصالهم بالمسؤولين المعنيين بالأمر بالجزائر العاصمة التابعة للولاية الرابعة طلبوا مني الاشتراك في المظاهرات، لما رجعت إلى القصبة شاهدت بداية خروج المتظاهرين الذين يطاردون أعوان الجيش الفرنسي وكانوا يهتفون:"الجزائر جزائرية" اتصلت بالمناضلين لنخبرهم

بالمشاركة في هذا اليوم. وخرج سكان القصبة إلى الشوارع ليُشاركوا في المظاهرات، وكانوا نساء ورجالا وأطفالا ومن كل الفئات والأعمار، حاملين الرايات. وكان هناك رجال يقطعون الطريق بأثاث منزلي، وأسرة، وطاولات، والأخشاب وكل شيء يمكن أن يسدّ الطريق على الجيش الفرنسي. هذا الأخير، وعندما رأى كثرة المتظاهرين أعطوا أوامرهم بقمع الشعب بالقنابل المسيلة للدموع، وإطلاق الرصاص... هكذا عشنا أحداث الحادي عشر ديسمبر.

35

ابراهيم الشرقي

"الشعب لم يحتضن الثورة بل اضطرّ لخوضها ووشايتي بالعربي بن مهيدي دعاية مُغرضة" [1]

1 أنجز بتاريخ 15 نوفمبر 2012.

نقدم في هذه الوقفة شهادة قيّمة للمُناضل الكبير ابراهيم الشرقي، الذي ولد سنة 1922 من عائلة فلاحية في عين الخضراء بالمسيلة، ونشأ ببسكرة التي تحصّل فيها على الشهادة الابتدائية، وتُعتبر مسيرته النضالية بحق مثالا لطريق المجاهد الذي كافح بشجاعة وصبر قلّ مثيلهما فكان التلميذ، والكشاف، والمناضل في حزب الشعب، وحركة انتصار الحريات الديمقراطية، والمنظمة السرية، والرجل السياسي والعسكري الذي تعرّض لأبشع أنواع التعذيب من طرف قوات الاحتلال. يُحدّثنا الرجل الذي استقبلنا في بيته بالقبة عن بداية التحضير للثورة، وعن خطابات الأحزاب السياسية الجزائرية، التي وإن كان لها هدف مشترك إلاّ أنها اختلفت في سبيل نيله. وعن تفاصيل الحملة التأديبية التي قام بها، في قالمة وسكيكدة وعنابة، والتي على أساسها دخل في خلافات مع مسؤولي الحزب. كما توقّفنا في مرحلة سجنه وتعذيبه بطريقة أقل ما يقال عنها أنها شنيعة من طرف الفرنسيين الذين حسبوا أنهم قادرون على إجباره بالبوح بأسرار معركة الجزائر، ومن شارك فيها. كلّ هذه المعلومات التي لم يسبق التعرض لبعض منها تطلعون عليها في هذا الحوار المثير.

سيدي، تُعتبر الكشافة الإسلامية خطوة هامّة للمُرور إلى العمل النضالي، متى التحقتم بها، وكيف ساهمت في نموّكم الوطني؟

أجل، التحقت بالكشافة الإسلامية سنة 1938، ولكنني كنت قد تعرّفت من قبل على مُدرّسين أمثال زروقي والعقبي، وبعد فترة المدرسة كان لي اتصال بالمُناضل آكلي ارزقي، وفي الكشافة الإسلامية ببسكرة تعرّفت على محمد العربي بن مهيدي، والطيب خراز، وغيرهما.

حسنا ماذا كانت مهام المناضل الذي يلتحق حديثا بحزب الشعب؟

بالنسبة لي، كنت أدعو لمُساندة برنامج حزب الشعب الجزائري،

والذي يقوم أساسا على فكرة استرجاع السيادة الوطنية....أي الاستقلال، وهو ما تسبّب في اعتقالي أواخر سنة 1943، بتهمة ترويح الأحاديث الانهزامية وتحريض الشباب المسلم على الهروب من الخدمة العسكرية" مثلت أمام المحكمة العسكرية في قسنطينة، ولكن سرعان ما أطلق سراحي لأنه لم تكن هناك تُهمهة تُدينني.

نشأت حركة "أحباب البيان والحرية" في سنة 1944، هل كان خطابها يُوافق فكرة الاستقلال التي كنتم تدعون إليها؟

في بسكرة كنت أمثل حزب الشعب تحت لواء "حركة أحباب البيان والحرية" ولم نتخلّ يوما عن خطابنا الدّاعي أساسا إلى استقلال الوطن، ونيل الحرّية. ولكنني أُوقفت للمرّة الثانية في ديسمبر 1944، بتهمة التهرّب من آداء الخدمة العسكرية، فوضعوني في السجن العسكري بقسنطينة، ثمّ في المعسكر التأديبي بعين سمارة، وبعدها في القالة. ولكنّهم نقلوني إلى سطيف، وأنهيت مدّة عقوبة التهرب من الخدمة العسكرية في مارس من سنة 1946.

في الوقت الذي كنتم فيه مسؤولا في بسكرة كان تأثير "الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري" قويّا، فهل كنتم تجدون صعوبة في نشر رسالة حزب الشعب التحرّرية بالدرجة الأولى؟

هذا التأثير كان من قبل، خاصّة وأنّ مُمثلي هذا الحزب كان لهم صيت، أمثال الدكتور شريف سعدان، والدكتور بن خليل، وكنت حينها مسؤولا على مُستوى دائرة باتنة (باتنة، بسكرة، الزيبان، عين التوتة، أريس، بريكة، مروانة، والمناطق العسكرية للوادي، تقرت، ورقلة). وانتقلت بعدها إلى دائرة قسنطينة أرأسها، وبعدها إلى فيليبيفيل (سكيكدة حاليا) ثمّ عُدت إلى قسنطينة، لأكون عضو المُنظمة شبه العسكرية، رئيس منطقة الشمال في شمال قسنطينة، ثمّ صرت على رأس منطقة سكيكدة (ناحية أولى سكيكدة، وتضم القل، الحروش، وعزابة والناحية الثانية عنابة وتضمّ قالمة، وسوق أهراس).

لماذا انسحبتم من المُنظمة الخاصّة؟

استبعدوني لأنني قمت بحملة تأديبية في قالمة سكيكدة وعنابة، ولكنّ التاريخ أنصفني لأنّ الإجراء الذي اتّخذته كان مُفيدا لمسار

النضال، والحفاظ على السرّية والجدّية والالتزام، وجاءني المُناضل سيد علي عبد الحميد فرفضت أن أستمع إليه، لأنّ أمر استبعادي كان اعتباطيا، وفي العاصمة التقيت بوضياف، طلب مني أن أنظم وهران.

كيف عشتم اكتشاف فرنسا لأمر المُنظمة الخاصّة وتفككها؟

كنت حينها في وهران، نائبا لعبد الرحمن بن سعيد، مسؤول المنظمة الخاصّة على مستوى عمالة وهران، داهمت الشرطة مخبأي بالمدينة الجديدة، ولكنني كنت قد غادرته، فلم تعثر علي، فعُيّنت كمسؤول سياسي في البليدة صيف سنة 1950، وكنت بالتوازي أعلّم المُناضلين استعمال السلاح، وما تعلّمته في الشقّ العسكري. ثمّ عملت في بسكرة، وعُدت إلى البليدة، نائبا لمسؤول الولاية الهاشمي حمود. ثمّ قائد ولاية قسنطينة التي وصلت إليها في وقت في بداية الشقاق بين مصالي الحاج وأعضاء اللجنة المركزية.

نعلم أنّ مناضلي القاعدة كانوا يُساندون مصالي الحاج، كيف تصرّفتم مع الوضع من منبر المسؤول؟

كانت الأزمة بدأت تحتدّ بين الطرفين، وتتسع مساحتها، وكان المصاليون في الشرق أقوياء، وأقاموا اجتماعا، حاولت أن أوقفه، مُستعينا ببعض المناضلين المُخلصين الذين أعرفهم، واقترحت أن نخلق طرفا آخر حياديا، لا ينحاز لأيّ كان، ولا نأخذ إلاّ أموال الجرائد، وأموال إعانات الأسر، أو"لجان إغاثة ضحايا القمع" وبهذا خلقت الحيادية لأوّل مرّة في قسنطينة سنة 1954. وعندما قدم بوضياف عن "اللجنة الثورية للوحدة والعمل" ساعدته في الاتصال بمجموعة "اسمندو" التي كان يقودها زيغوت يوسف. ولكنّ الانشقاق تكرّس أكثر، رغم الندوة الوطنية التي كان من المفروض أن تُصلح بين الطرفين، وعقدت بمقرّ الكشافة الإسلامية بسوق السمك تكونت على إثرها لجنة من ستة أعضاء كنت من بينهم، ووفدا متكونا من ابراهيم حشاني، والطاهر لوصيف، ومسعود قدروج، لزيارة مصالي الحاج في نيور، ويطلبوا منه الحفاظ على وحدة الحزب، غير أنه رفض مُقابلتهم، إلى أن انعقد مُؤتمر المصاليين بأورنو، وبعد شهر انعقد مُؤتمر المركزيين بالعاصمة. فالثورة خُلقت من هذا الشقاق بين مصالي الحاج

والمكتب السياسي للجنة المركزية التي رفضت أن يحتفظ مصالي الحاج بكلّ السُلطات، حتى أننا بقينا لمدّة نتصارع مع أنصار مصالي الحاج والحركة الوطنية. وفي الوقت الذي كان فيه المصاليون يتصارعون ليستحوذوا على المحلات، والسيارات، والمطبعة كانت اللجنة الثورية للوحدة والعمل تُخطط.

سيدي، بعد اندلاع الثورة تحوّل محلكم إلى نقطة اتصال بين المناضلين، هلا حدّثتنا عنه؟

كان هذا بعد أن هربت من البليدة، التي اكتشفت فرنسا بالبيت الذي كنت أقيم به كمية هامة من المتفجرات، ورحت أمارس تجارة الأحذية بالقرب من جامع "كتشاوة" وعندما بدأت نضالي عبر المحل صار هذا الأخير نقطة ليس للاتصال فقط، وإنما أيضا لإمداد المُجاهدين بالأحذية والألبسة والأدوية.

أنتم من وضعتم النظام المركزي بشكل لم يُحقق إجماع المسؤولين، ماذا كانت أهمّ القرارات التي اتخذتموها، وماذا كان أثرها على تنظيم العاصمة؟

كنت أريد أن أتفادى التسللات التي يُمكن أن تُغرق كلّ العاصمة، كان ضروريا أن أمركز القيادة، من أجل التنسيق بين المجموعات المختلفة، رغم أنّ لجنة التنسيق والتنفيذ كانت ضدّ هذا الأمر، لهذا فلم يكن من المُمكن أن آخذ مسؤولية العاصمة دون أن أمركز القيادة، كما تمكنا من استرجاع أكثر من 190 عميلا لفرنسا، صاروا يعملون في صفنا، واستطعنا أن ندفع سُكّان العاصمة إلى التمرد على فرنسا، فلا يدفعون الضرائب، ولا فاتورة الماء، ولا الكهرباء، وحوّلنا في فترة وجيزة العاصمة إلى مدينة مُقاومة حقيقية، إلى ما بعد مؤتمر الصومام حيث صارت العاصمة منطقة مستقلة، تحت الإشراف المُباشر للجنة التنسيق والتنفيذ، تكفّلت أنا بالشق السياسي، وياسف سعدي بالشق العسكري.

ماذا كان عمل الشقّ السياسي للمنطقة المُستقلّة؟

كان مُتعددا، من الدعاية، والإعلام، والتموين، كما كنت أوفّر ما أمكن من اتّصال بين الاتحاد العام للعمال الجزائريين، واتحاد التجار، وأشرفنا على المستشفى السري بمزرعة بلونيش في برج الكيفان.

كيف تمّ القبض عليكم للمرّة الثانية سيدي؟

كانت السلطات الفرنسية في أعقابي من قبل، واكتشفت كمّية من المتفجرات في البيت الذي كنت أسكنه في البليدة، وأيضا بعد أن وقعت على المواد الموجهة للمُجاهدين، إذ حكم عليّ غيابيا، ومرة كنت في مطعم اسطنبول في شارع دباغين في منتصف يوم أحد 24 فيفري 1957، أنتظر بعض المسؤولين إذ اقتحم المكان المظليّون، فتمّ نقلي إلى مقرّ قيادة العقيد بيجار بالأبيار. مساء ذلك اليوم، وفي الغد، وفي اليوم العاشر حاولوا أن يجبروني على الحديث بأساليب التعذيب، ولكن لي الشرف أنني لم أبح بأحد رغم التعذيب.

كم قضيتم في السجن؟

قضيت أكثر من خمس سنوات في السجن، بين بربروس والحراش، ميزون كاريه، واورليون فيل (الشلف حاليا) وأطلق سراحي في أفريل 1962.

هلا حدثتمونا عن الوسائل التي كانوا يستعملونها للتعذيب، خاصّة مع مناضل من وزنكم؟

عندما وصلنا إلى فيلا "سانت رفائيل" بالأبيار، والتي كانت تقع فيها زنزانات الكتيبة الثانية من فرق المظليين تحت قيادة العقيد بيجار، أخضعوني مباشرة إلى أول جلسة تعذيب، حيث جرّدوني من ثيابي، وبدأوا في كيّ جسدي الذي بللوه بالتيار الكهربائي، بلغت قوّته 220 فولط. ثمّ ربطوا جسمي إلى خشبة بشكل صليب وأخذوا يغطسون جسمي في حوض ماء بارد جدا. والأبشع أنه كان ماء ملوثا، حتى أنني لمحت على سطحه شعر، وطاقم أسنان! وكانوا يريدون أن يبقوني على قيد الحياة، إذ ما إن يشعرون أنهم بلغوا أقصى درجات التعذيب، يتوقفون لكي يعيدوا الكرة من جديد، وبعد ذلك نقلوني إلى غرفة أخرى، أجلسوني على كرسي وشدوا وثاقي، جاء جلاد، وراح يصعق أذني ثمّ بقية أطرافي بشحنات التيار الكهربائي دائما. استجوبني في البداية رجل من مديرية مراقبة التراب الوطني، ثم بعدها جاء بيجار برفقة مساعد له رتبة نقيب، ومعهما آخر وهو الملازم "ألير" ليستنطقوني.

هل استمر التعذيب على نفس الوتيرة في الأيّام التي تلت؟

بل، زادت حدّته، إذ أنني أمضيت تلك الليلة في غرفة شاغرة وباردة، وربطوني في اليوم الموالي إلى الكرسي، وراحوا

يكووننـي بالكهرباء، والغطس في الماء البارد، وسحق أعضائـي التناسلية بين لوحتين اثنتين، ووصل بهم الأمر أن وضعوني على حافة الحوض، وراح المظليون يدوسون جسدي بالأحذية. بعد هذا نقلوني إلى فيلا سوزيني، لمقابلتي مع بعض المعتقلين من عناصر جبهة التحرير. وهناك أرادوا أن يتخلصوا مني، إذ أنهم بعد حصص التعذيب أخرجوني إلى الساحة، وحاولوا إيهامي بأنّ الحراسة ليست مُشدّدة، وفعلوا هذا لكي يطلقوا عليّ النار بتهمة مُحاولة الهرب، وهكذا فعلوا مع مناضلين كثيرين. لكن لم أخدع بهذه الطريقة.

هناك من ألصق بكم تهمة ذكر المكان الذي كان يختبئ فيه العربي بن مهيدي، تحت التعذيب الشنيع، هل هذا صحيح؟

لا. أو لا بن مهيدي قبضوا عليه قبلي، وثانيا لم أكن أعرف مكان العربي بن مهيدي، هي حكاية لا منطقية. هي دعاية لتوريطي فقط، لأنّ موقفي كان ثابتا ولم أتحدث عن أحد، وجميع المناضلين على علم بهذا، بمن فيهم المناضلون القدامى، وكذا بن خدة الذي كان حينها في خضم الأحداث. بن مهيدي أوقفوه قبلي، وعناصر لجنة التنسيق والتنفيذ فيما بينهم لا يعلمون أين يتواجدون.

لكن الصور التي نشرت حينها تظهر أنكما كنتما مع بن مهيدي سويا في نفس المكان؟

تلك الصور مفبركة "مونتاج" فنحن لم نتواجد أبدا في مكان واحد. فعلوا هذا ليظهروا أنّ الثورة انتهت.

البعض يقول أنّ جبهة التحرير انهزمت عسكريا وفازت سياسيا، هل تؤكدون ذلك، خاصّة وأنكم كنتم المسؤول السياسي خلال معركة الجزائر؟

نحن فزنا سياسيا لأننا عزلنا فرنسا عالميا، وأيضا تفوّقنا بالمواقف السياسية، وسددنا أبواب طموحاتها، رغم أن الكفاح تواصل..

لهذا قلتم أن الشعب لم يحتضن الثورة، وإنما كان مضطرا أن يخوضها، وهي إستراتيجية واضحة لجبهة التحرير الوطني؟

أجل، هذا صحيح.

الهاشمي حمود من بين المناضلين الذين عرفتهم، هلّا حدثتمونا عنه؟

هو رجل مناضل استشهد تحت التعذيب، كان مناضل حزب الشعب، وعضو اللجنة المركزية، تحمّل عدة مسؤوليات منها مسؤول منطقة البليدة، ورئيس دائرة باتنة، ورئيس ولاية البليدة، ثم راح يعمل كخباز في بوفريزي، حيث يقصده بلقاسم كريم، وعمر اوعمران، ومُناضلون آخرون، ولم أكن أذهب لأبيت عنده بسبب شخص مدعو سليمان اشتبهت فيه، وفعلا كان عميلا لفرنسا، وتسبب في القبض على رابح بيطاط.

36

زهيرة بن مكرلوف

"اضطهاد فرنسا وظُلمها لم يزدنا إلاّ إصرارا على مُحاربتها" [1]

1 نُشر بتاريخ 17 نوفمبر 2012.

ضيفتنا السيدة زهيرة بن مكرلوف، زوجة حسني، تحكي لنا في هذه الوقفة القيمة عن ما عاشته في دوار سيدي موسى، المحاذي لمدينة شرشال، حيث كان بيتهم زاوية تحوّلت مع تنامي الوعي الوطني إلى قبلة المناضلين والمجاهدين خاصّة بعد أحداث الثامن من ماي سنة 1945، إلى أن صارت مقرّا للاجتماعات، واللقاءات التي تُعقد لتحضير عمليات، أو إصدار قرارات. المناضلة التي استضافتنا في بيتها بحي بلكور العتيق، قصّت علينا كلّ ذلك، وذكرت لنا أسماء لمُجاهدين أقاموا في بيتهم، إضافة إلى عملها في الاتصال، ونقل الرسائل، وخياطة الأعلام والبدلات العسكرية، كما حدّثتنا عن أخيها المناضل مولود، أو السي محمد، كما يُلقب، وعن تاريخ المنطقة قبل، وبعد اندلاع ثورة التحرير...

سيدتي زهيرة، كان بيتكم في سيدي موسى زاوية شهيرة، وراحت عائلتك تستقبل المُجاهدين فيها، لكن ماذا عن نشأتك فيها، وما تذكرينه خاصّة بعد فترة الحرب العالمية الثانية، وبداية تحرك المُناضلين نحو الإعداد لعمل مُسلح؟

أنا مولودة في 25 أوت 1927 بتيبازة، ولكنّ أبي انتقل بالأسرة للسكن في سيدي موسى، ثمّ تُوفيّ سنة 1930. أنجب مع الزوجة الأولى 4 ذكور، وبنتين، ومع أمي 4 ذكور وبنتين كذلك. أخي شهيد، وهو مولود، واسمه المُستعار في الجبل سي محمد، استشهد في سيدي سميان، قصفتهم الطائرة وكانوا أحد عشر مُجاهدا. بدأنا العمل السياسي سنة 1939 إذ كانت فرنسا لم تفرغ بعد من حربها ضدّ ألمانيا. جنّدت لحربها الشُبّان، ومنهم ابن أختي اسماعيل بقاط بركاني، وخالي عبد القادر جودار، وابن عمي بن موسى بن مكرلوف، وغيرهم من شباب المنطقة. وعندما أطلقتهم فرنسا، عادوا في حالة يُرثى لها، وهو ما أثار استياء أهلنا مما فعلته فرنسا بمن ساعدها. وأذكر أنّ إخوتي عبد الحليم ومولود بدأوا ينشطون في حزب الشعب.

هل تذكرين الأشخاص الذين كانوا يُناضلون رفقة إخوتك؟

أخي مولود كان يعمل مع سيد احمد الحلواجي، ثمّ مع احمد بودة، وبعدها مع محمد بلوزداد. وبالموازاة مع تلك الفترة كان يستقبل المُجاهدين، خاصّة بعد حوادث الثامن من ماي 1945، وكنا نخدمهم، أوّل من أذكره سي صادق، واسمه الأصلي علي حاليت من القصبة، والثاني من عزازقة، وهو شاذلي الحسين، واسمه المُستعار مسعود بن علي، وأذكر أيضا سي جيلالي من بني عمران، والرابع هو بوجمعة سويداني، هؤلاء كانوا يأتون، ويبيتون أحيانا، ويجتمعون كذلك.

ألم تكن فرنسا تضيّق عليكم؟

في البداية لم تنتبه لتواجد هؤلاء المُجاهدين، ولا لتحركاتهم، خاصّة وأنّ بيتنا كان زاوية في سيدي موسى، فالسي صادق، مثلا، والذي كان شبه مُقيم بيننا، كان كأنه يعمل في الزاوية، ولم يكن يختلط مع الناس حتى لا يكتشف أحد أمره. وكنا بطبيعة الحال نختلق الأعذار لاستقبال المُجاهدين، وكذلك لاجتماعهم عندنا، فالاحتياط كان ضروريا. أذكر مثلا، أنه قبل زواج أخي بثلاثة أيام، وكانت فترة الحملة الانتخابية التي شارك فيها حركة انتصار الحريات الديمقراطية، جاء مزغنة، ومحمد خيضر، ولحول الحسين، والسي محمد يوسفي، واعمر عمران، وغيرهم من المُناضلين الذين اجتمعوا، وحضّروا للانتخابات. وأذكر أن اجتماعا كبيرا استضافته زاويتنا بسيدي موسى، حضره مُناضلون من كلّ أقطار الوطن. وفي يوم من الأيام جاءنا محمد يوسفي، وآخر من تبسة، واثنين من العاصمة، وهما احمد بودة، وعمر اوعمران، قالوا لنا أنهم ليسوا مع مصالي الحاج، وإنما أسّسوا حزبا آخر، وطلبوا منا أن ننخرط، ونشترك ففعلنا، وكذلك أمي. أمّا زوج أختي عبد الحليم لعسل فسألهم عن سرّ هذا التغير، أو ضحوا له الأمر، فوافق.وبعدها قُبض على السي صادق، ولم يظهر باقي المُناضلين، ومنهم بوجمعة سويداني، والذي كان مظهره يُثير الشبهات، ذلك أنه كان يرتدي بدلة أنيقة، ورابطة عنق، وشاش تركي، فلم يكن يُوحي منظره بأنه شخص عادي، وإنما منظر زعيم، وهذا ما من شأنه أن يُثير الأنظار والشكوك إليه. ثمّ تفطنت لنا السلطات الاستعمارية، وجاءنا أشخاص قالوا أنّ الدرك صاروا يركنون سياراتهم في سيدي عمر في مدخل

شرشال، ويُواصلون الطريق إلينا مشيا على الأقدام لمُراقبتنا، فصار علي حاليت يأخذ احتياطاته، إذ كان يأتي مشيا على الأقدام في المحطة الأخيرة.

هل كانوا يكلفونك بمهام في تلك الفترة؟

أجل، في البداية كانوا يُرسلونني إلى العاصمة، نحن كنا في اتصال مع احمد بودة الذي كان على معرفة مع محمد بلوزداد، وكنت أنتقل إلى محل محمد بلوزداد، والده كان تاجرا، وكان هو يُساعده، أخي كان يُوصيني أن أقول:"مولود وعبد الحليم يسلمان عليك ويقولان لك أعطيني علبة كبيرة من الكبريت، وأخرى من السجائر" وكان بداخل تلك العلب جرائد، أي منشورات للحزب، وكانت تحتوي على مناشير أيضا، نُحضرها، نُعطيها لقابض تذاكر اسمه محمد عاشورة من شرشال، تطلب منه أمي أن يحمل أغراضها إلى الحافلة، أمام المدير الأجنبي، يدخل، فيخرج الجريدة، والمناشير، يأخذهم إلى المُسمى موسى الأعمى، وهو شخص يملك محل حلاقة، وهو فعلا أعمى، يملك المحل، ويُوظّف عُمّالا، وكلّ الشباب يقصدونه، ومنهم محمد عاشورة الذي يُحضر له تلك المجلة. هذه المعلومات، أعرف منها ما عشته، وبعض التفاصيل عرفتها بعد ذلك بعد الاستقلال، فالسرّية كانت مُطلقة. كما أوصلت رسائل من أخي إلى محمد يوسفي، هذا الأخير الذي كان له محل لسلع الجملة في حيّ "ماريه" في بلكور.

كيف اعتقل أخوك مولود بن مكرلوف؟

جاء سائق بن بلة، ولا أذكر اسمه، هو من كان ينقل المُناضلين في سيارة جميلة، وأخذ بوجمعة سويداني، المُلقب بالسي محمد، والسي الجيلالي، وبقي معنا الشاذلي الحسين، الذي كانت لديه بطاقة مُزوّرة تحمل اسم مسعود بن علي، وجاء سائق بن بلة في ليلة من الليالي، وطرق الباب، وطلب أن نفتح له، فسأله أخي، فقال أنه عبد الكريم الذي يأتي مع يوسفي، وهكذا كان يُلقب، ففتح أخي، وكان رفقة الشاذلي الحسين، غير أنّ ذلك السائق كان مُرفوقا بشُرطة فرنسيين، اعتقلوهما، أي أخي والشاذلي، وكان هذا في الصباح الباكر، أمّا نحن فقد جاءنا العساكر على العاشرة صباحا، وراحوا يُفتشون كلّ شيء، أمّا أخي، والشاذلي، فأخذوهما إلى الـ"فيلا" المُسماة قنصل ألمانيا، في "رويسو" وعذبوهما، ثمّ نقلوا

أخي إلى سجن البليدة، حيث كان بن بلة ويوسفي، ومهساس، وأخي كان مع جماعة القتلة، أمّا الآخرون فكانوا مع السياسيين، وفي مرّة من المرّات ذهبت أمي لتزور أخي، فالتقت بوالد يوسفي، وبعد حديث مقتضب تعرّفت عليه، خاصّة وأنّ محمد يوسفي كان يزورنا، ونحن من كان يأويه، وكان الشيخ محي الدين طولبة هو من يمنح أمي الإذن بالزيارة، بن بلة والسي محمد يوسفي أضربا عن الطعام احتجاجا على حجز أخي مولود مع القتلة، وقالا أن لا علاقة له بما وقع، فنقلوا أخي إلى زنزانة السياسيين، ولكنه أمضى شهر رمضان فقط معهم، ثمّ عادوا وأخذوه وعذبوه مرّة أخرى، وكلفت أمي مُحاميا يهوديا بالدفاع عن أخي، فقال لها أن تُقنع الجيران لكي يشهدوا أن لا علاقة له لا من قريب ولا من بعيد بهؤلاء المناضلين، وأنه تاجر وفلاح وفقط، وهذا ما حدث، فقلنا أننا نسكن زاوية، وبالتالي دار سبيل، والشاذلي الحسين لم يكن إلاّ عابر سبيل جاء ليبحث عن عمل، فخرج أخي بعد 6 أشهر. واستشهد في الجبل، بعد أن كشفت مكانهم طائرة الجاسوسة "الموشار" الفرنسية، فقصفوهم، وكانوا أحد عشرة رجلا، أمّا أخي عبد الحليم فواصل العمل السياسي في العاصمة. وهو من دفن ايدير عيسات، حضرت في جنازته أنا، وزوجة أخي، وأخي، ووالد الشهيد فقط. أمّا أخي محفوظ فكان يُناضل بعيدا عنا، وأخي الرابع بن مكرلوف بولنوار فأصهاره هم عائلة براكني، كان يعمل معهم، وفرنسا قصفتهم وشرّدتهم. أعرف تفاصيل أخرى عن نضال إخوتي الذين كانوا بعيدين عنا، ولكنني أتحفظ عن ذكرها خشية أن أحرف فيها، كما أنني لم أعشها عن قرب، وإنما سمعت عنها، ولهذا فليس من المصداقية في شيء أن أستعيدها.

هل كان أخوك يزوركم بعد التحاقه بالجبل؟

كنا نرسل لهم الأكل، وكل ما يحتاجون إليه، وبالنسبة إليه فقد زارنا مرّة، وحتى أنا صعدت مرّة إلى جبل "شنوة"، وأخذت معي ماكنة الخياطة، وبقيت 15 يوما لدى عاشور محمد، وبقيت أخيط البدلات والقبعات والحقائب، بعد أن أحضروا لي قماشا طبعا.

هل تغيّرت الأوضاع بعد اندلاع الثورة؟

مع أوّل رصاصة انطلقت يوم الفاتح من نوفمبر 1954 جاء الفرنسيون إلينا، جاء 12 دركيا، وفتشوا كلّ البيت، ركنا،

ركنا...ولما لم يعثروا على شيء، قالوا لنا أنّ أوّل حجرة تُلقى في جبل "شنوة" وما جاورها سنكون المسؤولين عنها، وحاولنا أن نُخفي الأمر، ولكن جاء يوم انكشفنا فيه، ففي اليوم الذي أُحرقت فيه مزارع الكولون في 21 جانفي سنة 1957 اعتقلوا زوج أختي عبد الحليم لعسل، وبعد ثلاثة أيام قتلوه، ورموا جُثته في الناظور استشهد في 23 جانفي 1957، وقتلوا "عليلي" ساعي بريد الناظور، وشخص يدعى "المروكي" وجاؤوا لكي يقتلوا أخي مولود، فطرقوا باب المقهى الذي يُديره أخي ليلا، ولقد كان بداخله، ولكنه طلب من العاملين الاثنين اللذين كانا معه أن لا يتحرّكا، ولا يبدر منهما صوت، كما لو أنهما ليسا موجودين، وكان من بين الدركيين جزائري مُلقب بوليد السي بزروق من "مالصو" رمى ورقة صغيرة من النافذة لكي يُحذره، إذ كتب عليها:"حميد قتلوه مع فلان وفلان وقدموا لكي يقتلوك" وبعد مُغادرة العساكر الذين حسبوا أنّ المحل فارغ، جاء إلى البيت قصّ عليّ أنا ما حدث، وطلب مني أن أخفي الأمر عن زوجته لأنها كانت نفساء، فذهب وترك 4 أطفال، استقلّ سيارة، ورافقه 43 رجلا، من خيرة رجال المنطقة، ومن قدماء المناضلين، وليسوا:"ولاد الهجّالات فقط الذين صعدوا إلى الجبل" مثلما تحدّث البعض عنهم في القرية في غيابهم. 3 منهم عاملين لديه، وهم محمد قادة قبلي، وسوعيد، وآخر وليد كاوكاو، وولد كلثوم محمد، وعاشور محمد، وليد كاسار، هي الألقاب التي أذكرها، فجاء العساكر إلى المحل ولم يجدوا إلا ابن قادة قبلي صاحب العشرة سنوات، ضربوه، وأتوا إلى بيتنا، واستشهد أخي مولود في سنة 1961.

أختك زوجة شهيد، وكذلك زوجة أخيك مولود، هل كانوا يحصلون على إعانات من طرف المجاهدين، وكيف كانت تصلهم؟

في البداية كان الأمر صعبا، ولم تكن الأمور واضحة، وحاولت زوجة أخي التي لديها أربع أطفال، أن تعمل، ولكن من هذا الذي "يُشغل أبناء الفلاقة"؟ إذ كانت بعض الذهنيات لا تزال مُسيطرة على بعض الأشخاص. أمّا أختي زوجة شهيد، فلديها 6 أطفال، فلاقت صعوبات هي الأخرى، ولكن بعدها صار المجاهدون يُرسلون المنح، ونصيبا من الإعانات، ربما كانت قليلة، فهذا ما

كانوا يقدرون عليه.

سيدتي، كيف ترين الاستقلال بعد 50 سنة، وهل هذه هي الجزائر التي كنت تحلمين بها؟

عندما راحت فرنسا توزع المناشير، وترميها من طائراتها بعد إيقاف القادة الخمسة، وتُطالبنا بأن نستسلم لها، وأنّ الثورة أُجهضت، كان ردّنا أنّ هؤلاء هم 5 من 11 مليون، وأنّ الثورة احتضنها الشعب كله، وكلما ازدادت وتيرة التعذيب، كلما ازددنا صلابة وقوّة، وفي الحقيقة نحن اقتنعنا بفكرة الاستقلال عندما كان البعض يقول أنّ فرنسا لا يُمكن أن تخرج من أرضنا، واليوم أنا مُقتنعة بأننا سنزدهر يوما ما، في الوقت الذي يقول فيه البعض أننا غرقنا في الفساد، ولا مخرج لنا منه... وشكرا، وألف سلام.

37

المجاهد محمد الطاهر عبد السلام لـ:" الجزائر"

"العربي تبسي لم يكن مُعاديا للثورة وفرنسا كانت تدفن شُهداءنا تحت رمز..."اكس"!" [1]

---

1 نشر على ثلاثة أجزاء بتاريخ 20، 21، 22 نوفمبر 2012.

تستضيف "الجزائر" في لقائها التاريخي المُجاهد العقيد محمد الطاهر عبد السلام، الذي لن تسعنا الثلاثة حلقات التي سنُخصصها له في حصر مسيرته النضالية، خاصّة وأنه تدرّج في صفوف النضال من الكشافة الإسلامية إلى الحركة الوطنية، قبل أن يُمازج بين العمل السياسي والعسكري بعد اندلاع ثورة الفاتح من نوفمبر 1954 إلى استقلال الجزائر، في شهادته يروي لنا ضيفنا أهمّ المراحل التي مرّ بها الكفاح في تبسة، ثمّ انقسام الحزب بين مركزيين ومصاليين، ثم مرحلة تنظيم صفوف المُناضلين قبل الانتقال إلى العمل المُسلّح، كلّ هذا عاشه مُحدّثنا.

سيدي تلقيتم تعليما في مدرسة العربي التبسي، وكان الشيخ جاركم، فماذا تذكرون عنه، وماذا كان موقفه من اندلاع الثورة؟

تعلّمنا في مدرسة تهذيب البنين والبنات كلّ شيء جميل... من أخلاق، ووطنية، وتمسّك بثوابت الشعب الجزائري، وعلى رأسها الإسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا. وكانت نظرة الشيخ العربي التبسي للثورة مُميّزة. إذ لم تكن تُشبه رأي أغلبية أعضاء جمعية العلماء المسلمين. وأذكر موقفا له يُثبت هذا. كنت مرّة مع أحمد علاق، وهو رفيقي في التحضير الأوّل للثورة. كنا مُتّجهين نحو بيتينا، فمررنا بجانب مدرسة الشيخ، وكان يجلس على دكانة[1] وعندما رآنا نادى أحمد علاق، فاقترّب منه، وكنت معه. قال له أن يأتيه في صباح الغد لكي يُعطيه 200 ألف فرنك، تبرعا للإخوة، أي المجاهدين. فاضطرب علاق، ولكنّ الشيخ التبسي أضاف:"هذه ثورة مُباركة، وهذه المواشي و300 رأس تحت تصرّف الثوار".

متى كانت هذه الحادثة؟

وقع هذا حوالي نهاية شهر نوفمبر وبداية شهر ديسمبر 1954، أي في وقت كنا لا نزال فيه في مرحلة التعبئة، ولم نصل بعد إلى مرحلة الدعم المادي.

1 مقعد مصنوع من الطوب.

تفكّكت المنظمة السرية في تبسة بعد حادثة عبد الرحيم خياري، المدعو رحيم، فهل تذكرون حملة الاعتقالات تلك؟

أجل، وسأذكر لك المناضلين المعتقلين في مدينة تبسة الذين أحتفظ بأسمائهم في قائمة أعضاء المنظمة السرّية أو الخاصة (OS) شبه العسكرية المُكلفة بالتحضير للثورة المسلحة الذين ألقي عليهم القبض في تبسة أيام 19/20/21 مارس.1950 و ذلك بعد اكتشاف أمر التنظيم من طرف الشرطة الفرنسية، بين من توفوا ومن ماتوا شهداء، ومن لا يزالون على قيد الحياة .أمّا المتوفون فهم: بوزيدي جاب الله، عبد الواحد الشريف، زعيبي عبد الله، خمام الساكر، سعداني شعبان، حناشي الوردي، بن جدو عبد الله، مناح رشيد،مضوي الهادي، مضوي أحمد، علاق أحمد، عزيزي علي، معلم علي بن علي، مزهودي بلقاسم، التومي نور الدين.أمّا الشهداء فهم: فارس الشريف، عابر محمد الصالح، وكشرود الطيب وأمّا الأحياء فهم سواعي نور الدين، مسلم الطيب،قويدري صالح.

نعود إليكم سيدي، كيف التحقتم بالحركة الوطنية؟

قبل أن التحق بالحركة الوطنية كنت مُنخرطا في الكشافة الإسلامية منذ سنة 1947، وبقيت منخرطا فيها إلى سنة 1954. ففي الكشافة تعلّمنا التنظيم، وتقلّدنا بعض المسؤوليات الصغيرة. وأغلب من التحق بالكشافة الإسلامية انضمّ بشكل آلي بعدها إلى صفوف الحركة الوطنية. أي أنّ الكشافة كانت مثل مدرسة تحضيرية للحركة الوطنية. فيها يُلقن الشباب النظام. أمّا التحاقي الفعلي بخلايا الحركة الوطنية فكان سنة 1952. إذ أنه في مرّة من المرّات كنا في المُخيم، وقمنا باستعراض في مدينة تبسة، وفي طريق العودة لمركز الكشافة، بحثت عن حقيبتي الكشفية فلم أعثر عليها. فقيل لي أنها عند الحبيب علاوة، وهو مُناضل قديم، يكبرني سنا، لم أكن أعرفه عن قُرب حينها، فاستغربت الأمر، خاصّة وأنني لم أكن على اتّصال به. اتجهت إليه، وسألته عن الحقيبة. فردّ عليّ أنها بحوزته. وأعطاني موعدا يوم الاثنين على الساعة السادسة مساء لكي يُسلمنيها. فذهبت في الموعد، وعندما التقيته،

أمرني بإتباعه إلى أن وصلنا إلى باب عمارة، فأدخلني شقة، حيث فوجئت بصورة مصالي الحاج تتوسّط علمين جزائريين، ويجلس تحت الصورة رجل. وأصارحك بأنّ جسدي اقشعر في تلك اللحظة وأنا أرى صور الزعيم والعلم معا. وهنا تكلّم الرجل الجالس وقال لعلاوة:"كيف أتيت بهذا الولد الصغير، ألا تخشى أن يبوح بسرّنا؟" وكان كلّ هذا سيناريو مُبرمجا من قبل لهيكلتي في خلايا الحركة. ولكنني إذ ذاك انتفضت وقلت أنني وطني ولست خائنا. فجعلني الرجل أُؤدي اليمين لكي أُبقي الأمر سرا، حتى لو أُزهقت روحي. وكان ذلك أوّل يوم التحق به في خليّة سرّية للحركة الوطنية.

ماذا كان نشاطكم في البداية؟

أصبحت لدينا اجتماعات أسبوعية، أي كلّ يوم اثنين في نفس المقر. وكان كلّ من يتأخر لمدّة خمس دقائق يُمنع من حضور الاجتماع، وثلاث تأخرات تعني الطرد، والطرد من الحزب يجعل المناضل منبوذا من الجميع. كنا نجتمع بشكل عادي في الفترة الصيفية، لأنّ الاجتماعات كانت تجري نهارا، لكن في فصل الشتاء كنا نجتمع ليلا. وكان عمي الذي يكفلني ويأويني يمنعني من البقاء خارجا بعد ساعة الغروب. فكنت أحضر الاجتماع وعندما أعود إلى البيت يُوبّخني توبيخا شديدا، وفي كلّ مرّة أعده أن لا يتكرّر هذا. ولكنني أعود وأعيد الكرة كلّ يوم اثنين...لكن لم أبح له بسرّ تأخري واجتماعاتي أبدا.

ما هي أولى المهام التي كُلفتم بها؟

في البداية كُلفت من طرف المسؤولين بتجنيد بعض الأصدقاء، وفعلت. خاصّة وأنّ علاقتي مع الشباب كانت جيدة، وكنت معروفا. وفعلا تمكّنت من تجنيد العديدين. منهم اثنين استشهدا أثناء الثورة. وفي نفس الوقت بقيت الاجتماعات جارية. ثمّ كُلفت بتوزيع الجرائد الوطنية وخاصّة"صوت الشعب" و"الجزائر الحرة" المكتوبة باللغة الفرنسية. وأذكر لك موقفا، يدلّ على المجهود الذي كان يبذله المسؤولون لتعبئة المُناضلين. ففي سنة 1952 كان مصالي الحاج في جولة في شرق الجزائر فمنعوه من زيارة قالمة وتبسة، واعتقلوه في سطيف. فكلّف هؤلاء المسؤولون أربعة شبان لتعليق لافتات كُتب عليها "حرّروا مصالي" وطلبوا منهم أن يُعلّقوها مهما كلّفهم الأمر، وأن لا يتحرّكوا من أماكنهم، حتى إذا

ما أتى الفرنسيون لنزعها منعوهم. ولو كلفهم ذلك الاعتقال. وفعلا اعتقلتهم الشرطة، وكانت الغاية من هذا خلق مظاهرات للمطالبة بإطلاق مصالي الحاج. وتمّ ذلك بعدها، كما أطلق سراح الأربعة. وهكذا كانت الحركة الوطنية تُعدّ مُناضلين قابلين للتضحية بكلّ شيء حتى بأرواحهم من أجل قضيّتهم.

كنتم تعقدون اجتماعات سرّية، ولكن نعلم أنكم كشباب كنتم مُتحمّسين للمرور إلى مرحلة محاربة العدو، فهل كان حديث عن ثورة، أو عمل مُسلح في تلك الفترة؟

بقينا كذلك لمدّة سنتين، كنا نجتمع كلّ يوم اثنين، ونبقى ننتظر. وفعلا شيئا فشيئا بدأ الملل يدبّ فينا، خاصّة نحن جيل الشباب. وقد عُرف عن تبسة أنها كانت من أكبر المناطق التي انخرط فيها مُناضلون، بلغ عددهم 1200 مُناضل، وذلك إلى سنة 1954. ثمّ وقع الانشقاق بين اللجنة المركزية ومصالي الحاج. أغلبية المُناضلين يأس من الوضعية التي آل إليها الحزب، وكثيرون غادروا الحركة. خاصّة بعد ثورتي تونس والمغرب. كنا نحسب أننا بدورنا سنقوم بثورة... وفي النهاية لم يحدث إلاّ الانشقاق.

البعض يقول عن تلك الخلافات داخل الحزب بأنها إستراتيجية، وآخرون يتّهمون المسؤولين بحبّ الزعامة، كيف كنتم ترونها أنتم؟

أحسب أنّ تلك الخلافات بين المجموعات أو الأشخاص، كانت كلها من أجل الغاية. كان اختلافا استراتيجيا، لأن لا أحد كان يريد الوصول إلى المسؤولية. وكانت أفكارنا تلتقي أحيانا وتتقاطع أحيانا أخرى، غير أنّ ذلك كله كان من أجل المصلحة العامة للوطن، وهي طرد العدو. وأذكر هنا ما حدث لي مع الأستاذ الهادي حمدادو. إذ في شهر جويلية من صائفة 1954 جاء في العطلة الصيفية والتقينا في محل الخياطة الذي يملكه احمد علاق. وكان الهادي يعلم أننا مناضلون في الحركة الوطنية. قال أنه قابل احمد بن بلة، وطلب منا أن نُحضر أنفسنا، لأنّ الثورة ستنطلق قريبا. ألوم نفسي اليوم على أنني لم أصدقه. أنا كنت صغيرا، وكانت لي مواقف مُتطرّفة. عندما غادر سألت علاق بأيّ صفة يُقابل الهادي بن بلة في القاهرة، وهو لم يكن مؤطرا في الحزب؟ لم أهضم ذلك حينها. لكن يشاء القدر أن نلتقي سنة 1955 في سجن وهران. كنت في الرواق ورأيته... كان الهادي حمدادو، وكان معه أربعة آخرون. وكانت آثار التعذيب بادية عليه بعد أن

ألقي عليه القبض في باخرة الأسلحة "لاطوس". سلمنا على بعض وافترقنا في صمت. وحينها فكرت فيما قاله لي... لقد صدق ما قاله الهادي.

نعود إليكم، عدا إتباع المركزيين أو المصاليين، ما هي الحلول التي كانت أمامكم أنتم شباب تلك الفترة؟

في الحقيقة كلّ مُناضل كان مصيره مُعلقا بالظروف التي وُضع فيها في الأيام والأسابيع التي كان فيها التحضير للثورة جاريا. أذكر أنني كنت في مُخيم الكشافة بتبسة في بداية شهر سبتمبر، وبعد عودتي كنت مارا من مقهى. استدعاني رجل أعرفه، وهو عبد الرحمن رحيم. فأشار لي أن أرتدي ملابس غير ملابس الكشافة وأعود[1] ففعلت، وعدت إليه، وكان رفقته شخص آخر لا أعرفه، وهو مُناضل من تبسة، اسمه إبراهيم هوام، يعمل كخياط وكان عمره 40 سنة وقتها، وأنا لم أكن قد بلغت 19 سنة. اقترح عليّ الرجل أن أرافقه إلى سوق أهراس لكي أشتغل معه، رفضت، فقال أنه سيُريني هناك ما هو أهم، على أن ننتقل مُنفردين، ففعلنا، قلت إن كان ما هو أهم فأنا معك.

على أي أساس اختاركم؟

هي قصّة طويلة، كانت تلك الفترة هي مرحلة التجنيد للثورة، ومختار باجي قدم قبل أيام من هذه الحادثة، لكي يجسّ نبض المناضلين، فيما إذا كانوا مُستعدين للعمل المسلح، وقابل البعض، ولم يجد فيهم تجاوبا، ذلك أنّ أزمة انقسام الحزب كانت قد أحبطت معنويات الجميع، أرسل مختار باجي ابراهيم هوام لكي يبحث عن مناضلين مستعدين، ويوسع بذلك دائرة الثورة، وفي الوقت الذي كان فيه ابراهيم هوام جالسا رفقة عبد الرحمن رحيم في ا لمقهى مررت أنا، فزكاني رحيم لما يشهده لي من حماس، ثم وقع ما وقع وعرض عليّ مرافقته إلى سوق أهراس.

وهل سافرتم إلى سوق أهراس؟

نعم لقد فعلت، سافرت إليها في 16 سبتمبر سنة 1954، ولم أكن أعرف المنطقة من قبل. كان قد أوصاني أن أتبعه ما إن أراه

---

1 كان ممنوعا منعا باتا الجلوس بملابس الكشافة داخل المقاهي.

في المحطّة لدى نزولي، وفعلا، رأيته فتبعته إلى أن وصلنا إلى محل خياطة. فقدّم لي شخصا آخر قال إنه الحاج علي السوفي[1]. بدأ هذا الأخير يُناقشني في أمر الحركة الوطنية، ومصيرها، والانشقاق الذي وقع، فقلت أنني مع مصالي الحاج، وأنّ المركزيين انحرفوا. ولكن أخبرته أنّ أيّ شخص يُفجّر الثورة...أنا معه، حتى لو كان شلوم اليهودي، صافحني السوفي، وقال اتفقنا، وأغلق باب المحل، أراني القماش الذي كنا نعده كلباس عسكري، والعلم الجزائري، أخبرني أنّ لي لقاء مع مختار باجي على الساعة السادسة. وفعلا على الساعة السادسة قدم مختار باجي في نفس اليوم، كان كل شيء مرتبا. وصولي، ولقائي مع مختار باجي أيضا، وعندما وصل هذا الأخير، رأيته، وكان رجلا قصيرا ونحيفا، أشاروا لي إلى مكانه فالتحقت به في الرصيف الآخر، ورحنا نمشي ونتحدّث.

ما الحوار الذي جرى بينكم وبين مختار باجي؟

أذكر أنه سألني عن الأشخاص المستعدين لتفجير الثورة في تبسة، من الذين كانوا معه في السجن سنة 1950، لكي يُنسّق معهم. وكانوا كلهم من الجيل الذي سبقني، قلت أنني أثق في احمد علاق، الذي كان لي احتكاك دائم به. فطلب مني أن أعود إليه، وأنقل إليه رسالة مختار باجي بأن نُحضّر الخلايا، وهو، أي مختار، من يتكفّل بتوفير السلاح[2]. وبعد يومين قابلت علاق، وقلت له، ومثلما توقعت فقد كان على استعداد. و رحنا نتصل بالمناضلين المؤطرين السابقين. عدت إلى سوق اهراس، كُلّفت بشراء الأحذية العسكرية[3] اقتنيت أربعين، إلى أن جاءني مُناضل، وطلب مني أن أتوقّف عن جمعها لأنني كنت تحت رقابة الأمن الفرنسي.

---

1 من الجزائريين الذين حاربوا الصهاينة في عام النكبة سنة 1948، وكان ملازما للأمير عبد الكريم الخطابي.

2 مختار باجي من المُناضلين الذين باعوا كل ما يملكون لتمويل الثورة، مثلما فعل مصطفى بن بولعيد، وآخرون وهبوا أملاكهم، وأنفسهم من أجل القضية الوطنية.

3 Pataugas

كيف استطعتم أن تخفوا سر تفجير الثورة، وهل فعلتم هذا حتى مع المناضلين القدامى؟

كنا نخفي سرنا عن الجميع، حتى المُناضلين القدماء لحزب الشعب، حتى أنه جاءني مرة مسؤول سابق للفوج الذي تأطّرت فيه وهو شريف فارس، وكان رفيقا لمختار باجي، أحسّ أن هناك شيء يُحضر في السر، داء إلى سوق أهراس ليلتقي مختار باجي، مكث أياما، ولم يعثر له على أثر، ثمّ جاءني وقال أنه يُريد رؤية مختار باجي، ولم يعثر عليه. سألته عن السبب، قال يريد رؤيته فقط. وبينما كنا نمشي في الشارع قمت باستفزازه، سألته مازحا:"هل أردت أن تحضر معه الثورة؟" أجاب:"أمي بكت عليّ مرّتين. وحدث ذلك سنة 1950 عندما ألقي القبض على مناضلي المنظمة المُسلّحة، والمرّة ا لثانية عندما اعتدى عليه أنصار مصالي الحاج بالضرب. وختم بالقول أنها لن تبكي عليه مرة ثالثة. هذه العبارة رسخت في ذهني، وجعلتني أفكر في أنه غير مُستعد لخوض غمار ثورة، أرسلت لمختار باجي، الذي لم يكن يتم اللقاء معه إلاّ للضرورة، وقابلته، قلت أنّ فارس يطلب رؤيته، وأخبرته بالحديث الذي جرى بيني، وبينه، وأني أرى ألاّ يُخبره بأمر الثورة، وجرى اللقاء بينهما، ولم يُخبره مختار باجي عن أمر الثورة.

وكيف خفي أمر التحضير للثورة عن المُخابرات الفرنسية، رغم قوّتها؟

أجل، حدث هذا بمعجزة ربانية، وأذكر أنه قبل شهر نوفمبر كتبت الجريدة الفرنسية "لا ديباش دي كونستنتين"[1] أنّ 300 فلاق تونسي دخلوا الجزائر. ففي تلك الفترة عرضت فرنسا على الثّوار التونسيين الذين كانوا في الجبال أن يُسلموا سلاحهم[2] غير أنّ بعض التونسيين المقاومين رفضوا النزول وتسليم سلاحهم، ولهذا توقعت السُلطات الفرنسية أنّهم مروا إلى الجزائر، خاصّة وأن تحركات الـ17 جزائريا الذين كانوا في الجبل كانت كثيرة في المنطقة، وهذا السرّ كان غائبا على المصالح المخابراتية الفرنسية لحسن الحظ.

---

1 *La dépêche de Constantine*

2 سياسة اتبعتها فرنسا بعدها مع الجزائريين فيما يسمى ب"سلم الشجعان" الذي لم يلق صدى لدى المجاهدين الجزائريين.

لم تقع عمليات ثورية في تبسة ليلة الفاتح من نوفمبر، لماذا؟

تم التحضير لعمليات، ولكن لم تقع. فقبل اندلاع الثورة بيوم واحد أخبروني أنهم بحاجة إليّ. وأنّ عليّ أن ألتحق بالطبيب الذي يملك قاعة حلاقة، حتى أنه يُدعى "الطبيب الحفاف" قالوا لي أن أزوره، أجلس في محله فأقول:"يا الله يا محمد". وصلت إلى المحل في الليل، ونطقت بكلمة السرّ تلك، ولكنه أخبرني أنّ الموضوع أجل، وبعدها علمت التفاصيل، إذ كانوا يُعدّون لعملية تلك الليلة المصادفة للفاتح من نوفمبر، ولكن لم يوفقوا في تحضير القنابل فأُلغيت العملية. وأذكر أنه في الثاني من شهر نوفمبر صدر عمود صحفي على جريدة "لاديباش دي كونسطونتين" يتهكم كاتبه من الجزائريين، ويقول التونسيين و المغاربة يُقاومون منذ سنتين ولم ينجحوا في نيل استقلالهم، والجزائريون يُريدون أن يستقلّوا عبر 32 عملية نُفذت في ليلة واحدة.

تلت ليلة الفاتح نوفمبر حملة اعتقالات واسعة شملت بخاصّة المناضلين القدامى لحزب الشعب[1] وحركة انتصار الحريات الديمقراطية[2] فهل أثر هذا على سير الثورة في المنطقة؟

في البداية لا. ذلك أنّ السلطات الفرنسية، وكما ذكرت، اعتقلت كل رموز الحركة الوطنية، ووضعتهم في المحتشدات، ولكن هؤلاء لم يكونوا على علم أصلا باندلاع الثورة، ولهذا فإنّ حملة الاعتقالات الأولى تلك لم تؤثر على سير الثورة المُسلّحة.

هلا حدّثتمونا عن استشهاد مختار باجي؟

استشهد مختار باجي في 19 نوفمبر 1954 رفقة ثلاثة مُجاهدين. و14 آخرين ألقي القبض عليهم أحياء، منهم إبراهيم هوام. ولقد نشرت الجرائد الفرنسية صورا للموقفين، وذكرت أنّ مختار باجي ومسعود عنتري استشهدا. وتأكد بعدها الخبر. وجاءتني أوامر أن أعود إلى تبسة، وفعلا غادرت سوق أهراس، و التحقت برفقائي في تبسة في 21 نوفمبر.

كيف تمّ اعتقالكم؟

اعتقلنا في 24 ديسمبر 1954 ألقوا علي القبض في مدينة تبسة.

1 PPA

2 MTLD

كيف حدث هذا؟

في 23 ديسمبر استشهد لمين دربال[1] وألقي القبض على إخوته ومناضلون آخرون، ثم اعتقلوا بعض الشباب في تبسة، وهؤلاء باحوا بعد الضرب باسم الطاهر بن جدو، وهو إطار في الحركة الوطنية، وأخضعوه إلى التعذيب العنيف، ثمّ خدروه، وبدون شعور منه انهار، وأقر بأنه من الثوّار، وذكر كلا من: كمال ساكر، حسين بوزيدي، بن السي سعيد، رحيم بولحية، احمد علاق، جيلالي فاسي، و محمد الطاهر عبد السلام (أي ا لمُتحدث) وما إن سمع الأمن العسكري باسم كمال ساكر حتى سارعوا لاعتقاله، وكادت تكون الكارثة، ذلك أنه كان يملك كمّا هائلا من المعلومات، لكونه مسؤولا. غير أنه تمكن من الهرب بوساطة شرطي جزائري من الشرطة القضائية، مكنه من الهروب عبر الجدار، وهرب ساكر. وبعد المغرب قدمت الشرطة إلى بيت الشخص الذي كنت أسكن عنده، بحثوا عن محمد الطاهر مزياني، وهو اسم كنت أحمله لأن جدي اسمه مزيان، وكنت على طاولة العشاء، خرجت، سألوني إن كنت المعني، قلت أن اسمي عبد السلام لا مزيان، فقالوا أنهم يبحثون على شخصي، سواء كنت عبد السلام أو مزيان، منحوني بعض الوقت لكي أغير ملابسي، وفجأة فكرت في الهرب، لكنني لم أوفق.

هل اعتقلوا جميع من ذُكرت أسماؤهم؟

كلهم كانوا قد وصلوا قبلي، وأحضروا بن جدو، رأيته، وكان في وضع يرثى له، وأحسست أنه مخدر. وتم استجوابي، سألوني عن مختار باجي، نفيت علاقتي به، وتفاديت كلّ ما يُمكن أن يُورّطني، و اكتفيت بأن قلت أنني مناضل قديم، ووزعت المناشير، والجرائد فقط. فحاول مُستجوبي أن يُوقع بي، سألني في المرّة الأولى إن كنت أنفذ أمرا للطاهر بن جدو بوضع قنبلة في قصر العدالة، فأجبت بالنفي. ثمّ استفزّني بالتعليق بأنني خائن، فأجبت على الفور:"لو يعطيني أمرا بقتلك فسأقتلك". فأنهى استجوابه

---

1 لمين دربال من المتمردين ضدّ الحكم الفرنسي قبل قيام الثورة، عينه مختار باجي مسؤول منطقة النمامشة، أرسل إليه بن سي العيد شريف المسؤول عن التنظيم العسكري، ليُعطيه ختما فيه اسمه، وصورة العلم الجزائري.

وقال أنه هذا يكفيه، أي قولي يكفي لإدانتي. فوقعت على محضر الأقوال. ثمّ نقلونا إلى سجن تبسة، وفي كلّ يوم ثلاثاء كانوا يُحقّقون معنا. ويمكن أن أذكر هنا حادثة تصرف السلطات الفرنسية مع رجل اعتقل مع زوجته وابنه الذي لم يتجاوز الستة أشهر، واسمه رويق رواق. اتهموه بأنه ذبح ابنته وأكلها مع زوجته. ولكنها كانت مُؤامرة حيكت ضدّه، القصد منها تشويه الثورة والثوّار. لتقول فرنسا للرأي العام:"أيّ مجتمع مُتخلف هذا الذي يريد حرّيته وهو لا يزال يأكل أبناءه؟". كما أذكر أحد المُجاهدين أيضا، من الذين اعتقلوا في تلك الأيام، وكان عُمره أربعين سنة، واسمه لخضر عطّاف. كان من البادية، وتحديدا من منطقة النمامشة. أحضروه فاقتلعوا رموش عينيه. ولكي يُتوقّفوا عن تعذيبه غرز أُصبعه في عينه وانتزعها. فنقلوه إلى المستشفى، وبعدها أخلوا سبيله. لقد فضل أن يفقأ عينه، لكي ينفذ من تعذيب العدو.

كيف تمّت مُحاكمتكم؟

تمّ نقلنا إلى قالمة، وعندما وصلنا التقينا بالمجاهدين الذين تمّ اعتقالهم في ضواحي الومضة بسوق اهراس، ومنهم المرحوم ابراهيم هوام. وكان الفرنسيون يُريدون أن يُقابلوني معه. ولكنهم ارتكبوا خطأ، فعوض أن يستدعوني استدعوا محمد الطاهر بن جدو، فقال كلّ واحد منهما أنه لا يعرف الثاني. كما التقينا هناك بالطاهر الزبيري.

كم هي المدّة التي حُوكمتم بها؟

في قالمة حكموا علينا بأحكام تصل إلى 5 سنوات سجنا. أمّا أنا الذي كنت أصغرهم حُكم عليّ بسنتين سجنا. وكان هناك اثنان آخران استفادا من البراءة، ومنهم أحمد علاق. ورغم أنّ مدّة الحكم كانت قصيرة، إلاّ أنه كانت لدينا تعليمات بأن نطعن في أي حكم، إلاّ البراءة. ثمّ نقلونا إلى العاصمة، فحكم عليّ بعد الطعن بمدّة أطول وهي 3 سنوات سجن، و5 سنوات إقامة إجبارية، و5 سنوات أخرى مُنعت فيها من الحقوق المدنية. وأتذكّر المادّة التي حُوكمت بها وهي المادة 83 وتتعلّق بالمساس بأمن الدولة الفرنسية في الداخل والخارج.

إلى متى بقيتم في السجن؟

بين نهاية شهر ديسمبر من سنة 1956، أو بداية سنة 1957 على ما أذكر. نقلونا إلى سجن البرواقية، وعندما وصلنا فصلونا عن بعضنا البعض، ومارسوا علينا التعذيب النفسي والجسدي. وحاولت أن أهرب من السجن، ولكن لم أوفّق. حيث كانوا يطلبون في كلّ مرّة شبابا مُتطوّعا لتوزيع الفحم الحجري. ومرّة من المرّات خرجت مع آخرين لنحصد العدس في مزرعة السجن. كنت أعمل وفي نفس الوقت حاولت أن أعثر على أيّ منفذ، أو واد، يُمكّنني من الهرب، ولكن لم أوفق. فالحراسة كانت مُشدّدة. كما أنني حاولت مرّة أن أهرب عبر المجاري، فدخلت واستعنت بصديق لي لحراستي. ولكن كانت في نهاية النفق قضبان حديدية، ولم نكن نملك وسائل قطعها ولا حتى خيطا من حرير. ففشلت مُحاولتي تلك.

تحدّثتم عن عملية دفن المساجين الشهداء، كيف كانت تتم، ومن كان يقوم بها؟

حضرت حالة سجين في البرواقية، استشهد تحت التعذيب والضرب بالعصي. وكنت أحد الخمسة الذين قاموا بعملية دفنه، ونقلوا جثته إلى مقبرة بمُحاذاة السجن، ودفناه هناك، وقلنا لحرّاس السجن أننا مُسلمون، وأننا نصلي على موتانا، فقالوا أنّ المرابط غسله وصلى عليه، وأنّ علينا قبره فقط. وكنا سننزل الحفرة لنضع جثته، وإذا بدمائه تسيل من الكفن، وتُبلل جسدي. فأدركت أنّه قتل تحت التعذيب، فتوتّرت أعصابي. وقمت بغسل أعضائي بدمائه، وكدت أفقد عقلي، ولاحظت بعدها أنّ الحرّاس لم يكتبوا اسمه على القبر، بل وضعوا عليه حرف "اكس"...نحن كنا "اكس" بالنسبة إليهم

متى أنهيتم مدّة السجن؟

بعد أن قضيت مدّة السجن، أي ثلاث سنوات. كان يوم إطلاق سراحي من السجن يوم 29 ديسمبر 1957. ولم يكونوا ليطلقوا سراحي، إذ أرادوا أن ينقلوني إلى مُحتشد، ولكنّ الثلوج المتساقطة حالت دون وصول شاحنة الدرك، فأطلقوني. ولكنني لم أنل حُرّيتي كاملة، فكما قدّمت، فقد حكم عليّ بثلاث سنوات سجن، و5 سنوات إقامة جبرية، و5 سنوات ممنوع فيها من حقوقي المدنية. ولو أننا لم نتمتع بهذه الحقوق التي تحدّثوا عنها منذ ولدنا في ظلّ الاستعمار

الغاشم!

هل عاودتم الاتصال بالمُجاهدين بعد وصولكم إلى تبسة؟

نعم ولكن ليس مُباشرة. ذلك أنني عندما وصلت اتجهت رأسا إلى بيت عمي. فقد كان الوضع سنة 1958 غيره في سنة 1954، كما قلت لك، كانت البلد في حالة حرب، وقُوّات الاحتلال في حالة استنفار دائمة.أمّا عمي الذي عمّر 106 سنوات، فقد وصلت إليه مساء. فقدّم لي الأكل، وقال لي أنّ أمامي خيارين، إمّا أن أبقى لأعيش معه، وأعمل. وإمّا أن أعود والتحق بالجبل. وأنا عندما خرجت من السجن كنت مُرهقا، ولم تكن صحّتي تسمح لي بالمشي ولو لـ500 متر. وبعد أيام، جاءني شاب كان جارا لنا. فقال لي أنّ الثوار أرسلوه ليعرض علي أن يعبر بي الحدود التونسية. قلت لا، وأنّ لديّ 3 خيارات، إمّا الالتحاق بالجبل، أو الاستشهاد، أو السجن.

لماذا رفضتم هذا العرض خاصّة وأنكم كنتم تحت الإقامة الجبرية، وكان من الصعب عليكم مُعاودة النشاط والتحرّك؟

لأنني لم أهضم فكرة الإقامة في تونس كلاجئ، وأرتاح هناك، فيما لا يزال وطني تحت نير الاستعمار، وليس مُحررا بعد.

فهل التحقتم بالجبل؟

فكّرت بداية في العمل من أجل لقمة العيش. ذهبت إلى شخص كنت أعرفه لأعمل معه كخياط. أعطاني ماكنة خياطة، فعملت معه، وصرنا نتقاسم الربح.

البعض يقول أنّ شُعلة الثورة انطفأت في تبسة في تلك المرحلة، فلماذا برأيكم؟

أجل. لم تكن هناك تبرعات، ولا نشاطات لفدائيين. والسبب يعود إلى أنها كانت في وضع صعب. فقوّات الاحتلال الفرنسي، كانت تقبض على كلّ من تشك فيه، وتعتقله من بيته ليلا، وتُعدمه، ثمّ ترمي جثته وسط المدينة، ويُنادون بعدها السُكّان لدفنه. هذا الطغيان أرعب المواطنين كثيرا، وصارت الناس تخشى من بعضها البعض. كما أنّ الجيش الفرنسي جمع سُكّان البوادي في المحتشدات القريبة من المعسكرات الفرنسية، وكلّ من يخرج لا بدّ أن يحصل على رخصة مكتوبة... كانت تبسة في تلك المرحلة عبارة عن مدينة أشباح، وعلمت، بعد عودتي إليها، أنّ الكثير من الشباب اعدموا وتمّ

رميهم في الشعاب والوديان. كلّ هذا جعل العمليات الثورية تقلّ.

نعلم أنّ الثورة كان لها كبير الأثر على السياسة الفرنسية، وتمكّنت من إرباكها، فكيف استطاعت أن تُزعزع الحكومات المُتعاقبة؟

أموال طائلة كانت تستنزفها حرب الجزائر، من العتاد الحربي، والمعدات البشرية والمادية المُسخرة. كلها كانت تُكلّف فرنسا الكثير من الأموال. حتى أنّ ثمن ما تدفعه فرنسا في حربها خلال اليوم الواحد بلغ آنذاك 2 مليون فرنك فرنسيا. والوضع في الجزائر، خاصّة منذ سنة 1954 إلى الأشهر الأولى من سنة 1958 أحدث زلزالا في السياسة الفرنسية. وقبل مجيء الجنرال ديغول كانت فرنسا تحت لواء الجمهورية الرابعة، وكان النظام برلمانيا، والحكومة كانت أقوى من رئيس الجمهورية. وفي كلّ مرّة كانت الحكومة تُحاول الاتّصال بالثوار، إلاّ ويقوم المُتطرّفون والعساكر بإسقاطها. وهذا حتى تاريخ 13 ماي سنة 1958 حيث قام المُعمّرون بمُظاهرات، وكان معهم فرنسيون، طالبوا بمجيء ديغول لأنّه يميني. وضغطوا على النظام الفرنسي والجمهورية الرابعة. فقدم ديغول وعُيّن كرئيس حكومة في البداية، وطلب صلاحيات مكّنته من تغيير الدستور. وعادت فرنسا إلى النظام الرئاسي. وزار ديغول الجزائر عدّة مرّات.

بماذا تميّزت سياسة ديغول في الجزائر عن سابقيه؟

تميّزت بالوحشية التي لم يسبق لها مثيل في سنوات الثورة، لقد كان ديغول أكثر المسؤولين الفرنسيين الذين ارتكبوا مجازر وعمليات عسكرية في الجزائر. وحاول بكلّ الوسائل الجهنمية المُحافظة على الجزائر فرنسية. فقام باستفتاء للجزائريين، أطّره العساكر والشرطة الفرنسية. وراح خلاله يحضر المواطنين، الذين يُعطونهم ورقة بيضاء ليضعوها في الصندوق. أحضروا الناس في الشاحنات، فكانت النتائج أن "وافق الجزائريون بنسبة 98 بالمائة على بقاء فرنسا" وهي أكذوبة لم يُصدّقها أحد. وكان رجال ديغول يُرغمون المواطنين على حمل الأعلام الفرنسية عندما يزور الجزائر، ويُصوّرونهم ليراهم العالم عبر الشاشات، وكأنهم يحتفلون ويرحبون بجلادهم وزاهق أرواحهم، وهذا في نفس الفترة التي قدم فيها ديغول مشروعه المُسمى "سلم الشجعان" التي قام فيها بأكبر العمليات العسكرية دموية سنة 1959، حيث أنّ العمليات لم تنقطع

لتسعة أشهر كاملة، كانت فيها الدبابات والطائرات تقصف. وهو أيضا من وضع خطي شال على الحدود الجزائرية التونسية.

في نهاية سنة 1958، أعلنت قيادة الثورة تأسيس الحكومة المؤقتة برئاسة فرحات عباس، فكيف كان أثر هذا الحدث على الوضع في الداخل، وعلى المناضلين خاصّة في تلك الفترة الحسّاسة؟

لقد كان ذلك حدثا هاما في تاريخ الثورة حيث أنه مُباشرة بعد الإعلان عن تأسيس الحكومة المؤقتة، اعترفت بها العراق، مصر، تونس، المغرب وليبيا، وفي 22 سبتمبر اعترفت أيضا بها السودان، والصين الشعبية. وكان أثر هذا الخبر قويا على الشعب، بالنسبة لي كنت أتابع الأخبار عبر الإذاعة، وأستمع إلى "صوت العرب" الذي كان يُبثّ من القاهرة، و"صوت الجزائر الحرّة" الذي كان يُبثّ من تونس، ويُقدّمه المُجاهد عيسى مسعودي. عندما سمعت ذلك الإعلان صرت أرى أمامي العلم الجزائري. وتخيّلته فوق كلّ البنايات الجزائرية. وأذكر مُناضلا يكبرني سنا، لم ينل حظا من العلم، وكان يشتغل خياطا، اسمه بلقاسم طرشان، هو من الجيل الذي سبقني في الحركة الوطنية. سألته عن تصوّره للاستقلال، فقال لي أني لا أفكر فيه قبل مرور 7 سنوات من القتال. كان هذا الرجل كأنه تنبأ بالحدث. ولأعود إلى سؤالك فأقول أنّ الإعلان عن الحكومة المُؤقتة أنعش الجو في الداخل سياسيا وثوريا. بل إنّ الناس بدأت تسترجع أنفاسها لتستنشق نسيم الحرية والاستقلال بعد أن كادت تفقد الأمل

كيف استقبلتم تشكيلة الحكومة المؤقتة الجديدة برئاسة فرحات عباس؟

المسؤولون الأوائل في الثورة، أي بوالصوف، بن طوبال، وكريم بلقاسم، اختاروا أن يضعوا على رأس الحكومة فرحات عباس لأنه يُمثل الاعتدال، وكان يُمكن لفرنسا أن تقبله كرجل مُفاوض لها. غير أنّ ديغول رفض أن يفاوض فرحات عباس، حسب معلوماتنا، وأراد أن يتفاوض مع شخص "متطرّف" مثله. أي من الذين كانوا في الحركة الوطنية.

حسنا، كيف عاودتم أنتم النضال، والاتصال بالمُجاهدين، وهل كان من السهل بث الحياة في قرية صارت، كما وصفتموها بـ"مدينة الأشباح"؟

بدأنا بث الحياة في المدينة بداية من سنة 1958، إذ كان هناك شاب يسكن بالقرب مني، اسمه عبد العزيز مراح، خرج لزيارة

أهله في البادية، فالتقى بأحد المسؤولين من المُجاهدين، فأعطاه صورا للفيف الأجنبي، وهم من أصل ألماني، كانوا يرتدون لباس جيش التحرير. وطلب منه ذلك المسؤول أن يُوزّع تلك الصور لتصل إلى عناصر من اللفيف الأجنبي في المنطقة، فيرون أنّ الأجانب أيضا يلتحقون بالثورة، علّهم يفعلون مثلهم، وهذا نوع من الدعاية. فحدّثهم الشاب (عبد العزيز مراح) عني، وأنا كانت لديّ علاقات مع شباب القرية، وكنت معروفا بمواقفي الوطنية. فاتصل بي وقمنا بالمهمة معا، واتصلت بدوري ببعض الشباب الذين أدخلوني إلى السينما المُخصّصة للجيش الفرنسي، وكان الظلام دامسا، فرمينا تلك الصور تحت المقاعد، وخرجنا. وفي اليوم الموالي ثارت المدينة، وطوّقت السلطات الشوارع، وبدأوا يبحثون عن الأشخاص المشكوك فيهم. خاصّة وأنّ أغلب من كان في السينما من اللفيف الأجنبي. وبعد مدّة وقع المجاهد الذي أرسل لنا الصور في كمين ضدّ الجيش الفرنسي. وخشي مراح أن يبوح بما حدث، وعمّن شارك في "عملية الصور" أمّا أنا فطمأنته أنهم لن يسمعوا مني ولا حرفا. ولكنه مع ذلك غادر الجزائر إلى فرنسا، واتصل هناك بفدرالية فرنسا، وبعدها ألقي عليه القبض.

هل اتصلتم بعد هذه الحادثة بمُناضلين من أجل استعادة النشاط؟

لقد كان الأمر صعبا، والعساكر يُحيطون بكلّ شيء. خاصة وأنّ المدينة تقع على الحدود التونسية، حيث كانت الحراسة مُشددة. إلى أن خرج بعض المساجين، وقدموا إلى تبسة، والتقينا لنُخطط لعمل نضالي، لأنني فكّرت أنه من العار أن تبقى تبسة بدون حراك ثوري. وفي أحد الأيام جاءني صالح سليماني، وهو أحد الأشخاص الذين تمّ اعتقالهم في سنة 1954. وكان صديقا مُقرّبا مني، ينتمي إلى قبيلة تقع خارج تبسة، ووالد زوجته يسكن في "تازبنت" في البادية، التي كانت من أهمّ المناطق الآمنة بالنسبة للثوّار. وذهب مرّة ليزور هؤلاء الأهل، والتقى صدفة في بيت عمّه بمُجاهدين. فقالوا له، بحسب روايته، أنّ تبسة صارت فيها ردّة. وأنهم يُفكرون في اقتحامها وإطلاق النار على سُكانها جميعا. فنفى أن يكون الوضع كذلك، وقال أنّ تبسة فيها مُناضلون مُخلصون قادرون على إعادة بعث النظام فيها. ثمّ جاء وقصّ عليّ ما دار بينه وبين المُجاهدين. وهنا أتيت بورقة ورسمت على أعلى اليسار منها العلم

الجزائري، وكتبت رسالة إلى قيادة الولاية الأولى لجيش التحرير، مُحتواها أننا مُناضلو تبسة نرى أنه من العار أن تبقى المدينة دون نشاط ثوري وسياسي، لذا نطلب منهم تزويدنا بالسلاح والوثائق، لنستطيع أن نجمع الاشتراكات من السكان، وتقوم بعمليات فدائية، ووضعت عليها أسماء 7 أشخاص ممّن أثق فيهم، وأعلم أنهم سيكونون أوّل المرحبين بفكرة عودة النشاط إلى المدينة.

ما هي أسماء هؤلاء الذين دوّنتم أسماءهم؟

كان من بينهم، على ما أذكر، صالح محفوظي، وهو مُناضل قديم، وعبّاس بو وشمة، والحسين بوزيدي. وغيرهم.

وكان من المفروض أن ينقل صالح تلك الرسالة إلى المُجاهدين...؟

أجل، وهذا ما فعله، إذ حمل الرسالة إلى المُجاهدين في "تازبنت" وسلّمها لهم هناك، فطلبوا منه أن يكون لهم معه لقاء آخر، على أن أُرافقه فيه. وبما أنني كنت تحت الإقامة الجبرية، ولم يكن لديّ سبب يُمكنني من التحايل على السلطات ومُغادرة الحي، فطلبت منه أن يُسافر، وحضّرت طريقة للحاق به مباشرة. فخرجت بلباسي المُعتاد، وحملت معي لباس راعي غنم، إذ انتقلت من تبسة إلى الحمامات، ثمّ تنكرت بزيّ الراعي، وقطعت الوادي، ومررت بمنطقة جبلية، وكنت أجهل المناطق التي يتواجد بها المُجاهدون. ولكن صالح كان قد وصف لي منطقة "تازبنت" وبحثت إلى أن عثرت على المكان، بعد أن كنت قد مشيت حوالي 14 كيلومترا. وكان صاحبي في بيت عمه، ومن هناك انتقلنا إلى بيت سيدة مُناضلة. ثمّ التقينا بالمجاهدين وتحدثنا معهم في كلّ الموضوعات التي تهمنا.

من هم هؤلاء المُجاهدون الذين التقيتم بهم؟

أوّل من التقينا به كان المسؤول العسكري للمنطقة السادسة، وهو علي بن يونس. وكان هناك أيضا مسؤول عسكري في الناحية وهو العربي بلخير. وآخر يُدعى بوجمعة. سهرنا حتى الفجر، وسألونا عن مطالبا، فقُلنا أننا نريد استعادة النشاط في تبسة لأنها ليست مدينة مُستسلمة. فكوّنوا لجنة عسكرية لمدينة تبسة. وعُيّن صالح رئيسا لهذه اللجنة، وأنا عُيّنت نائبه، مسؤول عن التنظيم. وباقي الأعضاء الذين دوّنا أسماءهم على الورقة الصغيرة التي

حدّثتك عنها، فعُيّنوا كمسؤولين عن النشاط السياسي. وعُدنا إلى تبسة ببعض الدفاتر التي تُمكّننا من جمع التبرعات، وفرح المسؤولون الذين دوّنا أسماءهم، وشكرونا على ثقتنا بهم.

كيف تمّ تنظيم المدينة سياسيا وعسكريا؟

كانت البداية بالجانب السياسي، وقسّمنا المدينة إلى أحياء، وكلّ منطقة عيّنا عليها مسؤولين، لجمع التبرعات والاشتراكات. وأقول لك أنّ تبسة كلها التفت حول التنظيم، وراحت تدعم الثورة ماديا، ولو جيستيا. وحتى عائلات بني مزاب، الذين كانوا تُجّارا بالدرجة الأولى ساهموا بما يستطيعون. ففي تبسة كانت هناك 15 عائلة من بني مزاب، وكانوا يخشون على تجارتهم. ولكنهم أناس وطنيون. أقول هذا لأنني رأيت قبل الثورة أبناءهم يُردّدون أناشيد وطنية. إذ أنهم يُربون أبناءهم على حب الوطن. وقمت في البداية بالاتّصال بثلاثة منهم، الأوّل اسمه قاسم مصباح، والثاني احمد لزعل، والثالث بابا أوسماعين. ولقد كنت واثقا بأنّ وطنيتهم ستمنعهم من إفشاء سرّ لقائي بهم، كما أنهم كانوا يعرفونني، وأنني في حالة ما إذا اعتقلت، فمهما تعرّضت للتعذيب فلن أبوح باسم واحد منهم، مثلما كان الحال لدى اعتقالي سنة 1954. أخبرتهم أنّ المطلوب هو دفع اشتراكات، فقال احمد لزعل أنه يثق في الجميع إلاّ واحدا، كان قد اعتقل في وقت سابق، وباح بأسرار لفرنسا. وأضاف قائلا أنّ اشتراكات بني مزاب كلها سأجدها عنده. فقلت له بدوري أنني سأرسل مُستقبلا شخصا اسمه حسين بوزيدي، هو من سيتولى مهمة جمع الاشتراكات والتبرعات

متى عاد النشاط السياسي لمدينة تبسة؟

في بداية سنة 1959 انتعشت المدينة سياسيا. وكنت أذهب أسبوعيا، تقريبا، إلى قرية الحمامات، وأتجه إلى البادية، والتقي مع المجاهدين، وأعرض لهم حال المدينة. وأعود مع ساعة الفجر لألتحق بالمحل الذي أشتغل به. هذا كله قبل البدء في العمل العسكري.

حسنا، فكيف انتقلتم إلى العمل المُسلح في المدينة؟

طلبنا من المجاهدين في المنطقة تزويدنا بالسلاح والمسدسات والقنابل اليدوية. وبدأنا نُخطط لعمليات تُرعب المُحتل في تبسة

وضواحيها. وتنغصّ عليهم تلك الراحة التي نعموا بها لفترة في المدينة. رغم أنّ العساكر الأوروبيين كانوا أكثر منا نحن سُكّان المنطقة. وهذا بسبب تواجد المدينة على الحدود. حيث كانت منطقة الماء الأبيض مركز المؤونة لـ5 آلاف عسكري فرنسي. وفي14 جويلية وهو عيد للفرنسيين، قرّرنا أن نُرعبهم. فرمينا قنبلة يدوية في حفل راقص.

من الفدائي الذي قام بالعملية، وكيف نُفذت؟

الفدائي اسمه مدني طابش، كان يشتغل معي خياطا، ومُساعدا لي. وكانت لديه خصلة جميلة وهو أنه كتوم. وشعرت لوهلة أنه على علم بنشاطي. فقلت له أنني على علم بإطلاعه على أمري. وسألته فيما إذا كان جاهزا للقيام بعملية فدائية. فأجاب أنه مُستعد للموت من أجل الجزائر. وأكد لي أن سريّ محفوظ، ولم يبح به لأحد. أخبرته عن عملية المرقص فأبدى استعداده لها. فكلّفت شبانا لحراسته، وأوصيتهم إذا ما رأوا شابا يركض، ورأوا أحدا يتبعه يُعرقلونه. كنت أحرص على أن لا يقع الفدائي الذي أرسله في يد العدو. وفعلا، فعلى الساعة العاشرة ليلا، جاء الشاب، وكنت رسمت له الطريق التي يمرّ بها، والبيت الذي يختبئ فيه في حي بوحبة. قلت لصاحبه أن يترك باب بيته مفتوحا تلك الليلة فقد يأتيه ضيف. وقام الفدائي الشاب مدني بالمُهمّة على أكمل وجه، وأمضى الليلة في بيت الرجل دون أن ينام، وفي الصباح ذهبت إليه، وقلت له أنه لم يرم القنبلة، فأراني خاتمها، فقلت له أنّ العملية فشلت، وفعلت هذا لكي لا أُخيفه. وأرسلته إلى مزرعة شرق مدينة تبسة تُدعى "بكارية" لدى مُناضل لأسبوع، لكي أبعد عن نفسه الخوف. ثمّ أرسلت في طلبه، وعاد إلى عمله، وبعد فترة معينة، سلمت عليه، وقلت له أن مُهمته كانت ناجحة، وهذا ما جعله يقوم بعمليتين أخريين

حسنا، بعد مؤتمر الصومام بدأت تطفو على السطح ما سُمي بقضية "السياسي والعسكري" ما رأيكم في الخلاف الذي وقع حول هذا الموضوع؟

برأيي لا يُمكن أن نفرّق بين السياسي والعسكري. فكل واحد يحتاج إلى الآخر. فالسياسي لا يُمكن أن يفعل شيئا دون العسكري، ونحن حاولنا قبل الثروة أن نصل إلى حل مع فرنسا، ولكن لم نُفلح. كما لا يُمكن للعسكري أن يُحقق تقدما دون نشاط سياسي. أي

أنّ العملين مُرتبطان ولا يُمكن فصلهما عن بعضهما البعض، أو تقديم أحد على الآخر. وهذا الخلاف الهامشي أضرّ بالثورة كثيرا. وبسببه وقعت خلافات وعمليات تصفية مؤسفة جدا.

كيف تمّ القبض عليكم للمرّة الثانية؟

كنت أعدّ التقارير الشهرية، وسهرت إلى غاية الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، وكنت تعبا، فتركت كلّ الوثائق موضوعة أمامي، حتى أجمعها في الصباح. أمّا القنابل اليدوية فكنت أخفيها في المرحاض. دخل العساكر فجأة وكانوا حوالي ستة أو سبعة أفراد، جمعوا كلما كان عندي من دفاتر. وكانت هناك حقيبة مليئة بالوثائق المختومة بأختام المنطقة والناحية، فأخذوا كلّ شيء. ولكنهم، ولحسن الحظ، لم ينتبهوا للقنابل. أخذوني إلى زنزانة المركز داخل المدينة. أذكر أنني كنت أرتدي قشابية، دعوت وقلت:"اللهم اجعل لي سكينة" وبمجرد أن قلت هذا نمت بهدوء. وعلى الساعة الثامنة قدموا ليأخذوني، إلى معسكر فيه المناضل عبد السلام بوخشم الذي كان موقوفا، وينشط مع المنطقة الخامسة. دخل علينا عميل مدني أراد أن يُحدّثني قال لي أن وضعي صعب، وقال أنه التقى بجماعة من تبسة، منهم الحاج سعد الله، وهذا الأخير مُستعد لكي يدفع خمسمائة ألف فرنك لكي يُساعدني على الهرب، فقلت له أن أي شخص يدفع عني فرنكا واحدا، فعندما أخرج سأصفيه هو الأول، لأنّ هذا نوع من الفساد، فكيف يخرج من يملك أموالا، والذي لا يملك شيئا يقتل وترمى جثته في الشارع؟ ثمّ قدم ضابط صف نقلني إلى مكتب النقيب سماتي، وكان وراءه العلم الجزائري، جلست، فأعطاني قهوة، وقال أنه يريد مُساعدتي، وأنّ عليّ أن أدله على المناضلين لكي يُحذرهم فيفروا. وكانت خدعة منه لاستدراجي في الحديث، قلت له أنّه يعلم جيدا (هو الذي اخترق صفوف الثوّار من قبل أن يتعامل مع فرنسا) ما معنى أن يبوح السجين بالأسرار، فإنه يُصبح حينها خائنا، قلت أنني قبل أن أسجن كنت مسؤولا، أمّا الآن فأنا سجين، وأيّ حديث يصبح خيانة، فأعادني إلى الزنزانة، وكان الجوّ باردا، والثلوج تتساقط. وبعد حوالي أقلّ من نصف ساعة حان وقت التعذيب، إذ أخذوني إلى حوض فيه ماء بارد، والصقوا بجسدي كوابل كهربائية حتى أفقد وعيي. وكانوا يُكرّرون هذا، حتى أنني صرت،

ومن شدّة الألم صرت أهذي فأشتمهم وأشتم "الفلاقة" معا. كانوا يُعيدونني إلى الزنزانة لمدّة، ثمّ يعودون ويعذبونني، ويسألونني من حين لآخر عن تلك الوثائق فأجيب في كلّ مرّة أنّ جماعة أتت بها، وأنها ليست لي، وأنني كنت نائما ولا أعرف شيئا. ثمّ نقلوني إلى مصلحة أخرى، لأمن الجيش الفرنسي، وكان المسؤول يعرفني. وكانوا يُعذبونني، وأقول دائما أنها مؤامرة حيكت ضدّي. وبقيت تحت التعذيب 17 يوما، ينقلونني من مصلحة لأخرى، إلى أن انهارت صحّتي، فقاموا بإيداعي مُعسكرا في تبسة مع المساجين. وكانت هناك قاعتان، واحدة فيها أسرى جيش التحرير، وأخرى فيها المُناضلون والفدائيون وأنا معهم. بما أنني كنت في المدينة وضعوني مع المُسبلين والفدائيين. وكان يُقاسمني السجن مقداد جدي، من مدينة الشريعة التابعة لتبسة، وهو قائد المنطقة الثالثة، وكان مُعتقلا للمرّة الثانية. أخبرته بنيّتي في الهرب من السجن، وأصررت على ذلك، حتى صرت أضرب رأسي على الجدران

كيف تمكّنتم من الهرب؟

كان بناء السجن من الأحجار الرومانية. وكانت هناك غرفة صغيرة عبارة عن مخزن للباس المساجين. عندما رأيت ذلك المعمل فكّرت في خطة للهرب. إذ وجدت به ساطورا ومسمارا كبيرين. استعنت بأحد المجاهدين، وهو شريف بن جوع الذي كان يحرسني أمام الباب أثناء عملية الحفر، فإذا رأى عسكريا يُطفئ النور ويُشعله. أنا بقيت أحفر لأسبوع. حتى حفرت حوالي 60 سنتمترا. ولكن كان هناك جدار آخر مصنوع من الطوب، وهو حائط المستشفى المُحاذي للسجن، وكان يُؤدي إلى غرفة لمرضى عقليا. فاشتغلت طويلا، ولم يُشاركني في الحفر أحد. كسرت الطوب حتى تركت حوالي 5 سنتيمترات. ثمّ أرسلت إلى بعض الأخوات ليُحضّرن لنا خمسة ملاءات وعجارا (مما يرتدينه النساء عندنا) حتى نستطيع الفرار دون أن ينتبه لنا أحد. وأرسلت لبعض المُناضلين لكي يُوقفوا العمليات في المنطقة حتى لا يُثيروا حالة استنفار في الجيش الفرنسي، وحتى تسهل علينا المُهمة حينما يحين موعد الهرب. ثمّ ساعدنا أحد الإخوة يدعى المولدي، وهو شاب مُناضل كان معي في الكشافة. طلبت منه أن يُنجز لنا خريطة عليها رسم الغرفة والمستشفى، فأنجزها واشتغلنا عليها. وكان ذلك في

شهر رمضان، وكنا صائمين، واتّفقنا أن نهرب مع آذان الإفطار، لأنّ الحركة تخف وطلبت من سائقين اثنين أن ينتظرانا، الأوّل اسمه شاوش باشا، ويملك سيارة أجرة، وثاني يُدعى بوالسعد، وهو الآخر سائق سيارة أجرة. طلبنا من الاثنين أن يحضرا أمام المستشفي، ولم نُخبرهما بنوع المُهمّة، بل قلنا لهما أنهما "سيستلمان بعض الأشياء الهامّة".

ألم تقولوا لهما الحقيقة؟

لا، فعلنا هذا حتى لا نُخيفهما، فيتراجعان في الوقت المُحدد للعملية. ولما كسرنا ما تبقى من جدار السجن المؤدي إلى غُرفة المستشفى، وقعنا على مرضى عقليا، فقال أحدهم لصاحبه:"قوموا هاهم هجموا علينا" فالمسكين لا يزال ذهنه مُرتبطا بالأحداث الثورية، وقد يكون أحد المساجين السابقين الذين تمّ تعذيبهم حتى فقدوا عقلهم. قال له مقداد:"اسكت أنا قائدك" فهدأ المريض. فخرجنا الواحد تلو الآخر. خرجنا من المستشفى، ركبنا السيارة، وبالصدفة كانت هناك سيارتان للشرطة العسكرية من نوع "الجيب" في الطريق الرئيسي، فطلبت من السائق أن يسير وراء الأولى. وهكذا فعل. وبما أنّ الشرطة العسكرية لم تكن تتجاوز حدود المدينة، فإنها عادت، أمّا نحن فواصلنا السير. تركنا السيارة بعدها، وبدأنا بالمشي من الساعة السابعة مساء إلى الرابعة صباحا، ومع الفجر عثرنا على خيول، ذلك أنّ الناس كانوا يتركون خيولهم تسرح في العراء. وأوقفنا بعض الأحصنة وامتطيناها. وواصلنا طريقنا إلى أن وصلنا إلى بيت أحد المُناضلين، وهو عبارة عن مركز اتصال. فناداه شريف فخرج، ولكنه كان خائفا، ولم يثق فينا في البداية، خاصّة وأنه يعرف شريف، ويعلم أنّ الفرنسيين قاموا باعتقاله، وأنّ مجيئه ليلا مُثير للشُبهات. ولهذا فعندما سأله شريف عن المجاهدين أجاب الرجل بأنه لا يعرف أحدا. وطلب منه شريف طعاما، ومكانا للراحة فقال أنه لا يملك شيئا. فذهبنا لحالنا، ولكنني فكرت في أنّ الرجل قد يكون خائفا، فاقترحت على شريف أن يُعرّفه بنا، خاصّة وأنّ مقداد جدّي كان رئيس منطقة معروف، وأنا أيضا كنت معروفا، فيشرح له وضعنا كفارّين من السجن. عُدنا إليه، ولكن هذه المرّة صدّقنا.

واحتفى بنا وذبح خروفا، ووفّر لنا مكانا نرتاح فيه

هل بحث عنكم الفرنسيون؟

نعم لقد كانت القوّات الفرنسية بكاملها في حالة استنفار من أجل العثور علينا، وبحثوا في كلّ منطقة. كانت تلك أوّل مرّة تُفتش فيها تبسة بيتا بيتا، ولم يُفكروا في أننا ابتعدنا، خاصّة وأنني كنت مُريضا ومُرهقا من كثرة التعذيب، وكذلك أحدنا كان معطوبا في رجله. ولما بدأ الجيش الفرنسي ينتشر قلنا للرجل مُضيفنا أنّه علينا فعل شيء، وأننا لسنا في مكان آمن، فقال أنّه يملك مخبأ، ولكنه لن يرينا إيّاه إلاّ إذا اقترب الجيش الفرنسي، لأنه كان مخبأ سريا. ولحسن الحظ، لم يقترب الجيش الفرنسي من البيت. ومع الغروب قدم جيش التحرير، وكانوا حوالي 40 مجاهدا، يرتدون ألبسة مدنية. وكان البعض منهم راكبا. تجمّعوا مع المسؤول العسكري للمنطقة. وصلوا عندنا فجمعنا مسؤول المنطقة بلقاسم بوزيدي، وأرسل مع كلّ واحد منا خمسة أفراد، وجعلهم مسؤولين على حمايتنا. وبقي بحث القوّات الفرنسية عنا جاريا لأسبوعين كاملين، وعندما هدأت الأوضاع تفرّقنا، أنا بقيت في الناحية، وانتقل الأربعة الآخرون إلى مقرّ الولاية التي كانت تحت قيادة الطاهر زبيري آنذاك. ثمّ تمّ تعييني كمُحافظ سياسي في القسمة الثانية لمنطقة بحيرة لرنب والماء الأبيض، الذي به معسكر من 5 آلاف عسكري، وجبل بوجلال القريب من الأسلاك الشائكة للحدود

كان الفدائيون يُحاربون فرنسا، ولكن أيضا كانوا مُجبرين على الاحتياط من العملاء، فما هي الإستراتيجية التي كنتم تتعاملون بها معهم، لاتقاء شرّهم، وهل سبق أن نُفذ في أحدهم حكم الإعدام؟

عندما أعدت التنظيم أبلغني المُجاهدون أنّ منطقة بحيرة لرنب فيها الكثير من العملاء، كما أعطوني أسماء بعض المشتبه فيهم لمُحاربتهم استعملت سياسة خاصّة، فعوض أن استبعدهم، صرت أختبئ عندهم بعد كلّ عملية. إذ كنت أجتمع بالمُواطنين، وكنت أجول في كامل أنحاء القسمة، وأزور كلّ البيوت. كنا نعمل ليلا، ونختبئ خلال النهار. وبعد كلّ نشاط، وفي ساعة الفجر أقصد بيتا من بيوت هؤلاء المشتبهين لأستريح عندهم. كانت هذه السياسة

التي انتهجتها معهم موفقة جدا، حيث كنت أقول لهم أنّ الإخوة يشكّون فيكم، وأنني بعد التحرّي اكتشفت أنكم وطنيون، وأنه يُمكن لي أن أنام عندهم، وأثق فيهم. بل وكنت أكلّفهم بأن يجمعوا المعلومات من الماء الأبيض عن الأعداء والخونة.

ألم تكونوا تخشون أن يشي أحد منهم بكم؟

لا، أنا كنت أذهب لأرتاح في بيت الواحد منهم، وهو يذهب إلى السوق، وعائلته وأبناؤه معي، أقول له أنه في حالة أتى العدو لن أستسلم أنا وعائلته، ولهذا يُصبحون عاجزين عن التبليغ، وصرت أنام بدون خوف.

في تلك الفترة لم تكن هناك مُحاكمات، ولهذا كان صعبا إثبات تهمة العمالة على أي شخص، فهل كانت الأحكام تطبق لمجرد الاشتباه؟

هذا السؤال من الصعوبة بمكان. ذلك أنّ الأخطاء لا بدّ أن تقع، خاصّة وأنّ الكثير من المجاهدين كانوا يفتقدون للوعي السياسي الذي يُمكّنهم من التصرف بحكمة في بعض المواقف. وآنذاك ارتكبت بعض التجاوزات، وربما خطايا في حق مواطنين اعدموا. وأدعو الله أن يرحمهم ويحتسبهم من الشهداء، ويغفر لمن نفذ فيهم أحكاما عن جهل، أو قلة دراية. كانت حياة الجبال والمُجاهدين قاسية، وانعكس ذلك على تصرف البعض منهم، وعلى القرارات التي يتّخذونها. أضف إلى ذلك نقص التكوين وتفشي الأمية والجهل. وليست الأحكام الخاطئة هي وحدها التي أضرّت بالمواطنين العزل، بل أقول أنّ هؤلاء كانوا يتحمّلون الجزء الأكبر من العبء. كيف لا؟ وقد كانت السلطات الفرنسية بعد كلّ عملية يقوم بها المجاهدون تقتحم البيوت، وتُسلّط أشدّ العقوبات على السكان العزل، فتعتقل، وتعذب، وتقتل، وتنتهك الحرمات. كلّ هذا كان قد عاناه المواطن. وتحمله ببأس وجلد لا يقلان عن بأس وجلد المجاهدين في الجبال، أو أكثر خطورة.

أُثير كثير من الحديث حول ما أُسمي بـ"المجاهدين المزيفين" في رأيكم سيدي العقيد محمد الطاهر عبد السلام، ما هي خلفيات هذه القضية، ومن وراءها، والمسؤول عنها؟

بعض الإخوان ارتكبوا أخطاء يرونها هينة، وهي عند الله عظيمة، أعطوا شهادات لناس ليس لهم علاقة بالثورة، فقط لصلة

قرابة أو طمعا في شيء مادي

هل يُمكن اليوم مُعالجة هذا الإشكال؟

لا بدّ من إرادة سياسية، ولم لا، أدعو كلّ مُجاهد ارتكب خطأ في هذا الاتجاه أن يُحاول إصلاحه. ويجب أن يعلم أنه إن فعل، فإنه مكن غيره من تبديد أموال عامّة منذ الاستقلال...وهذا أمر جلل.

هل حدث وأن طلب منكم مواطن أن تمنحوه شهادة؟

أجل. حدث هذا معي. لكن والحمد لله لم أفعل إلاّ ما يُرضي ضميري. عندما كنت مشرفا على فدائيين، كان يأتيني شباب ويطلبون مني تكليفهم بمهام. ومرّة كلفت أحدهم وكان خياطا، كلفته بتصفية عميل يُدعى "دفدوف". سلّمت له مسدسا ووفرت له شابين لحمايته، وطلبت منه أن يُطلق عليه الرصاص، وسيأتيه من يستلم المسدس منه، فذهب الشاب، وكان سيُطلق النار، لكنه لم يفعل، إذ ارتبك وخاف. وجاءني وصارحني بذلك، فلم أقل له شيئا، وأعفيته من العمليات الفدائية، وصرت أكلفه ببعض المهام البسيطة. وبعد الاستقلال جاءني، وطلب مني أن أمنحه شهادة فدائي. في قرارة نفسي فكّرت في أنه يستحق العرفان لأنه كان تحت تصرف النظام. لكنني قلت له أنني سأكون شاهدا على الدور الذي قام به لا أكثر ولا أقل، فغضب مني وغادر. ولم يتحصّل بالتالي على تلك الشهادة.

38

أحمد بن نعمان

"الخونة أطالوا عُمر الثورة لسنوات ولولا الإسلام لما ثار الجزائريون تحت لواء الجهاد"[1]

---

1 نشر بتاريخ 26 نوفمبر 2012.

نستضيف في هذا الحوار المتنوع والشامل المجاهد الدكتور احمد بن نعمان، وهومن أصغر جنود جيش التحرير الوطني بالولاية الثالثة، عمل مُرافقا وكاتبا لمسؤول مصلحة الحبوس، بالناحية الثانية (المنطقة الرابعة) جرّب الاضطهاد والاعتقال وحالة الفرار والتشرد والتخفي عن أنظار العدووأعوانه... حدثنا ضيفنا عن أهم العمليات التي وقعت في الولاية الثالثة مثل "العصفور الأزرق"، وعملية المنظار ومؤامرة الزرقاء (لابلويت) ومُخططات الجنرال ديغول الجهنمية، وما انجرّ عنها من تبعات ما تزال الجزائر تعاني منها حتى الآن، كما وصفها في مذكراته "الأمل"!..وضع محاورنا البندقية عندما حضر القلم، لاستكمال ما يراه الأهم من مراحل الجهاد الوطني لتأكيد أوراق الجنسية بثوابت الهوية حسب النصوص "النوفمبرية"، التي تحول دون استبدال "فرنسا الجزائرية" بالجزائر الفرنسية، التي يُحاول من يسميهم ضيفنا "نوّاب الفاعل" تحقيقها بعد نصف قرن من خروج العدو الظاهر، على اعتبار أن كل بلد محتل حتى يثبت استقلاله بالفعل وليس بالقول!. حاولنا حصر مسيرة الرجل الجهادية والنضالية الماضية ومواقفه الحالية من المتغيرات الثقافية والسياسية الوطنية والقومية بكثير من التركيز والشمولية والتنوع في هذا اللقاء الشيق والمثير الذي نتركركم تتابعونه، وهو حصيلة حوارين سابقين جمعناهما معا لأهمية موضوعهما راهنا ومستقبلا، وكان الأوّل قد أجريناه معه في صحيفة "أخبار الأسبوع" في 2010/12/02 والثاني في يومية "الجزائر" على حلقتين متتاليتين ليومي 26 2012/11/27 وكِلا المقابلتين تتكاملان مبدأ وغاية، وطنيا وقوميا، ثورة واستقلالا، سياسية وثقافة.

كثر الحديث في الآونة الأخيرة عن "أزمة هوية"، فهل نعاني فعلا من مشكل هوية؟!أم أن الأمر لا يعدو أن يكون زوبعة في فنجان؟

إن سؤالك يتفرع إلى شقين وبالتالي فالإجابة عنه تكون على كلا الشقين معا لاستخلاص الإجابة الكاملة على السؤال ككل.

فالشق الأول هو عمّا إذا كانت هناك فعلا أزمة هوية وبالتالي هل نعاني نحن من هذه الأزمة التي عبرت عنها بمشكل هوية، ونعتقد أنك تقصد الوطن الجزائري، فمن هذه الناحية أقول لك نعم، توجد أزمة أو مشكل هوية كما عبرت عنه، وهذا المشكل دخيل وطارئ ومستحدث نتيجة إيجاد عوامل واصطناع مشاكل، لتحقيق غايات وبدائل!!

اسمح لي أن أقاطعك، من هم هؤلاء المصطنعون وما هي تلك الغايات التي يهدفون إليها!؟

من ناحية معرفة من هم فأنا أعطيك مواصفات المستفيدين من الجريمة، اعتبارا أن الأهداف الكبرى لابد لها من أسلحة متناسبة مع حجم الاستفادة، ومع الفعل والغاية التي تبرر الوسيلة... عملا بالمبدأ الميكافلي المعروف!

والمستفيد الأول من خلق هذا المشكل في الجزائر هو العدو الثابت والدائم لها وهو فرنسا المعتدية التي ظلت طوال وجودها المادي والعسكري على الأرض، تنفي أن يكون لهذا الوطن ولهذا الشعب هوية مغايرة لهوية الشعب الفرنسي، وظلت إلى وقت قريب جدا تستميت في الدفاع عن الجزائر الفرنسية، وما لم تحققه بالفعل المباشر الذي طال 130 سنة تريد أن تحققه اليوم بوسائل وبدائل جديدة لوكلاء أو مقاولين من الداخل ممن أسميهم "نواب الفاعل".

هل يمكن أن توضح لنا ذلك بأمثلة من الواقع المعيش؟

نعم ويمكن أن أعتبر الجواب عن سؤالك هذا تكملة أو استرسالا لإجابتي عن سؤالك السابق لأننا لم نخرج بعد من مشكل الهوية، والذين كانوا وما يزالون يقفون وراءه بكل الوسائل المرئية والخفية!!

فالمثال الذي طلبته مني آخذه لك من فم رئيس دولة الاحتلال الفرنسي ذاته، الذي فاوض قادة الثورة على الاستقلال منذ 50 سنة تقريبا، وأمامي هنا كتابه (الأمل) الذي يقول في ص 49 منه حرفيا "ستبقى الجزائر فرنسية"، وإذا عرفنا أن هذا الكلام كتب وطبع سنة 1969، أي بعد استقلال جنسيتنا الورقية، عن فرنسا،

بسبع سنوات على الأقل!! أدركنا أن فرنسا خرجت عسكريا وشكليا لتبقى لسانيا وثقافيا! مراهنة على تغيير مقومات الهوية الوطنية المرتبطة دوما بالجنسية سلبا وإيجابا، حضورا وغيابا، وهو ما يعطي أهمية كبرى ووجاهة لسؤالك هذا الذي أتحت لي به فرصة لأوضح من خلاله بعض الأمور التي أريد لها أن تبقى غامضة على شبابنا الوطني والأصيل وريث ثورة نوفمبر، وليس وريث مؤامرة أكتوبر أو ديسمبر؟!

وما دمت قد طلبت مني أمثلة للتدليل على ما أقول فلا أجد أفضل من كلام آخر للجنرال ديغول الذي يربط فيه مستقبل فرنسا في الجزائر ببقاء استعمال اللغة الفرنسية في إدارتنا والتي سوقها لبعض أتباعه "كغنيمة حرب" ومن ثم بقاء الثثقافة الفرنسية التي تعتبر جوهر الهوية الفرنسية حيث يقول الجنرال بالحرف الواحد في نفس الصفحة "وهل يعني ذلك أننا إذا تركناهم يحكمون أنفسهم يترتب علينا التخلي عنهم بعيدين عن أعيننا وقلوبنا!؟" (بعد أن يطرح هذا الاستفهام التعجبي؟ يجيب مباشرة بقوله) "قطعا لا"! (ويعلل ذلك النفي بقوله) "فالواجب يقتضي منا مساعدتهم لأنهم يتكلمون لغتنا ويتقاسمون معنا ثقافتنا"، وهنا بيت القصيد الذي تسألني عنه، ويُعتبر جوابا لك بقوله "لأنهم يتحدثون لغتنا ويتقاسمون معنا ثقافتنا"، وهذا معناه في علم السياسة والأنثربولوجيا الثقافية، هو أنّ ثوابت الهوية الفرنسية في الجزائر على أحسن ما يرام، ما دامت الثقافة الفرنسية بخير، ذلك أنّ الأمم هويات وليست جنسيات، والهويات ثقافات، والثقافات ليست أعراقا وجغرافيات وإنما هي السنة وعقائد وسلوكات وديانات تميّز الشعوب والقوميات بعضها عن بعض، وهذا هو العامل الأساسي (اللغوي والثقافي) الذي يُراهن عليه مهندس اتفاقيات إيفيان بكل ثقة، لإبقاء الجزائر فرنسية، كما سبق قوله السالف الذكر في نفس الصفحة من الكتاب المذكور ومن الأدلة التي أسوقها لك هنا لتأكيد هذا الطرح هي:

أولا: قول الجنرال ديغول في الفقرة السابقة "إذا تركناهم يحكمون أنفسهم" فهو لم يقل يستقلون وإنما "يحكمون أنفسهم" أي أن ما يظنه بعض صغارنا استقلالا هو يعتبره نوعا من الحكم الذاتي (على غرار غزة وأريحا في الضفة الغربية المحتلة).

ثانيا: عندي وثيقة أخرى تتمثل في تصريح لميشال دوبري (رئيس وزراء فرنسا) بتاريخ 20 مارس 1962 (أي اليوم التالي لإعلان توقيف الحرب مع قادة الثورة وهو يوم 19 مارس) وذلك في خطاب له أمام أعضاء البرلمان الفرنسي يقول فيه بالحرف الواحد: "إن التطورات في الأراضي المستعمرة تتطلب منا أن نواصل، بطرق جديدة، المهمة التي بدأناها منذ 132 سنة!".

ثالثا: هناك قول آخر موثق للجنرال ديغول موجه لأحد مقربيه أثناء مفاوضات الاستقلال في إيفيان بقوله:"لو يتعين علي أن أختار بين البترول والفرنسية فإني أختار الفرنسية" ويمكن في هذا الخصوص مراجعة مذكرات المرحوم سعد دحلب "مهمة منجزة" ففيها الشيء الكثير حول هذا الموضوع.

ها أنت ترى إذن موضوع الهوية الوطنية في الجزائر اليوم ليس زوبعة في فنجان وإنما هو مشكل ظهر مباشرة بعد الاستقلال (بفعل الفاعلين) ليصبح مشكلة وطنية. بعد أن كانت الهوية عندنا طوال عقود الاحتلال سلاحا في أيدي الوطنيين لمحاربة المحتلين والتي يعود الفضل الأول بعد الله لهذه الهوية، لاسترجاع السيادة ومثلما هي مشكلة للجزائر، فهي مشكلة لفرنسا أيضا على تراب وطنها، والدليل على ذلك أنها ولأول مرة في تاريخها تحدث وزارة في حكومتها الحالية تسمى "وزارة الهوية والهجرة"، ولا أظن أن ربط الهوية بالهجرة هناك يحتاج إلى كثير من الذكاء لإدراك علاقتها بهويتنا هنا وباللغة الفرنسية التي راهن عليها الجنرال ديغول وكل من أتى بعده ولي كلام كثير موثق حول هذا الموضوع يتعلق بعلاقة اللغة الوطنية بالهوية.

إن هذه الجملة الأخيرة تستدعي سؤالا آخر عن معنى هذه الهوية التي تربطها أساسا باللغة، فهل هي ذات مفهوم واحد أم هي تختلف من أمة إلى أخرى؟

إن الهوية من ناحية المصطلح هي ذات مفهوم سياسي ثقافي واحد في كل أقطار العالم وإنما الذي يختلف في الهوية من أمة إلى أخرى، هو مكوناتها أو مقوماتها الأساسية التي لا توجد هوية وطنية بدون توفرها في هذه الأمة أو تلك، وكما سبقت الإشارة بأنّ الأمم هويات والهويات ثقافات فإن هذه الهويات تكون بالضرورة مختلفة باختلاف الثقافات بثوابتها العامة (ومنها اللسان)، وليست بتفريعاتها الشعبية أو الفلكلورية المتنوعة والمختلفة محليا من جهة

إلى أخرى حتى داخل الوطن الواحد، فضلا عن الأمة الواحدة التي قد تكون مكوّنة من عدّة دول وأوطان!.

قبل أن تعرفوا لنا هذه الهوية التي قلتم بأنها واحدة من ناحية المصطلح والمفهوم، فهل لكم أن توضحوا لنا كيف أنها واحدة ومختلفة في الوقت ذاته من أمة إلى أخرى، ثم أنها تتكون من العموميات والثوابت ولا تتعارض مع الخصوصات المحلية داخل الوطن الواحد؟

انطلاقا من قولنا السابق بأن الأمة هوية والهوية ثقافة، (وليست عرقا) فإن الثقافة من خصائصها العامة والعلمية أنها كلها مكتسبة، أي يكتسبها الإنسان ويتوارثها اجتماعيا عبر الأجيال، مثلما يكتسب اللغة ويعتنق الدين، ويتبنى القيم التي يقرها العرف العام. فالثقافة لا تمت بصلة إلى المسائل الغزيزية والجسدية للفرد، وبالتالي فالهوية بنت الثقافة، وتتبعها وقد تتغير من النقيض إلى النقيض أحيانا إذا تغير لسان الأمة أو تغير دينها أو تغير الاثنان معا كما وقع للشعب الأندلسي بعد سقوط غرناطة سنة 1492،ومن هذا المنطلق يتم الفرز بين الثقافة كظاهرة إنسانية عامة يتميز بها بنو البشر عن سائر المخلوقات حتى أن بعضهم يعرف الإنسان بأنه حيوان ذو ثقافة مثلما يعرفونه بأنه حيوان ناطق، ولقد أشرنا قبل حين إلى العلاقة بين الثقافة واللغة بلسان الجنرال ديغول ذاته والذي يعنينا على وجه التحديد هنا هو الثثقافة النوعية التي تنقلنا من ظاهرة النطق إلى نوع اللغة أو من الاعتقاد إلى نوع الدين، ومن العلاقة الاجتماعية إلى نوع العلاقة، والقيم الاجتماعية المرتبطة بها داخل المجتمع أو الأمة الواحدة، ذات الثقافة المتجانسة في الأسس على المستوى الوطني والقومي، وللإجابة عن سؤالك حول هذه الأسس الثابتة داخل المجتمع ذي الهوية الواحدة في الثوابت وليس في المتغيرات، يقسم العلماء الثقافة إلى ثلاث دوائر ومستويات متكاملة وهي:

1 **العموميات**: وهي الثوابت العامة ذات العلاقة الوثيقة بالهوية، والتي تؤثر في الهوية سلبا وإيجابا وجودا وغيابا (كما قلنا).

2 البدائل: وهي أشبه ما تكون بالمباحات في الفقه الإسلامي، والتي تختلف عن الفرائض في كونها لا يثاب صاحبها على فعلها، ولا يعاقب على تركها، مثل اللباس الشرعي للمرأة المسلمة،

فالثابت هو الستر والاحتشام أما المتغير أو المباح فهو نوع القماش أو لونه أو خامته، ويمكن أن نقيس هذا المثال كل ما يخطر لك على بال من البدائل، في الإطار الشرعي الثابت والمجمع عليه عقلا ونقلا.

3 الخصوصيات: والخصوصيات الثقافية هي نوع من الثقافة الفرعية المحلية التي تفرضها البيئة الجغرافية والاجتماعية داخل الوطن الواحد، كأن يكون ملبس أو مسكن أو مأكل سكان الجبال يختلف عن سكان السواحل والصحاري والمدن، فكل بيئة لها ثقافة فرعية خاصة بها دون أن تتعارض مع الهوية الوطنية للشعب أو الأمة الواحدة، و أوضح مثال نضربه على هذه الخصوصيات هي اللهجات المحلية بالنسبة للغة الوطنية والقومية للأمة فاستعمال اللهجات العامية المحلية في كل قطر أو ولاية لا يتناقض مع اللغة الوطنية والقومية السائدة في كل ولايات الوطن أو كل أقطار الأمة.

هذا إذن باختصار هو جوابي عن سؤالك الفرعي الأخير، و أعود إلى سؤالك الأول الخاص بتعريف الهوية من الناحية العلمية، و هنا أحاول أن أبسط لك الموضوع ببعض الأمثلة الواضحة والمركزة فأقول بأن الهوية اصطلاحا هي عبارة عن صفات متكاملة ومتفاعلة فيما بينها لتدل على كيان بعينه يعرف بها ولا يختلط أمره معهم فيها أفرادا وشعوبا وأمما وقوميات، و الهوية بصفة عامة تنقسم إلى قسمين أو نوعين منفصلين بقدر ما هما متصلان ومتداخلان في ذات الوقت، هما:

1 الهوية الفردية: وهي مجموعة سمات أو قرائن نفسية وجسدية خاصة بشخص بعينه تميزه عن غيره من أبناء جنسه، بحيث أن لكل إنسان من ملايير البشر فوق البسيطة أربع خصائص تتكامل فيما بينها لتعطيه هوية خاصة به دون غيره من أبناء جنسه كبصمات الأصابع، و البصمات الصوتية، و البصمات البصرية، و الشفرة الوراثية ولكن الهوية التي تعنينا هنا هي النوع الثاني وهي:

2 الهوية الوطنية أو القومية: (نسبة إلى الوطن أو إلى الأمة التي ينتسب إليها شعب متميز بخصائص هويته) ومن هنا يمكن تعريف هوية أية أمة أو شعب من الشعوب بأنها هي مجموعة من

الصفات أو السمات الثقافية العامة التي تمثل الحد الأدنى المشترك بين جميع الأفراد الذين ينتمون إلى هذه الأمة أو هذا الشعب. والاختلاف في مقومات الهوية الفردية والهوية القومية، هو اختلاف في النوع وليس في الدرجة، فالهوية الفردية ذات سمات جسدية في الأساس والهوية القومية ذات سمات ثقافية في الأساس (دون أن يوجد أي تناقض بين الهويتين) وفي معادلة موجزة يمكن القول بأنه إذا كانت بصمات الأصابع "الفردية" تميّز شخصا ما عن آخر كما قلنا... فالثقافة الوطنية أو القومية (في عمومياتها) هي البصمات الخاصة، التي تجعل كل أفراد هذه الأمة او تلك يتميزون (بهويتهم الجماعية) عن غيرهم من الشعوب والأمم...

كيف يعرف الفرد الجزائري نفسه وبعبارة أخرى علاقة هويته الوطنية بما أسميتموه بالهوية القومية التي هي انتماء أوسع يتجاوز الهوية الوطنية إلى ما هو أكبر وأشمل وأعم، خاصة وأن الجزائر عرفت أكثر من حضارة وثقافة متعارضة جوهريا في أسسها ومقوماتها الثقافية النوعية!؟

هذا السؤال مرتبط بما قلناه قبل حين، بأن الثقافة مكتسبة وليست فطرية، و بالتالي فالإنسان يمكنه أن ينتقل من ثقافة إلى أخرى ومن ثمة من هوية إلى أخرى مغايرة تماما، و مثلما أن الهوية تابعة والثقافة متبوعة، فلابد أن نشير هنا إلى أن الجزائر عرفت تحولا جذريا في العقيدة واللسان والقيم الاجتماعية والروحية قلبت الأوضاع الثقافية والاجتماعية في المجتمع رأسا على عقب في القرن الأول الهجري (السابع الميلادي)،و منذ ذلك التاريخ استقر الشعب الجزائري على هذا الوضع المتبنى، و لم يحد عنه قيد أنملة حتى الآن، و هو الذي شكل هويته الوطنية كجزء من أمة وليس كمجموعة بشرية معزولة ثقافيا وحضاريا عن محيطها الجغرافي والثقافي، المتشكل في المنطقة منذ الفتح الإسلامي لكل أقطار هذه الأمة (من مصر إلى المغرب الأقصى)،و يمكن أن أمثل لك هذه النقلة النوعية للجزائر في منطقتها الجيوثقافية والحضارية، بعلاقة الفرد (كورقة) بالشجرة (التي هي الوطن)، بالغابة (التي هي الأمة).

و مثلما أن الشجرة تتخلى على أوراقها في الفصول وتبقى هي حية لعشرات القرون، فكذلك الأفراد الذين يتعاقبون جيلا بعد جيل على الوطن الواحد!

و مثلما تمثل الأوراق الساقطة سمادا لتغذية الأشجار، يمثل الشهداء، سماء أيضا لشجرة الوطن والتي لو قطعت، أو اجتثت لما بقيت ورقة واحدة حية ملتصقة بها.

تلك هي العلاقة العضوية في تصورنا بين الفرد والوطن الجغرافي، و بين الهوية الوطنية والقومية في الكيان الثقافي، و إنه مثلما توجد أشجار وحدها في الخلاء، و أشجار في غابة كثيفة خضراء، توجد أوطان وشعوب وأمم مستقلة بذاتها دون انتماء، و توجد دول أخرى وشعوب ضمن مجموعات ثقافية وجغرافية ذات اختلاف في الجنسية ووحدة في الهوية الثقافية والقومية.

و نحن العرب والمسلمين نمثل الحالة الثانية، أي أن دولنا المتعددة هي عبارة عن أشجار في غابة، تحتل حيزا معتبرا من الخريطة الجغرافية والسياسية والثقافية على الكرة الأرضية، بحيث أن الناظر إلى هذا الواقع من خارجه يرى غابة مكونة من مجموعة أشجار منفصلة، بقدر ما هي متصلة ومتداخلة فيما بينها، تسقى من ماء واحد، و تتشابك جذورها وتتعانق أغصانها في الفضاء، في منظر متجانس ومتداخل الأجزاء، يطلق عليه اسم الأمة الموحدة الأركان في الثقافة والدين واللسان.

هذا يقودنا إلى سؤالكم عن بيان أول نوفمبر 1954 فهل تعتبرونه شهادة ميلاد جزائر العصر الحديث؟

إن الجواب عن هذا السؤال نقرأه بوضوح فيما يخص الهدف من ثورة الجهاد، بقوله في أهم بنوده كما هو معلوم:

1 "إقامة الدولة-الجزائرية الديمقراطية الاجتماعية ذات السيادة ضمن إطار المبادئ الإسلامية" (غير الشيوعية وغير اللائكية).

2 "تحقيق وحدة شمال إفريقيا في إطارها الطبيعي العربي الإسلامي" ونلاحظ هنا الإعلان الصريح عن الانتماء الطبيعي والهوية الوطنية ذات الأصل الثقافي والبعد الجغرافي والطبيعي (العربي الإسلامي، و ليس الإفريقي أو المتوسطي أو النوميدي، فضلا عن الروماني أو اللاتيني أو البربري أو "الفرانكوفوني".

وكنموذج للكفاح الوطني من أجل الهوية رغم ضياع أوراق الجنسية في الجزائر، بعد أزيد من قرن أقرأ عليك هذه المرافعة للدكتور لمين دباغين (و هو وزير خارجية الجزائر في الحكومة

المؤقتة) وهذا الكلام قاله في المجلس الوطني الفرنسي سنة 1947 كما هو مثبت في المحضر: "إن إرادة ورغبة الشعب الجزائري في الاستقلال ليست ناجمة فقط عن كون الاستعمار فشل بالمعنى المادي للكلمة، لأن هذا قد يعني مثلا أن الاستعمار لو نجح في تحسين مستوى معيشة المسلمين، لكان سيجرنا ربما إلى تقبل فقدان شخصيتنا وسيادتنا وثقافتنا بالرضا، و هذا كله مناف للحقيقة!

سيداتي سادتي، إن الجزائر كانت أمة وكانت سيدة ولم يفقدها هذه السيادة إلا الاعتداء الذي وقع عليها سنة 1930". ويقول أيضا: "لقد فقدت سيادتها في هذه الحرب التي كانت بالنسبة لها كارثية، و لا يمكن أن نقبل أن يكون هذا حدا لسيادتها، إنها ستستعيد حريتها، و تعود كما كانت، و نحن مقتنعون أنه لا يوجد في العالم مثال لم ينته بالعودة إلى الأصل"... ثم يضيف:"إن الحل من زاوية الحق ومن وجهة نظر القانون الدولي لا يمكن أن يكون شيئا آخر غير جلاء الجيوش الفرنسية عن الجزائر، و إعادة الأراضي المصادرة لمالكيها الأصليين، و إعادة المدارس والثقافة العربية وإعادة المساجد للدين الإسلامي"..."إن أملاك الحبوس حجزت، و أحسن الأراضي صودرت، و يمكنني أن أحدثكم مطولا عن هذه الأشياء، فإنكم ستجدونها في مذكرات (سانت آرنو)،أن الدين الإسلامي يسيّر من طرف موظفين غير مسلمين، و أجمل المساجد تم هدمها أو حولت كاتدرائيات"..."و دونشك، فإنه احتراما لثقافته وتطويرا لتعليمه أغلقت المدارس ومنعت اللغة العربية لغة الجزائريين الأم، و اعتبرت لغة أجنبية". هذه هي الروح الوطنية التي تشبثت بهوية الجهاد، كي تستعاد الجنسية العربية الإسلامية للعباد!! وهذه هي المعاني التي يمثلها البيان النوفمبري وإن بقاءها يظل مرهونا بالتمسك بأهدافه ومبادئه وتطبيقها من طرف الدولة الجزائرية، و إذا تغيرت المقدمات فإن النتائج ستتغير بكل تأكيد.

نعلم أنّ والدكم مات شهيدا، فهل كنتم تعلمون بانخراطه في النظام وكيف عشتم حادثة استشهاده؟

بما أنني كنت أبلغ من العمر عشر سنوات تقريبا عندما اندلعت الثورة المباركة سنة 1954 فقد كنت بحكم ملازمتي له طوال

الوقت في الجامع والمدرسة الأهلية (الحرّة) التي كان يُشرف عليها في قرية سيدي محمد (بلدية باب الزوار حاليا) بغرب العاصمة، فقد كنت واعيا جدا بكلّ ما يُحيط بي، وأدركت ذلك من خلال العديد من رجال الثورة الذين كانوا يتردّدون على بيتنا الملاصق للجامع، وخاصّة عندما اعتقل سنة 1956 لعدة أسابيع مع مجموعة من المناضلين الذين اعرفهم من المترددين عليه، وكذلك أدركت حنق الفرنسيين عليه عندما ألقوا قنبلة على المسجد في إحدى الليالي في بحر السينة ذاتها وكان ذلك قبيل صلاة الفجر، ممّا لم يُسفر عن خسائر بشرية... وبقي الوضع في غاية التوتر بينه وبين جنود الاحتلال الذين اتخذوا مركزا لهم سنة 1958 في الشارع الذي كنا نسكن فيه إلى أن ألقوا عليه القبض وحُكم عليه بالإعدام، ونفذ فيه الحكم رميا بالرصاص في ميدان عام بحي بني مراد، مع شهيد آخر اسمه عمروبن عمر (ويدعى عمر بن سي أحمد) وتمّ ذلك بحضور ضبّاط كبار من العاصمة إلى جانب السلطات المدنية والعسكرية لبلدية برج الكيفان، مرفوقين بمجموعة من الحركى والعملاء المعروفين لدى الشعب، وكذلك بعض المُناضلين المعتقلين معهما في مركز للاستنطاق بالقرب من مدينة الحميز (على طريق خميس الخشنة)، وقد أوتي بهؤلاء المعتقلين الذين كانوا معهم في إطار تطبيق سياسة الترهيب والترغيب التي شرع الجنرال ديغول في تطبيقها أثناء تلك الأيام بالذات، وبعد إلقاء العديد من الخطب على الحاضرين تمّ إعدامهما إثر ذلك مُباشرة ثم أوتي بهما فوق شاحنة عسكرية إلى مقبرة سيدي محمد ليدفنا بإشراف كامل للجيش الفرنسي دون أيّ طقوس للدفن حسب الشريعة الإسلامية كالصلاة والتكفين والتغسيل وما إلى ذلك، وقد منع الجيش أفراد العائلتين، وكذلك الأهالي من إلقاء النظرة الأخيرة عليهما قبل رميهما مُباشرة في حفرتين كانتا مُعدّتين لهما سلفا من طرف جنود الاحتلال بيوم من قبل ذلك التاريخ، وكان صبيحة الرابع من شهر جويلية سنة 1959 كما يذكر كلّ الأهالي ذلك اليوم الحزين المفعم بمشاعر الأسى والإهانة والظلم!.

نعلم أنكم كنتم من أصغر جنود جيش التحرير الوطني في الولاية الثالثة بالنظر إلى سنكم آنذاك، فهلا حدّثتمونا عن ظروف التحاقكم بالعمل الثوري وماذا كانت أولى مهامكم بعد التجند؟

لعلّ ما ذكرته آنفا في إجابتي السابقة سيُساعدني على الإجابة عن هذا السؤال... فبحكم علاقة والدي رحمه الله وكلّ أفراد عائلتي (أعماما وأخوالا) بالثورة منذ اندلاعها، وبالحركة الوطنية (حزب الشعب وحركة الانتصار للحرّيات الديمقراطية) قبل ذلك... فقد نشأت في أحضانها مع رجالها هنا في العاصمة وفي مسقط رأسي ببلاد القبائل كذلك، حيث أنّ لي ثلاثة أعمام مُجاهدين، أحدهم شهيد، وثلاثة أخوال مُجاهدون اثنان منهم شهيدان أحدهما هوالهاشمي حمود (المعروف في النظام باسم جلول) الذي كان مُساعدا لبن يوسف بن خدة هنا في العاصمة حتى استشهد في مارس 1957 تحت التعذيب في فيلا سوزيني الرهيبة ... وقد أشاد بخصاله النضالية في كتبهم كلّ من بن خدة وسعد دحلب ومحمد بوضياف وعمر بوداود وابراهيم الشرقي ونسمية حبلال وآخرون، وهو كان من تلاميذ والدي في المدرسة القرآنية التي أسّستها عائلة أخوالي بقرية (حوش بالي) بناحية بوبراك (دائرة برج منايل حاليا) خصيصا لتعليم أبنائها مبادئ الدين الإسلامي واللغة العربية ... وهكذا فتحت عينيى على الحركة الوطنية ثمّ على الثورة التحريرية كما أوضحت آنفا، وهوما جعلني أخلف أعمامي في بيت العائلة بمسقط رأسي، لأتولى مهام الحراسة والإيواء والإطعام للمُجاهدين، في منزلنا بقرية الخروبة بلدية تاورقة، حتى أُلقي عليّ القبض سنة 1959 بعد أن أكتشف أمري، ولكن عناية الله حفظتني ونجّتني من قتل مُحقق!

هل يُمكن أن تحدّثنا عن كيفية نجاتك هذه من قبضة العدو؟

السبب يعود لكوني كنت أحمل اسمين مُختلفين تماما أحدهما (المحفوظ) وهوالمعروف به لدى جميع الأهالي والمجاهدين كذلك، والمبحوث عني على أساسه والمقبوض عليّ بشُبهة اشتراكي في اللقب مع المبحوث عنه (وهو المحفوظ بن نعمان) واسم آخر هو(أحمد) المسجّل به في الحالة المدنية والذي أحمله في بطاقة التعريف الرسمية الصادرة عن محافظة الشُرطة هنا ببلدية برج الكيفان (فوردلوسابقا) دون أن يعرف ذلك أحد غيري، ولم يكتشفوا هذا السرّ إلاّ بعد أن فلتّ من قبضتهم بالقيام بمناورة ومغامرة ألهمني الله لها، ولا يسع المجال هنا لذكرها بالتفصيل، والخُلاصة أنّهم لما عرفوا هويتي الحقيقية (المزدوجة) جن جنونهم وأسرعوا

كالكلاب المسعورة لتعقب أثري في اتجاه القرية التي تبعد بكيلومترين عن الثكنة العسكرية التي فررت منها بمدينة تاورقة، ولكنني بناء على ما عرفته من أحد المعتقلين معي في ذلك اليوم من خطورة التهم الموجودة في ملف الإرهابي الكبير المبحوث عنه المسمى "المحفوظ" فقد سابقت الريح لأصبح في اليوم التالي مع المجاهدين في غابة (أفخام) بقرية بومهالة في أعالي سيدي نعمان، وقد كنت اعرف المكان وأعرف معظم المجاهدين بحكم إيوائي وإطعامي لهم في بيتنا كما قلت ومنهم الكثير ممن لا يزالون على قيد الحياة، وقد كانت بومهالة حينها منطقة مُحرمة منذ سنة 1958 ومعظم أهلها كانوا مهجّرين عندنا وهي تابعة للمنطقة الثالثة حسب التقسيم القطاعي (شبه الإداري) للثورة آنذاك، وهوما كوّن لي مُشكلا في قبولي ضمن مُسبلي تلك المنطقة، حيث كنت أنا في الأصل تابعا للمنطقة الرابعة ممّا جعل المسؤول العسكري (سي مقران الناظر رحمه الله) يأمرني بالعودة إلى مجموعات المُسبلين (المبحوث عنهم مثلي) في المنطقة الرابعة التي اتبع لها نظاميا، وهكذا التحقت بالثورة كمُسبل (مبحوث عنه) وهذا قبل استشهاد والدي بثلاثة أشهر تقريبا هنا بالعاصمة كما ذكرت، ودون أن يكون لأيّ منا أيّة علاقة بعمل الآخر، حيث كان هوتابعا للولاية الرابعة وأنا كنت تابعا للولاية الثالثة، ويذكر أهل القرية وكلّ المجاهدين والمسبلين الأحياء ذلك بالتفصيل، وخاصّة ما ألحقه جنود الاحتلال بالأهالي في قريتي من تنكيل بعد هروبي، وهوما سأذكره إن شاء الله في كتاب **((صفحات من حياتي))** المزمع إصداره مُستقبلا، وهكذا بقيت بعد هذه الحادثة في حالة فرار ثمّ انتقلت بأمر من المسؤول السياسي بناحيتي أحمد رابح رحمه الله لأعيش في بعض المآوي التابعة للنظام في المدن نظرا لصغر سني (15 سنة) الذي ساعدني كثيرا على ذلك، خاصّة لما انتقلت إلى هنا بالعاصمة بأوراق ثبوتية "صحيحة"، علما أنّ مصالح العدوظلّت تبحث عني هناك باستمرار (باسم المحفوظ) مُعتقدة أنني أعيش مع المجاهدين في المناطق المحرّمة، مما جعلهم يتردّدون بعد ذلك في أوقات مختلفة ومُباغتة على منزلنا في القرية طمعا في القبض علي أوقتلي كما توعّدوا الأهالي بذلك، مما أوقعهم في اشتباك مع فوج من المجاهدين في منزلنا، وقد أسفرت

المعركة عن استشهاد رئيس الكومندو(موح الصغير شعلال) بباحة الدار، ونجا نائبه المجاهد (سي رابح ظريف) الذي ما يزال على قيد الحياة، وهوالمسؤول الحالي للتنظيم، بالمنظمة الوطنية للمجاهدين بولاية بومرداس، الذي افتكّ بندقية الشهيد من وسط المعركة بعد أن أصيب في مقتل وقد قتل يومها أيضا عدد من جنود العدوالذين كانوا يُطوّقون المنزل، ممّا دفع برئيس المركز العسكري بتاورقة إلى الأمر بتدميره بالكامل حجرًا فوق حجر (وقد كان مكونا من طابقين)، وأعلنت القرية وما جاورها منطقة مُحرّمة، بعد أن هجّروا كلّ سُكانها إلى المحتشدات المجاورة، أمّا عائلتي فقد نقلها النظام إلى مأوي كبير لجيش التحرير الوطني، يقع في مزرعة (الحاج سليمان حداد) بشرق مدينة ذراع بن خدة على الطريق الوطني رقم 12، وبعد حوالي سنتين اكتشف العدوهذا المركز نتيجة اعتراف أحد المُسبّلين (تحت التعذيب)، فسُجن من أفراد عائلتي من سُجن، ووزع البعض الأخر على مأوى أخرى. وهكذا التحقت أنا بجيش التحرير وقد كنت من أصغر المجاهدين، فيما أعلم، وعن مُهمّتي بعد التجند، فقد عيّنت من طرف رئيس الناحية الثانية (سي مقران آيت مهدي) مُرافقا وكاتبا، (للسي عمرولونيس) مسؤول مصلحة الحبوس، التي تعنى بالمسائل الشرعية والقضائية والتعليمية، وذلك بناحية آيت يحيى موسى (مسقط رأس ثلاثة من قادة الثورة الكبار، وهم بلقاسم كريم، عمرواوعمران، والشريف ملاح) وكان المُجاهدون يُسمونني (الحبوس أطوطاح) وتعني بالقبائلية (الحبوس الصغير)، وهوما يدل على صغر سني كما قلت، وهكذا بقيت إلى أن توقف القتال في 19 مارس 1962. واستمررت في صفوف الجيش الوطني الشعبي، حتى شهر جوان من السنة التالية (1963)، حيث طلبت تسريحي، لأنتقل إلى مرحلة أخرى من الكفاح بنوع جديد من السلاح!.

تعاملت السلطات الفرنسية بكل وحشية مع المجاهدين والمتعاونين معهم من أفراد الشعب، وخاصّة بعد مجيء الجنرال ديغول وخلقت مراكز تعذيب ومُحتشدات... فهل تمكّنت من سيطرتها بهذه الطريقة على الثورة!؟

أؤكد لك أنّ أهمّ ضغط على الثورة وبالتالي على المجاهدين كان بعد مجيء الجنرال ديغول سنة 1958، وقد عرف عهده ببناء

خطي شال وموريس على الحدود الشرقية والغربية لمنع دخول السلاح، و كذلك مُحاولة فصل الثوّار عن الحاضنة الشعبية بالعمليات العسكرية الواسعة،و كان أشدّها تأثيرا وبلاءً على الثورة عملية المنظار الرهيبة بمنطقة القبائل، وقد نتج عن ذلك تجميع معظم القرى في محتشدات مطوقة بالأسلاك الشائكة، ومعظم الأراضي خارج هذه المراكز تعتبر من المناطق المحرمة. وتحت رحمة المدافع والطائرات على مدار الساعة، وأؤكد لك أيضا أنّ أكبر ويلات الثورة (السبعية) وأشدّها قساوة قد عاشها المجاهدون والمناضلون في هذه الفترة بالذات التي استشهد فيها، كما هومعلوم، مُعظم قادة الثورة على رأس الولايات والنواحي والمناطق، واستعملت فيها فرنسا كلّ أنواع الأسلحة المحرمة دوليا من التعذيب الجهنمي للمعتقلين إلى إلقاء القنابل الحارقة (النابالم) على المجاهدين في الجبال، وقد عشت بعض تلك الأهوال عن قرب!

نعلم أنّ بعض الحركى نجحوا فيما فشلت فيه السلطات الفرنسية لإجهاض الثورة في القرى والأرياف... فهل تؤكدون ذلك بأمثلة وبراهين من الواقع الذي عايشتموه في الثورة؟

يُمكن أن أعتبر أكثر من نصف سنوات الثورة (السبع) قد أمدّ في عمرها الحركى والعملاء والخونة الذين غادروا صفوف الثورة إلى معسكرات العدو، نتيجة الضغط أواليأس أوأسباب أخرى قد يعود بعضها إلى صرامة نظام الثورة، وبعضها الآخر إلى تجاوزات وأخطاء فادحة لبعض قيادات الثورة تسبب فيها ضبّاط المصالح الخاصّة الفرنسية بقيادة النقيب (ليجي) كما يروي هونفسه المؤامرة بالتفصيل في كتابه الصادر في أوائل الثمانينيات بفرنسا والذي أوقع بالفعل بعض قادة الثورة في شراكه المنصوبة بخبث ودهاء شديدين، وكأني بفرنسا قد انتقمت بمُؤامرة الزرقاء في الولاية الثالثة سنة 1958 من عملية العصفور الأزرق التي كانت قد قامت بها الثورة في الولاية ذاتها، قبل سنتين من ذلك التاريخ وقد نجحت فيها نجاحا باهرا أحبط مؤامرة (روبير لاكوسط)، وزعزع أركان الثورة المُضادة، التي كان ينوي القيام بها، لتعود عليه وعلى رجاله بالخسران المبين، أمّا الحكم على تلك التجاوزات والمظالم التي وقعت للمُجاهدين جرّاء هذه المؤامرة

اللعينة، فأتركها لمن عاش مآساتها جسدا وروحا أكثر مني واكتوى بلهيب نيرانها الجهنمية التي كادت أن تأتي على الأخضر واليابس في الولاية الثالثة لولا لطف الله بالمجاهدين المخلصين، الذين هم أقدر مني على تقويم خطورة تلك التجاوزات والحكم على أصحابها أولهم بالنظر إلى تلك الظروف الاستثنائية العصيبة الواقعة في عنفوان الفترة الديغولية الرهيبة!

هل لكم أن تشرحوا لنا خلفية عملية العصفور الأزرق؟

تتمثل هذه الملحمة الثورية الرائعة كما عرفتها من أفواه الذين صنعوها والذين عاشوا كلّ تفاصيلها من البداية إلى النهاية وأذكر على سبيل الحصر اثنين منهم (لعلاقتهما المباشرة بالموضوع)، أوّلهما العقيد السعيد إيعزوران (المدعو فريروش) وثانيهما الكاتب الكبير والمجاهد محمد الصالح الصديق الذي عاش تفاصيل تلك الأحداث عن قرب وألّف كتابا حول هذه العملية، أمّا مُلخصها فهي أنّ الحاكم العام (روبير لاكوسط) خطط لتقويض أركان الثورة من الداخل في بلاد القبائل، فاتّصل بأحد العملاء الكبار في الناحية (دون ذكر الاسم تجنبا لإلحاق الضرر بالعائلة) وطلب منه أن يُجنّد له مجموعة من الرجّال الذين لا تحوم حولهم الشكوك بالعمالة لفرنسا، كي يُجندهم للقيام بالثورة المضادة قصد القضاء على جيش التحرير الوطني في المنطقة، فذهب ذلك العميل إلى أحد معارفه من الأعيان (يدعى أحمد الزايد) وطلب منه القيام بالمهمة مقابل وعود مغرية له ماديا ومعنويا بعد نجاح العملية، فاتصل هذا المناضل الكبير ("المزدوج" الدور والشخصية الثورية بين الظاهر والباطن) بالعقيد سي السعيد الذي اخبر هوبدوره قائد الولاية الزعيم بلقاسم كريم، فاتفقا على أن يذهب هذا الوسيط مع العدوفي هذه اللعبة إلى النهاية، فطلب رجل لاكوسط من أحمد الزايد (بعد أن أخبره بقبول المهمة) أن يُرشّح له حوالي ثلاث مائة عنصر من الرجال الأكفاء المقتنعين بالفكرة لتجنيدهم من طرف العدوللقيام بهذه المهمة، فلبى أحمد الزايد هذا الطلب بكلّ سرور للعميل، حيث أحضر له بعد أيام قليلة العدد المطلوب من الرجال الذين لم يكونوا إلاّ صناديد من مُناضلي الحركة الوطنية تمّ اختيارهم بعناية كاملة وسرّية تامة، مع قادة الثورة أنفسهم (كريم ورفاقه) وقدّمهم للعدوالذي جندهم بكلّ ثقة وغباء كعملاء، وزوّدهم بالأسلحة المتطورة ليبدأوا في التظاهر

بالقيام بالأعمال المضادّة للثورة، ولكسب ثقة فرنسا فيهم، والبرهنة على إخلاصهم وولائهم لها، كانوا يأتون ببعض العملاء الحقيقيين الذين تحكم عليهم الثورة بالإعدام في أماكن أخرى من الولاية (بالتنسيق مع القادة)، فيلبسونهم بزات عسكرية بالية، ويقتلونهم في أماكن مُتفرّقة من المناطق التي يتظاهرون بنصب الكمائن الليلية فيها، ليبرهنوا بذلك على نجاحهم في مهمتهم المضادة للثورة، وعلى كفاءتهم وإخلاصهم، وليكسبوا ثقة العدوأكثر فأكثر، وليطلبوا المزيد من الأسلحة المتطورة والعتاد. وقد دامت هذه العملية عدة شهور من سنة 1956 إلى أن تلقوا الأمر من القيادة العليا للولاية، بالتحاقهم جميعا بصفوف الثورة في ليلة واحدة بناحية بني جناد، شمال شرق مدينة تيزي وزو، فكان درسا قاسيا ومُوجعا جدا للعدولم ينسه أبدا، ولم يُكرر هذا الخطأ القاتل مرّة أخرى فيما نعلم من سنوات الثورة حتى نهايتها، بل فعل العكس تمامًا كما أسلفنا!!.

ذكرتم في كتابكم "جهاد الجزائر" أنه "لولا الدين الإسلامي لما نجح الشعب الجزائري في ثورة نوفمبر 1954..." كيف هذا يا دكتور وقد اختلفت معتقدات وتوجهات الثوّار الدينية والفكرية؟

إنّ العبرة دائما بالقاعدة التي تمثلها الأغلبية الساحقة من أفراد الشعب وليس بالاستثناء أبداً... وأؤكد لك أنه لوكانت في الجزائر أقليات يهودية أومسيحية (جزائرية أصلية) لما نجحت الثورة (هذا إن اندلعت أصلاً) والدليل على ذلك أنّ جميع الثورات التي تعد بالعشرات في هذا الوطن ضدّ المحتل الفرنسي، بدءًا بالأمير عبد القادر مُرورا بفاطمة نسومر وبوعمامة والشيخ أمود والشيخ الحداد إلى ثورة نوفمبر 1954... كانت كلها ذات منطلقات وطنية ودينية في الوقت ذاته، انطلاقا من **"حبّ الوطن من الإيمان"**، واعتبارا أنّ المبادئ الوطنية في كلّ تاريخ الجزائر بعد الفتح الإسلامي المبين لم تكن تنفصل أبدا عن المبادئ الدينية، فكانت المراهنة الرابحة دائما تتمثل في شعار**"النصر أوالاستشهاد"** و**"نموت شهداء أونعيش سعداء"** كما كان يتردّد على ألسنة الآلاف من الشُبان المجاهدين المتحمسين إلى الجهاد والاستشهاد، علما أنّ كلمة الاستشهاد والجهاد لا توجد في أية لغة أخرى غير لغة الإسلام، وهوما يُؤكده البيان النوفمبري القائل **"إقامة الدولة الجزائرية الديمقراطية الاجتماعية ذات السيادة ضمن إطار**

المبادئ الإسلامية" (لا الشيوعية ولا العلمانية) وإذا شارك بعض الشيوعيين واليهود والمسحيين في الثورة لأسباب تخصّهم وربما يدخل بعضها في اطار التحضير إلى ما بعد الخروج العسكري الصوري من البلاد، ومهما يكن من أمر فإنّ هؤلاء المسيحيين واليهود والشيوعيين فهم استثناء لا يُفيد إن حضر، ولا يضرّ إن غاب. ولقد كان بإمكان هذه الثورة أن تنجح بدونهم، ولكنها لم تكن لتنجح أبدا بدون المجاهدين الذين يمثلون الوقود الأساسي الروحي والمادي للهيب الثورة طوال السنوات السبع الخالدات!. وأؤكد لك أنه لولا الإسلام الحنيف ووحدة الهوية العربية الإسلامية للشعب الجزائري لما كانت الثورة لتندلع أصلاً ولما كان هذا الاستقلال من باب أحرى وأولى أن يتحقق... ودليلي على ذلك أخذه من الأب دوفوكو(ضابط المخابرات الفرنسي) الذي تولى مُهمّة تنصير الجنوب الجزائري في العُشريّة الأولى من القرن العشرين حيث كتب في رسالة خطّية لصديقه (الدوق فيتس جيمس) سنة 1912 يقول له فيها: **"إنني أعتقد بأنه إذا لم نستطع تحويل المسلمين بالتدريج عن دينهم وحملهم على اعتناق المسيحية، فإنّ النتيجة الحتمية هي تكون روح قومية جديدة تُؤدي إلى طردنا من الإمبراطورية الاستعمارية في شمال إفريقيا...إن الروح الوطنية العربية والبربرية، سوف تنموفي صفوف الطبقة المثقفة التي ستستعمل الإسلام كسلاح فعال لإثارة الجماهير الجاهلة، في إمبراطوريتنا...!...إنّ السبيل الوحيد لضمان عدم طردنا من هذه الإمبراطورية، هوأن نجعل سكان البلاد فرنسيين والسبيل الوحيد لذلك هوجعلهم مسحيين"** وإذا كان هذا الكلام لدوفوكوالذي قتله المجاهدون في الهقار سنة 1916 قبل أن ينصّرهم (وهوأستاذ المنظر والمستشرق الفرنسي الكبير لويس ماسينيون وأبوه الروحي) فإن تلميذ (ماسينيون) وابنه السياسي، المنفذ للمخططات الاستعمارية لفرنسا في الجزائر، ورئيس وزرائها في بداية الثورة (مانديس فرانس) يقول في خطاب له منشور في جريدة لوموند الفرنسية بتاريخ 1956/05/07 **"إننا نعتقد أن سياستنا هي الوحيدة التي تستطيع إدامة الوجود الفرنسي في الجزائر، وإذا ما قدر لنا سوء الطالع أن نفقد الجزائر، فإننا سنفقد معها جميع أجزاء الإمبراطورية"**. وهوما يؤكده بعد أكثر من نصف قرن

المؤرخ الفرنسي ذي الأصل الجزائري (بن يمين سطورة) بقوله في محاضرة له بالجزائر في نوفمبر 2012: "**لقد اعتبرت فرنسا ضياع الجزائر هزيمة كبرى من منطلق أنّ الجزائر كانت تعتبر جزءا مندمجا في الإمبراطورية الفرنسية" وقال أيضا: "لم تكن فرنسا تتصور يوما أنها ستفقد الجزائر التي كانت تحتل مكانة مميزة في فضائها الإمبراطوري، وكانت تُشكل احد أسس الوطنية الفرنسية"** جريدة "الخبر" الجزائرية 2012/11/10.

أثيرت في الشهر الماضي على صفحات الجرائد (العربية والفرنسية) في الجزائر مسألة أحدثت الكثير من الجدل والتباين في الرأي، وهي إطلاق اسم "مجاهد" على بعض من مات من هؤلاء الذين ذكرتهم ممن شاركوا في الثورة التحريرية... من غير المسلمين سواء كانوا فرنسيين (كفرانس فانون أو الدكتور شولي وزوجته وموريس أودان ومايو، و حتى الأسقف دوفال...) أومن الألمان واليوغسلاف والسويسريين وما إلى ذلك من أحرار العالم، فما هورأيكم حول هذا الموضوع!؟

بداية يجب الوقوف قليلا عند مصطلح الجهاد والثورة فكلاهما صفتان تجمعهما بهوية الإنسان والإسلام علاقة خاص بعام، فالثورة والمقاومة كلمة عالمية وإنسانية عامة تنطبق على الثورة الجزائرية والثورة الفرنسية والروسية والصينية ومثلها الكورية والكوبية والإيرانية... ولكنّ ثورة الجهاد تتميّز بها الجزائر وحدها كهوية عربية إسلامية صميمة تتمثل في عدم وجود مرادف للفظة "الجهاد" بمعانيه الاشتقاقية اللسانية والشرعية في أية لغة أخرى في العالم غير العربية، مثلما لا توجد في الماضي والحاضر (وربما لن توجد في المستقبل أيضا) دولة في العالم لها وزارة خاصّة بالمجاهدين إلاّ الجزائر، وهوما ينسحب أيضا على كلمة "مُقاومة" حيث نجد في العديد من بلاد العالم وزارات لقدماء المقاومين أوقدماء المحاربين مثل فرنسا وإسبانيا وأمريكا وبريطانيا وروسيا وفيتنام والصين وغيرها، إلاّ "وزارة المجاهدين"، عندنا فهي هويّة خاصّة بالجزائر وحدها في الوجود، مما يجعل كلّ مُجاهد مُسلم مُشاركا مع الثوار والمكافحين والمقاومين في هذه الصفات، ولكن لا يُشارك أيّ واحد من أصحاب هذه الصفات "المجاهد المسلم" في خاصية الجهاد وجزاء الاستشهاد، لأنّ هذه الخاصية هي كلمة ربانية قرآنية إيمانية خاصّة بالمجاهدين

في سبيل الله وحدهم، مثلما بينها موجبها عزّ وجلّ على عباده بقوله:"وفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا"(سورة النساء:الآية 95) ولم يقل "فضل الله المقاومين على القاعدين" لأنّ الجهاد يكون أساسا في الله (ويحمل 12 معنى في ديننا الحنيف من بينها القتال)، أمّا المقاوم والمكافح والثائر، فكلهم قد يكونون مؤمنين أوملاحدة وكفارا بالله ذاته كما هوواقع، في حين أنّ المجاهد الحق، لا يكون إلاّ مُسلما مؤمنا بالله وصادقا في قصده الجهادي في سبيل الله أوالوطن (الذي يعتبر حبّه من الإيمان في ديننا)، مما يجيز لنا أن نقول بأنه إذا كان كل مجاهد ثائرا ومُكافحا ومُقاوما فليس كلّ مقاوم أوثائر أومُكافح مجاهدا بهذا المعنى الديني الخالص، وهوما يجعلنا نؤكد هنا على هذه الأصالة الإسلامية للثورة الجزائرية، (كما أشرنا في الإجابة عن السؤال السابق) كي تكون ثورتنا الجهادية نموذجا لكلّ ثورة ومُقاومة عربية أوإسلامية أوعالمية وما على الشرفاء والأحرار إلاّ الاقتداء بها والاعتبار بدروسها لمواصلة المشوار حتى الانتصار، ورأيي أبنيه على نصّ الحديث النبوي الشريف القائل: "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكلّ امرئ ما نوى" وإذا صحّ إطلاق كلمة مجاهد (دون نية منه وقصد للجهاد في سبيل الله كما قلنا) فلماذا لا نطلق أيضا كلمة "شهيد" دون شهادة "أن لا إله إلا الله وأنّ محمد رسول الله" المتصلة في المعنى والمبنى بكلمة "الشهيد" (أي القتيل) في سبيل الله، والمسلم بالضرورة، والتي لا يُوجد لها ما يُقابل الفعل العربي المشتقة منه وهو"استشهد، يستشهد" في أيّة لغة أخرى في العالم غير اللغة العربية حسب علمي المتواضع والله أعلم!!

يزعم البعض أنّ الجنرال ديغول هومن تخلى عن الجزائر، خاصّة بعد أن انتهى من تجاربه النووية، إذ قام باستبعاد كلّ الجنرالات والضُبّاط المتمسكين بالجزائر الفرنسية، على غرار الجنرال صالون وبيجار وجاك سوستال وهي الفكرة التي تُسوّق لها فرنسا،كيف تردّون على ذلك؟

نعم إنّ الجنرال ديغول تخلى عن الجزائر في الظاهر لكنه تخلى عنها مُكرها لأنه أصبح مُهددًا بثورة الجهاد في وحدته

الوطنية في فرنسا ذاتها، فناور كلّ معارضيه وأعدائه من الجنرالات والثوار معًا لكي يخرج من الجزائر ظاهريا دون أن يتخلى عنها فعليا، فأعطى الاستقلال لفرنسا عن الجزائر، وليس للجزائر عن فرنسا بدليل قوله في كتابه **"الأمل":** **"ستبقى الجزائر فرنسية"** وهل تبقى الجزائر فرنسية بغير اللغة الفرنسية، وهل يعقل أن نكون عربا بدون عربية أومسلمين بدون إسلام، وبعبارة أوضح وأفصح، هل يمكن لفرنسا أن تكون فرنسية بالألمانية أوبالإنجليزية، أوتكون إسبانيا إسبانية بالعربية التي لم تتخذها **"غنيمة حرب"** بعد انهزام المسلمين في الأندلس إثر سقوط غرناطة سنة 1492، وقد كانت اللغة العربية في ذلك الوقت هي اللغة الأولى في العالم بأسره مثل اللغة الإنجليزية اليوم!، وهوما يدلّ على أنّ الذي كان يهم الجنرال ديغول في الجزائر ويحرص عليه طوال وجوده في الحكم هوبقاء فرنسا الثقافي وليس بقاءها الجغرافي، لأنّ الجغرافي يتبع الثقافي دائمًا وليس العكس. وهكذا نرى أنّ الجنرال ديغول هو الذي ناور كلّ أعدائه وخصومه من أجل البقاء في الجزائر بالابقاء على "غنيمة حربه" الحقيقية، وهزيمة حرب شهداء الحرية، بمقتضى البيان النوفمبري الذي ينصّ في أحد بنوده على مُطالبة فرنسا بـ: **(...الاعتراف بالجنسية الجزائرية بطريقة علنية ورسمية ملغية بذلك كلّ القرارات والقوانين التي تجعل من الجزائر أرضا فرنسية التاريخ والجغرافيا واللغة والدين والعادات للشعب الجزائري)** وهذا الرفض القاطع من أصحاب البيان النوفمبري معناه صراحة أنّ للجزائر هوية وشخصية مُتميزة تتكامل فيها كل المقومات التاريخية والجغرافية واللغوية والدينية والثقافية التي تجعلها غير فرنسية وتمد بالتالي أبناءها المخلصين بمشروعية المطالبة بالاستقلال وإفحام ساسة فرنسا بالحجج الدامغة في المحافل الدولية، وإذا لم تكن لغة الشعب الجزائري هي اللغة الفرنسية، كما ينص البيان، ولم يكن دينه هوالمسيحية كما ينص البيان أيضا، فما هوبديل هذه اللغة وبديل هذا الدين غير العربية والإسلام المؤكدين في بندين آخرين من البيان بكلّ

وضوح، وهما أوّلا: **"تحقيق وحدة شمال إفريقيا في إطارها الطبيعي العربي الإسلامي"**، ونُلاحظ هنا الإعلان الصريح عن الانتماء الطبيعي والهويّة الوطنية ذات الأصل الثقافي والبعد الجغرافي والطبيعي (العربي الإسلامي، وليس الإفريقي أوالمتوسطي أوحتى النوميدي، فضلا عن الروماني أواللاتيني أو"الفرنكوشوني") والثاني يقول: **"احترام جميع الحريات الأساسية دون تمييز عرقي أوديني"**، ونلاحظ بجلاء هنا عدم وجود كلمة **"لغوي"** في البند، وهوما يعني صراحة أنّ البيان النوفمبري الوحدوي والسيادي يُقرّ حرّية الاعتقاد وتعدد الأديان داخل المجتمع، كما هوشأن كلّ البلاد الإسلامية في العالم، وكما يُقرّه الإسلام ذاته لمبدأ **"لا إكراه في الدين"**، ولكنّ البيان يرفض التعدد اللغوي الرسمي، لأنه هوالفيصل القاطع في السيادة، وإن التلاعب فيه أوالتلاعب به سيؤدي حتما إلى ما لا يقبل التعدد على الإطلاق (كما هوالشأن في فرنسا ذاتها) ألا وهوالهوية، لأنّ الإنسان الجزائري وأي مُواطن عربي في أيّ قُطر من المحيط إلى الخليج لا يمكن أن يكون عربيا وغير عربي في الوقت ذاته! أويكون عربيا مسلما في نوفمبر تحت الاحتلال، ويُصبح غير ذلك في زمن الردّة و"الاستحلال" وخيانة البيان في أهمّ بنوده كما هوواقع الحال!! ودليلي القاطع على انتصار الجنرال ديغول على بيان الشهداء بالخفراء لتحقيق "فرنسا الجزائرية" بدل "الجزائر الفرنسية" هوما ورد في الفيلم الوثائقي الذي أعدته القناة الفرنسية الخامسة وقد بُث على حلقتين في الشهر الماضي (أكتوبر) بمعدل ساعة لكل حلقة، استجوبت فيه القناة معظم الأحياء و"الأموات" من رجال الثورة والسياسة والزعماء والرؤساء في الاحتلال والاستقلال وكان كلّ ذلك باللغة الفرنسية الفصحى (حتى بومدين جعلوه يتحدّث بالفرنسية) ولم يُترجم إلاّ كلام علي بلحاج وعباسي مدني وعلي كافي (فيما أذكر) ـــــ ويختم المعلق على الفيلم كلامه بآخر كلمة قالها وهي تلخص كل جوابي عن سؤالك حيث قال حرفيا: **"وهكذا بعد خمسين سنة من الاستقلال تصبح الجزائر ثاني بلد فرانكفوني في**

العالم" (والشريط موجود على اليوتوب لمن يريد التحقق من ذلك) دون أن يصدر أي تعليق من حكومة الاستقلال والعزة والكرامة والسيادة والوفاء للشهداء في الذكرى الخمسين لرحيلهم أو ترحيلهم عن ديارنا. وبهذا قد اثبت الجنرال ديغول للجميع أنه هوالذي أصاب في الاستقلال، وأنّ الثوار هم الذين أخطأوا في الاحتلال، وبرهن الجنرال ديغول بذلك أيضا لكلّ من يهمه الأمر من الطغاة العرب بأنه وطني فرنسي أصيل وقائد عسكري وسياسي في فرنسا دون مثيل، بحيث أنقذ بلده من جهاد الجزائر ليبقى فيها دون مقابل، بفضل ما تركه في إدارتنا من نواب الفاعل، ومع كلّ ذلك المجد فقد ترك منصبه شامخا وشاغرًا دون بديل، لينقذ وحدة بلده وشعبه سنة 1968، عندما لم يحصل على الأغلبية المريحة له في الحكم كالكبار، ولم يعمد إلى قتل الفرنسيين من أجل التشبث بالكرسي اللعين، على جماجم الوطنيين وتوريثه لأخيه أوابنه "الأميرال فيليب" من بعده، إلى يوم يبعث من قبره، وهوما يجعلني أجزم بأنه لويُعاد تقرير المصير في الجزائر، لما احتاجت فرنسا إلى أيّ تزوير في المحاضر... للانتقام من عدوها اللدود الذي جعل الجزائر لعدة سنوات قبلة للثوار، قبل أن يحولها (الخفراء) والوكلاء إلى صفقة مربحة بين أيدي الأغيار من التجار الصغار والكبار! أقول إذن نعم لقد تخلى الجنرال ديغول عن الجزائر عسكريا لكن لم يفعل ذلك إلا ليسترجعها ثقافيا، واقتصاديا، وليُصيرّها قلعة للفرانكفونية في القارّة الإفريقية. فهل أخطأ الجنرال في الاستقلال، أم أخطأ الثوار في الاستحلال، ويبقى السؤال مطروحا على كل من يهمه الأمر، في جميع الأحوال!؟.

ما مدى تطابق إجابتكم هذه مع المقولة التي صرّحتم بها منذ سنوات في إحدى الفضائيات بأننا " فتنا بالاحتلال فانتصرنا وفتنا بالاستحلال فانهزمنا" !؟ وهل يعني هذا أننا ما نزال مُستعمرين، وكيف!؟

أعتقد أنّ كلّ ما ورد في الفيلم الوثائقي المذكور آنفًا عن الجزائر في الذكرى الخمسين لاستقلالها الجغرافي، عن كيان فرنسا (غير الثقافي)، يثبت صحة هذه المقولة حتى يثبت

العكس من أصحاب القرار!.وأنّ كلّ ما لم تستطع فرنسا أن تحققه بالاحتلال حققه الجنرال ديغول بالاستحلال كما قال، والذي قلب كلّ الأوضاع والمفاهيم السائدة وعكس القاعدة ... فصيّر المتغيرات "الانتقالية" ثوابت أبدية، و"الشرعية الثورية " مكاسب جهوية وفئوية .... والثوابت الوطنية "طابوهات" رجعية ضد الانفتاح والانسياح في البرية، دون علامة أوهوية ... وجعل جهاد الظلم والطغيان إرهابًا وظلامية، ورفض الخيانة والعمالة تطرفا وتعصبا وأنانية، وخلع الأبواب ونزع الأعتاب سياسة ثقافية وإنسانية، وإلغاء حق الأغلبية لصالح الأقلية حتمية سياسية، وشجاعة أدبية وتعددية لسانية، مما خلط الأوراق وعكس القيم ليُصبح الوضيع هوالأهم وربما فوق الهرم، والنفيس تحت القدم، والخصم هوالحكم، والمزور حامي الحرم، وربما حاكما، والمجاهد نادما، والجاهل ناقما، والعالم واجما، أوهائما... إذا كان كلّ هذا يتماشى مع الاستقلال والسيادة على أرضنا بثوابت هويتنا فإننا إذن مستقلون مثل غيرنا!!

انقسمت الأسرة الثورية في شأن ضرورة اعتراف فرنسا بجرائمها المرتكبة في الجزائر... فهل ترون أننا بحاجة اليوم إلى هذا الاعتراف!؟

هناك الأسرة الثورية (نسبة إلى الثيران) والأسرة الثورية (نسبة إلى الثورة) التي تقلب الأوضاع رأسا على عقب، وأنا أنتمي إلى هذا النوع الأخير، ولذلك أقول لك بأننا في حاجة إلى فرض الاعتراف على فرنسا وليس إلى انتظار الاعتراف منها بالاستجداء، لأنه لن يحصل أبدًا طواعية وأريحية مثلما لم يحصل هذا الاستقلال (على ما هوعليه) الذي سألتني عنه دون أغلى ثمن دفعه شعب على مذبح الحرية في التاريخ المعاصر للبشرية!! ووضعنا الحالي مثل وضعنا أيام الاحتلال، حيث كان الذين يريدون الاستقلال لا يقدرون والذين يقدرون على إعطائه لا يريدون، ودليلي على ذلك أنّ فرنسا الحرّة استطاعت أن تصدر قانونًا يمجد احتلالها الإجرامي لبلادنا، ونحن لا نستطيع حتى أن نُصدر في برلماننا "المستقل" قانونًا يجرّم الاستعمار، ومشروع القانون الذي قدّمه بعض الأحرار

من بقايا الثوار عندنا، رفض حتى مجرد طرحه للمناقشة رسميا في البرلمان، ومازال يلفظ أنفاسه في أدراجه إلى أن تستقل الجزائر، بمفهوم نوفمبر الأصيل، وليس بمفهوم ديسمبر الدخيل، والذي يدّعي عكس هذا من هؤلاء الزعماء، عليهم أن يثبتوا أنهم أحرار في إصدار القرار الذي يجرم الاستعمار، حتى من ممثلي شعب الشهداء والثوار في هذه الديار، وفي مقدمتهم أعضاء الأسرة الثورية الفعلية الذين يطالبون مكرّمي "ماسو" و"بيجار" بالتكرّم بالاعتذار!

كيف ترون الجزائر بعد خمسين سنة من الاستقلال؟

إنها أحسن مما كان يتوقع ألد الأعداء، وأسوأ مما كان يحلم به كل الشهداء والأشقاء والأصدقاء الأموات منهم والأحياء...ويكفي دليلا على نجاح مخططات الجنرال ديغول في تحقيق "فرنسا الجزائرية" بعد الجزائر الفرنسية ردّ وزير دفاعه جيرار (رفيق بيجار) في الحكومة السابقة، بحركته الاستفزازية المشينة والمهينة (لملايين الجزائريين والشهداء الأحياء منهم والمنتظرين) على مطالبة وزيرنا للمجاهدين في الحكومة الجزائرية الراهنة بضرورة اعتذار فرنسا على جرائمها في الجزائر، وقبل ذلك وقع الشيء ذاته من وزير خارجية فرنسا الأسبق (برنار كوشنير) الذي اشترط من دولتنا "المستقلة" استبعاد وزيرنا ذاته (المجاهد محمد الشريف عباس) من الوفد الرئاسي الرسمي لاستقبال رئيسه ساركوزي في مطار هواري بومدين.... وقد أذعنت الجزائر الرسمية لهذا الشرط المهين، مثلما تسكت اليوم عن حركة الفعل "المخل بالحياء" الصادر عن وزير الدفاع الديغولي أمام الملايين (!؟) وكأن الأخ محمد الشرف عباس هوالوزير الوحيد الذي يمثل الشعب الجزائري في حكومة الاستقلال في ذكراه الخمسين؟! والذي يماري في مصداقية الجنرال ديغول في كلّ ما ذكرناه آنفا من نصوص خطها بيديه لوزراء حزبه من بعده فليرفع هذا التحدي الديغولي الوارد في كتابه "الأمل" ويُصدر قانونا وطنيا يجرّم الفظائع الفرنسية المرتكبة ضد الشعب الجزائري (أرضا

وشعبا ولسانا وكيانا) أوعلى الأقل يطبق الدستور الوطني في مجال السيادة الوطنية مثلما تفعل فرنسا ذاتها في دولتها المستقلة على أرضها مع أهلنا وأهلها، ففي هذه الحالة من المعاملة بالمثل التي تشعر الفرنسي أنه أجنبي في الجزائر، يمكن أن نحتفل باستقلالنا الوطني عن فرنسا بجدارة واستحقاق يرقى إلى مستوى تضحيات أبناء شعبنا عبر الأجيال ضد الاحتلال السابق و"الاستحلال" اللاحق!!

شهدت بعض البلاد العربية "ربيعًا ثوريًا" أطاح ببعض الأنظمة الدكتاتورية هل يصحّ، سيدي، أن نطلق على تلك الحركات "التحررية " اسم الثورات؟ وما هي الثورة الأكثر شبها بالثورة الجزائرية في نظركم؟

نظرًا لطول مدة الثورة الجزائرية وعمقها وأصالتها واتساعها وعدد ضحاياها وقساوة قمعها وقوة عدوها وشراسة قمعه لها في مهدها في مقابل ضعفها وقلة يدها عُدة وعتادًا وخبراء وجحافل وأمراء! فإننا يمكن أن نعتبرها كالخلايا الجذعية الجنينية في الكائن البشري ومقارنة بينها وبين الثورات العربية الحالية المنتصرة والجارية، فإنّ لكلّ واحدة منها شبهًا بثورتنا التحريرية في مرحلة من مراحلها التحضيرية والتصعيدية عبر سنواتها السبع الطوال التي لم تضارعها إلاّ الثورة الفلسطينية ضدّ الاحتلال (وليس الاستحلال) كما هوواقع الحال بالنسبة لثورات الربيع العربي المقصودة بهذا السؤال ولذلك أستعين في الإجابة والمقارنة بالعودة إلى تشبيه الثورة الجزائرية بالخلايا الجذعية في بداية تخلق الجنين حيث أنّ كلّ خلية تتوزع منها خلايا نوعية مختلفة عنها تمامًا كخلايا المخ والقلب والكبد والدم والعين والعظم والظفر والجلد والشعر... التي تختلف في نسيجها ومادتها ولونها وصلابتها ووظيفتها اختلافًا جذريا وكليا مع تكاملها العجيب في الوظيفة الحيوية ومن هنا نجد شبها لها في جميع الثورات الربيعية العربية في الأصالة والشجاعة والإرادة والتعبئة المادية والمعنوية والتصميم والقدرة الفائقة على التضحية ومجابهة كلّ الأخطار الداخلية والخارجية والمناورات والمؤامرات الدولية والثورات المضادة المحلية

والجهوية والطوابير الخيانية من الجيران والأشقاء قبل الرفقاء والأعداء بحيث نجد لكلّ ربيع عربي خانة أومكانة يملأها في الخريطة الثورية العربية، والخريطة مُمتدة أمام القرّاء كالحصيرة، لكل ذي بصر منهم وبصيرة، ليُدرك أنّ أهمّ هذه الثورات شبهًا بالثورة الجزائرية الماضية هي الثورة السورية الحالية أصالة وعمقا وشمولية وعنفاً وشراسة وبجميع المقاييس المتعلقة بمكانة العدو المادية وإرادة الثوار المعنوية ذات المرجعية الروحية التي تجعل الأغلبية مع الثوار والأقلية في صف النظام الحاكم مع خلل صارخ في توازن القوى من ناحية الأسلحة المادية والتعبئة العسكرية الأرضية والجوية باستثناء الروح المعنوية التي هي في صف أصحاب القضية من الثوار والأغلبية الشعبية التي تجابه المدافع والطائرات بالبنادق الفردية مثلما كان عليه الشعب الجزائري الأعزل ضد الجيوش الفرنسية والترسانة الأطلسية (البحرية والبرية والجوية) ولا وجه للمقارنة بين شعب مُصمم على الجهاد والتضحية في سبيل تحطيم أغلال الاستبداد والاستعباد وحكم ظالم غاصب بالوراثة لإرادة شعب تواق إلى الحرية والانعتاق وبذل أغلى الأثمان في سبيل كرامته والدفاع عن عرضه على أرضه كإنسان في حضارة هذا الزمان!. وعندي كثير من وجوه الشبه للمقارنة والمطابقة بين الثورة الجزائرية والثورة السورية لا أدري إذا كانت المساحة التي خصصّتها " الجزائر" لهذا الحوار تسمح بذلك!؟

تفضلوا...

إنّ أهم أوجه الشبه التي أحصيتها إلى حد الآن بين الثورتين تتلخص في النقاط التالية:

"الرصاص هو الذي يحسم المعركة" أذكر أنّ هذه العبارة قالها وزير الداخلية الفرنسي "فرانسوا ميتيران" في مدينة خنشلة بالأوراس يوم 15 نوفمبر سنة 1954 وقالها أيضا بشار الأسد في بداية الثورة في درعة (أوراس الجزائر) بأنّ الحسم سيكون على الأرض، وقد أكد هذا الموقف رئيس وزرائه

المنشق الدكتور رياض حجاب في تصريح له في الأردن أثناء مقابلة أجرتها معه جريدة "الحياة" اللندنية في الأسبوع الماضي!

1) مشاركة المرأة السورية في الثورة جنبًا إلى جنب مع أخيها الرجل في كلّ الميادين وهوما تميّزت به الثورة الجزائرية بجميلاتها الخالدات فدائيا وسياسيا وإعلاميا...

2) العمق والشمولية لكلّ أنحاء البلاد وفئات العباد من كلّ الأعمار والمستويات، وهوما يطبع الثورتين بطابع لا يخطئه نظر أيّ مُتتبع لتطور الأحداث في سوريا بجيشها الحر، ولجانها الشعبية، ومظاهراتها اليومية والأسبوعية في كلّ مكان..

3) الاعتماد على النفس وهوالطابع الذي ميّز الثورة الجزائرية التي كانت تدبر أمر تسليحها بكل الوسائل وهو نفس الشيء بالنسبة للشعب السوري الذي حرمه كل الأعداء من السلاح النوعي!

4) خذلان بعض القوى العظمى للثورة الجزائرية مثلما خذلت بعض الدول العربية ذاتها بتصويتها ضدّ إدانة نظام الإجرام البعثي مرّتين في الجمعية العامة للأمم المتحدة ولأوّل مرّة تلتقي دول عربية مع إسرائيل في نفس الموقف ضد إدانة النظام البعثي على جرائمه التي أدانتها الجمعية العامة بأغلبية تجاوزت 90%.

5) استباحة كلّ شيء لا أخلاقي من اغتصاب وعقاب جماعي وقلع الأظافر للصغار والكبار، من أجل قمع الثوار وإخماد ثورة الأحرار.

6) انشقاق الوطنيين الأحرار من صفوف العدوفي سوريا مثل هروب المجندين الجزائريين الوطنيين من الخدمة العسكرية في الجيش الفرنسي، بعتادهم وأجهزتهم وخبرتهم لخدمة الثورة المباركة!

7) التفوق المطلق للعدومن ناحية الطيران والأسلحة الثقيلة

التي كان يتزوّد بها الجيش الفرنسي من ترسانة الحلف الأطلسي، مثل ما يتزود النظام السوري اليوم (بلا حساب) من ترسانة النظام الإيراني والعراقي والروسي وحزبهم المعتمد في لبنان.

8) التفوق المعنوي والروحي والنفسي والجسدي للثوار السوريين مثل تفوق المجاهدين الجزائريين على جيوش فرنسا والحلف الأطلسي على امتداد السنوات السبع العجاف التي لم يكن مع الشعب الجزائري فيها إلاّ الله، كما يقول الشعب السوري اليوم في شعاره الذي تردده الجماهير دائما وهو(مالنا غيرك يا الله).

9) كلّ الثورة الجزائرية كانت مبنية على التطوع في التجنيد والتمويل والتضحية بكلّ شيء في سبيل الهدف المسطر، وهوالاستقلال الوطني، ونفس الظاهرة التطوعية نجدها واضحة في الثورة السورية حيث يتوافد على الجهاد آلاف الشبّان من الداخل ومن الخارج رجالا وأموالاً وتصميم الجميع في قسمهم الجماعي (عند الانشقاق) بأنهم لن يخونوا العهد ولن يتوقفوا عن الثورة حتى يتحقق الهدف النهائي المتمثل في إسقاط النظام "التوريثوقراطي" و"التزويروقراطي" الفريد من نوعه في تاريخ الاستحلال العربي المعاصر!!.

والخلاصة التي يُمكن أن نخرج بها هي أنّ النهاية ستكون واحدة بين الثورتين مهما طال الزمن مع فارق كبير لصالح الشعب السوري وهو أنّ عدو الشعب الجزائري في الماضي كان الاحتلال أمّا عدو الشعب السوري الحالي فهو"الاستحلال" وشتان بين الاحتلال الخارجي والاستحلال الداخلي،الذي يكون الخصم فيه هو الحكم والمفعول به لغيره، هو الفاعل، بل هو القاتل لشعبه!!

شخص مالك بن نبي وأنتم ومفكرون آخرون حددتم المرض العربي بدقة منذ سنوات فما الذي يحول دون تجسيد تلك الأفكار!؟

إن الذي يحول دون ذلك في اعتقادي هو أن العلماء عندنا

ينتجون الأفكار ويفتقدون القرار، مما يجعلنا نعيش وضعا شاذا في كل دول العالم، و هو أن من يعلمون ويريدون لا يقدرون لأنهم لا يحكمون، و الذين يحكمون لا يريدون لأنهم لا يعلمون أو لأنهم مدينون بكراسيهم للانقلاب، و ليس لصناديق الانتخاب، و هذا هو سبب الخراب في كل أقطار أمتنا ما دام وضعنا الحالي كالهرم المعكوس أسفله في الأعلى، و الرأس مكان الجلوس!!

هل العولمة شرط أو عامل للتقدم والحضارة أم هي قتل للهوية والدين!؟

إذا كنت تقصد أمتنا وهويتنا فأقول لك بأن ديننا ولساننا هو جوهر هويتنا كما أسلفت، و بالتالي فالعولمة زوال وتذويب لخصوصيات الأمم، و لا تقدم ولا حضارة إلا بتلك الطاقة والقدرة الخلاقة المنبعثة من ذات الإنسان المدفوع بقيم الإيمان، و لا توجد حضارة بدون فكرة دافعة، مثل الرّصاصة في الخرطوشة التي لا تنطلق إلا بنار البارود الدافع! وذلك هو الإيمان بأية عقيدة أو قيمة أو فكرة أصلية تنبع من الذات، و لا تفرض من الخارج بالعولمة، و لذلك أقول إن العولمة وباء، و الهوية هي الدواء!؟

هل هناك سيدي ما تقولونه، كخاتمة لهذا اللقاء؟

تكملة وحوصلة لكل ما سبق، أقول إن الهوية الوطنية مثل الأم والشعب الأصيل مثل الطفل المولود الذي لا يمكن أن يكون له أكثر من والدة حقيقية واحدة، فكذلك لا يعقل أيضا أن يكون للشعب الموحد الثقافة واللسان هويتان مختلفتان... فإما أن تكون للشعب في الأمة هوية واحدة، مثل فرنسا ذاتها التي استحدثت دولتها المستقلة وزارة خاصة بالهوية في حكومتها دفاعا عن وجودها في صراع الأمم والهويات المهددة بالعولمة، قلت إما أن تكون الدولة والهوية هكذا أو لا تكون!!

و بما أن الإسلام هو أساس هويتنا مع لسانه المبين، فإن الاهتمام والتمسك بهذا الدين أساسا، في حياتنا، و بالتالي الاهتمام والتمسك بهويتنا الوطنية والقومية ووحدتنا الترابية التي أوجدها وحافظ عليها شعبنا بفضل جهادنا ضمن مبادئه

وقواعده عبر القرون والأجيال، و اجتاز بها أحلك وأصعب أيام الاحتلال الذي طال وما يزال قائما بعدة ألوان وأشكال، و إن الأحداث العالمية الراهنة ما فتئت تؤكد لنا في كل يوم أنه لا يوجد احتلال دائم ولا استقلال دائم، و إنما يوجد استعداد دائم للتصدي لأي خطر على الوطن بالموقف الجازم والجهاد القائم، إن بدماء الشهداء أو بمداد العلماء الذين يمثلون طلائعهم في هذا الوطن، بكل مقوماته المادية والروحية وإن المعركة الحضارية والتحريرية ما تزال قائمة على أشدها، و ستزداد استفحالا في المستقبل بين شعب باديس وجماعة باريس من الوكلاء والخفراء الذين وقع عليهم الرهان منذ زمان(...) إلى أن تتحقق كل أهداف الشهداء والشرفاء والأصلاء الذين يفرقون بين الشرف والعلف، و بين الجنسية الورقية والهوية الوطنية، و يميّزون بين الغاية والوسيلة والأمة والقبيلة!!

39

الشهيدة الحيّة "أم هانـي"

"هكذا استقبلنا بوضياف، بن بولعيد، بن عودة، وبيطاط بعد اكتشاف المنظمة السرّية" [1]

---

1 نشر بتاريخ 2 ديسمبر 2012.

تستضيفنا في عدد اليوم من اللقاء التاريخي المجاهدة هنية بوستة وهي من كبار المناضلات اللائي ساهمن في الثورة ضدّ الاستعمار، وصارت مثالا للمرأة الريفية المُقاومة. هي من مواليد 1934 بقرية الهارة، دوار زلاطو، دائرة تكوت، ولاية باتنة. استقبلت "الجزائر" في بيتها ب"تكوت" واسترجعت معنا أهمّ ما عاشته خلال الثورة... التحضير... الانطلاقة... الهروب من قوّات المُستعمر التي قبضت عليها خلال محاولة نقل مؤونة للمجاهدين، فلم ترحم ضعفها، فبعد أن قتلت زوجها محمد جغروري، ورمت بجثته المذبوحة بعد التنكيل به، تمّ تمزيق جسدها بـ14 ضربة بحربة البندقية، وحاولوا ذبحها قبل أن يتركوها غارقة في دمائها، وبقيت مضيفتنا "التي صارت تلقب بالشهيدة الحيّة" شاهدة على وحشية الاستعمار الفرنسي، ووحشية النسيان الذي تُعانيه اليوم، وهي تعيش في بيت مُتواضع بعد الاستقلال! عن كلّ هذا فتحت لنا أم هاني قلبها وراحت تسرد الآتي....

سيدتي نعلم أنّ لك باعا في النضال، حيث صرت مثالا للمرأة الريفية المُكافحة، فكيف نشأت، وماذا عن أفراد أسرتك المُنخرطين مُبكرا في صفوف الثورة؟

لقد نشأت في عائلة ميسورة الحال، تعيش على الفلاحة وتربية الماشية. وأفراد عائلتي بتكوت كانوا من الرعيل الأوّل للثورة في المنطقة. ابن عمي هو المُجاهد بوستة مصطفى، وكذا بوستة علي بن عمار، وبوستة ابراهيم. ولي ثمانية إخوة وهم أربعة شُبّان من أبرز الشُهداء الأوائل للثورة في المنطقة، وهم: بلقاسم، علي، أحمد، صالح. وأربعة إناث منهنّ أختي جمعة التي كانت من بين الشهيدات الأربع اللواتي انتقمت عساكر العدو بقتلهنّ على إثر معركة 19 نوفمبر سنة 1954، وهنّ بوستة جمعة، جغروري فاطمة، بوستة منصورة، برحايل فاطمة. وكنّ أولى الشهيدات بهذه المنطقة من الجزائر، وهذا ما أثر في، وزرع فيّ بذرة النضال، وأورثني قوّة الإرادة منذ الصغر، خاصّة وأنني أصغر أخوتي.

هل تمكّنت من الدراسة في المنطقة؟

لا. لم تسمح لي ظروف المنطقة والثورة من مُزاولة التعليم، حيث اكتفيت بحفظ ما تيسّر لي من القرآن الكريم بزاوية المنطقة، وكنت أساعد عائلتي في مُمارسة الفلاحة ورعي الماشية.

نعلم أنك نشطت قبل ثورة التحرير، فماذا كانت المهام التي أُوكلت إليك؟

كنت في غالب الأحيان آوي المُناضلين الذين حضّروا ونظّموا الثورة المُسلّحة وتفجيرها في نوفمبر 1954، حيث كان بيت عائلتي مركزا لجيش التحرير لوُجوده بمنطقة حصينة بقرية بوستة، فتحناه على مصراعيه للمُجاهدين فاحتضن ما صار يُسمى بـ"مركز بوستة" الزعماء الـ16 للثورة بعد اكتشاف أمر المنظمة السرّية، ومن بينهم رابح بيطاط، وعمار بن عودة، ومحمد بوضياف، بالإضافة إلى مصطفى بن بولعيد إلى أن اندلعت الثورة.

كيف كُنتم تضمنون لهم المأوى والحراسة؟

كنا نستقبلهم، ونُقدّم لهم الطعام، وغسل الملابس العسكرية للمُجاهدين، وقُمنا بالحراسة ليلا أثناء استضافتهم ونقل المؤونة والرسائل والمناشير إلى الثوّار في الجبال. وأثناء المعارك كنت أقدم الطعام والماء للمجاهدين. وكنا نُساهم أيضا في إسعاف الجرحى ونقلهم إلى أماكن آمنة، والمُحافظة على الأسلحة التي يتركها العدو في الميدان بعد المعارك وأدفن الشهداء، حاملة السلاح أثناء القيام بمهامي.

شدّدت قوّات الاستعمار حصارها على المنطقة بعد الثورة، فهل تمكنت من إخماد لهيبها في القرى والجبال؟

في أواخر شهر نوفمبر سنة 1956 شرعت قوّات الاستعمار في عملية تمشيط واسعة وتطويق لمنطقة "الهارة" وجبالها بحثا عن المجاهدين الذين لزموا أماكنهم لما أحسّوا بالخطر تحسبا للفرصة المواتية للانقضاض على عساكر العدو.

هل قبض عليك العدو اثر عملية تمشيط؟

شاء القدر أن يكتشف العدو أمري وزوجي وقد كنا نحمل كميّة كبيرة من المؤونة، فثارت ثائرتهم ضدّنا وأطلقوا الرصاص على زوجي محمد جغروري، ثمّ قاموا بذبحة بعد التنكيل به، وكان الوقت عصرا، أي حوالي الثالثة مساء. أمّا أنا فأخذوني إلى منزل مهجور يبعد عن المكان بأكثر من 50 مترا، ومزّقوا جسدي بحربة

بندقية بدء بالرقبة ثمّ الذراع والصدر والظهر، والرقبة من الناحية اليسرى، (كما ترى آثار محاولة الذبح) ليتركوني جثّة هامدة غارقة في الدماء مُعتقدين أنهم قضوا عليّ، وأنني هلكت من جراء تلك الجروح الكثيرة والعميقة، ولما أفقت أحسست بآلام شديدة تمزّق جسدي والدم ينزف من كلّ مكان مني ورغم هذا زحفت بيد واحدة، وأشعلت النار مُستعملة حينها المناديل التي كنت ألف بها رأسي وبدأت أحرقها الواحدة تلو الأخرى وأضعها وهي مشتعلة على الجراح العميقة في رقبتي، وفي مناطق مُتفرّقة من جسدي الممزق بالطعنات ولكن سرعان ما يُداهمني الدوار، وأفقد الوعي ولما استفيق أعيد الكرّة! كانت العملية مُؤلمة لكنّ رغبتي في الحياة ومُواصلة النضّال كانت أقوى من شُعلة النار في طرف المنديل، وأنا أحطّه على الجُرح، وبقيت أصارع الموت لفقداني كميّة كبيرة من الدم وقضيت ليلة كاملة في ذلك المنزل المهجور إلى غاية صبيحة اليوم الموالي حيث عمدت مجموعة من المُجاهدين إلى البحث عنا في تلك المناطق المُجاورة بعد رحيل عساكر العدو عن المنطقة واكتشفت جثة زوجي الشهيد. أما أنا فعثر عليّ المجاهدون في حوالي الساعة السابعة صباحا. ومن بينهم جغروري لمبارك وبرحايل احمد حيث عمدوا إلى حملي على نعش مصنوع من جذوع الأشجار الميت وبعض القش واستنجد المُجاهد دربالي لمبارك بالممرض المدعو سليماني محمد اوعمر الذي قدم لي الإسعافات الأوّلية قبل نقلي إلى "الكازما" أو المستشفى العسكري "مركز كيمل" الذي يبعد بمسافة 60 كيلومترا من ذلك المكان. ولما أفقت في "الكازما" جاءني الطبيب سي محفوظ اسماعيلي من الجزائر العاصمة وسألني عن الجراح التي يبست كليّة ولم تعد صالحة للترقيع فأجبته بأنني عمدت إلى كيّها بالنار بعد أن أحرقت مناديلي كلها فقال: "ناخذو منك الزريعة" (ويقصد أنه يتعلم مني الصنعة، بعدها أمر بتنظيف جراحي وعلاجي).

هل كان عساكر فرنسا يذبحون في القرى؟!

اللفيف الأجنبي من كانوا يذبحون، هم في اغلبهم عبارة عن مُرتزقة.

إلى متى بقيت في "المستشفى" أو كازما كيمل؟

مكثت في مستشفى "كيمل" 40 يوما إلى أن شُفيت جراحي

فعدت إلى منزلي بشناورة لمُواصلة نضالي وكانت هذه الحادثة أيضا سببا في فُقداني لجنيني.

هل استمر نضالك بعد هذه الحادثة التي نجوت منها بأعجوبة؟

نعم لقد استمررت في العمل النضالي، وكنت محل بحث قوّات الاستعمار، بعد أن علموا بنجاتي من الموت. إلاّ أنهم لم يتمكّنوا مني والحمد لله، واصلت العمل مع المُجاهدين من سنة 1957 إلى توقيف الحرب سنة 1962.

سيدتي، صرت من بين الشهادات الحيّة على مجازر الاستعمار، هل أعيد لك الاعتبار؟

أجل، وأنا اليوم من بين الشهادات الحيّة على مجازر النسيان الذي يُعانيه المجاهدون الحقيقيون. رغم أنهم يتناقلون قصّتي، إلاّ أنه لا أحد يزورني، إلاّ المقربون مني، ولا أحد يطل عليّ، بقيت شهيدة حيّة، ولكن بدون روح...

40

زهيرة خروبي

"هكذا فجّر "المنفية" ثورة أوّل نوفمبر في بلاد القبائل"[1]

---

1 نشر بتاريخ 8 ديسمبر 2012.

نستضيف في هذه الأعداد الثلاثة من اللقاء التاريخي مُجاهدة وهبت نفسها، وشبابها في سبيل القضية الوطنية، كيف لا؟ وهي من عائلة تربى أفرادها في ظلّ العمل النضالي. هي التي تقول أنّ الثورة كانت النتيجة الحتمية لسلسلة من التحضيرات، والإخفاقات، والتجارب التي جعلت فكرة الاستقلال تختمر في أذهان رجال الفاتح من نوفمبر، ودفعتهم إلى الانتفاض لتخليص الوطن من نير الاستدمار الرهيب. وتستحضر، بكثير من العمق والدقّة أيضا، مُعاناة المرأة الريفية... البنت، والأخت، وكذا الزوجة التي صبرت، وكافحت، بل وواجهت العدو، واعتقلت وسُجنت وعُذّبت وعانت الويلات لتواصل، بكل عزم وإيمان ووثقة، مهمة التحرير. هكذا كانت مسيرة السيدة زهيرة خروبي (المدعوة فاطمة)، زوجة أحمد عبد الرحماني (المدعو سي أحمد الصالح)، التي استقبلت جريدة "الجزائر" في بيتها ببرج منايل، ورغم أنها في التسعين من العمر (متعها الله بالصحة والعافية) فإن لها ذاكرة يحسدها عليها الكثير من الشباب، وإليكم قصة ما عاشته من أهوال في هذا الحوار المثير، الدقيق والعميق....

سيدتي نعلم أنك حملت راية النضال بعد اعتقال زوجك المجاهد المعروف احمد عبد الرحماني، (سي أحمد الصالح) وهو أحد مفجري ثورة الفاتح من نوفمبر، هلا حدّثتنا بداية عنه؟

يجب في البداية أن نوضّح أنّ الثورة لم تبدأ من الفاتح نوفمبر، وإنما كانت سابقة لهذا التاريخ.. بداية من التحضير، والتنظيم، وحتى النكسات المتتابعة لمن حاولوا تفجيرها من قبل، ولم يستطيعوا لسبب أو لآخر. كلّ هذا يجب أن لا ننساه، وأنا سأكتفي بالحديث عمّا عشته وما أتذكره بطبيعة الحال وأنا أشرف الآن على التسعين. وأمّا زوجي فقد عاش الحرب العالمية الثانية، وعاد منها برتبة رقيب. وبعد عودته أصبح خطابه تحرريا بشكل ملحوظ

وخاصّة بعد مجازر 8 مايو1945 في ڤالمة وسطيف وخراطة وكانت سترتكب نفس المجازر عندنا في بغلية ودلس وسيدي داود وبرج منايل لولا لطف الله، حيث عدل المنظمون عن إشعالها في آخر لحظة وبالتالي نجانا الله من المجازر الرهيبة، وأذكر أنّ زوجي منذ ذلك الوقت صار لا يتحدّث إلاّ عن "الاستقلال". حتى أنه عندما أنجبت طفلة وقتها لم يرد أن يُسجّلها في مصالح الحالة المدنية، وهو نوع من مُقاطعة الإدارة الفرنسية. وبعدها طلب منه بلقاسم كريم (رحمه الله) أن يُسافر إلى فرنسا في غضون تلك السنة بهدف التنظيم. وأذكر أنه عندما عاد، كان موسم خريف وكان دائما على اتصال مع مجموعة من الأشخاص المبحوث عنهم من "الخارجين عن القانون" أو المنفية كما كانوا يسمونهم، وأغلبهم من أصحاب المنظمة السرية التي تفككت، وكانوا في بغلية تسعة أشخاص، أذكر منهم: موح قاسي، رابح أواضي (من قرية كطوص)، آكلي أوبابو، وسي موح الشريف (من ماكودا) وآخرون نسيت أسماءهم. كلهم كانوا أصدقاء ورفقاء زوجي في النضال يجمعون الاشتراك الذي كان حينذاك يُقدّر بـ 4 دورو، والناس كانت تسخر منهم عندما يقدمون فيقولون عنهم:"ها هم جماعة حزب الشعب قد أتوا"! ومرّة التقوا في السوق يوم الاثنين في بغلية، ودعوا الناس إلى مُحاربة فرنسا أي تفجير الثورة، ثمّ وصلني خبر بعدها بأيام قليلة بأنّ جماعة سي أحمد الصالح (أي زوجي) انكشف أمرها، ولهذا لا بد أن يحتاط للأمر، وهو ما جعلني أعيش في حيرة وقلق دائمين من إمكانية اعتقاله في أية لحظة من طرف قوّات الاحتلال. وأثناءها أرسل رئيس بلدية بغلية، أمين الدشرة إليّ ليعرض عليّ أن أطلب من زوجي تسليم نفسه على أن يعفوا عنه ويمنحوه عملا. وعندما جاء رحمه الله بعد ذلك بأيام قليلة وهو في حالة فرار أخبرته بالأمر، فقال لي أنّ عليه هو (ويقصد وسيط رئيس البلدية) أن يخشى العواقب ولست أنا، وأضاف ما معناه "أنّ الوقت قد حان للمرور إلى العمل الجدي..."، وأنه هو الذي كان عليه أن يحتاط لهذه اللحظة ويقصد به الوسيط الذي نعرفه وهو من أصحاب الولاء للاحتلال

والمتعاملين مع إدارته كمستشار في البلدية وهو معروف[1] فقال لي إذن ما معناه أن-عليه هو أن ينضم إلى العمل الوطني وينتظر ساعة الحق (أي الثورة) عوض أن يدعوني أنا لكي "أتعقّل"، ويُغريني بالعفو عني ويرشيني بمنصب عمل...!" وعلمت أنّ تلك الأيّام كانت هي المرحلة الأخيرة من المراحل المُتقدمة للتحضير للثورة، لأنّ بعدها بأيام قليلة أحضر إلى البيت بذلة عسكرية، وقميصا، وسروالا، وأحذية، وكذا "مناقير" ومقصا، ودلوا مليئا بالوقود، وقد قبلت أن اخفي تلك الأشياء كلها في البيت ما عدا القضبان الحديدية التي طلبت منه أن يعثر لها على مكان آخر، وهكذا فعلنا. ومرّة أذكر (كما يذكر أبنائي كذلك) أنه أحضر لي كيس فحم من شجرة "الدفلة" لكي أطحنها في الرحى كالقمح والشعير، وحسبت لأوّل وهلة أن هذا الفحم الذي أحضره، دون طلب أو سبب، سنستعمله للطهو، ولكنهم في الحقيقة كانوا يستعملون ذلك المسحوق لصناعة البارود... وأذكر أنّ وجوه أولادي كلها أصبحت سوداء مثل الغربان، وهم ما يزالون يتذكرون ذلك إلى اليوم ويضحكون...!! نعم، لقد كانت تلك آخر مرحلة من مراحل التحضير للثورة فيما علمت وشاهدت وعشت عن قرب!. وبقي أن أشير في النهاية إلى أن البندقية التي حملها زوجي يوم تفجير الثورة في الفاتح من نوفمبر، كان قد اشتراها بماله الخاص، فيما أعلم، ولا أذكر نوعها أو اسمها!!

كيف انطلقت الثورة في المنطقة، وما هي أُولى الأعمال التي وقعت؟

كنت أسكن في قرية القضية[2] وكنت قد اعتدت أن يغيب زوجي لفترات كما قلت، وأذكر أنه قبل انطلاق الثورة بأسابيع كان يأتي إلى البيت مُتأخرا، إذ كان يجتمع مع هؤلاء "المنفيين" من رفاقه إلى ساعة مُتأخرة من الليل، ومرّة إلى الصباح، ومرّات لا يعود إلاّ في اليوم الموالي، صار هذا عاديا بالنسبة لي، وفي أحد الأيام وكانت ليلة الفاتح من نوفمبر سنة 1954 جاء إلى البيت فحمل

---

1 دون ذكر اسمه احتراما لاسم عائلته التي التحق العديد من أبنائها بالثورة فيما بعد ومنهم شهداء.

2 بلدية تاورجة حاليا.

مؤونته، وأوصاني أن أُخبر من يبحث عنه بأنني في بومهالة وغادر...وفي صباح الغد الاثنين جاء ابني السعيد، وحكى لي ما وقع، وما تناقله الناس من أنّ "أصحاب حزب الشعب" قاموا بعمليات تخريب وكسر وهدم. وحتى مساء اليوم الموالي لم يأت إلى البيت، فأرسلت ابني ليسأل عنه عند رجل من القرية كبير في السن، وهو عمي محند الشريف، فأخبره أنّ والده لم يعد إلى البيت منذ يومين، فأجابه أن لا فائدة من البحث عنه، ولم يفهم ابني شيئا، واكتفى بنقل الجواب، كما سمعه، فطلبت سي محند الشريف بنفسي، فجاءني، وقال لي نفس الكلام الذي قاله لابني ولما سألته عن تغيبه، وأخبرته بما سمعت عنه من الجيران، وطلبت منه أن يجد لنا حلا ما، قال أنه سيُرسله قريبا، وبعد يومين أو ثلاثة جاء زوجي في الليل، فقال لي فيما أذكر مثل الآن: كلّ ما سمعته عني صحيح وعليك أن تختاري بين أمرين:"إما أن أموت أسدا أو أموت كلبا" وكان يقصد أنه لا يُمكن أن يتراجع عن النضال والجهاد الذي اختاره بكلّ حرية وطواعية، ذلك أنه إذا خرج عن الثورة فيقتله إخوته باعتباره خائنا للأمانة والعهد، وإن بقي في الطريق التي اختارها بكل تصميم واقتناع فتقتله فرنسا...، وهو قد صمّم على اختيار الشهادة أو السعادة (أي الاستقلال) إشارة إلى الشعار الذي كان مرفوعا في تلك الأيام وهو **"نموت شهداء أو نعيش سعداء"**، ومنذ ذلك اليوم لم أر وجهه إلاّ بعد توقيف الحرف وانتهت أهوالها سنة 1962.

متى قبض على السي أحمد الصالح ؟

لقد كان ذلك في الـ14 من ذات الشهر (أي نوفمبر سنة 1954) وقد قبضوا عليه بعد معركة بايليلان[1] وكان معهم الكثير من النوفمبريين الذين نعرفهم ومن بينهم سي واكلي الذي يذكر تفاصيل المعركة جيدا (وهو ما يزال على قيد الحياة) وكذلك أكلي أوبابو الذي استشهد فيما بعد وقد نجا هذه المرة وهرّب معه كلّ الوثائق التي كانت بحوزة المجموعة التي فاجأها العدو بسبب وشاية، فأُخذوا على حين غرة! فحدث ما قدر الله أن يحدث، حيث استشهد من استشهد وأسر من أسر، مثل حالة زوجي الذي أُلقي

---

1 تقع بالقرب من غابة ميزرانة الشهيرة التابعة لدائرة ثيجزيرت.

عليه القبض بعد أن نفدت ذخيرته في هذه المعركة التي تُعتبر الأولى من نوعها في المنطقة، وكان سيُحكم عليه بالإعدام ليكون عبرة لغيره من الثوّار، ولكنّ المحامي قال لنا أنّ الذي عنده 6 أطفال، يُحكم عليه بالسجن المؤبد فقط، ونحن كان لدينا أربع بنات، وطفل، وهو السعيد (هذا الذي أمامك)، ومن قدر الله أني كنت حينها حاملا بالطفل السادس، فإن أنجبت (بفضل الله تعالى) فإنّ زوجي سيُحكم عليه فقط بالمؤبد، وبذلك ينجو من الموت، ولكنّ ظروف ولادتي كانت جدّ صعبة، حتى أنني كدت أفقد جنيني، إذ كنت لوحدي مع أبنائي الصغار، وولد ابني في الظلام، ولم أستطع حتى أن أقطع له الحبل السرّي، وفي الصباح كان وجه الطفل شاحبا ومُصفرّا، وباردا، فظننت لحظتها أنه قد مات!. فأرسلت ابنتي الكبرى إلى ابنة عمي، التي كانت تسكن معنا في القرية فقالت لها أنه قد وُلد لدينا طفل ومات، فجاءت مسرعة وعاتبتني على أنني لم أخبرها في الليل، وقالت لي أنها كانت ستأتي رغم الحركى الذين كانوا يتربصون بنا في كلّ حين حول القرية وحول البيت أحيانا، فأتت وأنعشته بفضل الله، وبهذا حُكم على زوجي بالمُؤبد...لا الإعدام! وأذكر أن ابنة عمّي هذه التي أسعفتني كانت تقول عن ابني الوليد الذي اسميناه (رابح) بأنه وجه خير علينا جميعا، لأنه نجّى والده من الموت (والأعمار بيد الله).

كيف صرت تأوين المجاهدين؟

الجواب: كان ذلك بعد أن قبض على زوجي، وحكم عليه بالمؤبد كما قلت، وبقينا سنة كاملة دون أن يزورنا أحد. وعشنا المأساة بأيامها ولياليها، إلى أواخر سنة 1955 حيث بدأ يظهر أوائل المجاهدين في المنطقة من الذين غادروها مع انطلاقة الفاتح من نوفمبر، فاستقروا في الغابة المجاورة للقرية، وقد كنا في النهار ننقل لهم الطعام إلى أماكنهم، وفي الليل نأويهم عندنا، وقد كانوا مجاهدين من سيدي علي بوناب، وميزرانة، وقبائل جرجر، ومن بوبراق، وبومهالة وبني ثور، وكانوا يودعون عندي أحيانا بعض أغراضهم وحتى بعض المبالغ المالية لأخبئها لهم في مأمن، لأنهم في تلك الشهور الأولى من الثورة، لم يكن يوجد في ناحيتنا إلا عائلات ثورية معدودة جدًا هي التي تفاعلت مع الثورة المباركة من أيامها الأولى، ثمّ فيما بعد انتشرت، لتشمل كل القرى بالناحية

وتدخل معظم البيوت وتستقطب الشباب المتحمس للجهاد حتى من العائلات ذات الولاءات السابقة لإدارة الاحتلال وذات العلاقات المشبوهة معه، وهكذا سايرنا تطورات الثورة، في كلّ مراحلها ومُنعرجاتها وسنوات قوّتها وضُعفها إلى أن القي عليّ القبض أنا بدوري سنة 1958 في أشدّ سنوات الثورة التهابا وضراوة بعد مجيء الجنرال ديغول وتنفيذه لعملياته الشهيرة في المنطقة كالمنظار والشرارة وغيرهما!. وكنت أوّل امرأة، فيما أعلم، يُلقى عليها القبض في الناحية وتُعذب وتُسجن لمدّة طويلة وتترك أولادها الستة يتألمون وينتحبون!!

كيف تفطنت لكم قوّات الاحتلال؟، احك لنا قصة إلقاء القبض عليك،وسجنك..

لقد وشوا بنا، في البداية كان هناك مُناضل اسمه (أوبراج) ولقبه بولعراس، كان يسكن في منزل منفرد وسط شجر الزيتون الكثيف في سفح جبل تاروقة (مقابل قرية القضية)، كان لديه مخبأ للمُجاهدين في بيته وقد قبض عليه يوم اثنين على أثر وشاية، وعُذب عذابا شنيعا، وكان يعرف بيتي، رغم أنني لا أعرفه شخصيا لأنه ليس من قريتنا أصلا. ولعله أحضر أكلا، أو وثائق للمجاهدين أو قابلهم في بيتي في وقت سابق، دون أن أعلم بذلك، ثمّ أتى العساكر يوم الخميس تقريبا على الساعة الثانية عشر، وجاء معهم هذا المناضل المعذب والمنهك ليواجهني، وبعد ذلك أخرجوه وأثناءها تمكّن من الهرب بمُساعدة أحد الحركى كما قيل لي (يدعى موح بن علي)، الذي اتفق معه سرا على أن يتركه يهرب وبعد أن يركض حوالي ال 20 مترا، يُوهم العسكر الآخرين بأنه فرّ من قبضته، ويتظاهر بإطلاق النار عليه، دون أن يُصيبه وهذا ما قد حصل!. أمّا أنا فكنت مع بناتي، وكذا فتاة (مبحوث عنها) هرّبها المجاهدون لتمكث عندي فقلت للعسكر أنها بنت أختي، وأثناءها امتلأ حوش بيتي بالعساكر فهممت بالخروج مع بناتي لكنّ أحد الحركى طلب مني أن لا أخرج من البيت. وكانت ردّة فعل العساكر إثر هروب الرجل عنيفة، إذ جنّدت الكثير من القوّات، وراحت تحرق وتخرب وتدمر، وزوجة الرجل الهارب (موح أوبراج) كانت نافسة، أي حديثة الولادة، وقد أتوا بها من بيتها في صباح ذلك اليوم مع وليدها الرضيع... أخرجوا كلّ الناس من سكان القرية إلى الساحة، كبارا وصغارا، النساء تبكي، وكذا

الأطفال، أما أنا فقد أخذوني مباشرة مع زوجة أوبراج وابنها الرضيع إلى مركز أولاد وارث، فوضعونا في كوخ حيث بتنا ليلتنا في حالة يرثى لها، وفي الصباح نقلونا إلى مركز زبوج قارة (في سيدي نعمان)، وبعدها إلى برج منايل، ثمّ أعادونا إلى ثكنة (قالوطا) في دلس، ومن ثمّ إلى سجن تيفيشون، حيث بقيت أكثر من سنة وخرجت قبل توقيف الحرب بحوالي سنة ونصف....

حسب ما فهمت من كلامك فإن الحركى كانوا يد الفرنسيين التي يبطشون بها، فهل لك أن تذكري لنا بعض ما تعرضت له على أيديهم من تعذيب وغيره...؟

أجل، وخاصة حركى دلس، مثلا، فقد كانوا يعذبون المساجين بطريقة رهيبة جدا، لقد بقينا هناك في معتقل دلس للاستنطاق والتعذيب لمدة شهر و22 يوما، أذكر أننا عندما وصلنا أوّل يوم أخذوا رفيقتي التي عذبوها بالكهرباء، ثمّ عادت في حالة يُرثى لها، وكانت تترك عندي رضيعها يبكي من الجوع وتهري لحمه من التعفن بشكل يصعب رؤيته!! قالت لي أنهم لا يرحمون، وأنني سأجبر على أن أبوح بما لم أره! لذا عليّ أن أقول كلّ ما أعرف، فهُلعت، بطبيعة الحال، وتذكّرت ما قاله لنا المجاهدون من أن لا ننكر وجودهم، وإنما نقول دائما أنّ العساكر هم الذين أتوا، وعندما أتى دوري اقتادني الحركي الذي يُسمى (ابن الشوافة) واسمه الحقيقي كما علمت هو (عمر بوعبيد) وقد كان هو الذي يعذبنا خفت كثيرا، حتى أنّ لون وجهي تغيّر، سألني الحركي المذكور: "لماذا وجهك شاحب؟" قلت: "لأنني مريضة بالروماتيزم،" فقال بكل استهزاء وسُخرية :"هنا يمكن أن تشفي من الروماتيزم تماما!" لم أرد. سألني الضابط عن اسمي، قلت:خروبي، قال لي:"آه، عائلتكم كلها فلاقة" كانوا سيضعون سلك الكهرباء في أذني، ولكن وُلدت بأذن واحدة، فسألني عنها، فقلت أنني خُلقت هكذا، فوضع الأسلاك في رجلي، وبدأوا في التعذيب حتى أغمي علي، وعندما أفقت، سألني عمّن كان يأتيني..مجاهدين... فلاقة؟ اكتفيت بالصمت، ثمّ أعادوا الكرّة، وسألوني... نفس الرد، ومرّة ثالثة وضعوا لي الكهرباء، قال لي العسكري الذي يتحدّث بالعربية، إن كنت لا أعرف شيئا؟ قلت لا، وأنني لا أعرف إلاّ العساكر مثلكم، سألني إن كنت أحسن الفرنسية؟ قلت لا، فقال أنّ موح الصغير شعلال كان يأتي إلى بيتي، ويُعطيني الأموال، قلت

لا، في النهار يأتي العساكر وفي الليل يأتي العساكر أيضا. فسألني إن كان هؤلاء العساكر يُعطونني أموالا، قلت له نعم، سألني إن كنت أخافهم، قلت نعم، سألني عن السبب، أجبت أنّ الطرفان يقتلاننا، هم يقتلون بالأسلحة، وهؤلاء يقتلون بالرصاص ويذبحون أيضا، وهنا صمت، أو اقتنع على الأقل بما قلت، فأمر أن ينزعوا عنيّ الخيوط، ثمّ أخذوني، وكنت أمشي والحركي يدفعني إلى الأمام، وأعادني إلى الزنزانة وهذا كله تم في ثكنة (قالوطا) في مدينة دلس التي بقينا فيها شهرا و22 يوما كما قلت، ثمّ بعد ذلك نقلونا إلى معتقل تيفيشون الذي يقع في غرب العاصمة[1] حيث بقيت هناك أكثر من سنة...وعندما أطلقوا سراحي وضعوني تحت الإقامة الجبرية في مدينة تاورڤة، حيث كان كل سكان قرية القضية قد رحلوا إلى هذه المدينة المطوقة بالأسلاك الشائكة وكان من ضمنهم بطبيعة الحال أولادي وقسم من عائلة زوجي، وقد فرض على بعد خروجي من السجن أن أحضر مرّة في الأسبوع كلّ يوم سبت إلى المركز لأسجل حضوري عندهم وقد دام ذلك (التعذيب النفسي) لأكثر من ستة أشهر!. ولأعود لسؤالك عن التعذيب في السجون فقد كانوا ينتزعون جلد المسجونين بالمفك. أذكر، مثلاً، أننا أمضينا العيد في المعتقل وأخرجوا المساجين، وأخرجونا أيضا، ورأيناهم...آه، كم كان منظرهم مؤلما وكلامهم جارحا وفعلهم مشينا! صدّقني يا بني إنني إلى اليوم مازلت أحلم بالعسكر والحركى والتعذيب بالكهرباء وما إلى ذلك... فأقوم من نومي مذعورة، ومعوذة بالله من الشيطان الرجيم، حامدة الله على أنه كان مجرد حلم، وإننا في الاستقلال بالفعل، ولسنا في حلم فقط، مثلما كان يقع لنا في غياهب السجون والمُعتقلات والمحتشدات والجبال والغابات خلال سنوات الثورة....

لقد ذكرت أنّ الضابط الذي استنطقك قال لك بعد أن عرف اسم عائلتك (خروبي) بأن أهلك كلهم "فلاجة"... حدثينا عن أهمّ المجاهدين الذين تذكرينهم من العائلة؟

بحكم أنني أكبر جميع إخوتي فإني أعرف كثيرا من التفاصيل عن حياة أفراد العائلة بمن فيهم أبناء أعمامي الذين أكبرهم سنا كذلك جميعا، أما عن مشاركة أفراد عائلتي في الثورة فأذكر أن لي

1 يقع بين بوهارون وبوسماعيل.

أخا مجاهدا هو محمد شريف الذي يصغرني بعشر سنوات، والآخرون شاركوا بدرجات متفاوتة في الثورة، ولي في المجموع أكثر من عشرة مجاهدين من أبناء عمي منهم سبع شهداء، وأذكر أن أخي محمد الشريف، قد زارني في بيتي بقرية القضية، (وكان يدرس في قسنطينة) ليواسيني في زوجي الذي كان قد ألقى عليه القبض في الأيام الأولى للثورة كما سبق التفصيل... فقلت له عن زوجي بأنه هو فعل ما يريد عن قناعة وتصميم... ولكن مُشكلتي أنا مع أولادي الصغار الذين تركهم لي دون عائل سواه...! فقال لي فيما أذكر مثل اليوم ولن أنساه أبدا: "أعاهدك أنني لن أتزوّج حتى أكبر لك أبناءك بدل أبنائي، إنشاء الله، وزارني مرّة أخرى بعد ذلك، وقد صادف يومها أن قتل في تاورقة أحد المعمرين (الكولون) فقدم العساكر واعتقلوه، وعذبوه، وبعد إطلاق سراحه التحق بالثورة ولم ألتق به إلاّ بعد الاستقلال...

وعن المجاهدين الشهداء أذكر أبناء عمي أحمد الثلاثة (وهم محمد الشريف، وعبد الحميد، وعبد الرحيم) وعن استشهاد محمد الشريف فقد كان الفعل حدثا مشرفا حيث كان محافظا سياسيا قدم من تونس التي كان يدرس بها ليلتحق بالثورة هنا، وهناك مجاهدون وشهداء من العائلة كذلك.

نعلم سيدتي أنك تحفظين بعض الأناشيد الوطنية، هلا أسمعتنا شيئا منها؟

أوّل نوفمبر هو تاريخنا
فتح الجهاد عزيز علينا
بليلة الحد على الثانية عشر بدينا
هددنا العدو في كل مدينة
أعطينا العهد وما ولينا
سبع سنين ونصف ومحال ملينا
حتى الاستقلال باش تهنينا

وهناك أنشودة أخرى تتحدث عن الوطن...

الجزائر يا الغالية يا بلاد الجدود
طويلة وعريضة ما عندها حدود
فرنسا بالشارات والطيارات من لفوق

وحنا بالإيمان وربي موجود
سبع سنين ونصف هي ظلمتنا
اتدير في لحباس التريسيتي والماء
مليون ونصف شهيد راهم في الجنة
يا شعب الجزائر تفكر مليح
صورتنا فاتت خلات التاريخ
في ذاك العهد قمنا نسا ورجال
دم الشهدا في الجبال ويدان
ضحوا بنفوسهم كلهم شبان
بالا يمان والشجاعة نحينا الاستعمار
وعلامنا غالي مشكور في الميدان
من بعد يرفعوه بالنجمة وهلال
يرحم الشهدا ونشكر اللّي مزال

41

مختار زعبار

"المصاليون أغرقوا فرنسا ولهذا صفّينا حركى بريكة"![1]

1 نشر بتاريخ 10 ديسمبر 2012.

نتحدث في هذا اللقاء الشيق مع المجاهد مختار زعبار، المولود في بلدية القسباط، دائرة راس لعيون، ولاية باتنة سنة 1930، وهو ماجعله يعتمد على نفسه، ويُسافر إلى فرنسا من أجل العمل، وهناك يلتقي بالمناضلين، وارتبط بالقضية الوطنية، وقد دفعه حماسه الشديد إلى العودة إلى الوطن من أجل الالتحاق بجبال الأوراس التي يعرف كلّ مسالكها الوعرة، ويحكي لنا في هذا اللقاء التاريخي عن الأشخاص الذين عرفهم، والأحداث التي عايشها، وكذا المعارك التي شارك فيها. قبل أ ن يصف حالة بلدية القسباط التي لا يزال يعيش بها إلى اليوم، والتي ضحى سكانها من أن أجل أن تتحرر الجزائر، وهي ما تزال تفتقد لأدنى شروط الحياة، ذاكرا أنّ المسؤولين هم المتسببون في هذه الوضعية الكارثية...

سيدي نعلم أنكم من بين المُهاجرين الذي قرّروا الانضمام إلى جيش التحرير من فرنسا، كيف كان يتم التجنيد هناك؟

في الحقيقة ذهبت إلى فرنسا لكي أعمل، وأجني قوت يومي، ذلك أنني لم أكن قد بلغت السابعة عشر من العمر، وتربيت يتيم الأب، والأم. وغادرت رفقة صهري عمر زعبار بن محمد، واستقرّينا في مدينة "ليون" حيث كنا مُتصلين بجماعة محمد قسنطيني، هذا الأخير كان ممثل جبهة التحرير في المنطقة، فكنا 25 رجلا.

من هم هؤلاء الـ25 رجلا؟

أسماؤه هي: بن معمر سبتي، بن معمر صالح، أخوه، بن مسوس محمد بن عياش، بوعبد ا لله لخضر، بوعبد الله احمد، زعبار رابح، بن حادوش عمار، بن خليفة سبتي، رباج عمر، رباج السعيد. كلهم ضمن فوج محمد قسنطيني الذي عيّن بعدها بن مسوس محمد بن عياش مسؤولا.

كان الصراع على أشده بين الجبهويين، والمصاليين، كيف كنتم تتعاملون معهم، وهل اتصلوا بكم؟

الدائرة الثالثة التي استقرينا فيها أنا وصهري في البداية كان بها المصاليون الذين كانوا يجتمعون لدى المدعو لزهاري القادم من الجلفة، هذا الأخير كانت لديه مقهى، وفعلا اتصل بنا، وطلب منا أن ندفع الاشتراكات، وهو ما جعلنا نغيّر مقر السكن.

هل وقع صدام بين الطرفين؟

أجل، خاصة بعد أن قرر قسنطيني، مسؤولنا، أن يُواجههم، إذ أحضر لنا مرّة مجموعة من المناشير وطلب منا أن نوزعها وتخيّل أين؟ في المقهى الذي يديره لزهاري، كان ذلك بمثابة انتحار، وعندما سألنا قسنطيني، قال أننا سنجده هناك عندما نصل. وفعلا، دخل بن مسوس ليوزّع المناشير على الجالسين في المقهى، فخاطبه لزهاري قائلا إنه إن فعل سيقتله، وهنا دخل قسنطيني الذي جاء رفقة اثنين آخرين في سيارة سوداء، دخل لوحده إلى المقهى، وأطلق النار على لزهاري فأرداه قتيلا، خاصة وأنّ هذا الأخير كان يتحرك حركة غير عادية، على الأرجح كان يحاول بها أن يُخرج سلاحه، ثم استدار بسرعة، وقال على كل واحد أن يذهب لشأنه، وانطلق، أما نحن فغادرنا بدورنا على دراجات نارية، وبعد قرابة الشهر من تلك الحادثة صاروا كُلهم مُساندين للجبهة.

مدينة "ليل" كانت من بين المناطق التي تحوّلت إلى مقرّ للمصاليين في فرنسا، هل كان لكم اتصال بهم، أو محاولة لاحتوائهم في صفوف الجبهة؟

لم يكن هناك فرصة للتحاور، كانت اللقاءات أغلبها عبارة عن صدام بيننا وبينهم، ولعلنا نجونا بأعجوبة يوم حاولنا التقرب منهم في مدينة ليل، ذلك أنّ المسؤولين طلبوا منا، بالفعل، أن نتجه إلى ليل، وحتى جماعة لزهاري الذين حدثتكم عنهم منهم من أصرّ على موقفه المساند للمصاليين، فاتجهوا أيضا إلى ليل، فصارت هذه المدينة بعد مدّة مقرا لهم، كما قدّمت، حيث ذهب بن معمر، وبن حادوش، وثلاثة آخرون إلى ليل، وعندما وصلوا كان المصاليون سيقتلونهم، ولكن كانت تربط بين أفراد من الطرفين صلة قرابة عائلية، فانتهى الصدام بأن اتفقوا على أن يسمحوا لهم بالمغادرة على أن لا يعودوا مجددا، خشية أن يسيل الدم بين أشخاص من عشيرة واحدة.

ماذا كنتم تعملون في فرنسا؟

بالنسبة لي كنت أشتغل في البناء، مثل الكثير من المهاجرين، إذ

كانت المهام الشاقة تُترك لنا، وحتى اليوم لا أحسب أنّ الوضع تغيّر كثيرا بالنسبة لمهاجرينا، ولكن أذكر أنّ "الفرنسيين الأحرار" أو الذين يملكون شيئا من التبصّر، كانوا يدركون أنّ أيام فرنسا في الجزائر كانت معدودة، كنت أعمل لدى رجل اسمه السيد جورج، مرّة ناداني، وكان يحمل جريدة، قال لي أنّ فرنسا تعيش آخر أيامها في الجزائر، تظاهرت بأنني لا أفهم ما يقول وأجبته على الفور:"هل أنت مجنون سيدي؟" قال لي اقترب، ما إن فعلت حتى صفعني، وكان هو يحتفظ بالمقالات التي تكتب عن العمليات الثورية، وتُنشر في الجرائد، وقال لي اذهب إلى وطنك لتحارب، وعندما تستقل الجزائر عد وزرني" هذه كانت كلماته.

هل عدتم إلى الوطن؟

أجل، عندما قررت أن أعود إلى الوطن، طلبت الإذن من محمد قسنطيني فأعطانيه، سألني قبل ذلك لماذا، ولو أنه كان يعلم ما الذي يدور بذهني، وذهن الكثير من الجزائريين المهاجرين الذين لبوا نداء الوطن ما إن اندلعت الثورة، بعضهم دخل مباشرة، وآخرون مرّوا على الحدود التونسية، حتى أنني عندما ذهبت إلى مقر الشرطة لكي أصرح بمغادرة فرنسا، سألوني إن كنت أريد السفر لأتحوّل إلى "فلاق"، وحتى السيد جورج الذي حدثتك عنه كان قد أعلمني بأنهم سيسألونني هذا السؤال لكي أحتاط له، وهكذا فعلت، كانت إجابتي أنني أريد أن أرى عائلتي، فمنحوني 15 يوما فقط، ولكنها كانت كافية لكي التحق فيها بالجبل...هكذا فكّرت. وبهذا لم أمكث في فرنسا إلاّ سنة واحدة، فقد قدمت إليها بداية سنة 1956، وغادرتها آخر السنة، حيث أنني في الفاتح من جانفي سنة 1957 كنت في الجزائر.

هل كنتم على اتصال بالمجاهدين هنا؟

لا، ولكنني عندما جئت، كان المكلف بجبهة التحرير الوطني هو خالي لخضر بوغرارة في نقاوس التي تنتمي إلى المنطقة الأولى، الناحية الأولى، القسمة الثانية، سألني عن حاجتي، قلت أريد أن أتجند، فسخر مني في البداية، وأراد أن يجربني أولا، طلب مني أن أعود إليه في نقاوس في اليوم الموالي، وهكذا فعلت، وكلفني بعمل، قال إن نجحت فيه فسأتمكن من التجند، ملأ لي كيسين وضعهما فوق البغل، وطلب مني أن أوصلهما إلى الدوار، فعلت

ما قاله لي، وكان الكيسان مليئين باللباس، القنابل اليدوية، والأسلحة، عندما عاد إلى البيت في المساء، ورأى أنني قمت بالمهمة على أكمل وجه، جندني في الغد.

ماذا كانت مهامكم؟

لقد كانت مهمتنا الكمائن، وضرب العساكر، وعندما يطلبون منك أن تحضر السلاح لا بد أن تحضره بأية طريقة كانت، وبالنسبة لي كنت أعرف الولاية، والمناطق فيها جيدا، من باتنة، مروانة، حيدوسة، واد الماء، نقاوس، راس العيون، بريكة، وغيرها من المناطق التي كنت أحفظ مسالكها عن ظهر قلب، هذا ما ساعدني، وبالتالي ساعد جيش التحرير على التحرك والاختباء.

هل كنتم تتنقلون خارج الولاية الأولى؟

أجل، مرة فعلنا ذلك من أجل أن نحضر اللاسلكي، حيث أننا في سنة 1959 مشينا من نقاوس حتى الدار البيضاء بالمغرب لكي نحضر نقالا قديما، مشينا مدة 4 أشهر و18 يوما كاملة ذهابا وإيابا، قطعنا الولاية الثالثة، ثم الرابعة، وبعدها مررنا بالولاية السادسة، والتي مررنا بها بحوش النعاس التي فيها الكثير من الحركى، حتى أنهم يحتاطون بحمل كل واحد منهم السلاح، حتى الرعاة لديهم بنادق، وفي المائة بيت تعثر على بيت واحد موالي لجبهة التحرير، ولكن خفية طبعا، ثم التقينا بالمسؤول في الولاية الخامسة، المنطقة الخامسة وهو السي طارق، مكثنا لديه يومين، وعدنا لنوصلها إلى القسباط حيث كان بوغرارة الذي جندني من قبل.

من كان مكلفا باستعمال اللاسلكي، وكيف استطعتم إخفاءه، وتغيير إشاراته حتى لا يتفطن له العدو؟

المسؤول عنه هو السي الحسين عبد السلام، وهو مناضل مبحوث عنه منذ الثامن من ماي سنة 1945، بقي فارا في الجبال إلى اندلاع الثورة، وكان أربعة من المجاهدين يستعملونه تحت الأرض حتى لا تستقطب فرنسا إشارته، حتى أنّ المعارك التي كانت تحدث صباحا تصل إلى صوت العرب مساء، وعندما كشفته الطائرة تمّ قصف المكان، فسقط السي الحسين شهيدا.

كان جيش التحرير صارما مع الحركى والذين يخونون القضية الوطنية، ومن ذلك ما حدث مع خونة "الكورس" في بريكة في سبتمبر سنة 1959، هلا حدثتنا عن خلفيات تلك الحادثة؟

لم نكن لنستطيع الدخول إلى ثكنة عسكرية بها قرابة المائة جندي، لولا مساعدين متسللين إليها، تجندوا على أنهم خونة، لكي يمكنونا من اقتحامها في الوقت المناسب، وقد تمت العملية بنجاح، رغم الصعوبات التي واجهت مُنفذيها، حيث زرع المسؤول العسكري جنودا في ثكنة الكورس (وتعني سباق الخيل باللغة الفرنسية) ببريكة والتي كان بها الخونة، وفعلا ذهبوا إلى عين توتة، مكثوا حوالي الـ7 أشهر، أرسلوا فيها الرصاص، والمعلومات، واللباس، وغيرها من الخدمات التي نفعت الثوّار، ونبهتهم إلى عمليات التمشيط المفاجئة التي كانت تقوم بها فرنسا، وفي الثكنة كانت الحراسة تتم بالمناوبة، وفي مرّة من المرّات كان دور الثلاثة المُسرّبين من طرف جيش التحرير لكي يضمنوا الحراسة طيلة الليلة، فأرسلوا عجوزا إلى أحد المسؤولين ليُعلموه بأنّ الثكنة ستكون تحت حراستهم في الليل، وأنّ بإمكانهم أن يسهلوا لهم طريق اقتحامها، وأن يقدموا حوالي الساعة الحادية عشر ليلا وينتظروا الإشارة ليدخلوا. وهذا ما حدث بالفعل حيث جاء المسؤول، ونادى على 35 جنديا أن يتهيأوا لعملية، لم يعلمهم بطبيعتها حفاظا على السرية، ثم قال لهم أن الوجهة ستكون بريكة، أنا لم أكن من بين الذين نفذوا هذه العملية، وعلى الساعة منتصف الليل إلاّ عشرين دقيقة جاءت الإشارة، في الوقت الذي كان فيها جنودنا رابضين غير بعيد عن الثكنة، ويتقدمهم العريف عبدي، هذا الأخير، وللتاريخ أذكر أنه كان في الجيش الفرنسي قبل أن يلتحق بالثورة، وكان شرسا ضدّ فرنسا، ومخلصا إلى أقصى درجة، وعندما دخلوا تطوّع ليدخل على الملازم الفرنسي المسؤول عن الثكنة، وحرص على أن يكون الفرنسيون الثلاثة المتواجدون في الثكنة تحت قبضتهم (وهم الملازم، الرقيب الأوّل، والعريف) على أن يتم النظر فيما بعد في أمر الـ75 عسكريا حركيا، وهو ما حدث إذ دخل بنفسه إلى غرفة الملازم، أيقظه، فأجابه أن الوقت لا يزال مبكرا، قال له العريف عبدي أنّه يتحدث مع جيش التحرير، حاول الملازم أن يتذرع بأنه مجند ولا علاقة له بهذه الحرب، ثم وضع يده على الوسادة، غير أنّ العريف عبدي

كان يعلم أنه يبحث عن سلاحه فسبقه إليها، وقال له أنّ فرنسا هي التي كونته، ويعلم مثل هذه الحيل. قتل في هذه العملية كما هو معروف 75 حركيا، ولم يبق منهم ولا واحد حيا، كما صفي الفرنسيون الثلاثة.

كيف كانت ردة فعل الجيش الفرنسي بعد هذه العملية الناجحة، وهل تكبدتم تبعاتها؟

أجل، بطبيعة الحال، ففي اليوم الموالي قدمت المجموعة المناوبة فلم تعثر على الحياة داخل تلك الثكنة، فبدأ الحصار و القصف والتتبع، كانت طائرات الهيليكوبتر تحوم حول المكان، وقوات بريّة كانت تمشط المنطقة، ونحن رحنا نغادرها في كل مرّة، كانت طريقهم بريكة، راس لعيون، مروانة، واد الماء، باتنة، ثمّ يعودون إلى أريس، ونحن اتجهنا نحو جبل ولاد علي، ثمّ جبل ولاد سلطان، وكانوا في إثرنا، إلى أن أمسكوا منا أحد الثلاثة المتسللين الذين شاركوا في عملية بريكة، فتحجج بأنه هرب مع الفلاقة فقط، وليس متعاونا، وهي حجة لم تكن لتقنع الفرنسيين الذين كانوا سيقتلونه، ولكنهم نقلوه بداية إلى بريكة، حيث ساعده عسكري مجند على الهرب في الليل.

كيف قُبض عليكم سيدي؟

كان ذلك بعد مشاركتي في معركة "الشلعلع" في باتنة، والتي استعملت فيها فرنسا أسلحة رهيبة، مثل النابالم الذي أصابني، ولا تزال آثارها في جزء من رأسي، حيث رأينا الأرض مشتعلة، وحتى البنادق التي كانت في أيدينا احترقت، وعندما أفقت وجدت نفسي في الثكنة، نقلونا إلى عين التوت، كان الحركى سيضربوننا، ولكن دخل الرائد الفرنسي، وأمرهم أن لا يمسونا، فالمجاهد الذي يقبض بسلاحه لا يُعتدى عليه، كان هذا كلامه، ثم نقلونا إلى بريكة، التي بقيت فيها حتى سنة 1962.

كيف استقبلتم خبر وقف إطلاق النار وانتم بداخل السجن؟

فرحنا به كثيرا، كنا في السجن، وفي الخامس من شهر جويلية جندونا في جيش التحرير من جديد، ذلك أنّ الذي يخرج من السجن يلتحق مباشرة بالجيش، ثم وقع صدام الولايات، حيث منعنا من دخول الجزائر، وأذكر أنّ محمد صالح العباسي قال أنه سيدخل العاصمة بالسلم أو باستعمال القوّة، وأعطى الأوامر بأن لا

نحارب من لا يحاربنا، لكنه ما إن وضع قدمه على أوّل جسر في سور الغزلان، حتى أطلقوا عليه النار، فقتلوه...وكانت مرحلة أخرى.

42

محمد بزيان

"بن بولعيد حافظ على الخلايا العسكرية بعد تفكك المنظمة السرّية واعتبر عملية الهروب واجبا وطنيا" [1]

1 نشر بتاريخ 12 ديسمبر 2012.

نستضيف في هذا العدد من اللقاء التاريخي المجاهد بزيان محمد، المولود في القصر، دائرة اريس، سنة 1933 وبدأ العمل السياسي سنة 1948، إذ كان ضمن حركة انتصار الحريات الديمقراطية، وحزب الشعب الجزائري، يحكي المُتحدّث لـ"الجزائر" التي زارته في بيته بتكوت بقلب الأوراس، عن ظروف التدريب العسكري، خاصّة بعد انكشاف أمر المنظمة السرية، والقبض على الكثير من المناضلين المنخرطين بها، حيث حافظ السي مصطفى بن بولعيد في الأوراس على الخلايا السرية التي تمكنت من تفجير ثورة الفاتح من نوفمبر 1954، كما يستذكر أولى العمليات التي وقعت في الثورة، وكيفية القبض عليه، وطريقة هروبه ومصطفى بن بولعيد والطاهر زبيرري، ضمن 11 رجلا من سجن "الكدية" بقسنطينة... التفكير في العملية، الأدوات المستعملة، المدة التي استغرقتها، وغيرها من التفاصيل الحصرية التي ننقلها لكم في هذا الحوار الشيق.

سيد محمد بزيان كنتم ضمن خلايا المناضلين المُسلحة التي احتفظ بها مصطفى بن بولعيد حتى بعد تفكك المنظمة السرّية، لماذا فعل ذلك، وهل بقي التدريب على ما كان عليه بعد تلك الفترة؟

بالفعل، اتّخذ مصطفى بن بولعيد قرارا بالحفاظ على التنظيم السرّي، والتدريب المُسلح، ليتمكّن من تفجير الثورة بعدها، إذ كانت لديه رؤية للمُستقبل. عكس ما حدث في الولايات الأخرى، التي ومُباشرة بعد انكشاف أمر المنظمة السرية أعطى الحزب أمرا بتفكيك خلاياها، تجنبا للعواقب الوخيمة، ونفى حتى وجودها بعد ذلك، أمّا نحن فبقينا نتدرّب سرّا.

هلا ذكرتم لي سيدي الخلية التي كنتم فيها، في أيّ منطقة، ومن هم المناضلون الذين كانوا يشكلونها؟

أنا كنت في خلية لقصر، التي بها: بلقاسم رحماني، علي رحماني، المكي عاشوري، شريف السعيد، شريف سي مجيد، وغيرهم. كان يُدربنا والمسؤول عنا المسعود مختاري بلحاج علي،

وهو من تكوت، ولكن في سنة 1954 خلفه بلقاسم رحماني. أمّا في خلية شناورة فهناك: اسماعيل مدوري، خليفة مدوري، علي جغروري من بومعراف، الحاج الطيب، وغيرهم.

هل كانت الخلايا الوحيدة التي بقيت في المنطقة؟

لا، أنا حدثتك عن تلك التي كنت فيها، ولكن في كلّ ناحية تقريبا كانت هناك خلية، مثل ايعكريشن، وتاغيت، وغيرهما.

في بداية الخمسينيات انتشرت في المنطقة القوات المتنقلة، هل أثر ذلك على تدريبكم العسكري؟

نوعا ما، جعلنا هذا نُغيّر مواقعنا، خاصّة وأنّ الحراسة تشدّدت. حتى أنه بعدما جاءت الفرق المتنقلة، صرنا ننشط مع جماعة تاغيت (من القصر إلى تاغيت) وخلية تاغيت قبيل اندلاع الثورة كان بها كلّ من:الصالح غجيبة، وفرحات غجيبة، ومحمد درمني، والمكي درمني، وعمار بزالة، حسين بن رميلي، والمسعود بن رميلي، هذه خلية تاغيت، هؤلاء حضّروا، بدورهم للفاتح من نوفمبر.

كيف حضّرتم لاندلاع الثورة في المنطقة؟

اجتمع المسؤولون من كلّ منطقة، تقريبا، في قرية القرين، جنوب الشمرة بباتنة، في دار المناضل عبد الله بن مسعودة.

هل لكم علم بمن حضره؟

حضره شيحاني، عجول، عباس لغرور، ومحمد الشريف بلقاسمي، وبلقاسم رحماني من تكوت، وآخرين من مناطق أخرى.

هل تمّ استدعاؤكم بعدها؟

للاجتماع لا، ولكن قبل يومين من اندلاع الثورة، أي نهاية شهر أكتوبر، طلبوا منا أن ننتقل إلى الهارة، وفي ثنية الخمّاجية كان ينتظرنا اتصال أخبروه إن نحن وصلنا قبل منتصف الليل أن يحضرنا، وإلاّ فيقول لنا أن يعودوا، وبالفعل تأخّرنا في الطريق لأنها كانت وعرة، وانتقلنا مشيا على أرجلنا، كنا خليتي شناورة والقصر معا.

هل عدتم؟

أجل، ولكن بقي عاشوري المكي، ورحماني بلقاسم، لكي ينتظرا الأوامر. وفي الغد جاء رحماني، وقال لنا أنه علينا انجاز عمليات،

ولأنّ المختاري المسعود كان قد غادر وعائلته إلى مشونش، ولم يكن يعلم بالثورة، فإنّ نائبه رحماني بلقاسم هو الذي قاد علميات الفاتح من نوفمبر.

كيف حضّرتم لعمليات الفاتح من نوفمبر 1954؟

اجتمع بنا المسؤولون، وأخبرونا عن طبيعة العمليات، وأحضروا لنا بعض القنابل، وأدوات لكي نقصّ كوابل الهاتف، ونُفجّر جسر "عين البير" الرابط بين تكتوت والقصر، وفي صباح الغد كان علينا مُهاجمة مركز الدرك، وكان هناك مجموعة تقرّر أن تتجه إلى "تاغيت" لإنجاز عملية، وكان بها صبايحي وآخرون. وفعلا، قصصنا كوابل ثلاثة أعمدة هاتف، صعدت أنا وخليفة مدوري، والمجموعة الأخرى فجّرت القنبلة من تحت الجسر، غير أنه لم يتأثر وبقي قائما.

وعن مُهاجمة مركز الدرك؟

قامت بها مجموعة مُكوّنة من بلقاسم رحماني، واسماعيل مدوري، وبرحايل محمد أو عباس، وعلي رحماني، أي اثنين من شناورة، واثنين من القصر، هاجموا الدرك في حوالي الثامنة والنصف صباح الفاتح نوفمبر.

وعن باقي العمليات في مناطق الأوراس؟

كانت هناك عملية ضرب ثكنة باتنة، من طرف دشرة ولاد موسى، التي بها موح اولهادي، وخرقة لحدادة، بعين الطين، التي كان بها الحاج لخضر، والطاهر نويشي، ودشرة ولاد موسى وصلوا قبل خرقة لحدادة. أما عباس لغرور، هو الآخر، فقام بعلميات في خنشلة ضدّ ثكنة عسكرية، رفقة عمار "مارشي نوار" وموسى ردّاح، وناصر السوفي، والطيب الفرجيوي، وعمر لمعافي.

كيف قبض عليكم سيدي؟

كنا في القصر، لم يكونوا يبحثون عني من قبل، ولكن وشى بنا أشخاص، ما جعل العساكر يحاصرون المنطقة كلها، ويقبضون علينا، وكان هذا آخر سنة 1954.

هل تعرّضتم للاستنطاق؟

أجل، في البداية عذّبونا في ثكنة "تكوت" واسطة الكهرباء

وحتى الضرب الوحشي، اعترفت بأنني قمت بأعمال تخريبية تحت التعذيب، لكن لم أذكر من شارك معي، قلت أنني حضرت معهم، ولكن لا أعرفهم، بقيت تحت التعذيب أربعة أو خمسة أيام، ثمّ نقلونا إلى السجن الاحتياطي في باتنة، وفي نفس الوقت كانوا يستجوبوننا من حين لآخر، وكانوا يلتقطون معلومات أخرى تُديننا، حتى تراكمت علينا التُهم، فصرنا في نظر "العدالة" الفرنسية مُجرمين وقطّاع طرق. وبقينا في سجن "تازولت" أي لومبيس 26 يوما، وبعدها نقلوني إلى السجن العسكري بقسنطينة.

متى تمت مُحاكمتكم؟

حكموا عليّ بالإعدام في شهر أوت في السجن العسكري، رفقة رحماني بلقاسم، ومدوري اسماعيل، ومزياني محمد، وبقينا 4 أيام في مُعتقل "القصبة" ثم دخل علينا عسكري برتبة رائد، أو نقيب قال لنا:"لا تخافوا غدا ننقلكم إلى حيث يوجد بن بولعيد".

أي أنهم نقلوكم إلى سجن الكدية؟

بالفعل، لم نعر كلامه كثير الأهمية، غير أنه في مساء اليوم الموالي، نقلونا إلى سجن "الكدية" حيث كان بن بولعيد، وآخرون محكوم عليهم بالإعدام، مثل الطاهر زبيري أيضا، كنا إما ثلاثة أشخاص، أو شخص واحد في القاعة الواحدة، وأحسن المسؤولون عن السجن مُعاملتنا، هكذا كانوا يفعلون مع المحكوم عليهم بالإعدام! إلى أن نقلوا كل المحكوم عليهم بالإعدام (30 رجلا) ووضعوهم في قاعة واحدة.

كيف جاءتكم فكرة الهروب؟

ما إن دخلنا إلى تلك القاعة حتى راح كل واحد منا يرى جدرانها وسقفها، لكي نرى إن كانت صلبة أولا. ثمّ جمعنا بن بولعيد وقال لنا:"لا بد أن نعثر على حل للهروب" ولكن بعد إعادة مُحاكمته، وطعنه في الحكم أخذوه مؤقتا إلى قاعة أخرى، لأنه لم يعد محكوما عليه بالإعدام بحكم وضعه المؤقت. وعندما ثبت عليه الحكم بالإعدام أعادوه، وكانوا قد نقلونا إلى قاعة ثانية، أكثر صلابة من الأولى، فكانت الباب مقفلة على مرتين، والجدران صلبة. وخاطبنا بن بولعيد قائلا:"نحن مجاهدون، وعاهدنا إخواننا أن نجاهد في السجن أو خارجه، ولا بدّ من عملية لكي نهرب، إن نجحنا فبها

ونعمت، وإلاّ فسيشهد التاريخ أننا جاهدنا ولو في السجن". وأضاف على أنّ كل واحد منا يعطي فكرة بغية تجسيدها، واستقرّ الرأي على ما قاله بشير حجاج الذي كان يعرف السجن جيدا، وأخبرنا عن قاعة مُحاذية، توضع فيه خردوات، وأدوات غير مستعملة، وعادة ما تُفتح، وتؤدي إلى حيث يتواجد المساجين السياسيين، مثل الشيخ البيضاوي، وغيره.

كيف كنتم ستدخلون هذه القاعة؟

كان علينا حفر الأرضية لكي نخرج من قاعتنا إلى القاعة المجاورة مباشرة، ومن هناك نمر إلى الساحة، ومن ثمة إلى السور الخارجي، كما فكرنا في الأدوات التي يمكن أن نعثر عليها في تلك القاعة، والتي كانت يمكن أن تعيننا في مهمتنا!

كيف تمّت عملية الهرب، وما هي الأدوات التي استعملتموها لحفر الأرضية؟

استعنا بقابضات الباب "الرزة" وكنا نستعملها لحفر البلاط، ولم يكن لدينا الأموال، ولكن كان بحوزة بن بولعيد لدى القبض عليه بعض الأموال، فطلبنا أن يشتروا لنا بها الخل، لكي نضعه في الأكل، ولكننا استعملناه لكي نسكبه على البلاط ليتآكل ويسهل حفره. وأمّا "الساقية" أو مجرى الحفر فكنا نغطيه بواسطة خلط الصابون بالتراب، ونضعه في ذلك الفراغ حتى لا يظهر للعيان أنه محفور، ولأنهم كانوا يفتشوننا باستمرار، ويغيرون الأسرة، ويُراقبون قضبان النافذة، فقد صرنا نضع الحديد الذي نعمل به في المكنسة، بحيث لا يسقط إذا ما حرّكوها. أما التراب فكنا نضعه داخل الأغطية، ونتخلص منه في المرحاض، إذ نضع التراب ونفتته مع الماء حتى يسهل التخلص منه، أمّا الأحجار فنعيدها في الحفرة، كما لو أنّ شيئا لم يكن!

كيف كنتم تُؤمنون الحراسة؟

لحسن الحظ، فإنّ باب القاعة موجه إلى حيث توجد قبلة الصلاة، بحيث أن المصلي يستقبل الباب، واستغلّينا هذا في ساعات الحفر، إذ كنا نضع سجادة، وكان في كل مرة يحرس واحد من تحت الباب، حتى إذا ما اقترب الحارس يخبرنا، وإذا دخل فجأة يتظاهر هو بالسجود، وفي كل مرة كان يتولى الحراسة شخص آخر.

كم استمرت عملية الحفر، وكيف تمكنتم من تجاوز جدار السجن؟

أمضينا 12 يوما كاملة حتى نستطيع قطع البلاط، وكنا نعمل من الساعة الحادية عشر صباحا إلى الساعة الثانية، وفي المساء كذلك، وعندما وصلنا إلى مستوى الجدار، كانت هناك أسفله قطعة حديدية صلبة حفرنا تحتها، واستمرّينا 28 يوما لكي نصل إلى القاعة المحاذية، وفي النهاية كنا قد حفرنا 50 سنتيمتر عرض الأرضية في القاعة الأولى، مساحة كافية لكي يمر شخص من خلالها، و50 سنتيمتر أخرى في القاعة الثانية، وعرض الجدار متر، أي حفرنا مترين عرضا، وعندما وصلنا إلى القاعة الثانية، انتقل إليها في البداية مصطفى بن بولعيد، والطاهر زبيري، ومغلاوي العيفة، ووضعنا في تلك القاعة كلّ الأدوات التي استعملناها، ولكي نستطيع تسلّق الجدار الخارجي كان علينا أن نصنع حبلا، ففعلنا بواسطة الحلفاء المحشوة بها المطارح وقد استعملنا ثلاثة أسرة لهذا الغرض، وصنعنا سُلما من هذه المادة بطول ثلاثة أمتار. واخترنا الوقت الذي يستبدل فيه الحرّاس، إذ تُغادر مجموعة النهار، لتستبدلها مجموعة المساء، ويكون هذا في وقت المغرب!

كم منكم استطاع الهرب؟

11 رجلا من بين الـ30، إذ تفطّن لنا الحراس، ولم يستطع الآخرون الهروب. وعندما وصلنا إلى مدينة قسنطية، وبالضبط في مكان وجود مسجد الأمير عبد القادر حاليا، سمعنا طلقات الرصاص، ثمّ افترقنا، ذهبت أنا وصديقي سليمان زايدي، وبن بولعيد غادر مع مغلاوي العيفة، وحمادي ذهب لوحده، والطاهر زبيري، وطايبي، ومشري التقيناهم بعدها.

عن عملية الفرار، سيدي، هناك من يستغرب كيفية تمكنكم من تجاوز سجن "الكدية" رغم كونه مؤمنا، كيف تردون على هذا؟

لحسن الحظ، مباشرة بعد عملية الفرار ألقوا القبض على مدير السجن، لكي يحققوا معه حول العملية، إذ شكوا في إمكانية تورطه فيها، وبحثت لجنة تحقيق في الأمر، وذكرت في تقريرها أن عملية الهروب ممكنة، وأن الهاربين درسوا جيدا الوضع، دون أن تكون هناك مساعدة من أحد بالضرورة.

ما هي الطريق التي سلكتمانها أنت وصديقك سليمان زايدي؟

وصلنا إلى مقطع العثمانية، اقترحت أن نقصد ديار الديس، لا

ديار القرمود، لأن أصحاب ديار القرمود يكونون موسرين وبالتالي يكون احتمال الوشاية بنا أكبر. ولهذا طرقنا الباب المغطى بالديس، وبالفعل عثرنا فيها على شخص اسمه احمد رابحي، أحضر لنا العشاء، فأكلنا، ثمّ سألنا من أين نحن؟ أجبنا أننا ذاهبان للعمل في مزارع عنابة، فقال لنا أننا في نوفمبر وليس هناك شيء للحصاد هناك، ولاحظ أننا بلباس السجن، فأخبرنا أنه كان في العثمانية، وأنه علم مما نشرته جريدة "لاديباش" وبأنّ بن بولعيد هرب من السجن، وقال لنا لعل أحدكما بن بولعيد (لأنه لا يعرفه شخصيا) وإلاّ فأنتما رفقاؤه. فنفينا الأمر، وادّعينا مُعاداتنا للفلاقة قائلين:"لقد أحرقوا بلادهم، ويريدون أن يحرقوا بلادنا" قال لي أنني صغير، وقد لا أذكر ما حدث في 8 ماي 1945 حيث قتل لنا الفرنسيون 45 ألف نسمة، وأضاف أنّ كل جزائري مُقدّر عليه أن يُحارب فرنسا، ولو بقي في الجزائر امرأة واحدة. ثمّ صمت، وقال أنه متأكد من أننا أصدقاء بن بولعيد، ودلّنا على الطريق التي وجب إتباعها، قال لنا لو تذهبون إلى عين مليلة فهناك الخونة، ولكن لو تذهبون إلى "روفاك" في 5 آلاف رجل لن يشي بكم أحد. ثمّ أحضر لنا حذائين، وأعطانا منشفة، ووضع فيها خبز كسرة، وأرسل معنا ابنه وحفيده لكي يدلانا على الطريق. ورُحنا ننتقل بين الغابات، والمطر يهطل غزيرا، إلى أن حلّ الليل، فعثرنا على بيت أحضر لنا صاحبها وجبة "البربوشة" فأكلنا، وسألناه عن تواجد مُجاهدين في المنطقة، فقال لنا أنه لا يعرف أحدا، وأنه يسكن لوحده، ولا علاقة له لا بالمجاهدين، ولا الفرنسيين، ولكن دلنا عن منطقة يمكن أن نعثر فيها على مجاهدين، فمشينا إلى أن وصلنا إلى بيت رجل فتح لنا الباب، قال لنا لا مكان عنده ليستضيفنا، ولكنني دخلت إلى الداخل دون أن يلمحني، فاقتربت من الموقد، ورُحت أتدفأ، وكانت هناك عجوز نزعت القدر الذي كان فوق النار، وأضافت الحطب، أمّا صديقي فكان لا يزال عند الباب، عندما رآني صاحب الدار في الداخل سمح له هو الآخر بالدخول، أحضر لنا الرجل "البربوشة" لكي نأكل، وأخذنا إلى مكان ننام فيه، كان عبارة عن كوخ ملوث، حتى أنّ مُرافقي اقترح أن نُغادر، ولكنني فضلت أن نمضي الليلة هناك، وفي الغد أحضر لنا مُضيفنا الأكل، ثمّ جاء مسؤول المُناضلين، كان لديه سلاح ايطالي، ما

يعني أنه ليس حركيا، سألني عن اسمي فأخبرته عنه، وفعل مع صديقي فأخبره هو الآخر، سألني إن كنّا هربنا من السجن، فقلنا له نعم، سألنا عن عددنا في السجن، فقلنا له 30، وعن عدد الذين هربوا، قلنا لا ندري، سألنا إن كنا نعرف بن بولعيد، قلنا نعم، أخرج صورة على الجريدة سألنا عمّا إذا كانت للسي مصطفى، فنفينا ذلك، ثمّ أرانا صورة بن بولعيد على نفس الجريدة، فقلنا أنها له، قال لنا لقد صدقتما فعلا هي صورته، وأرانا قائمة الذين هربوا، سألنا عن اسمينا بها، أشرنا عليهما، فحضروا لنا الطعام، وأخذونا إلى دوار ولاد عيش، في الشمال الغربي لقسنطينة، عندما وصلنا التقينا بالطاهر الزبيري، ومشري، وطايبي، ثمّ ذهبنا إلى القرارم، ثمّ ميلة، ثمّ الميلية، وجدنا هناك مسعود قسنطيني، وبن طوبال، كانوا هاربين من سجن عنابة. بن طوبال سألني عن عجّول ومصطفى بوستة، ذكّرني باجتماعات شناورة، وتيغزة، واجتماع دار علي بن صحراوي، وقال لي عندما تستقلّ الجزائر سأزور الأوراس. ثمّ أرسلنا إلى زيغوت يوسف مع طفل صغير وهو اتصال أو صلنا إلى بني صالح، فوق عين القشرة.

كم كنتم خلال رحلتم إلى زيغوت يوسف؟

كنا مع الطاهر الزبيري، وطايبي، ومشري، وسليمان زايدي وأنا، أي 5 رجال، وما إن وصلنا حتى هرب الطفل مُسرعا، فاستغربنا أمره، ولما سألونا عن الطفل، قلنا غادر، فأحضروا لنا العشاء، ولكنّ الشعب هناك قيّدونا نحن الخمسة خشية أن نكون خونة، إذ لم يكونوا يعرفوننا، إلى أن يأخذونا إلى الجيش لكي يُحقق معنا، ويتأكّد أننا مُجاهدون، وفعلا تعرّف علينا. ثم نقلونا إلى مجوعة على رأسها زيموش محمد، ثمّ وصلنا إلى زيغوت يوسف، وتقرّر أن نعود إلى الأوراس، أعطونا أموالا، ورافقنا إليها محمد الصالح لمطروش، وآخر اسمه السي الطاهر، وآخر اسمه ولد الخوجة، أحضرنا هؤلاء إلى عيون الذهب، بالسمندو، ومن هناك مُباشرة إلى تاملوكة فخنشلة حيث التقينا عباس لغرور في الشرق، ثمّ واصلنا طريقنا إلى أن التقينا بن بولعيد، في حمام "شابورا".

ما هي أهم المعارك التي خضتموها؟

لقد كان ضغط القوّات الفرنسية علينا كبيرا، خاصّة عندما اتّحد معها الحلف الأطلسي، إذ قال الجنرال صالون:"الثورة اندلعت من

الأوراس، وستُقبر فيها" حضرت معركة شلية التي استمرت من الحادية عشر زوالا إلى الرابعة صباحا، وقد تمكنا فيها من الوقوف الند للند مع فرنسا التي أشعلت النار في الغابة، وقتلت منا 11 جنديا، ولكننا أسقطنا طائرتين، وتحصّلنا على دفتر جندي ألماني كتب فيه:"جئنا من ألمانيا الغربية، وحضرت إلى هذا الجبل وهو جبل شلية..."وتلتها معارك أخرى على غرار "حمر خدو" وغيرها، وأنا جرحت في سنة 1959.

بقيت قضيّة استشهاد السي مصطفى بن بولعيد غامضة، والبعض يتهم المناضلين الذين كانوا حوله بأنهم خططوا له، من أجل الزعامة، على غرار عجول، فهل يمكن أن تؤكدوا هذا؟

في الحقيقة لم أكن معه في حادثة الاستشهاد تلك، ولكن أستبعد كثيرا أن يكون عجول هو من فعل ذلك أو خطط له. هذا الأخير قال لبن بولعيد أنّ القانون يمنعه من أن يتزعّم مرة أخرى بعد السجن إلاّ بعد مرور فترة زمنية معينة، ولكن بما أنك قائدنا المعروف بن بولعيد، فأنت مسؤولنا منذ اليوم ونحن ندين لك بالولاء".

يذكر البعض أن عميروش كان وراء محاولة تصفية عاجل عجول؟

لا يمكن أن نقول هذا، لأنّ جنود عميروش لم يعتدوا على عجول، وإنما جنود عجول أنفسهم الذين اعتدوا على قائدهم، ولهذا حدث اللبس.

لماذا اعتدى جنود عاجل عجول عليه؟

حدث ذلك بسبب عملية نقل الجنود، علي ولحاج هو من ضرب عجول، لأنه كان في قسم بلقاسمي، الذي أرسله إلى عجول، وعجول بدوره أراد أن يرسله إلى تامزة، فلم يقبل ولحاج، كما أرسل عجول مجاهدا آخر إلى النمامشة، ولم يقبل، ولهذا اعتدى على عجول.

ماذا تقولون في شخصية عاجل عجول؟

هي شخصية بارزة، ومُثقف، وقادر على التسيير، وهو ما أثبته، وفي الوقت الذي كان فيه مسؤولا أذكر أنّ المؤونة لم تكن تنقصنا.

وماذا عن استشهاد بشير شيحاني، هل قتلته فرنسا، أو تمّت تصفيته على يد رفقائه؟

أحسب أنّ النظام هو الذي قتله.

ماذا تقولون في شخصية عبّاس لغرور، والطاهر زبيري؟

هو رجل عظيم، وقائد مغوار وشارك في 136 معركة، وكذلك الطاهر زبيري.

43

عبد القادر جيلالي قروج

"على الحزب الشيوعي أن يعترف بأخطائه والعمليات التي أنجزها تُنسب أخلاقيا لجبهة التحرير" [1]

1 نشر بتاريخ 17 ديسمبر 2012.

نستضيف في عددين مُتتاليين الزوجين الوحيدين المحكوم عليهما بالإعدام في الثورة التحريرية الجزائرية، وهما عبد القادر وجاكلين غروج، اللذان استضافا "الجزائر" بحفاوة، واسترجعا معنا ذكريات، وحقائق، وأسماء اختفت، أو تكاد، من التاريخ، بسبب التهميش الذي طال الكثير من الأسماء الثورية، مثلما يحكي لنا عبد القادر في هذا الجزء الأوّل الذي خصصناه له، هو المولود في 26 جويلية 1928 بتلمسان. ناضل في صفوف الحزب الشيوعي، وأنجز عمليات ضدّ المستعمر تحت لوائه إلى أن التحق الحزب بجبهة التحرير الوطني، وألقي القبض على مضيفنا في جانفي من سنة 1957 والعاصمة تعيش حملة الاعتقالات، وتعذيب المناضلين. حدثنا عن تلك الفترة العصيبة، وكذلك عن فترة السجن، وغيرها من الحقائق التي يكشفها حصريا في هذا اللقاء الشيّق...

كنتم سيدي في الحزب الشيوعي قبل أن تلتحقوا بالجبهة، هلا حدّثتمونا عن تلك الفترة، من حيث التكوين والالتحاق؟

أنا كنت في قرية تبعد بأربعين كيلومترا عن تلمسان، حصلت على الجائزة الأولى في الرياضة في كلّ المدرسة، كنت أتمنى أن أكون جراحا، وأراد لي المُعلّمون أن أستمر في دراسة الآداب. وفي النهاية لم أختر لا الرياضة، ولا الجراحة، ولا الأدب، ولكنني اخترت الثورة. بدأت النضال في الحزب الشيوعي إذ كنت مسؤولا في تلمسان، التي كانت بمثابة برجوازية صغيرة، وبعد اندلاع ثورة الفاتح من نوفمبر 1954 بثلاثة أيام، اجتمعنا نحن المسؤولون الريفيون للحزب الشيوعي في تلمسان، وقرّرنا أن نلتحق بهذه الثورة، لأننا كنا نعيش كلنا في قبضة استعمار رهيب، والهدف الأوحد هو مُحاربته. وكنا سنشتري أدوات تخريب. إذ بعد انتهاء الندوة عُدت مشيا على الأقدام إلى عين فزة. وصلت إلى البيت على الساعة الثانية صباحا، قلت لزوجتي جاكلين أنني قد أختفي لأيام. ولكن تلقّينا بعدها أوامر من الحزب بأن لا نفعل.

ماذا كان موقف إدارة الحزب من الثورة قبل اتفاق 1956 بينه وبين جبهة التحرير الوطني؟

كانوا مُتردّدين، إذ كان الرئيس حينها العربي بوهالي، وكان هناك كلّ من بشير حاج علي، بول كاباليرو، أندري موان، احمد عكّاش، ثمّ حدثت تغييرات على مستوى الإدارة والأعضاء.

لقد دعا رجال نوفمبر إلى الالتحاق بالثورة فُرادى، فلماذا لم تفعلوا؟

لأننا كنا مُرتبطين بالحزب الشيوعي، كنا مُنضبطين، ولم يكن الأمر سهلا. ثمّ إننا كنا نُريد أن نجعل الحزب كلّه يلتحق بجبهة التحرير.

الحزب بقي داخل المجال السياسي الفرنسي بعد اندلاع ثورة الفاتح من نوفمبر، بما أنه دخل الانتخابات في سنة 1955، ماذا فعلتم حينها؟

أنا أيضا كنت مُرشحا في أفريل من سنة 1955 في انتخابات المجلس العام في تلمسان، وكان معي احمد عكاش كاتب اختير من طرف الإدارة لكي يُساعدني في حملتي، وكان لدينا خطابان مُختلفان، أنا كنت أفكر في أنّ الوقت قد حان للتحرّك، أمّا احمد عكاش فقد كان يتحدّث عن الحرب السياسية المُكثفة. وفي 21 أفريل قرّر المحافظ لومبار في محافظة وهران، أن ينفينا من الجزائر، ولكنّ المحامي تيفني الذي وكّلته تصدى له، ذلك أنّ هذا المحافظ سُلطته تنحصر في وهران، لا في غيرها، إذ كان نظام "الايغام" أو "المفتش العام للإدارة في مهمة مُمتازة" وهو النظام الذي كان معتمدا في ثلاث محافظات، أولى في وهران، وثانية في العاصمة، والمحافظ بها هو كيتولي، وفي قسنطينة كان هناك بابون. وعندما استعددت لكي أعود إلى وهران، بعد إلغاء مرسوم لومبار، أصدر هذا الأخير مرسوما آخر يقضي بأن لا أدخل وهران. قاومت في البداية، ولكن بعد أن منحوني 48 ساعة لكي أغادر المنطقة. غادرنا وهران في 1 ماي سنة 1955، أنا وجاكلين، مكثت جاكلين بعض الوقت عند والديها في فرنسا، ثمّ منحها الحزب الشيوعي منزلا في "لوطارن" وضعه تحت تصرفها والأطفال. وأنا عدت.

نعلم أنّ الحزب الشيوعي كوّن جماعات مسلحة موازية لجبهة التحرير الوطني ترابط في الولاية الرابعة (بحسب التقسيم الإداري لمؤتمر الصومام) كيف تعاملتم مع الوضع؟

كان ذلك في النصف الثاني من سنة 1955، وأنا عندما اتصلت ببشير حاج علي وكان كاتبا في إدارة الحزب، بداية شهر جويلية من نفس السنة، كلّفني أن أتجه إلى الجبل لتنفيذ عمليات باسم الحزب الشيوعي، فاستقليت القطار، وتنقلت بهوية مُزيّفة، عائدا إلى عين فزة، ومنها ذهبت إلى جبل في تلمسان، وكان معي الطاهر غمري، وموسى هيلالي، كنا ثلاثة. وأنجزنا عمليات ضدّ فرنسا باسم الحزب الشيوعي، ولكنني لم أكن أوافقهم، وفي نهاية شهر ديسمبر 1955غادرت الجبل مع رفيقي، وعدت إلى العاصمة لأخبرهم. في 1 جانفي 1956 التحقت بجاكلين والأطفال، وفي السابع من نفس الشهر عدت معها، وكلفني الحزب بأن أخلق جماعات مسلحة تحارب باسم الحزب، لم أكن موافقا، ولكنني كنت خاضعا لأوامر الحزب. فخلفت عبد الحميد بن زين، الذي التحق بجبهة التحرير الوطني.

قلتم أنكم لم تُوافقوا على نسب العمليات التي قُمتم بها إلى الحزب الشيوعي، لماذا؟

صحيح أننا كنا خاضعين لأوامر الحزب الشيوعي، ولكنّ جبهة التحرير الوطني هي المُمثل الشرعي للشعب الجزائري، هي مسألة أخلاقية، والحزب الشيوعي كان مُخطئا، وعليه أن يعترف بذلك، وهي في الحقيقة شجاعة منه، وليس ضعفا!

في سنة 1956 كانت هناك اتفاقيات بين الحزب الشيوعي، وقيادة جبهة التحرير الوطني، من حضّرها، وماذا نتج عنها؟

مثّل الحزب الشيوعي الصادق هجرس، وفي الجهة المقابلة كان هناك رمضان عبان، وبن يوسف بن خدة، والعربي بن مهيدي.

كيف تمّ إيقافكم سيدي؟

كنت سأشترك في عملية الملازم الأوّل "مايو"، ولكن قبلها تمّ إيقافي في 4 جانفي سنة 1957، كنت مسؤول محاربي التحرير في العاصمة باسم جبهة التحرير الوطني، وبعدي أوقفوا جاكلين، وحكموا على كلينا بالإعدام، ونحن الزوج الوحيد المحكوم عليه بالإعدام في الثورة الجزائرية، وتعرّضت للتعذيب، فلم أتحدث عن شيء، أما هي فلربما تكون المُناضلة الوحيدة التي لم يتمّ تعذيبها، لأنها تنتمي إلى البرجوازية الفرنسية اليهودية، وهي قريبة أندري ليفي، صاحب مجموعة المراكز التجارية الشهير.

ما هي السجون التي وضعوكم فيها؟

بداية في خرايسية، ثمّ الشرطة المركزية، وبقيت هناك من 4 إلى 9 جانفي سنة 1957. وكانت جاكلين قبل أن يتمّ إيقافها تُحضر لي الوجبة التي كنت أتقاسمها مع الرجل الذي وشى بي، وهو فرنسي فعل ذلك تحت التعذيب. عندما أوقفوني اتجهت جاكلين إلى بن ناصر محمد رزقي (المدعو توفيق) (الذي كان رجل اتصال بيني، وبين ياسف سعدي) قالت جاكلين لتوفيق أنه تم إيقافي، فقال لها أنه لن يتحرّك من مكانه لأنّ لوسيان (اسمي الثوري) لن يتحدث، لقد كانت لديه ثقة كاملة في، وأنا كذلك. فهو بطل حقيقي نسيه التاريخ، أو كاد.

صرتم مسؤول لجنة سجن "لابومات" في فرنسا، كيف كان يتم التنظيم، والاتصال؟

عندما دخلت سجن "بومات" استدعاني المدير فوريستييه، هددني والدكتور مازبرت، وفروجة، فهددته بدوري، وبعدها بأيام قليلة استدعتني لجنة السجن، وعينوني مسؤول اللجنة، في البداية رفضت، خاصّة وأنني لم أكن أنتمي إلى فدرالية فرنسا، ولكنهم أصرّوا، وبعد أشهر تحسنت إقامة المساجين، حيث حرصت على أن أدافع على حقوقهم، وأوفر لهم كل ما يحتاجون إليه، من الزيارات، والوجبات المقدمة، وما إن يقع مشكل ما أتجه مباشرة إلى المدير لحله. وعندما التحق ياسف سعدي بالسجن ذهبت لتحيته، وقلت له أنه كان مسؤولي في العاصمة، وسلمته مسؤولية اللجنة في السجن، فلم يقبل، ولكنه راح ينسج عني إشاعات كما لو أنّ الجبهة في الوطن حكمت عليّ بالإعدام، إذ جمع مناضلين من فردالية فرنسا حوله في القاعة 17، وتحدث عني، وعن زوجتي فقال إنها يهودية، وكذا عن ابنتي، بحثت عنه فوجدته، استفسرته عن سرّ حديثه عني بتلك الطريقة، كانت إجابته غامضة، ورأى البعض أنه غير قادر حتى على مواجهتي بالأكاذيب التي اختلقها، ولم يُصدقه إلاّ البعض من زبانيته، ومنهم من كان معه في معركة الجزائر مثل الحاج اسماعيل. وبعد أيام طلب نقله إلى العيادة بحجة أنه مريض، فانكشف أمره.

من كان معكم في سجن الحراش؟

كثيرون، مثل خميستي، البروفيسور لاليام، حميد قرام،

وآخرون.

كيف تلقيتم خبر وقف إطلاق النار؟

كنت مسؤول السجن في "اونجي" بفرنسا، كنا حوالي 20 مسجونا، ووقعت حوالي 4 محاولات هرب، أنا لم أحاول الهرب، لأنني تلقيت تعليمات من عند جبهة التحرير عن طريق المحامي مراد اوصديق أن أهديء اللعب في السجن. ولكن عندما يكون هناك من يريد الهرب أساعده، إن استطعت. أتى المدير وقال لي أنني حر، ولكنني سألت عن زوجتي جاكلين وعن جميلة اللتين كانتا مسجونتين أيضا. فعملت أنهما لم يُطلق سراحهما، فساورني الظن أنني إن خرجت دونهما فيمكن أن يحتفظوا بهما على أساس أنهما فرنسيتان، خاصّة وأنني لم أكن على اطلاع على اتفاقيات ايفيان، فرفضت الخروج يومها، إلى أن جاءتا هما بنفسيهما لتنتظراني عند باب السجن ...في 21 ماي 1962.

زوجتك جاكلين مناضلة في سبيل القضية الوطنية، ماذا يمكن أن تقولوه عنها؟

كنت طالبا عند زوجها الأوّل، وكنت محتكا بالعائلة إلى درجة أنّني كنت أعتبر أبناءها مثل أبنائي، وأنجبت معها ابننا سعيد محمد سنة 1952. أعرفها امرأة مقاومة، ضدّ اللا عدل، واللا انسانية، وتطبق مبادئها وهو ما فعلته لدى وقوفها إلى جانب الجزائر في قضيتها العادلة.

ماذا تضيفون في نهاية لقائنا هذا؟

ما أتمناه هو أن أتقاسم ثروة التجارب التي اكتسبتها في حياتي مع الذين يُريدون أن يكتبوا تاريخ الجزائر.

44

جاكلين نينتر قروج

"فرنسا اقترفت جرائم النازية الألمانية خلال الثورة الجزائرية" [1]

1 نشر بتاريخ 18 ديسمبر 2012.

بعد أن استضفنا المُناضل عبد القادر قروج في عددنا السابق من اللقاء التاريخي، نُواصل مُهمّة البحث في تاريخ الثورة الجزائرية اليوم مع زوجته المناضلة جاكلين نيتير قروج ذات الأصول الفرنسية اليهودية، ولدت في 27 أفريل 1919 في روان، آمنت بالقضية الجزائرية، فخاضت غمارها مُدافعة بذلك عن العدل والمساواة، ومُحاربة النظام الاستعماري التي عاشته في الغزو النازي، ورأت مظاهره مُتجسدة في الاحتلال الفرنسي للجزائر، تحكي لنا عن نضالها في الحزب الشيوعي، وسجنها، والحكم عليها بالإعدام، هي التي كانت عميدة المحكوم عليهنّ بالإعدام. وساهمت كثيرا في الاتصالات بين المناضلين مستعينة بمنظرها الأوروبي الأنيق للتملص من الرقابة. ورغم التعب والمرض استقبلتنا مُضيفتنا بحفاوة، والابتسامة لا تغادرها في بيتها بحي تيليملي، لتتحدّث إلينا عن تجربتها الثورية في هذا الحوار التاريخي المُفيد.

سيدتي غادرت فرنسا سنة 1948. هل كان سفرك إلى الجزائر بغرض الاستقرار؟

لا، رافقت زوجي الذي جاء ليعمل. فبعد أن نلت شهادة في الفلسفة في سنّ العشرين، ثمّ حصلت على شهادة الليسانس في الحقوق سنة 1939، تقرّر أن أدرّس في ثانوية في فرنسا، حيث كنت ألقي الدّروس، وأعتني بابنتي دانيال في نفس الوقت، حتى أنّ التلاميذ كانوا يحرسونها في الرواق. ولأنّ زوجي الأوّل بروفيسور في الفلسفة وحارب ضدّ ألمانيا أرسلوه ليُدرّس في مدرسة "دوسلان" بتلمسان في الجزائر سنة 1947 وانتقلت معه بطبيعة الحال.

كيف كان أوّل احتكاك لك بالنظام الاستعماري، وماذا كان موقفك منه؟

النظام الاستعماري عرفته قبل أن آتي إلى الجزائر، مُمثلا في النازية الألمانية، رأيت ما فعله هتلر، وعندما اصطدمت بالوضع في الجزائر قارنت بين النظامين الاستعماريين، وجدتهما لا يختلفان في شيء، ظلم، واضطهاد، وتشريد، واستغلال القويّ

للضعيف، لهذا فإنني لطالما اعتبرت مشاركتي في حرب التحرير الجزائرية بمثابة انتقام من النازية الألمانية، والنظام الاستعماري، هي مسألة مبدأ، إذ لا يُمكننا أن نُدين نظاما ونسانده في نفس الوقت...الاستعمار كله رهيب.

كيف عبّرت عن ذلك الرفض للنظام الاستعماري في الجزائر؟

بداية بالمُقاومة، مُقاومة كلّ ما يُعبّر عن الاستغلال البشع للإنسان، وأنا كنت أدرس في قرية "نيغرييه" واليوم تُسمى شتوان، بها مُعمّر يُدعى "دولفيس" أصله من الألزاس، كان لديه نفوذ كبير، ومزارع، وأراضي، حتى أنه في سنة 1940 كان يملك طائرته الخاصّة، وكان يُشغّل الجزائريين، والاسبانيين، وغيرهم. وكلّ سُكّان المنطقة كانوا يشتغلون عنده، وبعد أن يتوقّف أبناؤهم عن الدراسة يلتحقون بهم ليعملوا لديه طيلة ساعات النهار، وكان يدرس في القسم الإخوة غارسيا، وهم من عائلة فقيرة، وكنت سأوجه أخاهم الأكبر ليُواصل دراسته، لكنّ "دولفيس" رفض، ذلك أنه يحتاج إلى عُمّال، وبالتالي صار هذا الرجل هو العدو الأوّل لي، لأنه يُمثل الاستغلال القاسي الذي كان يمارس في حقّ الجزائريين من جهة، وكذا المواطنين من جنسيات مختلفة من الذين ليس لهم نفس النفوذ الذي يتمتع به، وبعد أن حاولت أن أضمن للطفل مُواصلة تعليمة بكلّ الطرق نجح "دولفيس" في نقلي إلى قرية أخرى لأدرس فيها، من "نيغرييه" إلى عين فزة.

كيف اتصلت بالنظام؟

كنت قد ارتبطت برجل جزائري وهو عبد القادر جيلالي غروج، وكان منظما إلى الحزب الشيوعي الجزائري، كنت معه عضوة، كنت أقطع عشرات الكيلومترات مشيا على الأقدام، كي أحضر اجتماعات الحزب الشيوعي. وأذكر مجيء زوجي إليّ بعد أيام من انطلاق الثورة، ومُصارحته لي بأنه قد يختفي مستقبلا، ذلك أنه كان قد عقد اجتماعا مع بعض أعضاء الحزب الشيوعي، واتفقوا على أن يلتحقوا بالجبال (لولا أنّ مسؤولي الحزب قاموا بردعهم) فوافقت على الفور، إذ أنّ ذلك يُطابق مبادئي المعادية للنظام الاستعماري بغض النظر عن كوني فرنسية.

متى، وكيف تم إيقافك سيدتي؟

كان ذلك عبر وشاية من دون شك، ذلك أنّ السُلطات الاستعمارية في سنة 1957 شددت الرقابة، وكثفت من حملات الاعتقال، وأنا أوقفت في شهر جانفي من ذات السنة.

إلى أين نقلوك؟

وضعوني في سجن بربروس ثم الحراش، الفونتيني، بوتيت روكيت، تولون، تولوز وأخيرا بو.

مع من التقيت في سجن الحراش؟

عندما نقلوني إلى هناك مع كلّ من جميلة بويزة، وجميلة بوحيرد، التقينا مع زليخة بقدور، وايفلين لافالات، وغيرهنّ.

كيف استقبلتك السجينات هناك؟

كنّ بانتظار مقدمنا، فالتففن حولي ورحبن بي، واحتضنني، الأمر الذي جعلني لا أشعر بالحكم القاسي علي من السلطات الفرنسية.

كيف عشتنّ حياة السجن؟

كان الأمر مرعبا في البداية، إلى أن صدر في حقي العفو تحت ضغط الرأي العام الدولي، فاستبدلت عقوبة الإعدام بعقوبة الأشغال الشاقّة، ولكننا قاومنا اليأس، ولقد كنا مؤمنين إلى درجة كبيرة باستقلال الوطن.

لديك 5 أطفال سيدتي، أربعة منهم كانوا يحملون أسماء أجنبية، من اختار لهم أسماءهم العربية؟

عبد القادر هو من فعل، بعدما راسلوه وهو في السجن، اختار لجاكلين اسم جميلة، ولكلود اسم توفيق، من اسم محمد ارزقي بن ناصر، المدعو توفيق، وهو مناضل من العاصمة أوقفه المظليون، وكاترين اسم نسيمة، على اسم المناضلة نسيمة حبلال، والطفل الرابع اختار لنفسه لوحده اسم جواد، على اسم صديق له، وأما طفلي الخامس مع عبد القادر الذي ولد في 1952 فسمّيناه سعيد محمد.

ابنتك دانيال (أو جميلة) كانت مُناضلة هي الأخرى، ماذا يُمكن أن تقوليه عن نضالها؟

بعد توقيفنا أنا وعبد القادر، كانت هي مختبئة في القصبة عند عائلة بن ناصر موحا رزقي (أي توفيق) وعائلة سنان، وعائلة

ثالثة هي عائلة عبد الرحمن بن حميدة، وكانت تكافح بالسلاح.

شبّهت ما اقترفته فرنسا من مجازر بالنظام النازي، برأيك، هل هو الحال بالنسبة لفلسطين؟

أجل، ما يقترفه الصهاينة في فلسطين هو نظام استعماري إجرامي بامتياز.

ماذا تضيفين في نهاية هذا اللقاء سيدتي؟

أقول لك يا مصطفى لو أن التاريخ عاد بي إلى الوراء، لاخترت نفس الطريق...طريق الحرية.

45

فاطمة اوزقان

"هكذا جمعنا ملفّات أولياء المفقودين وياسف سعدي والزهرة ظريق وشيا بي"! [1]

1 نشر بتاريخ 22 ديسمبر 2012.

ضيفتنا في هذا اللقاء التاريخي المناضلة فاطمة أوزقان التي نستضيفها على جزأين اثنين، وهي التي أُوكلت إليها مُهمّة الاتصال، وإيواء المُناضلين. وبعد استشهاد زوجها عبد الرحمن رباعين نهاية 1957 صارت أكثر حركية في المنطقة المُستقلّة، وخاضت إلى جانب حرب الاتصال والتنسيق حربا أخرى بسيكولوجية، حيث ساهمت في تفجير ملف المفقودين الذي أحرج فرنسا أمام العالم بأسره. وبعد الاستقلال، أصبحت "فطومة" الأمينة العامة المنتدبة لدى اتحاد أرامل ويتامى الحرب، استقالت من المنظمة سنة 1963، بعد اعتراضها على الخطاب السياسي التي اعتبرته ولا تزال "مُناف لقيم أوّل نوفمبر التي حاربت من أجلها" واعتبرت السيدة التي استضافت "الجزائر" بحفاوة في بيتها أن حربها لا تزال قائمة في سبيل "منح المرأة حق المساواة مع الرجل" فحاربت قانون الأسرة، الذي تصفه بـ"القانون الظالم الذي يُكرّس سلطة الرجل". تمّ توقيفها سنة 1983 رفقة ابنها علي فوزي رباعين، ووضعت في سجن الحراش ثمّ المدية، وفي سنة 1985 أسّست للتنظيم الأوّل للرابطة الجزائرية للدفاع عن حقوق الإنسان، وحُكم عليها في نفس السنة بستة عشر شهرا سجنا، بتهمة تكوين جمعية غير قانونية، وإهانة القاضي. وفي حوارنا معها، عادت بنا مُضيفتنا إلى الفترة التي أشرفت فيها على عمليات الاتصال بين مُناضلي القصبة خاصّة، والمنطقة المُستقلّة، وعن فترة السجن التي تعرّضت لها، وملف المفقودين. وثارت "سي قدور" (لقبها الثوري) على قيادات الخارج، الذين، تقول، أنهم انحرفوا عن المسار الثوري. وعرّجنا بها للحديث عن الروايات الفرنسية حول الثورة وما بعد الاستقلال، قبل أن نخوض معها في واقع المرأة ومكانتها

بين الإصلاحات السياسية والانتخابات التشريعية. لقاء طويل وحوار جريء هذا الذي جمعنا بالسيدة فطومة، دام أربع ساعات كاملة، خرجنا منه بهذا الحوار.

فاطمة اوزقان، أو فطومة (أو سي قدور) مُناضلة، ومن عائلة كان أوّل اصطدام لها مع الاحتلال لدى طردهم من الأرض التي كانوا يملكونها...

أجل، انتزع الاستعمار من أجدادي الأراضي التي كانوا يملكونها، كانت عائلتي تملك الكثير من الهكتارات وتعمل في الفلاحة، فانتقل بعضهم للعيش في الجزائر العاصمة.

ورثت العمل النضالي من والدك وعمّك، فهل حدّثتنا عن تلك الفترة، وأثرها عليك؟

أبي، وعمي كانا نقابيين، وأتذكر أنّ أبي كان يُحضّر المقالات، ويقرأها بصوت مُرتفع، وعندما تراه جدتي، تسأله عمّا يفعل؟ فيُخبرها أنه يُناضل من أجل أن يستقلّ الوطن، فتسأله بسذاجة إن كان هذا الاستقلال سيجعلها تستعيد أرضها المسلوبة من طرف القوّات الاستعمارية؟ فيجيبها بنعم. وكنت أنا الفتاة الصغيرة أسمع مُصطلحات العدالة الاجتماعية، والديمقراطية، والحرّية، ولكن لم أكن أفقه معانيها، والعبارة التي بقيت راسخة في ذهني حتى بعد الاستقلال، هي تلك التي كانت تقولها جدّتي:"عندما تخرج فرنسا سأستعيد أرضي" ربما لأنها تُصوّر كفاح الشعب الجزائري كله، وتُعبّر عن الأمل، والظلم، والنضال معا.

قلت أنّ طموح هذه الجدّة المُسنّة تجسّد في أملها في استعادة أرضها، كيف كانت صورة الفتاة الصغيرة فطومة لهذا الاستقلال؟

كنت الأكبر بين أخواتي، ولكنني مع ذلك لم أكن قد بلغت 13 سنة بعد، وبقدر ما كان الأمر مُعقدا، بقدر ما كان بسيطا. كنت أعلم أنّ هناك تحدي عنوانه الاستقلال، ولكن لم أكن أفقه تماما معناه ولا كيف.

ما الذي غيّر فيك اعتقال والدك، وعمّك عمر اوزجان الذي كان يناضل في الحزب الشيوعي؟

القي القبض حينها على الكثيرين من الحزب الشيوعي، مثل عمي الذي أرسلوه إلى سجن بوهران. أما أبي الذي وضعوه في سركاجي. فصرت أتكفّل بكلّ شيء، خاصّة وأنه ليس لي إخوة ذكور. كنت أُحضّر التسريح من أجل زيارة أبي، وأدل "القداش" عندما ينقل

المأونة لأبي في السجن.

هل كنت تعين أو تُدركين السبب أو بالأحرى الهدف الذي دخل والدك من أجله إلى السجن؟

لا، كنا نسمي ما حدث من حولنا سياسة وفقط، أمّا التفاصيل فكنا نجهلها، لم أكن اعرف من السياسة شيئا، ولكنني كنت أحسن التصرف، فمثلا كانت لي صديقة تدرس معي، والدها مدير السجن، وكنت آخذ منها أخبار والدي، وحتى هي كانت تجهل التفاصيل.

وهل تمّ إطلاق سراح والدك بعدها؟

قدّم طلبا للاستفادة من الحرّية المُؤقتة، فتمّ قبول طلبه، ولدى خروجه استعاد مطعمه الذي تركه لأحد أفراد عائلته، وبما أنه كان مريضا صرت أنا المشرفة على المطعم. ارتديت ملابس رجالية، وصرت أنوب عنه.

ألم يستعد والدك النشاط السياسي؟

بلى، خاصّة بعدما خرج عمي من السجن هو الآخر، وكانوا يلتقون في البيت، ويأتي زوار آخرون، وكان هناك حراك دائم، ولم يكونوا يطردوننا من تلك الجلسات، رغم أنه في ذلك الوقت كان من غير المقبول أن تُجالس المرأة الرجل، ولكنّ والدنا كان يمنحنا حرّية وأهميّة كبيرتين، بل إنه كان يُجيب على أسئلتنا إذا ما استفسرناه عن شيء ما.

متى انخرطت أنت كذلك في العمل الثوري؟

لدى اندلاع الثورة تزوجت وكذلك أختاي. وكان البيت الذي انتقلت إليه أكثر هدوء من بيتنا العائلي، وأقلّ قُربا من السياسة، أو هذا ما بدا لأي في البداية. مع اندلاع الثورة، اتصلوا بعمي اوزجان وطلبوا منه أن يلتحق بهم، فوافق، وبما أنه كان سياسيا، وله نظرة إستراتيجية، أعطاهم خططا واضحة، قدّموها بدورهم إلى بلقاسم كريم الذي ذهل بها فطلب ملاقاته، تحدث إليه، وطلب منه أن يحضر معلومات حول القصبة، ويُحضر أرضية عمل لمؤتمر الصومام، فكان يفعل الاثنين في نفس الوقت.

كيف تمّ القبض على عمّك؟

عثرت الشرطة على مناشير لدى عمي فتمّ نقله وآخرين إلى

مركز الشرطة، ثمّ أطلقوا سراحه على الساعة السادسة، ليُراقبوه، وكان من الصعب أن يعمل ويتنقل بحرية. ثم تم التضييق على عمي، بعدما قبض عليه، وأُطلق سراحه، فأصبح لا يلتقي المسؤولين، لا رمضان عبان، ولا بلقاسم كريم حرصا على عدم انكشاف أمرهم، وصارت بينه وبينهم وساطة، وتمثلت في زوجي الذي حسبته بعيدا عن السياسة والنضال، هو من كان يربط الاتصال بعبد الرحمن بن حميدة، وهذا الأخير يتصل ببن مهيدي، أي أنّ بين عمي وبن مهيدي كان هناك زوجي ثمّ عبد الرحمان بن حميدة، ولكن بعدها تفطنت لنا السلطات الاستعمارية.

حسنا كان اعتقال زوجك بداية لما صار يسمى بقضية المفقودين" بداية هلا حدّثتنا كيف أُعتقل زوجك؟

خلال إضراب الثمانية أيام، راحت فرنسا تكسر، وتعتقل، وتقتل، أمّا أنا فقُمت برمي كلّ الوثائق والمُستندات التي كان يملكها زوجي في البئر، استغرب ذلك وعاتبني، ولكني فعلت ما رأيته أسلم لي وله، خاصّة وأنه في تلك الفترة لم يكن يُدرك حجم التعذيب الذي يتعرّض له المُعتقلون في السُجون الفرنسية. وفعلا عندما أتت السلطات لم تعثر على شيء، ولكنّ زوجي كان مشبوها، وعمّي مُختفيا، فأخذت أزواجنا الثلاثة، أما أنا فذهبت لكي اخطر عمي الذي كان عند الآباء البيض، ولكنه كان قد غادر الدير لأن فرنسا فتشته، فذهبت عند زوجة عمي لكي اخبرها، فوجدته هناك، استغربت، فقال أنه لم يعثر على مكان يذهب إليه، فأخذته عند صديقات لي.

في تلك الفترة فجّر المحامي الفرنسي جاك فرجاس قضية المفقودين، وكان زوجك من بينهم، هلا حدّثتنا عن هذا؟

كان للجبهة مجموعة محامين، ومنهم جاك فرجاس، وزافغيون، وكويجيه، وقلت لفرجاس أنني لا بدّ أن أعثر على زوجي، فأجابني أنه لا يُمكن القيام بحملة واسعة من أجل مفقود واحد. بدا أنه ليس حلّ هذا المشكل سهلا، فاتصلت بمُراهق اسمه محمد من القصبة كنت أعرفه، وكان نشيطا، طلبت منه أن يجمع لي كلّ امرأة فقدت زوجها أو ابنها أو أخاها، وكان كل من المحامي زافغيون، وكويجيه قد نصبا طاولة يُسجّلون فيها كلّ أسماء المفقودين، والسُلطات الفرنسية استغربت الأمر، وقامت بنفي المحاميين إلى

فرنسا، لكنهما كانا قد حملا تلك الملفات، وعندما التحق بهما جاك فرجاس أصدر الكتاب الأخضر للمفقودين.

بالعودة إلى فترة ما بعد الإضراب سيدتي، قطعت الاتّصال الذي أرسله لك ياسف سعدي، لماذا؟

أجل قطعته، وعندما صارحت عمّي بذلك عاتبني، أمّا أنا ففكرت في أنه على عمي أن يُحصّن نفسه قبل مُعاودة العمل، وبهذا أربط الاتّصال مع ياسف سعدي، وعلي لابوانت، وبن حميدة، والسي مراد مُتفرقين. وبما أنّ عمي لم يكن يخرج من مخبئه، فكان يدلّني على ما أفعله، وأخرج أنا للشارع وأتخذ القرار بمفردي، لكي أعيد النظام، واتصل بمن ينخرط في النضال. وفي نهاية سنة 1957 قبضوا على ياسف سعدي، وبعدها قبضوا عليّ وأبي وعمي.

هل من علاقة بين حادثتي القبض عليك وعلى ياسف سعدي؟

أجل، هو أقرّ بي، أو بنا، عندما قبضوا عليّ وضعوني في المحتشد، وأحضروا لي ورقة وقلما، وطلبوا مني أن أكتب، فكتبت سطرين اثنين:"زوجي مفقود، وأبي وعمي احتاجا إليّ فتكلفّت بهما" أما ياسف سعدي وبن حميدة فأقرا بكلّ شيء!

...وزهرة ظريف بيطاط؟

نفس الشيء، لم تقاوم، ولم تتعرّض للتعذيب، وأقرّت بكل شيء!

كيف علمت؟

سعدي أقرّ بما يعلم، ولو أنهم عذبوه، أو ضربوه لهان الأمر. ولكنه أمسك بالقلم لوحده، وراح يكتب ما يعرف، ملأ كتابا من الاعترافات! لا نستغرب هذا إذ أنّ ياسف محكوم عليه بالإعدام من طرف المناضلين. اوعمران كان ضدّ أن يُناضل، ولا أدري كيف تمّ الإبقاء عليه. لولا ياسف لما كانوا تفطّنوا لي!

حسنا، هل رأيت ما كتبه ياسف سعدي وزهرة ظريف؟

أجل، أحضروا لي ما كتبه ياسف سعدي، وبن حميدة، وفصلوا كيف أنني طلبت وثائق مزوّرة.

هل تمّت مُحاكمتك بعدها؟

أجل، في نفس الوقت الذي حُوكم فيه أبي وعمي، عندما كنت

في سجن بربروس، كان يُجرّ المحكوم عليه بالإعدام للساحة، يبقى يُردد عبارة "الله أكبر" فيصرخ بصُراخهم باقي المسجونين، حتى يصل صدى الصراخ إلى سُكّان الحي، الذين يُردّدون بدورهم تلك التكبيرات، ونحن بدورنا نُردّد النشيد الوطني، عندما أتذكّر كلّ هذا، أفكر كم كان الشعب الجزائري قويّا، ورفع التحدي في الأوقات الأصعب من تاريخه، وهو ما يجعلني متفائلة.

كيف عادوت الاتصال بالنظام؟

عندما أطلق سراحي لم استفد من الحرّية الكاملة، كنت مُضطرّة أن أذهب إلى مركز الشُرطة أسبوعيا لكي أُمضي على ورقة حضور، وكنت في البداية أفعل هذا خمس أيام في الأسبوع الواحد. ثم اتصلت بي الولاية الرابعة لكي أُساهم في إعادة تنظيم المنطقة المستقلة، أو ما صار يُسمى بالمنطقة السادسة للولاية الرابعة.

من الذي اتصل بك من الولاية الرابعة؟

لم أكن أعرف إلاّ سي شريف، وذهبت لملاقاته، ورافقتني صديقة عرفتها في السجن، اسمها زليخة بقدور.

عادة ما يكون هناك تخوّف من السجين الذي تُطلق فرنسا سراحه، فكيف تمّ الاتصال بك مع ذلك؟

معك حق، ولكنهم وثقوا بي وعلموا أنني من نوع المُناضلين الذين وضعوا الاستقلال نصب أعينهم، وفعلا، لقد كنت أنتظر الاستشهاد في أيّة لحظة، وعائلتي كُلها تقريبا سبّلت نفسها من أجل القضيّة الوطنية، كما أنهم احتاجوا إلي، خاصّة وأنني كنت معروفة في القصبة، وكان الناس يثقون في إخلاصي للثورة.

كيف أمضيت مدّة السجن، وخاصّة الأشهر الثلاثة التي اعتبروك فيها "مفقودة"؟

تعرّضت للتعذيب، بطبيعة الحال، في الثلاثة أشهر الأولى كنت في ثكنة (اورليون) وكانت معي لويزة ايودران، وهي مُن مناضلات الساعة الأولى، ولكنها لم تكن في نفس الشبكة التي كنت فيها أنا، وكنت مُضربة عن الطعام، طلبت من الجندي الذي كان يحرسني أن يعطيني ورقة وقلما، فأعطانيهما، وكتبت على الورقة توصيات للويزة، لكي لا تختلف تصريحاتنا عن تصريحاتي، وبعدها كتبت على الجدار اسمي واسم الشهرة الخاص بي، وجاء الرقيب المختص في التعذيب مرّة مع الدركي، ورأى ما كتبته

على الجدار، سألني عمّن أعطاني القلم، فأجبته أنه هو من فعل، فضربني، وأعاد السؤال، فقلت له نفس الشيء، فعاد وضربني، ثمّ استدعانا الرقيب أنا ولويزة إلى مكتبه، وأخبرني أنّ ضابطا مُضادا للجوسسة استدعاني ليتحدّث إلي. وفعلا استدعاني الضابط المضاد للجوسسة في مكتب، فيه طاولة، ومسدس، وراح يسألني، ولكنني بقيت صامتة، ثمّ استدعاني لكي التقي معه في مقهى عمومي، حتى يحسب الناس أنني صرت أتعامل مع فرنسا، وأنا كنت أوصي أمي دائما أنني إذا متّ فإن فرنسا هي من قتلتني لا الجبهة. فرنسا كانت تُريد أن تقتلني دون إثارة الشكوك حولها. وفعلا ترصّدوا لي من أجل قتلي، ولكنني انتبهت إليهم، فذهبت مباشرة إلى قيادة الأركان، وسألتهم لماذا أرادوا قتلي، فهدّدوني بأن يقتلوني إن أنا بُحت بالأمر، وما إن خرجت حتى اتصلت بجاك فرجاس، وقتلت له كلّ شيء.

ماذا كان ردّ فرنسا على هذا؟

تمّ نفيي إلى فرنسا. وكانت أختي هناك، مع فدرالية فرنسا، كانت صُحفية، أمّا أنا فأقمت عند فرجاس، وصرت أحمل المؤونة إلى سجن "فران" حيث كان هناك الكثير من المناضلين. وبنات القصبة اللائي كن هناك يحضرن لي الطعام. وعندما انتقلت إلى روما، اتجهت إلى سفارة الحكومة المُؤقتة بها، وتفاجأت من الأبهة التي كان عليها أصحاب السفارة، التقيت بالطيب بوالحروف، كان أنيقا ويرتدي حلة فاخرة، كما لو لم يكن في حرب! سألني إن كنت أملك إذنا بالمرور، فسألته بدوري إن كان مُناضلا، قال نعم، سألته عمّا يفعله المناضل عندما تتقطع شبكة الاتصالات؟ ولكنني لم أنتظر منه جوابا، وكيف يُجيبني وهو يعيش حياة سفير دولة مُستقلّة، وعندها انتقلت إلى تونس، كانت مليكة أختي أوّل صحفية جزائرية في جريدة تونسية هناك، وعندما وصلت طلبت أن يتم إسكاننا، فاتصل بي بن شنتوف، وكان سكرتيرا عاما لبن طوبال، وكانت زوجته هي من تمثل اتحاد النساء، كانوا يحيون حياة تختلف عن حياة الجزائريين في الداخل. طلب سي مبروك (عبد الحفيظ بوالصوف) من أختي أن تعمل كمُضيفة، وفي نفس الوقت تربط الاتصال، وأختي استشهد عنها زوجها، قلت له إن كانت لديك أخوات وزوجة وبنات فليُرسلهنّ للعمل، أمّا أختي فيكفيها

شرف أنها مناضلة وزوجة شهيد، ولن تعمل مع أشخاص غير موثوقين!

لماذا رفضت أن تستعيد أختك النشاط؟

لأنّ انحرافا كبيرا كان قد مسّ الثورة في الخارج، بل لم تكن هناك ثورة في الخارج أصلا. صحيح أنّ بعض المُجاهدين لم يستطيعوا فعلا الدخول إلى أرض الوطن بسبب خطي شال وموريس، ولكنهم بقوا على العهد، غير أنّ آخرين، خاصّة بين القيادات، كانوا يعيشون في أبهة، ولم يفعلوا شيئا سوى التآمر، والتحضير لفترة ما بعد الاستقلال. وحتى تمار أتى مرّة مع بوتفليقة لكي يُجندا أختي لتصلهم مع التونسيين، فقمت بطردهم. استضفتهم في البداية ولم أتحدّث معهم عن السياسة، ولكن عندما قاموا بهذا العرض طردتهما، وقلت لهما أنه لا يمكن لأختي أن تُعرّف التونسيين الذين أحسنوا ضيافتها على خونة مثلهم.

طردت الاثنين؟

طردت تمار، أمّا بوتفليقة فلم يكن إلاّ بوابا، ولم يكن رجلا ثوريا، حتى أنّ قائد صالح، والجبهة حكمت عليه بالموت، قبل أن يُهرّبه هواري بومدين إلى مالي، التي كان بوعلام اوصديق سفيرا فيها، والآن يُلقبونه بعبد القادر المالي، كما لو أنه كان في مهمة جهادية هناك!

عدت إلى أرض الوطن بعد وقف إطلاق النار، كيف عشت تلك الفترة؟

كانت الفرحة بوقف إطلاق النار، والعودة مجددا إلى أرض الوطن الذي فارقته مستعمرا، لا تُوصف، كنت تركت أبنائي، وأهلي وأقاربي، وعدنا على أوّل طائرة دون أن نحمل معنا شيئا، كنا متشوقين للعودة، فتركنا كل شيء وأتينا، ولكن كانت هناك المنظمة العسكرية الخاصّة التي كانت تقتل وتزرع الرعب بالعاصمة، وعندما دخلنا تكفل الجيش بنقلنا، وأخفينا وجوهنا في السيارة، حتى لا يتعرف علينا أحد من طرف عناصر تلك المنظمة، وكان الصراع على السلطة قد بدأ، وكاد أن يقودنا إلى حرب أهلية محققة، فرحة وقف إطلاق النار لم تدم طويلا. جاء محمد بوسماحة (المدعو محمد البرواقية) لكي يُعلن حظر تجوال اتجهت إليه وقُلت له أننا اليوم أحرار، ولن يفرض علينا أحد حظر

التجوال لا نهارا، ولا حتى ليلا، ولهذا أستطيع أن أقول لك أنه بفضل النساء اليوم توقّف قرار حظر التجول، ولم يُعلن في العاصمة.

اتّهمت فرنسا جبهة التحرير الوطني بارتكابها مجازر في حق الحركى والأقدام السوداء التي كانت في الجزائر غداة الاستقلال، بماذا تردين؟

فرنسا هي من عذبت الحركى، عندما أخذتهم وضعتهم في المحتشدات، عاملتهم بطريقة وحشية، ثمّ يدعون أنّ جبهة التحرير فعلت هذا، وحتى اليوم لا يزالون يغزون البلدان بوحشية، فقط من أن أجل نهب ثرواتها.

الجزائر قامت بما سُميّ "إصلاحات سياسية". كيف ترينها، خاصّة فيما يتعلّق بالمرأة؟

بما أن قانون الأسرة لم يُعدّل، فان كل هذه الإصلاحات التي يتحدثون عنها عقيمة، النساء قمن بدور جبّار خلال ثورة التحرير، وفي النهاية تم إبعادهن تماما من الحياة السياسية. واليوم يشكك البعض حتى في دور النساء خلال الثورة وقالوا أنه دور صغير. رغم أنّهن فعلن تقريبا كلّ شيء، طبخن، وغسلن، وغامرن بحياتهن، ووفرن الاتصالات، ووضعن القنابل، وأخفين المجاهدين والسلاح، وجاء الرجل ليحمل ذلك السلاح. النساء هن من يحملن هذا البلد فوق كهولهن، ولولاهن لانهار. واليوم يأتون من نصّبوا أنفسهم أوصياء علينا، ويمنحوننا بعض المقاعد في البرلمان، كما لو أننا نتسوّل منهم. الرئيس الحالي عبد العزيز بوتفليقة أبدا لم يحترم النساء، ولم يُعط قيمة إلاّ للنساء الحركيات مثله. وعدا هذا فلا يُمكن أن نصدّق أنه أعطى النساء حقهن، هذه مراوغة سياسية لا غير.

46

دحمان باحة

"شبكة التسليح في العاصمة **كانت** قويّة و هكذا افتضح مستشفى بلونيش"[1]

1 أنجز بتاريخ 29 ديسمبر 2012.

يُطلعنا المجاهد دحمان باحة في هذه الشهادة الحصريّة عن أهم التفاصيل التي عاشها خلال حرب التحرير، وعن شبكة نقل وتوزيع السلاح الذي كان طرفا فيها رفقة الكثير من المناضلين الذين تمكنوا، خاصة في سنة 1956 من توفيره لمناضلي المنطقة المستقلة، والولايتين الرابعة والثالثة. كما ساهم الرجل في تنظيم شبكة التمريض في العاصمة، وفي المتشفيات السرّية بمزرعة بن مرابط، وبلونيش ببرج الكيفان. وبقي يُناضل رغم الشلل الذي أصاب المنطقة المستقلة بعد حملة الاعتقالات التي تلت إضراب التُجار، وحكم عليه بالإعدام غيابيا، عن تلك الأحداث وعن الأشخاص الذين عمل معهم، وتفاصيل أخرى مُهمّة يُحدثنا السي دحمان في هذه الشهادة التي جهدنا في الحصول عليها...

بدأتم النضال مثل كثير من الشباب الذي تبنى القضية الوطنية منذ الصغر بتوزيع المناشير كيف كنتم تحصلون عليها، وأين كانت توزّع؟

كان ذلك في بداية انتمائنا لحركة انتصار الحريات الديمقراطية في بلكور. حينها انحصر نشاطنا في توزيع المناشير في الأماكن العمومية، والمقاهي. ففي الثورة كان المنشور يُطبع سرّيا، ثمّ يُوزّع على المناطق وهكذا، إلى أن يصل، تقريبا، إلى كلّ الجزائريين.

من كان المسؤول عن طباعتها؟

كان المسؤول عن إحدى المطابع دحمان رباعين، زوج المناضلة فاطمة اوزقان، الذي كان يعمل في مصنع لصناعة المشروبات الغازية في القبة، ويسكن في رويسو.

هلا حدثتمونا عن تنظيم شبكة التمريض، أنتم الذين كنتم تساهمون في نقل المرضى، والاتصال بالأطباء؟

في البداية كان هناك حمادة، رحمه الله، عندما بدأنا تنظيم شبكة التمريض، بدأنا في العاصمة، وحمادة هو من اتّصل بالأطباء والممرضين مثل نفيسة حمود، التي كانت تسكن في ابن عكنون،

وسليمة بلحفاف القابلة، التي كانت تسكن في رويسو، وهي الأخرى على اتصال بمُختلف الأطباء الأوروبيين. إضافة إلى شرفة وبلعابد، وشولي الذي كان في ديار المحصول، كنا مُتّصلين بهم نقصدهم عندما نحتاج إليهم.

كنتم سيدي مُكلّفين بنقل المرضى من مستشفى بلونيش السرّي، كيف كان يعمل؟

الولاية الرابعة هي التي كوّنت، وأشرفت على ذلك المستشفى السرّي الذي احتضنته "فيلا" عائلة بلونيش المناضلة، رئيس المنطقة الأولى كان محمد طويلب، أخ عثمان ومصطفى طويلب، أما مسؤول ناحية برج الكيفان، وباب الزوار فكان محمد باحة، وأيضا محمد بن ساسي. أمّا نحن فكنا مُكلفين بنقل المرضى الذين يُصابون في المعارك، وينقلون على وجه السرعة إلى فيلا بلونيش، يتلقون فيه الإسعافات الأوّلية، ونقوم نحن بنقلهم إلى العاصمة، نوزعهم على المستشفيات، التي نكون على اتفاق مُسبق مع بعض الأطباء بها.

من هم الأطباء الذي كنتم تتعاونون معهم؟

في المستشفيات كان هناك الدكتور ستوبا، والدكتور روش، هؤلاء جرّاحون كانوا في عيادة "سانت انتوان" بالقبة. وكان هناك أطباء في العيادات الأخرى. كانوا يقومون بعمليات جراحية. وعيادة في الحراش. الدكتور فرانس فانون كنت مُتصلا به في البليدة، ونقلت له مرضى. وكانوا يستعيدون الرصاصات من أجساد المصابين ليستعملها المجاهدون فيما بعد.

ألم يكن هناك أطباء ينشطون داخل فيلا بلونيش؟

لا، كان هناك من يستقبل المرضى، عدا الدكتور زميرلي يأتون به من الحراش، هو والممرضة المدعوة باية الكحلة، وكان يحضرهم محمد باحة، زميرلي يقوم بالتشخيص الأوّل، ثم يُوجه المرضى.

وماذا عن مزرعة بن مرابط، هل كانت تعمل بنفس الطريقة؟

أجل، نفس التنظيم، كانت ملحقة لدار بلونيش، نفس الأشخاص المسؤولين عنها وهم باحة وبن ساسي.

لماذا اتجه علي خوجة، أو السي مصطفى إلى برج الكيفان؟

بحسب أقوال محمد باحة، كان علي خوجة سيقوم بعملية ضد

ثكنة عسكرية في برج الكيفان. وبالموازاة أمرونا أن نصنع قنابل "المولوتولف" ففعلنا لكي يستعملها علي خوجة على الأرجح، فكل شيء كان سرّيا. واكتشف أمر "المولوتولف" عندما وقع الاشتباك في قضية بن مرابط. كان هناك كلّ من الشيخ صابري الملقب بويندي، رحمه الله، والطاهر كيدوي، وحميد خوجة، وبدر الدين رجيمي، والسعيد كيسي، هؤلاء كانوا يكونون مجموعة صدام، هؤلاء شاركوا معنا في صناعة "المولوتولف" ثمّ وقع الاشتباك، فاستشهد جميع عناصر كوموندو علي خوجة، وبقي الطاهر الوهراني "الاندوشين" وحده حيّا بعدها، وذهبنا إليه في المستشفى لكي نقوم بعملية تهريبه، ولكنه رفض، وأقسم أن لا يتحدث، الرجل عمل كثيرا، وكان متعبا، فعذرناه، وفعلا لم يقل شيئا.

وكيف اكتشف أمره؟

يقول البعض، ولست متأكدا من هذه المعلومة، أنّ أحد المناضلين ذهب لعند بائع اللحم، واشترى منه كمية كبيرة، وقال أنها "للخاوة" وكان في المحل رجل مالطي يفهم العربية، مثل الكثير من المالطيين وقتها، وهو من أخبر الشرطة، التي أتت مُعزّزة برجال وعتاد.

أنتم ماذا فعلتم؟

خلال الاشتباك كنت في القبة، أخبروني عنه، أعطاني زويوش دراجته النارية لكي أطلع على ما وقع، لكن عندما وصلت كان كلّ شيء انتهى، رأيت الجثث مُلقاة على الأرض، والشرطة تحيط بكل مكان.

بالموازاة مع ذلك كانت لكم مهمة نقل الأسلحة، من خلال شبكة لنقل وتوزيع السلاح في العاصمة، كيف كانت تعمل؟

هذه الشبكة كانت تنشط في سنة 1956، وكل شيء انتهى بعد إضراب الثمانية أيام. وكان المروكي رمضان صاحب شاحنة تأتي إلى السمّاكة، يُحضر علب مليئة بالحوت، وفي الفراغ بين صفائح الشاحنة على اليمين واليسار وراء غرفة السائق كانوا يملئونها بالأسلحة، هي طريقة مُبتكرة، نحن ننزع البراغي ونستخرج السلاح. وأفتح قوسا هنا لأحكي لك حادثة وقعت لرمضان هذا، تبين مدى تماسك صلابة الشاحنة، إذ أن الرجل كان مارا من الحدود المغربية الجزائرية، انقلبت شاحنته، وكانت مليئة بالحوت،

والسلاح أيضا، وقد كان هناك عساكر الحدود الذين أحضروا آليات لكي يعيدوا الشاحنة إلى الطريق، فأعادوها وملأوه بالسمك الذي كان قد سقط على الأرض، ومع ذلك لم يكتشفوا شيئا من ذلك السلاح الذي كان مُخزنا في الشاحنة.

كيف كانت كمية السلاح هذه تُوزّع وأين؟

أوّل مرّة إستخرجناها في حوش الزبير، وقبلها كان رزقي اوشارف، وبن يوسف بن خدة، وأنا وابراهيم الشرقي. قدّمني الشرقي لرزقي اوشارف، قال له عني بأنني أنا المعني بنقل الأسلحة، فأعطاني أوشارف كلمة السر، ورقم الشاحنة، والمكان، والتوقيت، وكان ذلك في السمّاكة، وذهبنا فعلا إلى حوش الزبير. أنا كانت لدي سيارة، والشاحنة التي كان بها رمضان المغربي وسائقه وكانت الشاحنة تتبعني، وفي حوش الزبير التقينا هناك بتوفيق بن سمّان، وحميد خوجة. فاستخرجنا السمك، وفي الغد قلت للشرقي أنّ العملية تمّت، في المساء أتى الهاشمي حمود مع إبراهيم الشرقي، وعندها اعتبرت أن مهمتي قد انتهت، لتبدأ مهمتهما المتمثلة في التوزيع مع مناضلين آخرين. وكنا في نفس الحوش نخفي مجاهدين مصابين، قبل أن ننقلهم إلى مزرعة بلونيش، وعندما رأى الشرقي المصابين مع السلاح، قال لي لا يمكن أن نخلط كلّ شيء، كان ذلك مخبا المرضى لا السلاح، تركنا المرضى، وبحثنا عن مكان آخر لإخفاء السلاح، اتّصلنا مع الزريبي. الشاحنة تبقى هناك، في الليل نستخرج الأسلحة، والمغربي يمضي الليلة في الفندق، وفي الصباح يستعيد الشاحنة فارغة. البشير الخباز مع الهاشمي حمود هما اللذان كانا يأتيان ليستلما السلاح ويوزعانه، في الولايتين الرابعة والثالثة، حتى أنّ السي البشير كان ينقله حتى الولاية الثالثة، وسائق الزريبي كان يحمله بالشاحنة إلى القصبة وإلى بوزقزة وفوق السلاح كانا يضعان الخضار. وفي الجرائد الفرنسية التي صدرت بعد إضراب الثمانية أيام أعلنوا عن اكتشاف كميات من السلاح، وللحقيقة والتاريخ فإن كل ذلك السلاح أتى بالطريقة التي ذكرتها لك.

كم كان حجم السلاح المنقول؟

كمية كبيرة، حوالي 3 طن من الأسلحة.

هل كنتم تستقبلونه دوريا؟

مرّة في الأسبوع، كنا نستقبلها كلّ يوم سبت في السماكة إلى إضراب الثمانية أيام.

متى تفككت شبكة السلاح هذه؟

لقد تفككت في إضراب الثمانية أيام، حيث تشدّدت المُراقبة بكيفية غير مسبوقة. وبعد الإضراب أتت الشاحنة، فاتصلت بصاحبها، ولكنه قال لي أنه لم يستلم شيئا!

هل قبض على جميع المشاركين فيها؟

أجل، الجميع تقريبا، على ما أعلم، الزريبي اعتقل، وتم تعذيبه، وقتله، وقبل ذلك جعلوه يرتدي ثياب المظليين، ورافقوه في الشارع لكي يدلهم على المناضلين، ومرّ من أمامي في ساحة بور سعيد، حاليا، رأينا بعضنا البعض، ولكنه لم يخبرهم بشيء، رحمه الله، لم يتحدث عن أحد رغم كلّ شيء، مثل توفيق بن سمان الذي عذبوه أيضا، ولم يشي لهم بأيّ شيء. أمّا أنا فبعد إضراب الثمانية أيام، كان لي اتصال مع طويلب، الذي كان في الحراش، فأرسل لي اتصال، وهو طفل صغير في سنّ الرابعة عشر يُدعى الناقوس، وكلفني بمهمة إعادة تنظيم الحراش، في وقت خلت فيه تقريبا من كثير من المناضلين، بين من سجن، ومن اتجه إلى الجبل، أو حتى غادر الوطن، نظمت فيها مجموعة مُسلحة، على رأسها عون، رحمه الله الذي أعدموه، ومجموعة أخرى سياسية، وكنت وراء كلّ العمليات التي وقعت في الحرّاش بعد إضراب التُجّار.

كنت سيدي معروفا بتوخيكم الحذر، ولكن هذا لم يمنع فرنسا من أن تحكم عليكم بالإعدام غيابيا سنة 1957، ما قصّة هذا الحكم؟

عمليات استرجاع السلاح من الشرطة الإقليمية تلك تسببت في ذكر اسمي، فمرّة، ولمواجهة هؤلاء المناضلين، تعززت الحافلات بالشرطة، قبضوا على مناضل، ذكروا اسمي، فهربت، لم يكن لدي مأوى، أين أذهب يكونون في اثري، فعدت إلى العاصمة. أنا هربت واتصلت بعدها بمحمد اوزجان كنت انضم الاتصال بينه وبين الصادق كرمان، الذي كان وحيدا في القصبة بعد تفكك المنطقة المُستقلة. كانت هناك مناطق للاتصال، ندعوها "علب بريدية" مثلا لدى بائع سجائر في شارع "شارت" وآخر في نفس الشارع كان يبيع أدوات تقليدية، نترك عنده رسائل. وفاطمة اوزجان كانت تسكن لدى زوجها في رويسو. ثمّ طلبت من الصادق

كرمان أن يُدبّر لي إذنا بالمرور إلى تونس، وبقيت هناك إلى الاستقلال.

هل حاولتم الاتّصال بالمُناضلين والحكومة المؤقتة لدى تأسيسها في تونس؟

هناك أردت أن أواصل، ولكن البعض ممّن كان هناك، وضدّ كلّ أبناء العاصمة، تصدوا لي، وكانوا سيقتلونني، ولولا فرانس فانون، لكانوا نجحوا. كانت هناك صراعات مُتكالبة حول السلطة، أنا كنت مع الطاهر كيدوي. لا أريد أن أتحدّث عمّا رأيته هناك...هناك علمت أنّ بعض الأشخاص خاضوا الثورة فقط لنيل الشهرة، ومنهم للأسف من نجح. في الوقت الذي كان أبناء القبة، مثلا، يستشهدون الواحد تلو الآخر...رحمهم الله. مهما يكن فاني لم أعش ما عاشه الكثير من المُناضلين الذين تمّ تعذيبهم، وقتلهم بأبشع الطرق.

47

لويزة ايودران

"بوخالفة جاء للمنطقة المُستقلّة لتعويض ياسف سعدي وهكذا استشهد"[1]

1 نشر بتاريخ 8 جانفي 2013.

نستضيف في لقاء اليوم التاريخي المجاهدة لويزة ايودران، المولودة في 2 جانفي 1937 في تيزي وزو، والتي بدأت نضالها بحي البدر في القبة، إلى جانب والدها وأخيها. كانت تُوفر الاتّصال، وتنقل الأسلحة، واعتقلت، وعُذبت، وخرجت من السجن لتواصل نضالها، تحكي لنا في هذه الشهادة عمّا عاشته خلال معركة الجزائر، وما أحدثه إضراب التجار، وانقطاع الاتصالات، كما تتحدث عن المرأة في المدينة، وعنها في الريف، والمهام التي كلفت بها في هذا الحوار...

تنحدرين سيدة لويزة ايودران من عائلة مُناضلة، كيف انتقلت إليك الرغبة في الثورة ضدّ المستعمر؟

أجل، فوالدي الذي رباني السعيد سيلم هو الذي أقحمنا في العمل الثوري، أنا وأخي الأصغر بلعيد سيلم، كما أنّ أمي وردية تنحدر من عائلة الشيخ المقراني وتحمل هذا الاسم. فالمناضلون قبل الثورة، وفي بداياتها الأولى كانوا لا يُجندون إلاّ الأشخاص الذين يثقون فيهم، خاصّة من الأهل والمقربين، من أجل الحفاظ على السرّية ما أمكن.

بمن كان والدك مُتصلا؟

في البداية كان والدي على اتصال بمُناضلي الولاية الثالثة على غرار علي حليش، وعلي زعموم، وأيضا كر يم بلقاسم، هذا الأخير كان يزور بيتنا في المنطقة المستقلة. وفي سنة 1956 اتصل به مناضلو الولاية الرابعة، خاصّة وأننا كنا نسكن حي البدر بالقبة[1] والأولى أن نعمل لصالح المنطقة المُستقلّة. وأول من عمل معه هو باغ محمد، وكذا بدر الدين رجيمي، وعمي مسعود صاحب المقهى التي تحوّلت إلى علبة بريد كل مناضلي الولاية، على ما أعلم.

ماذا كانت مهامه، وكيف أقحمك في العمل الثوري؟

---

[1] *Lotissement Michel*

كان هو مكلفا بالفداء، ونحن كنا أطفالا. أنا وأخي الصغير الذي لما يكن قد بلغ الخامس عشرة سنة بعد، كان أبي يُرسلنا إلى عمي مسعود، صاحب المقهى، لكي ننقل إليه أشياء أو نُحضر أخرى، دون أن ندري ما ننقله، لكنني وأخي شككنا في أمر تلك الحقائب. ومرّة أعطانا الوالد قفة فيها البطاطا والجزر، وتحت تلك الخضار يُوجد مسدس. حملناها جميعها وفي منتصف الطريق فتّشناها فرأينا ما فيها، أوصلناها، بطبيعة الحال، ثمّ عُدنا لأبي، فصارحناه بالأمر. صار بعدها يكلفنا بمهام أخرى، بل وأكثر من ذلك، أوصانا بعديد الأمور منها ما تقوم به في حال ما إذا تمّ القبض عليه، وبمن نتّصل. وبقيت كذلك إلى ما بعد إضراب التجّار بداية سنة 1957 حيث قُبض على والدي خلال حملة الاعتقالات التي أطلقتها السُلطات الفرنسية، فغادرنا المنزل، كما أوصانا، وانتقلنا إلى الولاية الثالثة، واتصلنا فيها بميلودي، وآخرين.

كيف تعاملت السُلطات الفرنسية مع والدك؟

عذبوه وسجنوه، ولكنه لم يبح بشيء، وهو ما سمح لنا بمعاودة النشاط في العاصمة، وعبر عمي مسعود صاحب المقهى. وبعد تفكيك شبكة المناضلين في المنطقة المُستقلة، عيّنت الولاية الثالثة خليفة بوخالفة، وحمود شيشة كمسؤولين عن المنطقة المستقلة.

ماذا كان دورك في هذه المرحلة الجديدة؟

كلفني بوخالفة بتوفير الاتصال، وأمّا أخي فصار ينقل الأسلحة، لأنه كان صغيرا، ولا ينتبه له أحد. وصار بيتنا بحي البدر مخبأ لهم. وأذكر أن بوخالفة أعطاني مرة رسالة أوصاني أن أنقلها إلى شيخ في مقهى ببلكور، ووصفه لي، ففعلت، وانتقلت إلى ذات المقهى، ورحت أبحث بين الوجوه عن الرجل، حتى تقدّم مني هو، وسألني عن حاجتي، فقلت أنني أبحث عن شيخ، قال المقهى ملئ، ولكنه سرعان ما اصطحبني إلى زاوية حيث أعطيته رسالته وغادرت...ذلك الرجل كان والد خليفة بوخالفة، والمقهى لهم.

هل كان بوخالفة يُخطط لعمليات عسكرية في وقت خفّ فيه النشاط الفدائي في المنطقة المستقلة؟

كان دائما يختبئ في البيت، وفي نفس الوقت يُحاول أن يُعيد

الاتصال بالجميع، ونحن من جهتنا رحنا نجمع الاشتراكات، وننظم المناضلين إلى ديسمبر من سنة 1957.

لكن بوخالفة ومن معه لم يتمكنوا من إعادة هيكلة العاصمة، ألأنّ الحراسة كانت مُشددة؟

حدث هذا بعد أن وقع اشتباك في بوروبة[1] . إذ أنهم فكروا في الانطلاق في العمليات العسكرية، لم يكونوا متفقين على موعدها، ولكنهم في النهاية اتفقوا على أن يخرجوا لانجاز المهام. أمرني بوخالفة بالاتصال بحراق بن كريتني لكي ينقلهم، ذهبت لعمي مسعود، صاحب المقهى بحي البدر، لكي يتّصل بدوره بحراق، هذا الأخير يسكن في وسط القبة، وقدم حراق في الليل، منتصف شهر ديسمبر، نقلهم في سيارته. وعند اجتياز حاجز للدرك الوطني في مفترق الطرق ببوروبة، اشتبكوا مع رجال الدرك، فهربوا وبقيت السيارة هناك، فحراق لم يحمل معه وثائق السيارة، فقبضوا عليه فيما بعد، وتمّ تعذيبه، فأقرّ بأسماء كثيرة تحت وطأة التعذيب، نفى أنه على معرفة بالأشخاص الذين كانوا برفقته في حادثة السيارة، غير أنه قال بأنّ فتاة هي التي طلبت منه نقلهم. فبدأت سلسلة الاعتقالات، إذ قُبض على حوالي 27 مُناضلا، فتفككت شبكة مناضلين بكاملها. قابلني حراق في مركز الشرطة، قال أنه لا يعرفهم، واتهمني بكوني المسؤولة، وأنا من جهتي قلت له أنني لا أعرفه، وهو يهذي.

كيف استشهد خليفة بوخالفة؟

بعد أن بدأت حملة الاعتقالات اختبأ بوخالفة في ساحة أوّل ماي[2] وشيشة ذهب إلى الشراقة، ثم فجروا العمارة التي كان بها بوخالفة، وعندما سمعنا بهذا اختبأنا، ولكن سرعان ما قبض عليّ وأخي، عذبوني، حتى أنّ أخي اعترف بما فعل، وأكثر من ذلك تحمل

---

1 *City montagne*

2 *Champ manœuvre*

أيضا التهم المنسوبة إلي، لكي يُخفف عني. بقينا في ثكنة الحراش ثلاثة أشهر، جردونا من ثيابنا، وراحوا يُعذبوننا قبل أن ينقلونا إلى سركاجي. في سجن بربروس كنا نسمع صرخات المحكوم عليهم بالإعدام، والمساجين يصرخون "الله أكبر" و"تحيا الجزائر". ثمّ سجن الحراش. دافع عني المحامي بوبي، ولكنه اغتيل قبل المحاكمة، ثمّ دافع عني الأستاذ فرجاس، وطالبي وغيرهم من المحامين الذين وكلتهم جبهة التحرير الوطني للدفاع عنا.

متى خرجت من السجن؟

كان ذلك سنة 1959 استفدت من الحرّية المؤقتة، وعندما خرجت لم يكن لي حتى النقود التي أدفع بها ثمن سيارة الأجرة للعودة إلى المنزل، ولهذا فإن رتيبة زوجة الهاشمي شريف التي كانت تقاسمني السجن أعطتني عنوان بيتها، وطلبت مني أن أبيت الليلة عند أمها حتى تتحسّن الأمور، وفعلت، وذهبت إلى خالتي الزهرة، وفي نفس الوقت الذي خرجت فيه من السجن جاء المفتشون في اثري، ذلك أنهم أرادوا أن يمنعوا إطلاق سراحي، كانوا ينوون التحقيق معي مر ة أخرى، أو ربما استعمالي في الإطاحة بمُناضلين. ولأنني كنت قد غادرت المكان، فقد اتجهوا مباشرة إلى بيتنا في حي البدر، أمي قالت أنها لم ترني، وأنا كنت مختبئة لدى خالتي الزهرة، وفي صباح اليوم الموالي أرسلت ابن أخت رتيبة لكي يخبر أمي بتواجدي عند خالتي الزهرة، ولكي ترسل لي شيئا من المال، ذهب الطفل المراهق، وكان البيت محاصرا، احتال للدخول، فقالت له أن يحذرني، وهذا ما فعله، ما جعلني أغير وجهتي، وعوض أن أعود إلى البيت ذهبت إلى المعاتقة بتيزي وزو مباشرة، حيث لي عائلة هناك فكرت في الاختباء عندها إلى حين.

هل واصلت العمل في الولاية الثالثة؟

أجل، بقيت مدة قصيرة دون عمل، وهذا لم يرق لي، خاصّة وأنّ نساء القرية كنّ نشطات في خدمة المجاهدين والثورة، بل إنني استغربت تلك الروح الثورية التي يتحلين بها. والتي تجعلهن يذللن كلّ الصعاب. وأنا رحت أوفق بين العمل للولاية الرابعة والولاية الثالثة إلى وقف إطلاق النار.

سيدتي، رغم أنّ السُلطات الفرنسية أحكمت سيطرتها على الوضع في العاصمة بعد معركة الجزائر، إلاّ أن الروح الثورية لدى مُناضليها لم تنقطع، بماذا تفسرين هذا؟

أقول لك أنّ إضراب التجار جعل شبكات المناضلين التي نُظمت منذ اندلاع الثورة تنكشف، إذ أنّ فرنسا خلال الإضراب أدركت أنّ الشعب كلّه موحد من أجل هدف واحد، ألا وهو الاستقلال، ولهذا راحت فرنسا تقتل وتعتقل وتشرد وتملأ سجونها، وتحكم سيطرتها على العاصمة، كلّ ما حققناه في سنة 1956 تحطم في سنة 1957 رغم أننا بالمقابل جنينا الكثير!

ذكرت أنّ الروح النضالية لدى نساء القرى أدهشتك، فما الذي يمكن أن تقوليه عن دور المرأة عموما خلال الثورة، عن مهامها في المدينة، وكذا في القرى؟

لقد رأيت شجاعة النساء في السجن. ورأيت أيضا شجاعة المرأة في القرية، وتحدثت عن المرأة الريفية، لأنها كانت تقوم بكل المهام تقريبا، كنّ يُكافحن في سبيل الله، يُوفرن الاتصال، يطهين، ولديهن أبناء يحملنهن حافيات القدمين. ولكنك إن سألتها عن نضالها تجيبك بأنّ الاستقلال هو الأهم.

هل تظنين أنهنّ لم ينلنّ كامل حقهنّ من الاعتراف؟

نعم، ظُلمن، وبعضهن لا يملكن حتى شهادات، ولا شيء، رغم أنهن تحملنّ نصف ما يتحمله الرجل.

توفيق بن سمّان

"اكتشفنا مؤامرة البلحاجيست بالصدفة وهكذا كان يشتغل مشفى بلونيش" [1]

1 انجز بتاريخ 10 جانفي 2013.

نستضيف في هذه الجلسة مُناضلا عُرف خلال الثورة باسم الطاهر في حسين داي، والسي الحسين في حيدرة، ولكنّ سكان العاصمة، والقبة خاصّة لا يُمكن أن يُخطئوا اسم توفيق بن سمّان، الشاب الذي التحق بجبهة التحرير الوطني صغيرا، وراح ينشط ويُقدّم ما استطاعه للقضية التي آمن بها، فاستعمل حيويّته في الاتصال وفي شبكة نقل وتوزيع السلاح التي موّنت العاصمة وما جاورها. واستعمل ما أخذه من دروس في الطب في الإسهام في عمليات إسعاف المُصابين في الحرب، كما لم يبخل بنقل المعارف التي تلقاها إلى المساجين لدى اعتقاله. عن مشواره النضالي الحافل يُحدّثنا الرجل في شهادة حصريّة، أجهدنا للحصول عليها بسبب تواضع مُضيفنا، ورغبته المُلّحة في الكشف عن التاريخ كاملا لا أجزاء منه، حتى يتسنى للأجيال القادمة أن تعرفه بتفاصيله الأكثر دقّة، ولم لا؟ تتعرّف على صانعيه الشهداء منهم قبل الأحياء، لكي تستخلص منه الدروس والعبر.

سيد توفيق بن سمان، ناضلتم في العاصمة، وكنتم تُساهمون في شبكة نقل السلاح وتوزيعه، وكذا الشبكة الطبيّة التي أسّستها الولاية الرابعة، تمّ اعتقالكم، تعرّضتم للتعذيب، دخلتم السجن ومنه ساهمتم في إلقاء دروس للمساجين كانت ُمفيدة لهم حتى بعد الاستقلال، هذا المشوار النضالي قليلون من يعلمون تفاصيله لأنكم لا تُحبذون سرده، ونحن وجدنا صعوبة في إقناعكم بمنحنا شهادتكم الحصريّة حول ما عشتم، لماذا؟

لأنّ ما تتحدّث عنه ليس مشوار مُناضل، بل جزء من ثورة هامّة وعظيمة. هذه الثورة التي لم يصنعها الأبطال، بل هي من صنعت الأبطال واستخرجت الشجاعة والإقدام منهم. لا تُعتبر شهادتي هذه مفيدة إن لم تُوضع في إطارها الصحيح، أي سير أحداث الثورة، وكيفية التحضير لها، ومن ثمّة تنظيمها، والتفاعل مع مُختلف الأحداث التي تقع فجأة، فتُربك المسؤولين وتجعلهم يتعاملون معها في ظرف صعب، ووقت قياسي، لا مجال فيه

للخطأ. خاصّة وأننا كنا أمام إحدى أقوى الجيوش في العالم، ولم يكن الأمر سهلا على الإطلاق. لهذا أقول لك أنّ المُهم هو سير الثورة، وكيفية استخلاص الدروس منها. وأنا لم أمتنع عن الإدلاء بشهادتي، وإنما لي تحفظات كثيرة، ذلك أنني أفضل الشهادات التي تكون بمثابة قطع مُكوّنة لصورة الثورة الكاملة. والأمر الثاني الذي جعلني أتحفظ هو علمي بأنّ الكثير من المُجاهدين، والمناضلين قد استشهدوا دون حتى أن تُذكر أسماؤهم، رغم أنهم صنعوا الكثير، ويكفي أنهم ضحّوا بأرواحهم من أجل قضية آمنوا بها... هؤلاء هم الأبطال الحقيقيون.

ها نحن قد تمكنا بعد لأيّ من إقناعكم، هلا سمحتم لنا بأن نستغلّ هذا الظرف ما أمكننا؟

تفضل.

نبدأ بتكوينكم العلمي، وهو في ميدان الطب، ما سمح لكم بالمُساهمة في مشفى "بلونيش" ما هي الظروف التي كان يشتغل فيها المُستشفى؟

كنا نسترجع المرضى المصابين، البعض منهم نُخضعه لعملية جراحية، وآخرون نُوجّههم إلى مصالح أخرى أكثر تخصصا. وهذا كله تحت إشراف الولاية الرابعة التي كانت تُرسل المصابين إلى المشفى، ونحن نتكفل بعلاجهم، نُحضر من جهتنا أطباء، وأحيانا ننقل المُصابين إلى المستشفى في الحالات التي تحتاج إلى تدخل مستعجل، أو عملية جراحية، وكان الدكتور زميرلي يأتي إلى المستشفى، أو بالأحرى مزرعة بلونيش من حين لآخر. هذا العمل كان بالموازاة مع مهام أخرى، على غرار المُشاركة في شبكة جمع وتوزيع السلاح في المنطقة المُستقلّة الذي كان يُساهم فيها الكثير من المناضلين على غرار دحمان باحة الذي كنت أعمل معه.

من هم الأطباء الذين كنتم تتعاملون معهم في الشبكة الطبيّة؟

كان هناك كثيرون، جزائريون مثل سليمة بلحفاف، وعبد العليم مجاوي، ونفيسة حمود وغيرهم. وكذا فرنسيون ساعدونا، مثل ستوبا، كولونا وآخرون.

كيف كنتم تستطيعون إدخال المُصابين إلى المستشفيات التي تكون تحت الحراسة والرقابة الفرنسيّتين؟

كان هناك أطباء يتواطأون معنا، وإن استدعى الأمر نصنع للمرضى هُويّة مُزيفة لإدخالهم إلى المستشفى، وما إن تنتهي العملية حتى ننقلهم إلى مكان آخر أكثر أمانا.

بعد اكتشاف أمر مشفى "بن مرابط" وكذا "بلونيش" كيف تصرّفتم مع الجرحى ومُصابي الثورة؟

بطبيعة الحال لم ينته الأمر باكتشاف المشفى، فقد كنا نوصل الأطباء إلى الجبل لإسعاف المُصابين.

كيف تمّ اكتشاف المؤامرة التي كان ينسجها "البلحاجيست" أو أتباع جيلالي بلحاج المدعو"كوبيس" الذي كان يُرابط مع مُسلّحين في جبل بالولاية الرابعة؟

كان ذلك عن طريق الصدفة، جاءنا الإخوة مالك وهما من الشراقة، وقال لنا أحدهما أنّ المُناضلين يتدرّبون في الجبل بالقرب من منطقة العطاف، رغم أنه لم يكن لدينا جنود هناك، ما جعلنا نتساءل عن سرّها، فقمنا بإعلام الولاية الرابعة التي اتخذت الإجراءات المُناسبة، وقضت على هذه الشبكة قبل أن يستفحل أمرها أكثر.

كيف تمّ إلقاء القبض عليكم؟

حدث هذا بعد أن تمّ القبض على مُناضل وعذبوه، ونقلوه في سيارة "الجيب" ليتعرف على المناضلين الذين عملوا معه، فكنت مع هاشم مالك، وتعرف عليه، فقُبض علينا نحن الاثنين، ونقلونا إلى مركز التعذيب بـ"بيرومان" وهناك التقينا بمسعودي والصادق كيرمان، وكنا اتفقنا على التصريح بأننا مُجرّد طلبة، ولا نعرف بعضنا البعض إلاّ كطلبة، وهو ما أصرّيت على قوله. ثمّ عثروا على سيارة باسمي تحت تصرف النظام، فقلت بأنها كانت مركونة في موقف السيارات "ولا ذنب لي إن سُرقت واستعملت في عمليات إرهابية" وكنت سأنجو لولا أنّ السُلطات الفرنسية قبضت على مُناضلين آخرين، ذكروا اسمي في التحقيق، حتى أنهم أحضروا لي صورة ابراهيم الشرقي، الذي كنت أعمل تحت مسؤوليته فأنكرت معرفتي به.

كم حكم عليكم في السجن؟

حكم عليّ بخمس سنوات سجنا.

قرّرت السُلطات الفرنسية في تلك الفترة أن تقضي على شبكة المناضلين، وخاصّة في العاصمة، وكان التعذيب من بين أدواتها الأكثر شراسة، ما هي الطرق والوسائل التي استعملتها لتعذيبكم؟

استعملوا الكهرباء والماء، حتى أنني لم أعد قادرا على الوقوف. عذبوني في "بيرومان" والقبة فالقبة القديمة، وبني مسوس، ثم القبة من جديد، ونقلوني بعدها إلى عين وسارة، وسيدي الشامي، ثمّ بوسويه. وفي مرّة علقوني على لوحة خشبية كبيرة، كتبوا عليها:"أنا آفالان لا تفعلوا مثلي" ومروا بي بين شوارع القبة، فعلوا هذا لكي يُرهبوا الناس، ولا يتجرّأوا على النضال. ولكن والحمد لله، استطعت أن أصمد، وكنت أمرّ من أمام المخابئ التي كنا نستعملها، فلا أكشف أمرها، مثل مخبأ "ويندي" الذي آوى الكثير من المُناضلين، وكان ذلك عزائي.

أنتم من بين الشباب المُثقفين خلال الثورة الجزائرية، ومن الجوانب التي يقلّ الحديث عنها هي التكوين في السجون، هلا حدّثتمونا عن تنظيم الدروس بين المساجين؟

فعلا، لم ينقطع تكوين المساجين في السُجون، وكانوا يُنظمون أنفسهم، ويُشكلون ما يُشبه القسم، أنا درّست اللغة الانجليزية، وكذا مادّة الرياضيات. وكنا نستغلّ تواجد المثقفين من أطباء، ومحامين وغيرهم لكي ننقل تلك المعارف لباقي السُجناء.

ألم يضع مسؤولو السجن عراقيل لكي لا تُلقوا تلك الدروس التي قد تُساهم في توعية المساجين، وربما إقحام البعض منهم في النضال؟

المشكل الذي كان مطروحا هو نقل المسجون من سجن لآخر، الأمر ا لذي لا يسمح له بمتابعة الدروس بشكل عادي. كما أن حُرّاس السجن كانوا يحاولون في كلّ مرّة أن يختاروا مسؤولي القاعات بأنفسهم، لكي يوظفوه في مدّهم بالأخبار، فرفضنا هكذا إجراء، خاصّة وأنّ الإنسان بطبعه ضعيف، أو قد يضعف تحت الضغط، أو أمام بعض الإغراءات. ولكننا تمكنا من نقل بعض المعارف إلى المساجين، وحتى الذين لم يكونوا مُسيسين استطعنا أن نزرع فيهم حبّ الوطن والقضية التي نُناضل من أجلها، فخرجوا من السجن برتبة مُناضل.

كيف عشتم مرحلة تفكيك شبكة مناضلي المنطقة المستقلة؟

قبل ذلك، وبعد أن أعيد تنظيم العاصمة، حيث كان إبراهيم

الشرقي مسؤولا سياسيا صارت العاصمة لوحدها دولة قائمة بذاتها، نجد فيها المُحاكمات، وتمويل منظم، ودعاية، وعمل اجتماعي مُكثف، كان النظام حينها قويا. ولكن بعد إضراب التجار وحملة الاعتقالات التعسفية ضعفت تلك الشبكة، خاصّة بعد القبض على الكثير من الرموز مثل الهاشمي حمود، الرجل الذي أحترمه كثيرا، وقد استشهد تحت التعذيب، وكذا اعتقال العربي بن مهيدي واغتياله. أمور كثيرة تغيّرت في تلك الفترة.

ماذا تعلمون عن اعتقال العربي بن مهيدي، وكيف اهتدت السُلطات الفرنسية إلى مكانه؟

لست شاهدا مُباشرا، ولكن يُمكن أن أستعيد الرواية التي قصها عليّ المناضل سيفاوي بنفسه، هذا الأخير كان يملك وكالة عقارية بشارع محمد الخامس، داهمت السُلطات الفرنسية محله، وأخذت منه كلّ عقود البيع أو الإيجار التي تمّت لحساب الجزائريين، خاصّة تلك التي تقع في الأحياء الأوروبية البعيدة عن الشبهة، وكان من بينها الشقة التي ألقوا فيها القبض على بن مهيدي.

كيف ترون ا لجزائر بعد50 سنة من استقلالها؟

اعذرني، لا أريد أن أكون سوداويا في نهاية هذا اللقاء الجميل.

يزّة بوزكري

"الغيرة وراء استشهاد رمضان عبان واوعمران كان يعلم بالجريمة قبل وقوعها" 1

1 نشر بتاريخ 12 جانفي 2013.

نستضيف في هذا العدد من اللقاء التاريخي المناضلة يزة بوزكري أرملة رمضان عبان، والعقيد سليمان دهيلس، التي بدأت تنشط في حزب الشعب انتصار الحريات الديمقراطية، قبل أن تنضم إلى الثورة لتربط الإيصال، وتوفر العلاج بعد أن خضعت لتربص في التمريض على يد الدكتور نقاش. كلّ هذا تتحدّث عنه مُضيفتنا في هذا الحوار الشيّق...

كنت عضوة في جمعية النساء المُسلمات التي أسّسها حزب الشعب انتصار الحريات الديمقراطية، هل كنتم تهتمون بالجانب الاجتماعي فقط، أو كان لديكم خطاب سياسي؟

كان هدفنا التقرّب من النساء، وترسيخ الحسّ الوطني في نفوسهنّ ووجدانهن. وكشف تاريخ الاستعمار الوحشي، خاصّة وأنّ كثيرين كانوا يجهلون حتى أننا مُستعمرين. وطبعا كان لنا نشاط اجتماعي، إذ نوزّع ملابس على المعوزين، خاصّة في المُناسبات، مثل سهرات الختان، وليلة السابع والعشرين من شهر رمضان. الناس كانت فقيرة، وعانينا الجوع والبرد والاضطهاد.

أيّ أنّ المسؤولين حينها أدركوا قيمة التحسيس في الوسط النسوي حينها؟

أجل. أمّا الرجال فكانوا جميعهم، تقريبا، مُسيّسين، أو على الأقل مُلمين بالوضع السياسي. أبناء القصبة، مثلا، كان أغلبهم مُنتمين إلى حزب الشعب، وبعده حزب انتصار الحريات الديمقراطية، أمّا النساء فكنّ مُهتمات بوظائفهنّ المنزلية.

هل أحدث الشقاق بين المصاليين والمركزيين على المُنظمة النسوية ما أحدثه في الحزب؟

أجل، توقفت المنظمة إلى حين.

كنت ونسيمة حبلال الكاتبتان الوحيدتان في العاصمة حينها، أين، وكيف كنت ترقنين التقارير والمناشير؟

كنت أعمل في مكتب محامي، وأكتب ما يطلبه مني المناضلون سرّيا.

كيف واصلت نشاطك بعد اندلاع الثورة؟

كان ذلك صعبا، رحنا نبحث عن اتصال بمفجري الثورة، ولكن لم نوفق في البداية، وأنا كنت على اتصال دائم بفاطمة زكال، التي

كانت مُنشطة في الراديو، اتفقنا على أنّ التي تعثر على اتصال تُخبر الأخرى به. إلى أن مكّنني السيد المدرس الحسين بن ميلي من الاتصال بالمناضلين، كان يُدرّس العربية التي أحبها كثيرا، خاصة وأننا حُرمنا منها. سألني إن كان أمر الثورة يهمني، قلت بالطبع، وعدني أن يعثر لي على اتصال، ولم يحدث هذا إلاّ في شهر جوان من سنة 1955. وفي اليوم الموالي رافقني إلى الحراش، عرّفني على أخ سألني عمّا أستطيع فعله، فقلت أنني قادرة على ربط الاتصال، وأنني كاتبة. سألني إن كنت قادرة على توفير مخابئ، قلت أجل وسأفعل.

هل اتّصلت بعدها بفاطمة زكّال؟

أجل، وضعت المناضلين على اتصال بها، وبحفصة بيسكار التي كانت طالبة في الصيدلة بجامعة الجزائر، وكذا بمريم زرداني.

كيف تعرّفت على رمضان عبان؟

عبان كان يختبئ في مكان سرّي. لم يكن قادرا على الخروج للاتصال بعمارة رشيد، هذا الأخير كان يُعطيني رسائل لإيصالها إلى عبان. كنت أشبه الأوروبيات في زيهن، ولم أكن أثير الشُبهات أبدا.

كيف دخلت في السرّية؟

عندما أُوقف فرحات عباس وعمارة رشيد. كلفت بإعلام نسيمة حبلال بالأمر. وصلت إلى الحامة حيث كانت. وقبل أن أطرق على الباب لمحت شرطيا سألني عن وجهتي، قلت أنني جئت لأرى عائلة حبلال، وشعرت بأنه تبعني، قابلت نسيمة قلت لها أننا نُحضّر لحفل عائلي وأنّ عليها أن تُحضره فقط، وخرجت. كان الشرطي هناك. طلب مني وثائقي قدّمتها له، رآها، وتركني أذهب، لكني أدركت أنهم في أثري لكي يعثروا على عناوين أخرى، اتجهت مُباشرة إلى البيت. كتبت رسالة لحفصة بيسكار، شرحت لها فيها وضعي، وطلبت من أمي أن توصلها لها. أمي لم تكن مُتابعة، وكانت تضع خمارا. أمّا أنا فبقيت لعشرة أيام أعمل بشكل عادي، وكنت عندما أخرج من العمل، ألمح شخصا يتبعني، ولكنني أمثل دور البريئة. بعدها اتصل بي محمد الصديق بن يحيى، جاءني إلى العمل، حيث كنت أكتب المناشير سرّيا، قال لي

أن أحمد يطلبك، وكان أحمد أحد ألقاب عبان الثورية. ذهبت إليه في المخبأ الذي كان فيه، قال لي أن عليّ أن أدخل في السرّية. أعلمته بنيتي في الالتحاق بالجبل. كان موضوعيا، سألني عما أستطيع فعله هناك؟ وأنّ الثورة بحاجة إليّ هنا، أي في العاصمة في الوقت الحالي. فأرسلني لأتكوّن في الطبّ لدى الدكتور نقاش، حتى إذا انتقلت فعلا لأعمل في الجبل مُستقبلا، فأتمكن من تطبيب جرحى الحرب.

هل التحقت بالدكتور نقاش لوحدك، أم كنت رفقة نساء أخريات يتربصن؟

الدكتور نقاش كان يُلقن أساسيات الطب للمُناضلات مثلي. وكان لي الحظ أن ألتقي هذا المناضل الذي تربّصت عنده في وهران لشهر كامل، وخلال هذا الشهر كنت أعمل مع أخته، إلى أن أعلمني أنّ العاصمة تطلبني. فطلبت أن التحق مُباشرة بالجبل. قال أن هذا مُستحيل. وعدت في جانفي 1956 لأواصل النضال في السرّية دائما.

لماذا كنت مُصرّة على الالتحاق بالجبل؟

بدا لي أنّ العمل الأكبر هناك، وتحدثت بهذا مرّة لبن يوسف بن خدة، فأجابني بصوته الهادئ الذي يوحي بالطمأنينة، قال:"لماذا نحن ألسنا مجاهدين؟" هذه الجملة أقنعتني.

متى ارتبطت برمضان عبان؟

طلب مني هذا في اليوم الثاني من شهر أفريل، لم أقبل، كنت في السرّية، ولم أكن أتصوّر ارتباطا بعيدا عن عائلتي. ولكن بعدها وافقت، وأنجزنا عقد الزواج "الفريضة" ببلكور.

البعض يتهم رمضان عبان بأنه كان يحب السيطرة على الآخرين، ومُتسلطا، هل كانت هذه حاله فعلا؟

بالعكس من ذلك تماما، كان متفهما ويحترم روح الجماعة. وكان يحترم الشعب الجزائري، مرّة رأيته يتناول غذاءه، قلت له أنّ القائد لا يُمكن أن يتناول أكلا مُتواضعا، وأن عليه أن يحتفظ ببعض الأموال التي يحتاجها. فقال أنه يأكل ما يقدمونه له، وأنّ الأموال هي أموال الشعب، ولا يُمكن أن يمسّ أموال الشعب.

هو من بين المثقفين والذين كانت لديهم رؤية وإستراتيجية خلال الثورة، ألم يكن يشعر، مثلما ينتقده البعض، بالتفوق مُقارنة مع الآخرين؟

هو كان يكره الطموح المبالغ فيه، وغير المحسوبة عواقبه، ويمقت الجهل. كان يُحب من يناقشه في كلّ شيء. وحتى بيار شولي ذكر أنه لم يكن مُسيطرا، ويتقبل آراء الآخرين، وحتى فرحات عباس قال هذا، وكان يراه رجلا مُقنعا. ومن منا لا يغضب من حين لآخر، هو الذي قضى 5 سنوات في السجن عرف فيها مختلف أنواع التعذيب النفسي والجسدي.

كيف كان رمضان عبان يتعامل مع زملائه في لجنة التنسيق والتنفيذ؟

كانوا يعملون في روح جماعية، وأذكر أنه لدى تأسيس جريدة "المجاهد" اعترض رمضان عبان، العلماني الجمهوري على التسمية بحكم أنها تحمل خلفية دينية، غير أنّ العربي بن مهيدي، وبن يوسف بن خدة وكانا مُلتزمين، أصرا على تسمية "المجاهد" وأقنعا عبان بأنّ هذا من شأنه أن يساعد على التفاف الجماهير حول القضية، فاقتنع، ولكنه طلب بالمُقابل أن يضعوا تحت العنوان تسمية "المحارب" بالفرنسية وهذا ما حدث لمدة.

اختلفت لجنة التنسيق والتنفيذ في مدّة إضراب التُجّار، هل علمت شيئا من اجتماعهم؟

في الحقيقة لم أكن أحضر ندواتهم، لم أكن مُخولة لذلك. ولكنّ القرار التي اتخذ كان في مصلحة الوطن، ونجح الإضراب نجاحا باهرا، كما نعلم، وكانت له تداعيات دولية صبت في مصلحة تقدم القضية الجزائرية، إذ تبنتها الأمم المتحدة في دورتها.

خرج مؤتمر الصومام بقرارات كانت مُحرّرة، بحسب رواية البعض، من طرف رمضان عبان فقط! حيث تمكن فيها من توجيه الثورة، ووضع أساسيات جلبت له أعداء، مثل أولوية السياسي على العسكري، والداخل على الخارج، هل تظنين أنّ هذا ما جعل البعض يحقد عليه، ويحاول التخلص منه؟

لطالما فكر رمضان عبان في توحيد الصفوف. استدعى الدكتور لمين دباغين، وفرحات عباس وغيرهم من ذوي الكفاءة، وحتى الشيوعيين، إذ تفاوض معهم. كان يُردد دائما أنّ الثورة هي ملك للجميع، وإلاّ فإنها ستفشل. عبان كان بحق مهندس الثورة، أما من كانوا في الخارج فكانوا يُعارضون أصحاب الداخل إلاّ آيت احمد. وعن القرارات التي خرج بها مؤتمر الصومام فأحسب أنها إستراتيجية، ومنحت فعلا روحا جديدة للثورة، ونحن إلى الساعة نعاني من مشكل الأولوية بين السياسي والعسكري. كان وراء

قرارات غيّرت مجرى الثورة إلى الأحسن، مثل إضراب الطلبة، وتأسيس اتحاد العمال.

ما هي أسباب اغتياله برأيك؟

أتساءل إلى اليوم إن لم يكن قاتلوه عملاء لفرنسا! في الثورات نقتل الأحسن. مثلما فعلت فرنسا مع العربي بن مهيدي الذي لم تضيع فرصة اغتياله. ورمضان عبان، مثلا، أبدا لم يعط أمرا باغتيال أحد، وكذا العقيد سليمان دهيلس. عندما ألتقي نساء مثل الطبيبة نفيسة حمود، والتي تنتمي إلى عائلة كبيرة، وكذا مامية شنتوف، وأرى أخريات بمثل شجاعتهما وكفاءتهما. لا أفكر في التخلص منهن، أو أغار منهن، بل أفرح. لأنهنّ سيخدمن الوطن...سيكن في خدمة وطني.

أي أن الغيرة هي التي كانت وراء اغتياله؟

أجل، خاصّة وأنّ عبان لم يكن ليسكت عن التجاوزات التي كان يراها. خاصّة عندما مر بالولاية الخامسة واجتاز الحدود الجزائرية المغربية. -

كان رمضان عبان معروفا بحذره الشديد، هل تحسبين أنه فقد شيئا من ذلك الحذر خلال عملية اغتياله؟

عملية الاغتيال تلك فعل مُنحط.

تقولين سيدتي أن عبان رمضان لم يكن ليأمر باغتيال مجاهد، لكن أحند مهساس يتهمه بأنه حاول أن يغتاله أكثر من مرة، بماذا تردين؟

هذا ليس صحيحا، هذ افتراء.

كيف تلقيت خبر اغتيال رمضان عبان؟

كنت أقيم لدى عائلة استضافتني. وفي شهر ديسمبر أرسل لي يقول:الحقي بي في تونس". كنت وقتها قد مزّقت بطاقة الهوية الخاصّة بي وكان عليّ إعادتها. خرجت خلال السرّية، اتجهت إلى مركز الشرطة، أعطيت الشرطي وثائقي ووثائق ابني. أخبرني أنّ عليّ الانتظار لـ 10 أيام لكي أحصل عليها، وبعد 3 أيام استدعوني، قال لي الشرطي أنه قام بالإجراءات المُناسبة ليسهل منحي بطاقتي دون أن تمرّ من الرقابة، وعرض عليّ في المقابل أن يُصادقني، قلت لا. وتعذرت بأنني من عائلة محافظة، ولن تتقبل الأمر. اعتذر هو. وبهذا نجوت أنا. ذهبت إلى أخي في مرسيليا،

وكان بحارا، قادني إلى تونس، وبقيت فيها عند عائلة قايد التي أوصاها عبان باستضافتي، أقمت شهرين اثنين، ولم أتلق أيّ خبر. تلقيت تلغرام من وزارة الاتصالات والتسليح "المالغ" على الأرجح، تقول باسم عبان "عدت إلى العاصمة الحقي بي" مولود قايد نصحني أن لا أفعل. عدت، لأنني فكرت في أن عبان ليس الرجل الذي يبقى في خارج الوطن، لهذا صدّقت أنه هو من أرسل لي تلك الرسالة. هو كان يقول لي القطار لا يطير بل يسير على الأرض، أي أنه يتجه مباشرة إلى هدفه، ولا يتفادى أي شيء. عدت، وانتظرت شهرين، أمي نصحتني أن أعود إلى تونس وهناك أطلع على حقيقة الوضع، وغيابه. عُدت إلى تونس. كنت ألتقي مناضلين، ولكن لا أحد أخبرني بالحقيقة. اوعمران قال لي أنّ المجاهدين قد يستشهدون، وقد لا نعيش إلى نهاية الحرب، ولكن لم يُخبرني، وعلمت فيما بعد أنه كان على علم بعملية الاغتيال، ولكن لم يعترض، ولم يدافع عن عبان. أرسلوا لي السعيد محمدي الذي قال لي أنّ عبان استشهد، فصدّقته، لم أتصوّر أبدا أن يكون قد اغتيل بتلك الطريقة الجبانة. عندما ذهبت إلى مستشفى تونس عند الدكتور محمد الصغير نقاش، قال لي العقيد الصادق دهيلس أنه لم يستشهد ولكنهم اغتالوه.

عندما دخلت في سنة 1962 خلال أزمة الولايات، كنت مرتبطة بالعقيد الصادق دهيلس، ماذا كان موقفكما من تلك الأحداث؟

ارتبطت بالصادق دهيلس سنة 1960، هو كان صديقا لرمضان عبان، وكان مثله صادقا في ثورته، ونضاله.لم أكن أملك الطاقة والقوّة الكافيتين لكي أبقى وحدي، لقد أمضيت شبابي في الكفاح، والخوف...الذين يملكون الشجاعة لا يعرفون ما معنى الخوف...إنه قاسي. دهيلس بقي على الحياد من أزمة الولايات، اقترب من الرائد عز الدين. وعمر اوصديق، ولم يكن مع بن بلة. دخلنا في شهر جويلية 1962 كان من المفروض أن يبقى بن خدة رئيسا، ويدخل إلى الجزائر على هذا الأساس، إلى أن ننظم انتخابات يختار فيها الشعب مُمثله الشرعي. وكما أن سحب رئاسة الحكومة المؤقتة من فرحات عباس لم يكن اختيارا صائبا، كان يمكن الإبقاء عليه إلى حين، وهذا ما جعل عباس بعدها يقف إلى جانب بن بلة في سنة 1962.

كيف ترين جزائر الاستقلال سيدتي؟

أراها جميلة. صحيح أننا نتوق إلى أكثر ازدهار ورفاهية. غير أننا بخير. رغم العشرية ا لسوداء التي مررنا بها والتي كان يقتل فيها الناس تحت شعار الله أكبر، إسلام جديد لم نعرفه من قبل، نحن الذين نشأنها في ظلّ جمعية العلماء المسلمين، والشيخ الطيب العقبي، هذا الأخير كان يقوم بأعمال خيرية للأمّة، ودون اللجوء إلى العُنف، وكان يُحارب الجهل، والناس كانت تقصده لحضور ندواته. ولا ننسى أنّ الجرح كان عميقا، ولا بد من وقت لكي يندمل...لا بدّ من وقت.

50

المناضلة جانين بلخوجة

"اليسار الفرنسي مُتورّط مرّتين في المجازر المُرتكبة في الجزائر"[1]

1 نشر بتاريخ 14 جانفي 2013.

في حوارنا التاريخي هذا نستضيف المناضلة جانين نجية بلخوجة المولودة في 12 أفريل 1928، من أب مسلم، وأم مسيحية، كانت من بين أُولى النساء اللائي تبنين القضية الوطنية عبر مُختلف الحركات الطلابية التي احتكت بها، من جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا، ومنظمة الطلبة الكاثوليك، واتحاد الطلبة الشيوعيين، وتعرّج بنا للحديث عن دور النخبة والمثقفين خلال الثورة الجزائرية. وتروي لنا المُتحدثة في لقاء حصري بدقة تفاصيل الاتصالات التي جرت بين الحزب الشيوعي وجبهة التحرير الوطني، والتي استمرت من سنة 1955 إلى سنة 1956. كما نتحدّث معها عن فترة السجن بعد أن تم إيقافها، إذ تقول أنّ شبكة مساعدة عائلات المسجونين لم تتوقف رغم تحطيم شبكة المناضلين في المنطقة المستقلة. واعتبرت المتحدثة خطوة فرونسوا هولاند بالاعتراف ببعض ما اقترفه الاستعمار الفرنسي من مجازر ايجابية في انتظار أن تتبعها خطوات أكثر شجاعة، خاصّة، تضيف، وأنّ التوجه اليساري الذي ينتمي إليه الرئيس الفرنسي الحالي كان معنيا مباشرة ب"جرائم الحرب" تلك.

البعض يعتب على النخبة الجزائرية تأخرها في الالتحاق بالثورة، حتى أنّ بعض المثقفين بقوا سُجناء المجال السياسي الفرنسي، لماذا برأيك؟

النخبة لا يمكن أن تشكل الأغلبية. من تعاريفها أنها الأقليّة في المجتمع.

بالطبع، وأنا قصدت هذه الأقلية تحديدا...

إذا أمعنا النظر في هذه الأقليّة فهي العائلات الكبرى، كما يُمكن للبعض أن يُسميها، أو الذين ينتمون إلى البرجوازية التي حافظت على مستوى معيشي معين، وكأنها فرّت من النظام الاستعماري. أو الذين استطاعوا أن يحصلوا على درجة معينة من الدراسة والتكوّن. هذه مُكونات نخبة تلك الفترة. وأنا لا أوافقك الرأي، وأقول بالعكس من ذلك أنّ النخبة شاركت، ومنذ البداية أيضا. وإذا تفحصنا التاريخ

فإنّنا نعثر على شخصية اسمها الأمير عبد القادر، هذا الأخير كان ينتمي إلى النخبة وقتها، كان من عائلة كبرى، ومُثقفة. وكان إلى جانبه، في نضاله، النخبة والشعب معا. ولم يكن هناك أيّ تعارض بين الفئتين، إن شئنا أن نُقسمهما. لقد وحد الجميع. بعدها كانت هناك ثورات، مثل ثورة المقراني، والتي شارك فيها من يُمكن أن نسميهم نبلاء المنطقة، وكذا الشعب. ومن هنا نستخلص أنّ الحركات الثورية كانت مُشتركة بين النخب والشعب. وكان هناك حفيد الأمير عبد القادر، وهو الأمير خالد، هذا الأخير كان مُثقفا، شارك في الحرب العالمية الأولى إلى جانب الجيش الفرنسي. ثمّ صار يدعو إلى مطالب مثل حق الجزائري في تقرير مصيره. كان إلى جانبه عدد لا بأس به من المثقفين. قبل أن يتم نفيه من طرف ا لسلطات الفرنسية إلى سوريا. وبهذا يمكن أن نقول أن النخبة لعبت دورا مهما. ونصل إلى نجم شمال إفريقيا، الذي تأسّست في باريس من طرف مصالي الحاج، وساعده الحزب الشيوعي الفرنسي، وكان مُحاطا بمجموعة متكونة أساسا من العمال الجزائريين، أغلبهم ريفيون صاروا عُمالا. هنا فعلا، كانت الأغلبية تنتمي إلى الشعب، لا النخبة. نجم شمال إفريقيا صار حزب الشعب، ثمّ صار انتصار الحريات الديمقراطية. وداخل هاتين الحركتين كان هناك من يُمكن أن نصنفهم ضمن النخبة المثقفة، وكان هناك أشخاص لا يملكون مُستوى دراسي راق، ولكن لهم من الكفاءة والذكاء ما يجعلهم ينتمون إلى النخبة، غير أننا نجد في كل ثورة من يخفي توجهات أخرى غير تلك التي توحد من أجلها المناضلون.

أي أنّ بعض المثقفين كان لهم حسابات أخرى؟

قبل سنة 1954 كانت هناك انتخابات، ونبلاء جزائريون، مثل الدكتور بن جلول، كانوا منتخبين، وفي بداية الأربعينيات أطلق فرحات عباس بيانا، التف حوله بعدها حزب الشعب الجزائري. ثمّ كان تأسيس حركة أحباب البيان والحرية، وتأسيس حزب الاتحاد الديمقراطي للمُسلمين الجزائريين. وعلى مستوى حزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية وخلال الشقاق الذي وقع بين المصاليين والمركزيين كان هناك كثير من المثقفين من المركزيين، مثل بن خدة ودحلب وغيرهما. دون أن ننسى دور الطلبة، وقد نعود إليه بعد حين، ولكن عبر جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا، التي كانت تضمّ طلبة شمال إفريقيا، وكان مقرّها في

باريس، ولها مُلحقة في الجزائر. وكانت ناشطة، إذ كوّنت لنا الكثير ممن صاروا بعدها فاعلين في الثورة، أو مسؤولين، مثل عبد السلام بلعيد، محمد بغلي وكثيرون آخرون. أمّا إذا تحدّثنا عن دور المثقفين خلال الثورة الجزائرية فيُمكن أن نستحضر إضراب الطلبة سنة 1956 التي التحق بها كثير من الجامعيين والثانويين، وهو ما أثار استغراب السُلطات الفرنسية، وحتى قيادة جبهة التحرير الوطني حينها لاقت حرجا في ضمّ تلك الأعداد الهائلة من المثقفين في جبهة وجيش التحرير الوطنيين. إضراب الطلبة هذا كان مشتلة المسؤوليين بعدها. أضف إلى ذلك مُشاركة السلك الطبي، فكلّ الولايات صارت بعد مدّة من تفجير الثورة تضم مسؤولين طبيين، بين طلبة أوقفوا دراستهم، وأطباء حاصلين على الشهادة النهائية. ولكن يُمكن أن أوافقك في شيء، وهو أنّ نظرة المثقفين للثورة لم تكن نفس نظرة غيرهم، لكنّهم كانوا حاضرين، ولم يتأخّروا، بل شاركوا مائة بالمائة. وحتى مُفجّري الثورة الذين قصدتهم بحديثك، مثل بن بولعيد ينتمي إلى البرجوازية الصغيرة، إذ كانت له أملاك. بيطاط تكون لوحده، وهو عصامي، وبوضياف ينتمي إلى عائلة ميسورة أيضا. ولا يعني أنّ هؤلاء لم يحصلوا على شهادات من المدارس الفرنسية أنهم لم يكونوا مثقفين، بعضهم درس في الزوايا، وأمّا بلقاسم كريم فهو حاصل على الشهادة الابتدائية وهي شهادة مُهمة. دون أن ننسى بن بلة، وايت احمد، وعبان بعدها، وهو حاصل على الباكالوريا. صحيح قد تكون للبعض حسابات أخرى، والبعض منها خشيت على ممتلكاتها، ولكن كثيرين تركوا كل شيء من أجل الثورة. ومن كنا نُسميهم بالبرجوازيين شاركوا أيضا في الثورة. ولا يجب أن نسيء فهم مصطلح برجوازي في ذلك الوقت، فهي تعني العائلات التي كان لها بعض الأملاك، وتتفوق ماديا على غيرها.

هل تظنين سيدتي أنّ التجاوزات التي وقعت في الثورة، من تصفيات جسدية، وصراعات حول السلطة، كانت بسبب غياب المثقفين؟

لا أظن هذا، لأنني أقول أنّ هناك "أشرارا" بين النخبة، مثلما نعثر على أشرار، أولهم طموحات تفوق تمسكهم بالقضية الوطنية بين طبقة الشعب. هذا يتعلق أساسا بالنفس البشرية التي ترضخ أحيانا لبعض النزوات، مثل حب السُلطة، والتسّمك بها رغم كلّ شيء. وهو ما شاهدناه بعدها إذ أننا رأينا كيف أنّ بعض ممن كنا

نحسبهم ذوي مستوى دراسي مرموق راحوا يتصارعون بشكل متدني على الكرسي. الصراعات كان يتحكّم فيها الطموح عير المحسوب، وكذا حُبّ السلطة، هو مرض مُشترك، حتى أنّ بعض المثقفين، أو شبه، صاروا يكرهون الشعب لأنه جاهل، والذين ينتمون إلى القاعدة، بدورهم يحقدون على المثقفين الذين لا يهتمون بشأنهم، وليسوا قادرين حتى على صياغة خطاب مُوجه لهم. هذا الصراع الطبقي موجود في كلّ المجتمعات. وبهذا نُفسر كيف حاد البعض عن الخط الثوري الذي يهدف أساسا إلى تحرير الوطن، بعد الاستقلال، وصاروا يركضون وراء المناصب، لأنهم التحقوا بالثورة بنية تولي المناصب، وبحسابات مُعيّنة. حتى تكوّن فيهم حقد حتى على الشعب. وهو ما يحدث في كلّ الوطن العربي تقريبا.

كان لك احتكاك بجمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا، واتحاد الطلبة الشيوعيين، وجمعية الطلبة الكاثوليك للعاصمة، كيف كانت نظرة الطلبة للثورة في بدايتها؟

بالنسبة لجمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا التي تحوّلت إلى الاتحاد العام للطلبة المسلمين[1] كان موقفها مساندا وواضحا. بالنسبة لي عرفتها في بداية سنوات 1950، أغلبية أعضائها منضمون إلى حزب انتصار الحريات الديمقراطية، وبعدها الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، ثمّ الشيوعيين، ثمّ الذين لا ينتمون إلى أيّ حزب. هؤلاء الطلبة التحقوا جمعيهم في سنة 1954 و1955 بجبهة التحرير الوطني، وكلّ من كانوا مسؤولين في هذه المنظمة صاروا مسؤولين في جبهة التحرير الوطني بعدها، وفيما يخصّ الطلبة الكاثوليكيين فقد كان الوضع خاصّا، أولا لأنّ أغلبيتهم ينتمون إلى الطائفة الأوروبية. وغير ذلك فإنّ أغلبية أعضائها لم يكونوا عُنصريين، البعض منهم التحق مُباشرة بجبهة التحرير الوطني، مثل بيار شولي، وبيار كولونا، وبيار روش، وغيرهم. وآخرون كانوا مُساندين، ولكنّ أغلبهم عُموما كانوا مُساندين للقضيّة الجزائرية، حتى أنّ بعض الآباء البيض كان لهم توجه في فائدة تحرّر الجزائر، أمّا البروتستان من جهتهم فقد كانوا مُنقسمين، ولكن لم يكونوا عُنصريين أيضا، بل إنّ هناك جمعية من الطلبة اليهود الذين كانوا يشعرون بأنهم مُهمشون من طرف

---

1 UGEMA

الأقدام السوداء، ولهذا فإنهم لم يتأخّروا في مُساندة الثورة. وإذا تحدّثنا عن الطلبة الشيوعيين فهناك الطلبة ذوو الأصول الأوروبية، وذوو الأصول اليهودية، والمُسلمون، أو جزائريون، في البداية أي 1954 وبداية 1955 كانوا مُتعاطفين مع القضية الجزائرية، وقد يُدافعون عنها، ولكنهم لم يكونوا مُلتزمين.

كنت توفرين الاتصال بين الحزب الشيوعي، وجبهة التحرير الوطني، ما هي تفاصيل التحاق الشيوعيين بالثورة؟

قبل هذا أريد أن أُشير إلى أنّ الأحزاب الشيوعية شهدت تطوّرات في إيديولوجيتها، فبعد ثورة 1917 كانت المعارضة ضدّ الاستعمار، وكانوا يُرددون أنّ كلّ المُستعمرات لا بدّ أن تنال حُرّيتها. هذا كان موقف الشيوعية العالمية، وبعدها في سنة 1921 كان هناك انشقاق، خلف الحزب الشيوعي من جهة، ومن جهة أخرى الحزب الاشتراكي. والحزب الشيوعي الفرنسي ساعد كثيرا الحركات التحررية في الفيتنام مثلا، وقبلها في سنة 1930 ساند عبد الكريم الخطابي في المغرب. ولكنّ بعض الشيوعيين بعدها تخلوا عن موقفهم المساند للحركات التحررية عندما تعلق الأمر بالقضية الجزائرية، وهذا كان صادما، حيث نظموا مظاهرات لمنع إرسال المجندين الفرنسيين إلى الفيتنام، ولكن بالنسبة للجزائر لم يحدث شيء من هذا! واكتفى بعض الشيوعيين بتصريحات نظرية على الجرائد.

لكن موقف الحزب الشيوعي كان مُعاديا للثورة بمنع مناضليه من تقديم أي مساعدة لجبهة التحرير الوطني، كيف حدث هذا؟

أجل، كان هذا بعد سنة 1954 إذ منع الحزب الشيوعي الفرنسي من مُساعدة الآفالان، رغم أنّ البعض منهم فعل هذا، ولكن سرّيا. وأذكر هنا نظرية "الأمة في طور التكوّن" التي دافع عنها موريس توراس، يقول فيها:"الجزائر حالة خاصّة، هي أمة مُتكوّنة من البربر، الأتراك، العرب، وبعدها الفرنسيين، والمالطيين، والأسبان، كلّ تلك الأجناس يُكونون مزيجا، وهي أمّة في طور التكوّن". وهو ما شوّش العلاقات بين الحزب الشيوعي الفرنسي، والحزب الشيوعي الجزائري، هذا الأخير كان فيه مناضلون من أصول أوروبية أكثر من المناضلين من أصول جزائرية. وعندما طلبت جبهة التحرير الوطني من مناضلي باقي الأحزاب أن

يلتحقوا بالجبهة فرديا، وهو ما فعلته جمعية العلماء المسلمين، وكذا الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري. عندما حدث هذا أراد الحزب الشيوعي أن يُحافظ على هيكلته. ثمّ تناقش الطرفان في سنتي 1955 و1956. مثل الحزب الشيوعي خلال المفاوضات كلّ من بشير حاج علي والصادق هجرس. ومن طرف جبهة التحرير الوطني كلّ من رمضان عبان، وبن يوسف بن خدة، ومحليا رزقي اوشارف. وحتى سنة 1956 قبل مناضلو الحزب الشيوعي الالتحاق فرديا. الحزب الشيوعي الجزائري كانت لديه ميزة، وهو احتواؤه على مُناضلين من أصول جزائرية، ومُناضلين من أصول أوروبية، وبعد الاستقلال، بقي البعض مُنتميا إلى جبهة التحرير الوطني، والبعض الآخر تكوّن فيما صار يُسمى بعدها ب"الباكس" الذي كان ممنوعا، والصادق هجرس كان من بين مسؤوليه. ولكن بقيت تلك الهوّة بين الحزب الشيوعي الجزائري والحزب الشيوعي الفرنسي قائمة، لأنّ هذا الأخير لم يُساند ثورة التحرير. إذ كانت من بين كبرى الأخطاء.

مع من تعاملت خلال عملية المفاوضات بين الحزب الشيوعي الجزائري وجبهة التحرير الوطني؟

في الفترة التي ميّزت المفاوضات بين الحزب الشيوعي الجزائري وجبهة التحرير الوطني في صيف سنة 1956 اتصل بي جاك سالور الذي كان مسؤول غرب العاصمة، وله علاقات مع رزقي اوشارف، نقلتهم في السيارة، وكانت هناك قسمة التعاضدية الوطنية للطلبة الفرنسيين التي حوّلناها إلى صندوق بريدي لنا، نضع فيه الرسائل، وكنا نجتمع عند طبيب أسنان في شارع بلكور، ومن جهة أخرى كان هناك طبيب أسنان آخر وهو الدكتور بوشوشي، وحتى رمضان عبان، وهجرس التقيا عند طبيب أسنان. من جهة أخرى كنا نجمع الأدوية، كنا نضعها عند السيد صديق تامزالي الذي كان يُرسلها عبر شاحنات إلى بجاية عند حفيظ تامزالي. كما كان هناك تبادل رسائل، وتبادل الأسلحة.

كيف تمّ إيقافك؟

حدث هذا في سنة 1957 وعبر الصدفة. ذلك أنّ المظليين كانوا يبحثون عن بن خدة، الذي كان سيختبئ عند عائلة مسيحية تقدميّة وهي عائلة غوترون، ومُناضلة أخرى كانت ستختبئ عند نفس

العائلة، المظليين كانوا يبحثون عن بن خدة قبضوا عليها. عذبوها لكي يحصلوا على أيّ معلومة حوله، وهي لم تكن تعلم، فأعطتهم اسمي، وعنواني ما قبل الأخير، اتجهوا إليه فعثروا فيه على امرأة اعتقلوها وعذبوها، وفي نفس الليلة وصلوا إلي، وقبضوا عليّ في زقاق مُحاذي لشارع العربي بن مهيدي. نقلوني إلى فيلا سوزيني، استعلموا الكهرباء والماء لتعذيبي. وعثروا بين أوراقي على شعر بالأمازيغية كتبه هجرس وأهداه لأصدقائه، وبقي عندي، ولا أدري لماذا احتفظت به، رغم أني لا أفهم حتى الأمازيغية. فراحوا يسألونني عن هجرس، وأنا لم أكن أعرف أين كان، ولا كيفية الوصول إليه، فنفيت. هم علموا بقضية الأدوية، وكذا قضية صندوق البريد، لكنهم لم يعلموا بالاتصالات التي كنت أجريها بين جبهة التحرير الوطني، والحزب الشيوعي الجزائري.

مع من التقيت في سجن سركاجي، وكيف كان يتم التنظيم بين السجينات؟

نقلوني إلى سجن سركاجي بعد حصص التعذيب في فيلا سوزيني. وفيه كان هناك تلاحم كبير بين السجينات، أذكر باية حسين وجوهرة اكرور وغيرهن، وكان هناك الأب دوكلار، الذي ينشط في الكنيسة المقابلة للسجن. كان هناك تنظيم للتكفل بعائلات المساجين، عندما أوقفوني زار المناضلون أبي الذي كان يملك محلا، وعرضوا عليه مُساعدة مالية، رفضها لأنّ حالهم كانت ميسورة. فرغم تحطيم شبكة المناضلين في معركة الجزائر إلا أنّ شبكة مساعدة عائلات المساجين بقيت تنشط، وهذا أمر هام.

متى تمت مُحاكمتك؟

تمّت مُحاكمتي في 21 جوان، وبما أنه لم يكن هناك ما يدينني غير قضية الأدوية والوثائق، حكم عليّ بالسجن غير النافذ، وعند الخروج من السجن كانوا سينقلونني إلى مُحتشد، ولكن أمي كانت تنتظرني، أشرت لها عبر النافذة، فاتصلت بالمحامين، وبقيت 24 ساعة في مركزية الشرطة، ثم خرجت، وتمّ نفيي مُباشرة بعدها إلى فرنسا. وبعدها انتقلت إلى ليون.

هل استعدت نشاطك النضالي في فرنسا؟

اتصلت بقسمة اتحاد الطلبة المسلمين في ليون، لأنني كنت أنوي الذهاب إلى الحدود، وبعد مدة أحسب أنهم استغلوها في استقاء

معلومات عني من الجزائر، اتصل بي كمال بوشواطر، مسؤول جبهة التحرير الوطني بالمنطقة، ذهبت إلى باريس، ثمّ سويسرا، وبعدها إلى ايطاليا، ومنها إلى تونس حيث اتصلت مع قاعدة جبهة التحرير الوطني جيش التحرير الوطني، إذ كنا في بداية سنة 1958 ولم تُؤسس بعد الحكومة المؤقتة الجزائرية، كنت في مصلحة الجراحة، كان يُسيّرها الدكتور هدام، علمت هناك، وبالموازاة مع العلميات الجراحية، كنا ننتقل إلى الحدود، وكان هناك الدكتور عبد الوهاب، والدكتور شولي، والدكتور معيزة، كنا نعالج الجرحى مباشرة أو ننقلهم إلى المستشفيات لمعالجة مُتخصصة، وغيرها من المهام. وفي سنة 1959 كنت مُكلفة بدار لإيواء الجنديات المُسرحات، وكان هذا رفقة السيدة شولي، والسيدة خيرة مصطفاي، هذه الدار التي عملت أكثر من سنة قبل أن يتم توجيههن. وفي سنة 1960 صرت مسؤولة طبية على مستوى الوزارة المكلفة بقدماء المحاربين، مسيرة من طرف العقيد السعيد محمدي.

بعد وقف إطلاق النار بقي الصراع قائما بين المنظمة المسلحة وفدائيي العاصمة، وكانت الحاجة ماسّة إلى أطباء، هل انتقلتم مع الوفد المرسل من طرف الحكومة المؤقتة؟

أجل، حدث هذا عندما طلبت الحكومة المؤقتة أطباء متطوعين لدخول الجزائر بعد وقف إطلاق النار، في الوقت الذي كانت فيه المنظمة المُسلحة تقوم بعمليات إرهابية. فالحكومة المؤقتة اتفقت مع الحكومة الفرنسية لتسمح بدخول الأطباء لمعالجة ضحايا المنظمة السرية، إذ لم يكن من المعقول تركهم في المستشفيات لمصيرهم، دخلنا في شهر ماي سنة 1962 مع الدكتور معيزة، والدكتور معمري، تم نقلي إلى إدارة المنطقة المستقلة، عملنا في عيادة، وتحت إدارة الرائد عز الدين تمكنا من استرجاع عيادة نعمية التي كانت مسيرةمن طرف الدكتور شملة، وبين الأحياء الشعبية لجبهة التحرير الوطني فوق، والمنظمة المُسلحة في الأسفل، أخذنا المفاتيح، ورحنا نعالج فيها إلى أن كان هناك إيقاف نار آخر ثاني بين الأفلان والمنظمة المسلحة، حيث تحاور شوقي مصطفاي وجون جاك سوزيني.

سيدتي كيف ترين خطاب الرئيس الفرنسي أمام نواب البرلمان الجزائري قبل أسابيع، وهل اعترافه بمجازر الثامن من ماي 1945كاف؟

بعض الأطراف الفرنسية تُحاول إخلاء مسؤوليتها من الجرائم، لأنّ الجيل الذي عاش تلك الفترة ليس نفسه الذي يتحكم في الوضع، أي "ليسوا هم من ارتكبوا تلك المجازر"! وهذه الحجة غير معقولة، لأنهم ورثوا تلك المسؤولية، ومن جهة أخرى، فإن أكبر فترات الضغط الفرنسي على الجزائر خلال الثورة التحريرية قادها الحزب الاشتراكي، أي الحزب الذي هو حاليا في السلطة، ولهذا فإنه معني مرّتين، لأن الأمر يتعلق بالحكومة الفرنسية من جهة، وكذا الحزب الاشتراكي الذي هو في الحكم حاليا، هو من انتخب سنة 1956 على السلطات الخاصّة، حتى أنّ ميتيران كان مسؤولا عن كثير من أحكام الإعدام، إذ أنه رفض طلبات العفومن طرف المحامين.

هل فرنسا مطالبة اليوم باعتراف أو باعتذار صريح؟

إذا رفضوا الاعتذار، لا بدّ أن يعترفوا بجميع الجرائم التي ارتكبت، ويُصلحوا ما يُمكن إصلاحه.

ألا يُعتبر خطاب الرئيس الفرنسي خطوة ايجابية في سبيل تحسين العلاقات؟

هو حاول أن يخطوخطوة إلى الأمام، وطلب تحقيقا حول اختفاء موريس اودان، هذا جيد، ولكنه شيء رمزي. كما أنّ هناك الكثير من حالات الاختفاء التي يمكن أن تحقق فيها فرنسا، وتمنحنا أكثر تفاصيل، صحيح أن بعضها غامضة، ولكنهم يحوزون على وثائق وتفاصيل يمكنها أن تساعدنا في كشف الحقيقة عن مئات الحالات الأخرى المُشابهة لحالة موريس اودان، لا بد من فتح الأرشيف أمام مؤرخينا، والمؤرخين الفرنسيين، ويعترفوا أيضا بضحايا التجارب النووية، وحتى نحن عرفنا تجاوزات بيننا، لكن هناك فارق بين ما فعلنا وما فعله الاستعمار الفرنسي الذي قام بجرائم حرب، ومن جهته لا يمكن أن ننسى، ولكن يمكن أن نطوي الصفحة، دون أن نمزقها لأن تلك الحقائق ليست لنا وانما هي ملك للتاريخ!

فهرس الأعلام